فوات الوفيات

والذيل عليها

تأليف

محمد بن شاكر الكتبي

(- ٧٦٤ هـ)

المجلد الأول

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

دار صادر
بيروت

مقدمة المحقق

مؤلف الكتاب :

محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين[1] : داراني المولد دمشقي الدار ، سمع من ابن الشحنة والمزي وغيرهما من علماء بلده ، ولكنه حصل أكثر ثقافته – فيما يبدو – عن طريق الوراقة والمتاجرة بالكتب ، وقد كان شديد الفقر قبل أن يجد الحرفة الملائمة ، فلما غدا كتبياً توفر له من عمله مال طائل . وربما كانت جودة خطه ووضوحه ، وذلك الاتقان في الوراقة جملة (كما تدل على ذلك نسخة الفوات بخطّه) مما كفل له إقبال الناس على ما ينسخه من كتب ، وكسب له حسن المعاملة في التجارة مزيداً من ذلك الإقبال ، فقد وصف بأنه كان ذا مروءة في معاملته للناس ؛ كذلك كان يذاكر بعض معارفه ويفيد ، غير أنه لم يشتهر بين معاصريه بثقافته ، وإن وصف نفسه في مقدمة الفوات بإكثاره من مطالعة كتب التاريخ ، ولم ينل من عمق الثقافة ودقة الحكم ما ناله مشهورو الوراقين أمثال أبي حيان التوحيدي وياقوت الحموي ، بل ظلت ثقافته تقميشاً وتنسيقاً . ويبدو لمن يطلع على نسخة الفوات أن الرجل كان لا يكترث كثيراً بمراعاة الأصول النحوية واللغوية، وربما كانت معرفته بالنحو واللغة بسيطة ساذجة ، وهذا يبدو واضحاً إذا قارناه بمؤلفي كتب التراجم من معاصريه ، فهم يميلون – في الأغلب – إلى استعمال أسلوب مبسط فيه كثير من طبيعة الحديث الدارج ، ولكنهم لا يبلغون في ذلك مبلغ ابن شاكر .

ولا نعرف على وجه قاطع متى ولد ابن شاكر ؛ وفي إحدى نسخ الدرر الكامنة أن ذلك كان عام ٦٨٦، وهو تاريخ غير مستبعد ، إلا أننا نعرف على

---

[1] أصل المعلومات عنه عند ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ : ٣٠٢ – ٣٠٣ وترجم له ابن حجر ترجمة موجزة في الدرر الكامنة ٤ : ٧١ ونقلت تلك الترجمة بنصها في الشذرات ٦ : ٢٠٣ ؛ وانظر كشف الظنون ٢ : ١١٨٥ حيث يذكر أن لقبه « فخر الدين » ، وهدية العارفين ٢ : ١٦٣ .

وجه اليقين أنه عاش حتى شهر رمضان سنة ٧٦٤ ؛ يقول ابن كثير : « وفي يوم السبت الحادي عشر من رمضان (من العام المذكور) صلينا بعد الظهر على الشيخ محمد بن شاكر الكتبي »[1] وبعد شهر ، وفي ١٠ شوال ٧٦٤ على التحديد ، توفّي معاصره الشيخ صلاح الدين الصفدي .

مؤلفات الكتبي :

(١) عيون التواريخ : ذكر حاجي خليفة أنه في ست مجلدات ، وقال صاحب هدية العارفين إنه في ٢٨ مجلداً ، وإليه أشار ابن كثير حين قال : « وجمع تاريخاً مفيداً نحواً من عشر مجلدات » ولعلّ الاختلاف في عدد أجزاء الكتاب راجع إلى تفاوت في طبيعة النسخة التي اطلع عليها كل واحد منهم ، وفي مكتبات استانبول عدة نماذج من نسخ هذا الكتاب ، تشير إلى هذا التفاوت في التجزئة .
(٢) روضة الأزهار في حديقة الأشعار ، ذكره صاحب هدية العارفين .
(٣) فوات الوفيات والذيل عليها .

كتاب فوات الوفيات :

يستفاد من المقدمة القصيرة التي صدّر بها الكتبي كتابه هذا أنه قام بجمعه وترتيبه بعد أن اطلع على وفيات الأعيان لابن خلكان فوجد أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء وأنه أخل بتراجم بعض فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه ، فأحبّ أن يستدرك عليه ما فاته ويذيّل على كتابه ؛ وفي ذكر هذه الغاية على هذا النحو شيء من المغالطة ، فان ابن خلكان قد صرّح بأنه لا ينوي أن يترجم للخلفاء ، وأنه لن يدرج في كتابه إلا من عرف سنة وفاته ، ولم يكن إغفاله الكثيرين « لذهول عنهم أو لأنه لم تقع له ترجمة أحد منهم » كما يدّعي الكتبي ، وإنما جرى ذلك خضوعاً لمنهج محدّد .

ويتراءى لي أن مؤلف الفوات وجد أمامه كتاب الصفدي « الوافي بالوفيات » فاختار منه عدداً من التراجم (ربما لم تزد على ستمائة) ، وجعل مصنفه الجديد

---

١ تصحفت هذه اللفظة في المطبوعة فأصبحت « الليثي » .

في أربعة مجلدات ، وتولى ما ينقله ببعض الاختصار ، ولم يزد شيئاً في المعلومات التاريخية والاخبارية ، وإنما زاد في بعض المختارات الشعرية ، وأكثر منها بشكل واضح في بعض التراجم[1] ؛ وحاول حقاً ألا يكرر ما أورده ابن خلكان من تراجم ، إلا أن ذلك لم يكن مطرداً دائماً .

ويبدو أن الكتبي كان يصنع كتبه بالاتكاء على مؤلفات معاصريه من مؤلفي الموسوعات ، فقد ذكر حاجي خليفة أيضاً أنه في « عيون التواريخ » يتتبع في الغالب ابن كثير ، « لا سيما في الحوادث ، وكثيراً ما ينقل منه صفحة فأكثر بحروفه » .

متى ألف الكتبي كتاب الفوات ؟ : في آخر نسخة الفوات التي كتبها المؤلف أن العمل قد تمّ سنة ٧٥٣ ؛ إن هذا التاريخ إن لم يكن تاريخاً لتأليف الكتاب فإنه يعدّ تاريخ الصورة النهائية التي اعتمدها مؤلفه وارتضاها[2] ، وبما أنه يتكىء على الصفدي في ما نقله ، فإن هذا التاريخ يشير إلى أن الصفدي نفسه كان قد انتهى من تأليف كتابه قبل ذلك العام .

تحقيق كتاب الفوات :

لم يكن في نيتي أن أعيد النظر في هذا الكتاب لإيماني بأن التوفر على نشر ما يزال مطوياً من التراث أجدى من إعادة تحقيق ما قد نشر ، وخاصة وأني كنت أجد المطبوعة وافية بالمطلوب[3] ، حتى اطلعت على نسخة منه بخط

---

١ عرضت الفوات على نسخة من « تجريد الوافي » فوجدت التراجم مشتركة بين الكتابين ، وتؤكد الأجزاء المطبوعة من الوافي (١ – ٩) مدى اعتماد الكتبي على الصفدي .

٢ ربما كان الاختلاف الذي سأشير إليه فيما يلي بين المطبوعة والمخطوطة ناجماً عن قيام المؤلف بالتعديلات على مر الزمن في كتابه ، كما فعل ابن خلكان ، وإن كنت أستبعد هذه المقايسة ، لأن المؤلف لا يتعدى الصفدي بينما جمع ابن خلكان مادته من عشرات المصادر .

٣ أشير هنا إلى الطبعة التي صدرت بعناية الشيخ محيي الدين عبد الحميد رحمه الله ، في جزءين كبيرين (القاهرة ١٩٥١) فقد بذل فيها جهداً طيباً ، معتمداً على طبعتين صدرتا في مصر قبل ذلك . وقد أشار في مقدمته إلى اتكاء ابن شاكر على الصفدي .

المؤلف محفوظة بمكتبة أحمد الثالث (طوبقبو سراي) ، فوجدت لدى المقارنة أن المطبوعة صورة غير دقيقة من « الفوات » لعدة أسباب منها :

(١) أن ترتيب التراجم فيها مضطرب – وخاصة في حرف الهمزة – ولذلك اختلطت بعض التراجم معاً ، وبتر بعضها من جراء هذا الاضطراب في الترتيب .

(٢) أن معظم التراجم في المطبوعة يمثل صورة موجزة جداً ، حذف منها الكثير مما قيده المؤلف من أخبار أو اختاره من أشعار .

(٣) أن عشرات التراجم سقطت من المطبوعة .

(٤) أن اللغة التي استعملها الكتبي في كتابه قد غيرت في كثير من المواطن لتصبح أقرب إلى الصحة وأخضعت لقواعد النحو ، وأن بعض العبارات التركية والفارسية قد حذفت ووضع في مكانها عبارات عربية .

(٥) أن بعض التراجم قد دُسّتْ في الفوات منقولة حرفياً عن ابن خلكان مثل ترجمة السيدة نفيسة وابن الشجري والبديع الاصطرلابي وابن القطان وواصل بن عطاء ووثيمة بن الفرات (رقم ٤٧٣ – ٤٧٩ في طبعة الشيخ محيي الدين عبد الحميد) ولا وجود لها في الأصل الذي ارتضاه المؤلف .

هذا عدا الأخطاء في أسماء الأماكن والأعلام ، ومباينة الأصل في كثير من القراءات .

لكل ذلك قمت بتحقيق جديد لهذا الكتاب ، معتمداً على نسختين :

(١) نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٢١ (ورمزت لها بالحرف ص لأنها أصل هام) ، وهي تقع في أربعة أجزاء ، بخطّ المؤلف ، إلا أن الجزء الثالث منها مفقود ، وعدد أوراقها موزعة على الأجزاء الباقية كما يلي : الجزء الأول في ١٩٠ ورقة ؛ الجزء الثاني في ١٨٩ ورقة ؛ الجزء الرابع في ١٨٠ ورقة ، وجاء في آخر الجزء الرابع : « تمّ المجموع المسمى بفوات الوفيات والذيل عليها في العشر الأول من المحرم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة من الهجرة النبوية » . والأجزاء الثلاثة الباقية كتبت

كلها بخط واحد نسخي جميل واضح مشكول شكلاً جزئياً ، وفي الصفحة الواحدة ١٧ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة . وعلى الجزء الرابع تملكات مختلفة ، من أقدمها : « استوعب هذا المجلد المبارك مطالعة العبد الفقير إلى الله تعالى يحيى بن عجلان بن محمد الطائي المكي[1] . . . في أحد شهور سنة ٨٨١ » .

(٢) نسخة في مكتبة الصديق العلامة الأستاذ محمد زهير الشاويش (ورمزها : ر) وتقع في ١٤٠ ورقة ، في الصفحة الواحدة منها ٢١ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر ١٢ كلمة ، وخطها نسخي واضح جميل مقارب كثيراً لخط النسخة السابقة ، حتى ليمكن أن تعد النسختان لدى النظرة العجلى بخط ناسخ واحد . وهي نسخة قديمة أيضاً ولا بدّ ، إذ جاء على الورقة الأولى منها أنها « للخزانة العالية المولوية المخدومية الأميرية الكبيرية الناصرية ابن فضل الله ، عمرها الله ببقائه آمين » . وعلى الورقة نفسها أنها « الجزء الثاني من كتاب الفوات » ، ولكنها في شكلها الحالي مجموعة من الأوراق قد اضطرب ترتيبها واختلّ ، بسقوط أوراق كثيرة في عدة مواطن منها ؛ وتمثل التراجم الباقية منها جانباً من الجزء الثاني وجانباً من الجزء الثالث حسب قسمة النسخة (ص) .

وقد كان لهذه النسخة قيمة كبيرة في التحقيق ، وخاصة لأنها تسدّ مسدّ جانب من الجزء الثالث المفقود . ولما كان الجزء الثالث يتضمن عدداً كبيراً من تراجم المحمدين ، فقد كان عرضه على الأجزاء الأربعة الأولى من كتاب الوافي المطبوع (وهي تضم تراجم المحمدين) وعلى مخطوطة عقود الجمان للزركشي (وهي صورة أخرى من الفوات مع اختلافات قليلة) مما يسر

---

١ لا شك في أنه هو الذي ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١٠ : ٢٣٥ وقال إنه يعرف بابن الشريفة، حفظ القرآن والمنهاج وسافر إلى الحبشة والهند والقاهرة والشام للاسترزاق، وكان ينفق ما يدخل عليه أولا فأولا، ويقال له الطائي نسبة لجد له اسمه طي. إلا أن السخاوي ذكر أنه مات بالقاهرة في طاعون سنة ٨٧٣. وقد كان الطاعون حقاً في ذلك العام (انظر ابن اياس ٣ : ٢٦ وما بعدها) فإما أن السخاوي أخطأ في تاريخ الوفاة ، وإما ان ابن عجلان وهم في تقييد التاريخ المذكور (بدلا من ٨٧١ مثلا) .

الاطمئنان إلى النصّ ، ولكني لا أستطيع أن أجزم إن كان الجزء الثالث المفقود يحتوي تراجم لم ترد في مطبوعة الفوات .

وقد اتبعت في تحقيق هذا الكتاب منهجاً أحبّ توضيحه فيما يلي :

(١) ذهبت إلى اعتبار الصفدي والزركشي صورتين مشابهتين أو مقاربتين لهذا الكتاب فقارنته بهما مقارنة دقيقة ، ثم عرضت كل ترجمة على المصادر الأخرى ، وأثبت هذه المصادر مجتمعة في الحاشية ؛ وقد تعمدت في الجزء الأول أن أذكر كتاب الصفدي اعتماداً على « تجريد الوافي » لأقدم نموذجاً يشير إلى مدى الاتفاق في التراجم بين الكتابين ، ولكني لم أشر إلى الصفدي في الأجزاء التالية إلا إذا كانت الترجمة موجودة في الأجزاء المطبوعة منه .

(٢) حرصت على إبقاء النص كما ورد في نسخة المؤلف ، إلا حيث كان الخطأ اللغوي أو النحوي مما يمس رواية شعر قديم ، أو يتصل بشخص لم يعرف عنه التساهل في اللغة النحو ، فصوّبت المتن ، وأشرت إلى نصّ الأصل في الحاشية . أما ما كان أسلوباً حوارياً أو إخبارياً يمثل اللغة الدارجة في القرنين السابع والثامن — على وجه الخصوص — فقد أبقيته في المتن على حاله دون تغيير .

(٣) بينت في كل موضع إن كانت الترجمة مما لم يرد في المطبوعة ، كما أشرت بشكل عام إلى ما حذف من بعض التراجم ، ليتكون لدى القارىء صورة واضحة عن مدى العلاقة بين المطبوعة ونسخة المؤلف .

(٤) حذفت التراجم الدخيلة التي وردت في المطبوعة .

(٥) اقتصرت في الشرح على تفسير بعض الألفاظ الاصطلاحية ، وبعض الغريب ، ولم أحاول التوسّع في الشرح والتخريج .

هذا وإني أتقدم بجزيل شكري إلى الصديق الأستاذ محمد زهير الشاويش الذي أعارني نسخته الخاصة من هذا الكتاب ، وسمح لي باستخدامها في التحقبق وكل ما أرجوه أن تكون هذه المحاولة ذات نفع في خدمة العلم ، والله الموفق .

بيروت في (أيلول) سبتمبر ١٩٧٣ **إحسان عباس**

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر واختم بخير

أحمد الله على نعمه التي جلّت مواقع دِيَمِها ، وعمّت فوائد كرمها ، وأشكره على مننه التي جادت رياض التحقيق من سحب الأفكار بمنسجمها ، فأظهرت أزاهر المعاني التي انثرت[1] فأشرق الكون بتبسُّمها ، الذي حكم بالموت على عباده إظهاراً لبدائع قدرته وحكمها ، وأسعد وأشقى فيا فوز فرقة نقل الرواة ما سلف من محاسن شيَمها. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة، يقترن بالخلود ذكرها ، ويتجدد في كل يوم فخرها ، وينسدل على هفوات الإنسان سترُها . وأشهد أن سيدنا محمداً[2] عبده ورسوله الذي قلد بدرر محاسنه الأعناق [وبعثه على حين فترة من الرسل متمماً لمكارم الأخلاق][3] وجعل شمس شريعته الغراء دائمة الإشراق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين جمّلوا بذكر محاسنهم السير ، وذهّبوا وصف مفاخرهم الآصال والبُكر ، ما دوّنت الأقلام ذكر الأفاضل ، وجلّت الكتب على أسماع الأواخر ذكر الأوائل ، وسلم .

وبعد ، فإنّ علم التاريخ هو مرآة الزمان لمن تدبر ، ومِشكاة أنوار يطّلع بها على تجارب الأمم مَن أمعن النظر وتفكر ، وكنت ممّن أكثر لكتبه المطالعة ، واستحلى من فوائده المطالعة والمراجعة ، فلما وقفت على كتاب « وفيات الأعيان »

---

١ كذا في ص ، ولعلها « افترت » كما هي في المطبوعة .

٢ ص : محمد .

٣ سقطت من ص .

لقاضي القضاة ابن خلكان ، قدّس الله روحه ، وجدته من أحسنها وضعاً لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة ، والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً[1] من الخلفاء ، ورأيته قد أخلّ بتراجم بعض فضلاء زمانه ، وجماعة ممّن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك لذهول[2] عنهم ، أو لم يقع له ترجمة أحد منهم .

فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر مَن لم يذكره من الأئمة الخلفاء ، والسادة الفضلاء أذيّل فيه من حين وفاته إلى الآن ، فاستخرت الله تعالى ، فشرح لذلك صدري ، وتوكلت عليه وفوّضت إليه أمري . ووسمته بـ « **فوات الوفيات** » .

والله تعالى المسئول أن يوفّق في القول والعمل ، وأن يتجاوز عن هفوات الخطأ والخطل .

---

١ ص : أحد .

٢ ص : لذهولا .

حرف الهمزة

١

إبراهيم بن أدهم

إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر ، أبو إسحاق العجلي وقيل النخعي البلخي الواعظ أحد الأعلام[١] ، روى عن أبيه ومنصور ومحمد بن زياد الجمحي وأبي جعفر الباقر ومالك بن دينار [وأبي نعيم وأبي موسى][٢] والأعمش .

قال الفضل بن موسى : حج أدهم بأمّ إبراهيم وهي حبلى ، فولدت إبراهيم بمكة ، فجعلت تطوف به على الحِلَق في المسجد وتقول : ادعوا لابني أن يجعله الله صالحاً .

وأخباره مشهورة في مبتدإ زهده ، وطريقه مشهورة . قيل غزا في البحر مع أصحابه ، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً[٣] وعشرين مرة ، كل مرّة يجدد الوضوء ، فلما أحس بالموت قال : أوتروا لي قوسي ، وتوفي وهي[٤] في كفه ، ودفن في جزيرة من جزائر البحر في بلاد الروم[٥] .

قال إبراهيم بن يسار الصوفي : كنت ماراً مع إبراهيم بن أدهم ، فأتينا على قبر مسنَّم ، فترحم عليه إبراهيم ، ثم قال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها ، كان غارقاً في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها ، بلغني أنه سرّ ذات

---

١ — هي من التراجمات المزيدة في وفيات الأعيان ١ : ٣١ وانظر أيضاً تهذيب ابن عساكر ٢ : ١٦٧ وكتاب التوابين : ١٤٩ وحلية الأولياء ٧ : ٣٦٨ ، ٨ : ٣ والبداية والنهاية ١٠ : ١٣٥ وشرح المقامات ٢ : ٨٢ وعبر الذهبي ١ : ٢٣٨ والوافي ٥ رقم: ٣١٨ وطبقات السلمي : ١٣ .

١ في المطبوعة : العجلي النخبة الأجل الفاضل ملك الأعلام .

٢ لم يرد هذا في ص .

٣ ص : خمسة .

٤ ص : وهو .

٥ بهامش ص تعليق : ليس هو في جزيرة بل هو في الساحل قريباً من طرابلس .

يوم بشيء ، ونام ، فرأى رجلاً بيده كتاب ، فناوله ففتحه فإذا فيه مكتوب بالذهب : لا تؤثرنّ فانيا على باق[1] ، ولا تفرحن بملكك ، فإن ما أنت فيه جسيم ، إلاّ أنه عديم ، فسارع إلى الآخرة ، فإن الله تعالى يقول ﴿ وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّةٍ عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين ﴾ (آل عمران : ١٣٣) فانتبه فزعاً ، وقال : هذا تنبيه من الله تعالى وموعظة ، فخرج من ملكه فأتى هذا الجبل وعبد الله فيه حتى مات .

وقال : رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي : أيحسن بالحر المريد ، أن يتذلل للعبيد ، وهو يجد عند الله كل ما يريد ؟

وقال النسائي : إبراهيم أحد الزهاد ، وهو مأمون ثقة . وقال الدارقطني : ثقة . وقال البخاري : مات سنة إحدى وستين ومائة ، وسيرته في « تاريخ دمشق » ثلاث وثلاثون ورقة وهي طويلة في « حلية الأولياء » ، رحمه الله تعالى .

٢

إبراهيم الحربي

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ، الفقيه أبو إسحاق الحربي أحد الأئمة الأعلام ؛ ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتفقه على الإمام أحمد بن حنبل ، وكان من نجباء أصحابه ، روى عنه ابن صاعد وابن السماك .

قال الخطيب : كان إماماً في العلم ، رأساً في الزهد ، عارفاً بالفقه ، بصيراً

---

١ ص : باقيا .

٢ – ترجمة الحربي في معجم الأدباء ١ : ١١٢ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٧ وصفة الصفوة ٢ : ٢٢٨ والوافي ٥ : ٣٢٠ وطبقات أبي يعلى ١ : ٨٦ وتذكرة الحفاظ : ٥٨٤ وثمة دراسة مطولة عنه في مقدمة كتاب المناسك من تحقيق الشيخ حمد الجاسر .

بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميزاً لعلله ، قيماً بالأدب ، صنف « غريب الحديث » وكتباً كثيرة . وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان أبي يقول لي : آمضِ إلى إبراهيم الحربي يلقي عليك الفرائض .

وأنشده رجل :

أنكرتُ ذلّي فأيُّ شيء أحسنُ من ذِلّةِ المحبِّ[1] ؟
أليس شوقي وفَيْضُ دمعي وضعفُ جسمي شهود حُبّي

فقال إبراهيم : هؤلاء شهود ثقات .

قال إبراهيم : ما أنشدت شيئاً من الشعر إلاّ قرأت ﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرات .

قال ياقوت في كتاب « معجم الأدباء »[2] : قد كان إسماعيل بن إسحاق القاضي يشتهي رؤية إبراهيم الحربي ، وكان إبراهيم لا يدخل عليه ، ويقول : لا أدخل داراً عليها بوّاب ، فأخبر إسماعيل بذلك ، فقال : أنا أدع بابي كبابة الجامع ، فجاء إبراهيم إليه ، فلما دخل عليه خلع نعليه ، فلفّهما القاضي[4] في منديل دبيقي وجعلهما في كمه ، وجرى بينهما بحث كثير ، فلما قام إبراهيم التمس نعليه ، فأخرج القاضي النعل من كمه ، فقال إبراهيم : غفر الله لك كما أكرمت العلم ؛ فلما مات القاضي رؤي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أجيبت فيَّ دعوة إبراهيم الحربي .

ودخل عليه قوم يعودونه ، فقالوا : كيف تجدك يا أبا إسحاق ؟ فقال : أجدني كما قال[5] :

---

١ بعد هذا السطر وقع خرم في ص ضاعت بسببه ورقات .
٢ معجم الأدباء ١ : ١٢٥ .
٣ ياقوت : كباب .
٤ هو أبو عمر محمد بن يوسف القاضي .
٥ هو أبو نواس ، انظر تاريخ بغداد ٧ : ٤٤٨ .

دَبَّ فيَّ السّقام سُفلاً وعُلْوا وأراني أذوبُ عُضْوا فعُضوا
بليَتْ جِدَّتي بطاعَةِ نفسي وتذكرتُ طاعةَ اللهِ نِضوا

وقال ياقوت : حدثني صديقنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار قال : حدثني أحمد بن سعيد الصباغ يرفعه إلى أبي نُعيم قال : كان يحضر مجلس إبراهيم الحربي جماعة من الشبان للقراءة عليه ، ففقد أحدهم ، فسأل عنه مَنْ حضر ، فقالوا : هو مشغول ، ثم سألهم يوماً آخر ، فقالوا : هو مشغول ، وكان الشاب قد ابتلي بمحبة شخص شغله عن الحضور ، وعظموا قدر إبراهيم الحربي أن يخبروه بحقيقة الحال ، فلما تكرر منه السؤال عنه وهم لا يزيدون على أنه مشغول قال : يا قوم إن كان مريضاً قوموا بنا لنعوده ، وإن كان مديوناً اجتهدنا في مساعدته ، أو محبوساً سعينا في خلاصه ، فخبروني عن جلية حاله ، فقالوا : نجلُّك عن ذلك ، فقال : لا بدّ أن تخبروني ، فقالوا : إنه ابتلي بعشق صبي ، فوجم إبراهيم ساعة ، ثم قال : هذا الصبي الذي ابتلي بعشقه أهو مليح أم قبيح ؟ فعجب القوم من سؤاله عن مثل ذلك مع جلالته في أنفسهم ، وقالوا : أيها الشيخ مثلك يسأل عن مثل هذا ؟ فقال : إنه بلغني أن الإنسان إذا ابتلي بحب صورة قبيحة كان بلاءً تجب الاستعاذة من مثله، وإن كان مليحاً كان ابتلاء يجب الصبر عليه واحتمال المشقة ، قال : فعجبنا ممّا أتى به .

ومن مصنفاته كتاب « سجود القرآن » . « مناسك الحج » . « الهدايا والسنّة فيها » . «الحمّام وآدابه » . « مسند أبي بكر رضي الله عنه » . « مسند عثمان رضي الله عنه » . « مسند عليّ رضي الله عنه » . « مسند الزبير رضي الله عنه » . « مسند طلحة رضي الله عنه » . «مسند سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه » . « مسند عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه » . « مسند العباس رضي الله عنه » . « مسند شيبة بن عثمان » . « مسند عبد الله بن جعفر » . « مسند المِسْوَر بن مخرمَة» . «مسند المطلب بن ربيعة » . «مسند السائب» . «مسند خالد بن الوليد» . « مسند أبي عبيدة بن الجراح » . « مسند ما روي عن عاصم بن عمر » . « مسند

صفوان بن أمية » . « مسند عمرو بن العاص » . « مسند عمران بن حصين » . « مسند حكيم بن حزام » . « مسند عبد الله بن زَمعة » . « مسند عبد الرحمن بن سمرة » . « مسند عبد الله بن عمرو » . « مسند ابن عمر » .

وكان أصل إبراهيم الحربي من مرو ، توفي لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين ، رحمه الله .

٣

المتقي لله

إبراهيم بن جعفر ، أمير المؤمنين المتقي لله ابن المقتدر ابن المعتضد ؛ ولد سنة سبع وتسعين ومائتين ، واستخلف سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعد أخيه الراضي ، فوليها إلى سنة ثلاث وثلاثين ، ثم خلعوه وسملوا عينيه ، وبقي في قيد الحياة ، وكان حسن الجسم مشرباً بحمرة أبيض أشقر الشعر أشهل العينين ، وكان فيه دين وصلاح ، وكثرة صلاة وصيام ، وكان لا يشرب الخمر .

وتوفي في السجن سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى . وكانت مدّته سنتين [1] وأحد عشر شهراً ، وكانت أيامه منغصة عليه لاضطراب الأتراك ، حتّى إنه أتى إلى الرقة، فلقيه الإخشيد صاحب مصر وأهدى له تحفاً كثيرة وتوجع لما ناله من الأتراك ، ورغّبه في أن يسير معه إلى مصر فقال : كيف أقيم في زاوية من الدنيا وأترك العراق متوسطة الدنيا وسرّتها ، ومستقر الخلافة وينبوعها ؟ ثم سار حتّى قدم بغداد ، بعد أن خاطبه أمير الأتراك تُوزون ، وحلف له أن لا

---

٣ – راجع المصادر التاريخية كالكامل لابن الأثير ... الخ وانظر الروحي : ٦٢ والفخري : ٢٥٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٢٤ ونكت الهميان : ٨٧ والوافي ٥ : ٣٤١ .

١ الوافي : ثلاث سنين .

يغدر به ، وزينت له بغداد زينة يضرب بها المثل ، وضُربت له القباب العظيمة العجيبة في طريقه ، فلما وصل السندية على نهر عيسى قبض عليه توزون ، وسمل عينيه ، وبايع المستكفي من ساعته ، ودخل بغداد في تلك الزينة فكثر تعجب الناس من ذلك ، وقال المتقي :

كَحَلُونا وما شكوْ نا إليهم من الرَّمَدْ
ثمّ عاثوا بنــا ونحـ ن أسودٌ وهم نقَدْ[1]
كيف يغترّ من أذا نا وفي دَسْتِنا قعَدْ

٤
جمال الدين بن النجار

إبراهيم بن سليمان بن حمزة بن خليفة ، جمال الدين بن النجار الدمشقي المجود . ولد بدمشق سنة تسعين وخمسمائة وتوفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى . وحدَّث وكتب في الإجازات ، وكتب عليه أبناء البلد ، وله نظم وأدب ، وسافر إلى حلب وبغداد ، وكتب للأمجد صاحب بعلبكّ ، وسافر إلى الاسكندرية وتولى نقابة الأشراف بها ، وسمع بدمشق من التاج الكندي وغيره .

ومن شعره ما قاله في أسود شائب :

يا ربَّ أسودَ شائب أبصرتُهُ وكأنَّ عينيهِ لظًى وقّادُ
فحسبتُهُ فحماً بدتْ في بعضه نارٌ وباقيهِ عليه رَمادُ

---

١ النقد : صغار الغنم .

٤ – الشذرات ٥ : ٢٥٣ والزركشي ١ : ١١ والوافي ٥ : ٣٥٦ وعقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٠ والمنهل الصافي ١ : ٥٠ .

وله أيضاً :

ما لهذي العيون قاتلها الله تسمّى لواحظاً وهي نَبلُ
ولهذا الذي يسمونه العشقَ مجازاً وفي الحقيقة قتلُ
ولقلبي يقول أسلو فإن قلت نعم قال لستُ والله أسلو

وله أيضاً :

ومغرمٍ بالبدال قلتُ له يا ولدي قد وقعتَ في التعبِ
طوراً على الرّاحتين منبطحاً وتارة جاثياً على الركبِ
دخْلٌ وخرجٌ وليس بينهما في اليد من فضة ولا ذهبِ[1]
أيسرُ ما فيه أن مسلكه تأمن فيه مِن عين مرتقبِ
وعنــدنا قهوَةٌ مُعتّقةٌ كأنّ في كأسهـا سَنا لهبِ
ومن بنات القيانِ مخطَفَةٌ تغار منها الأغصان في الكُثُبِ
ومطربٌ يحسنُ الغناءَ لنـا إن كنت ممن يقول بالطربِ
ولستَ تخلو مع كل ذلك من عمود أير كالزّندِ منتصبِ
ينطح نطح الكباش متصلاً بطول رهزٍ كالخرز في القربِ

وله أيضاً :

لقد نبتت في صحن خدّك لحية تأنّق فيها صانعُ الإنسِ والجنّ
وما كنتَ محتاجاً إلى حسن نبتها ولكنها زادتك حسناً إلى حسن

---

[1] ابتداء من هذا البيت ينتهي الخرم في ص .

٥

ابن سهل الإسلامي

إبراهيم بن سهل الإسرائيلي ؛ قال ابن الأبّار في « تحفة القادم »[١] : كان من الأدباء الأذكياء الشعراء ، مات غريقاً مع ابن خلاص[٢] والي سبتة سنة تسع وأربعين وستمائة ، وكان سنُّه نحو الأربعين أو ما فوقها ، وكان قد أسلم وقرأ القرآن ، وكتب لابن خلاص بسبتة فكان من أمره ما كان .

قال أثير الدين أبو حيان : هو إبراهيم بن سهل الإشبيلي الإسلامي ، أديب ماهر ، دوّن شعره في مجلد ، وكان يهودياً فأسلم ، وله قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُسلم ، وأكثر شعره في صبي يهودي كان يهواه ، وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم .

قلت : والقصيدة النبويّة على حرف العين ، ذكرها ابن الأبار في ترجمة المذكور .

وكان يهوى يهودياً اسمه موسى فتركه ، وهوي شاباً اسمه محمد ، فقيل له في ذلك فقال :

تركتُ هوى موسى لحبِّ محمَّدِ ولولا هدى الرحمن ما كنتُ أهتدي
ومـا عن قِلًى منّي تركتُ وإنما شريعة موسى عُطِّلت بمحمّدِ

---

٥ – انظر مقدمة كتبتها على ديوانه (ط . صادر ، بيروت ١٩٦٧) وفيها ثبت بأهم المصادر التي تعرضت لذكره ، وانظر الزركشي ١ : ١٢ والوافي ٦ : ٥ .

١ ليس له ترجمة في المقتضب من تحفة القادم .

٢ يعني محمد بن الحسن بن خلاص ، وكان الحسن أبوه والي سبتة وقد بعث ابنه في سفينة إلى حضرة تونس ومعه هدية ، فغرقت السفينة ، وانظر مقدمة ديوان ابن سهل : ٣٨ – ٤٢ ففيها مناقشة لهذه الرواية ومن ثم لتاريخ وفاته .

قال الشيخ أثير الدين : أخبرنا قاضي الجماعة قال : نظم الهيثم [1] قصيدة يمدح بها المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود ملك الأندلس ، وكانت أعلامه سوداء لأنه كان بايع الخليفة ببغداد ، فوقف إبراهيم بن سهل على قصيدة الهيثم وهو ينشدها لبعض أصحابه ، وكان إبراهيم إذ ذاك صغيراً ، فقال إبراهيم للهيثم : زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني :

أعلامُهُ السود إعلاماً بسؤدده ِ   كأنهنّ بخدّ المُلك خيلانُ

فقال له الهيثم : هذا البيت ترويه أم نظمته ؟ قال : بل نظمته الساعة ، فقال الهيثم : إن عاش هذا ليكونن [2] أشعر أهل الأندلس .

والقصيدة التي مدح بها النبيّ صلى الله عليه وسلم [3] :

وركْبٍ دعتهم نحو طيبة نية	فما وجدت إلاّ مطيعاً وسامعا
يسابقُ وخْدَ العيس ماءُ شؤونهم	فيقفون بالسوق المدى والمدامعا
إذا انعطفوا أو رجّعوا الذكرَ خلتهم	غصوناً لِداناً أو حماماً [4] سواجعا
تضيء من التقوى حنايا صدورهم	وقد لبسوا اللّيلَ البهيمَ مدارعا
تكادُ مناجاةُ النبيِّ محمّدٍ	تنمُّ بهم مسكاً على الشم ذائعا
تلاقى على وِرْدِ اليقين قلوبهم	خوافق يُذكِرْن القَطا والمشارعا
قلوبٌ عرفن الحقّ فهي قد انطوتْ	عليها جنوبٌ ما عرَفنَ المضاجعا
سقوا دمعهم غرس الأسى في ثرى الجوى	فأنبت أزهارَ الشحوب الفواقعا
تساقَوا لبان الصدق محضاً بعزمهم	وحرَّم تفريطي عليَّ المراضعا

---

١ هو أبو المتوكل الهيثم بن أحمد بن أبي غالب بن الهيثم الإشبيلي ، كان شاعراً مشهوراً بالحفظ والارتجال ، قتل سنة ٦٣١ (انظر اختصار القدح : ١٥٨ والمغرب ١ : ٢٥٨ وصفحات متفرقة من نفح الطيب) .

٢ ص : فيكون .

٣ ديوانه : ٢٣٢ .

٤ ص : حمام .

وهي طويلة ؛ ومن شعره[1] :

سل في الظلام أخاك البدرَ عن سهري ... تدري النجومُ كما تدري الورى خبري
أبيت أسجعُ بالشكوى وأشربُ من ... دمعي وأنشقُ ريّا ذكرك العطَر
حتى أخيِّل أني شاربٌ ثمِلٌ ... بين الرياض وبين الكأسِ والوتر
بعض المحاسن يهوى بعضها عجباً ... تأملوا كيف هام الغُنْجُ بالحفر
إن تُقصني فنفارٌ جاء من رشإٍ ... أو تضنني[2] فمحاقٌ جاء من قمَر

وله أيضاً[3] :

ردّوا على طرفيَ النومَ الذي سلبا ... وخبروني بقلبي أيّةً ذهبا
علمت لما رضيتُ الحبَّ منزلة ... أن المَنامَ على عَينيَّ قد غضبا
فقلت[4] واحرَبا والصمت أجدر بي ... قد يغضب الحبُّ إن ناديتُ واحربا
إني له عن دمي المسفوكِ معتذرٌ ... أقولُ حملتهُ في سفكه تعبا
نفسي تَلَذُّ الأسى فيهِ وتألفه ... هل تعلمونَ لنفسي في الجوى نسبا
قالوا عهدناك من أهلِ الرشادِ فما ... أغواك ؟ قلت اطلبوا في لحظهِ السببا
مَنْ صاغَهُ الله من ماءِ الحياةِ وقد ... جرَتْ بقيَّتهُ في ثغره شَنَبا
يا غائباً مقلتي تهمي لفرقته ... والقطر إن حجبت شمس الضحى انسكبا
كم ليلةٍ بتُّها والنجمُ يشهدُ لي ... رهينَ شوقٍ إذا غالبته غَلَبا
مردداً في الدجى لهفاً ولو نطقت ... نجومها ردَّدت من حالتي عجبا
ماذا ترى في محبٍّ ما ذُكِرْتَ له ... إلاّ بكى أو شكا أو حنَّ أو طربا
يرى خيالَكَ في الماء الزلالِ وما ... ذاقَ الشرابَ فيروى وهو ما شربا

---

١ ديوانه : ١٤٨ .
٢ ص : تطنني .
٣ ديوانه : ٧٤ .
٤ ص : قتلت .

وله أيضاً[1] :

ولمــا عـزَمنا ولم يبقَ من	مصانعةِ الشوق غيرُ اليسيرِ[2]
بكيتُ على النهر أخفي الدموعَ	فعرَّضها لونُها للظُّهُور
ولو عرف السَّفْرُ حالي إذن	لما صحبونيَ عند المسير
إذا ما سرى نفسي في الشراع	أعادهُمُ نحو حمصٍ زفيري
وقفت سُحَيراً وغالبت شوقي	ونادى الأسى حسنه مَن مجيري
أنار وقــد لَفَحتْ زفرتي	فصار الغدوُّ كوقت الهجير
ومَنَّ الفراقُ بتوديعــه	فشبهتُ ناعي النوى بالبشير
وقبَّلتُ وجنته في الدُّموع	كما التقطتْ وردةٌ من غدير
وقبلتُ في الترب منـه خُطاً	أميِّزها بشَميمِ العَبـير
تَغَرّب نَوميَ عَنْ مُقلَتي	وأما حديث المنى في ضميري
أموسى تَهنَّ[3] نعيم الكرى	فليليَ بعدك ليلُ الضرير

وله أيضاً[4] :

كأن الخال في وجنات موسى	سوادُ العَتْبِ في نورِ الودادِ
أخُطَّ لصدغهِ في الحسن واو	فنقطــةُ خالهِ بعض المداد
لواحِظُهُ محيِّرة ولكــن	بها اهتدت الشجون إلى فؤادي

وله مخمّس[5] :

غريبُ الحسنِ عنَّ لنا فعنَّى	ووسنانٌ طريقَ الهجر سنّا

---

١ ديوانه : ١٥٢ .

٢ ص : إلا اليسير .

٣ ص : تهنا .

٤ ديوانه : ١١٨ .

٥ لم يرد هذا المخمس في الديوان أو في المطبوعة .

ثنى أعطافــه فاستعطفتنـــا أغنّ عن الرشا والبدرِ أغنى
فَهِـمنا سرَّ مقلته فهمنا

شكوتُ له من الحُرَقِ التهابا فأسداهـــا مراشفه العذابـــا
فكانت رحمة لَقيَتْ عذابا ومال وقد تطارحنا العتابـــا
كأني طائرٌ ناجيتُ غصنا

أمولّى حاز حتى الحسنَ عبدا حكيتَ الوردَ لي عهداً وخدّا
ونجمَ الأفْقِ إشراقاً وبعـــدا وسوّى الله بدرَ التمّ فردا
فإذ سوّاك قال الناس: ثنّى

أخاف على مكانك من فؤادي فلا تضرمه ناراً بالبعاد
ودع حظاً لطيفك من رقادي تنازعني الكواكب في سهاد
وتعجز عن دموع سح معنا

أحوريَّ الطّهارةِ والجمالِ هجرت الخلدَ هجراً عن دلال
تركتَ الحورَ بعدك في ضلال فمن للناس عندك بالوصال
وقد فارقت رضواناً وعدنا

وسيم الحسن قيّضَ لي لأشقى فليت ابن البقاء عليّ أبقى
أيوسفُ إنني يعقوبُ حقّا كملتَ ملاحةً وكملتُ عشقا
فمن ذا مثلنا حسناً وحزنا

وله أيضاً موشح [1] :

يـــا لحظـــاتِ للفتنْ في كرها أوفى نصيب
ترمي وكلّي مَقتلُ وكلها سهمٌ مصيبْ

* * *

---

[1] ديوانه : ٢٩٢ والمنهل الصافي ١ : ٥٣ وتوشيع التوشيح : ١٥٧ .

اللوم[1] للاّحي مباحْ أمـــا قبوله فـــلا
علّقته وجه صباح ريقَ طِـلاً عنقَ[2] طلا
كالظبي ثغرُهُ أَقـاح وما ارتعى شيحَ الفلا[3]

* * *

يا ظبيُ خذْ قلبي وطن فأنت في الإنس غريب
وارتَعْ فدمعي سلسلُ ومهجتي مرعًى خصيبْ

* * *

بين اللَّمى والحَوَرِ منه الحياةُ والأجلْ
سقَتْ مياهُ الخفرِ في خده ورد الخجلْ
زرعْتـــه[4] بالنّظرِ وأجتَنيــه بالأمل

* * *

في طرفه[5] الساجي وسَنْ سهَّد أجفان الكئيبْ
والردف فيه ثِقَلُ خفَّ له عقل اللبيبْ

* * *

أهدى إلى حرّ العتاب بردَ اللَّمى وقد وقَدْ
فلو[6] لثمتـــه لذاب من زفرتي ذاك البردْ

---

١ الديوان : النصح .
٢ الديوان : عيني .
٣ الديوان : مما ارتعاه بالفلا .
٤ الديوان : غرسته .
٥ الديوان : لحظه .
٦ ابتداء من هذه اللفظة ترد صفحتان في ص بخط غير خط المؤلف .

ثم لوى جيدَ كَعاب   ما حَلْيه[1] إلاّ الغَيدْ

* * *

في نزعة الظبي الأغنْ   وهزة الغصن الرطيبْ
يجري لدمعي جدولُ   فينثني منه قضيبْ

* * *

أأنت حَورا أرسلكْ   رضوان صدقاً للخبر
قُطِّعتِ القلوبُ لك   وقيل ما هذا بشر
أمَّ الصفا مضنًّى هلك   من النوى أم الكدر

* * *

حتى تزكيه المحن   أمرُ الهوى أمر غريب
كأنَّ عشقي مندلُ   زاد[2] بنار الهجر طيب

* * *

أغربت في الحسن البديع   فصار دمعي مغربا
شمْل الهوى عندي جميع   وأدمعي أيدي سَبا
فإستمعْ عبداً مطيع   غنى لبعض الرقبا

* * *

هذاالرقيب ماأسواه يظن   ايش لو كان لانسان مريب
مولاي قم تا نعملو[3]   ذاك الذي ظن الرقيب

---

١ ص : خلته ، وأثبت رواية الديوان .
٢ ص : يزداد ، والوزن ينكسر به .
٣ الديوان : يا مولتي قم نعملو .

وله أيضاً موشح[1] :

روض نضير وشادن وطلا فاجتنِ زهرَ الربيع والقبلا واشربْ
يا ساقياً ما وُقيتُ فتنَتَهُ
حَكَتْ رحيق الكؤس صورتهُ
فمثَّلتْ ثغرهُ ووجْنَتَهُ

هذا حباب كالسلك[2] معتدلا وذا رحيق لدى الزجاج علا كوكب
أقمتُ حربَ الهوى على ساقِ
وبعْتُ عقلي بالخمر من ساقي
أسهرَ جفني بنوم أحداقِ

تمثّلَ السحرُ وسطها كحلا معتلةً وهي تبرىء العللا فاعجب
قلبك صخر والجسم من ذهب
أيا سميَّ النبيِّ يا ذهبي[3]
جاورت من مهجتي أبا لهب

يا باخلاً لا أذمّ ما فعلا صيرتَ عندي محبةَ البخلا مَذهب
يا منيتي المنى من الخُدَعِ
ما نلت سؤلي ولا الفؤاد معي
هل عنكَ[4] صبر أو فيك من طمع

أفنيتُ فيك الدموعَ والحيلا فلا سلوّاً في الحب نلت ولا مأرب

---

١ الديوان : ٣١٦ .

٢ الديوان : في الكاس .

٣ الديوان : يا طلبي ، وقال إن الموشحة نظمت في أبي بكر الطلبي .

٤ ص : عندك .

أتيت أشكوه لوعتي عجبا
فصدّ عنّي بوجهه غَضبا
فعند هذا ناديت واحَرَبا

تصدّ عني يا منيتي مللا وأشتكي من صدودك العللا تغضب[1]

وله من قصيدة في محبوبه موسى [2] :

وإني لثوب الحزن أجدرُ لابسٍ وموسى لثوب الحسن أحسنُ مرتدِ[3]
تأمّل لظى شوقي وموسى يَشُبُّها تجد خير نار عندها خير موقد
إذا ما رنا شزراً فقل لحظُ أحورٍ وإن يُلوِ إعراضاً فصفحةُ أغيد
وعَذّبَ بالي أنْعمَ الله باله وسَهّدني لا ذاقَ طعمَ التسهد
شكوتُ فجاءوا بالطبيب ، وإنّما طبيبُ سقامي في لواحظ مبعدي
فقال على التأنيس طبُّكَ حاضرٌ فقلت نعم لو أنه بعض عُوَّدي
بكيت فقال الحبُّ هُزْواً أتشتري بماء جفونٍ ماءَ ثغر منضد
فأنشدته شعراً به أستميلهُ فأبدى ازدراء بابن حُجْرٍ ومَعبد
كأنّي بصرفِ البينِ حان فجاد لي بأحلى سلامٍ منه أفظعُ مشهد
تغنمتُ منه السيرَ خلفي مُشيّعاً فأقبلتُ أمْشي مثلَ مشي المقيد
وجاء لتوديعي فقلت له اتئدْ مَشَتْ لكَ روحي في الزفير المصعد
جعلتُ يميني كالنِّطاقِ لخصره وصاغتْ جفوني حَلْيَ ذاك المقلَّد
وَجُدْتُ بذوبِ التبر فوق مورّسٍ وضنَّ بذوب الدرّ فوق مورد
ومسَّحَ أجفاني ببَرْدِ بَنانِه فألّفَ بين المزن والسوسنِ الندي
فيا آفة العقل الحصيف وصبوة الـ عفيف وغَيَّ النّاسكِ المتعبّد

---

١ الخرجة عامية في الديوان ، والظاهر أنها قد حورت عند المشارقة .
٢ ديوانه : ٩٩ .
٣ إلى هنا تنتهي الصفحتان اللتان جاءتا بغير خط المؤلف .

رَعَيْتُ لحاظي في جمالك آمناً ... فأذهلني عن مصدري حُسْنُ مورد
أظلُّ ويومي فيكَ هَجْرٌ ووحشةٌ ... ويومي بحمدِ الله أحسن من غدي
وصالك أشهى من معاودةِ الصبا ... وأطيبُ من عيش الزمان الممهد
عليك فطمتُ العينَ من لذة الكرى ... وأخرجتُ قلبي طيِّبَ النفس من يدي

وله أيضاً[1] :

ضمانٌ على عينيك أنيَ عاني ... صرفتُ إلى أيدي العناء عناني
وقد كنتُ أرجو الوصل منك غنيمة ... فحسبيَ منك اليوم نيل أماني
ومن لي بجسم أشتكي منه بالضنا ... وقلبٍ فأشكو منه بالخفقان
وما عشتُ حتى اليوم إلاّ لأنّني ... خفيتُ فما يدري الحمام مكاني
ولو أنّ عمري عمرُ نوح وبعته[2] ... بساعةِ وصلٍ منكِ قلت : كفاني
وما ماء ذاك الريق عنديَ غالياً ... بماء شبابي واقتبال زماني
خليليّ عندي في السلوّ بلادة ... فإن شئتما علم الهوى فسلاني
خذا عدداً من مات من ألمِ الهوى ... فإن كان فرداً فاحسبانيَ ثاني

وله أيضاً[3] :

يقولون لو قبّلْتَه لاشتفى الجوى ... أيطمعُ في التقبيلِ من يعشقُ البدرا
ولو غفَلَ الواشي لقبلتُ نعله ... أنزّهه أن أذكرَ الجيدَ والثغرا
وما أنا مَنْ يستحملُ الريحَ سرَّهُ ... أغارُ حفاظاً أن أذيعَ لهُ سرّا
إذا فئةُ العذّالِ جاءت بسحرها ... ففي وجه موسى آية تُبطل السحرا

وله من أبيات[4] :

---

١ لم ترد في المطبوعة ، وانظر ديوانه : ٢١٤ .
٢ ص : وبعثه .
٣ هذه القطعة وما يليها حتى آخر الترجمة لم يرد في المطبوعة ، وانظر ديوانه : ١٥٩ .
٤ ديوانه : ١٦٩ .

غضّ الصبا يسفرُ عن منظرٍ أحسن من عصر الصبا المقبل
صوّر من نور ومن فتنةٍ والناس من ماء ومن صلصل
أحلتُ أشواقي على ذكره أسلّط النار على المندل
أخشى عليك العارَ من قولهم : معتدلُ القامة لم يعدل

وقال أيضاً[1] :

أموسى ولم أهجرك والله إنّما هجرت الكرى والأنس واللب والصبرا
تركتك لا غدراً بعهدك بل أرى حياتيَ ذنباً بعد بعدك أو غدرا
قنعتُ على رغمي بذكرك وحده أدير عليه الخمر والأدمع الحمرا
أقبل من كاس المدير حبابها إذا مثلت عندي المنى ذلك الثغرا

وله أيضاً[2] :

لاموا فلما لاح موضع صبوتي قالوا لقد جئت الهوى من بابه
شرقت بدمعي وجنّتي شوقاً إلى ذي وجنة شرقت بماء شبابه
حلو الكلامِ كأنّما ألفاظه يشربن عند النطقِ شهدَ رضابه
بالله يا موسى وقد لذّ الردى اجبرْ ولا تبقِ الجريحَ بما به
هاروت أودع في لحاظك سحره فأصاب قلبي منك مثلُ عذابه

وديوانه كله من هذا النوع ، رحمه الله تعالى وسامحه .

---

١ ديوانه : ١٥٧ .
٢ ديوانه : ٨٢ .

٦

الشيخ إبراهيم الأرموي[٦]

إبراهيم بن عبد الله بن يوسف بن إبراهيم بن سليمان أبو إسحاق الأرمني ، ويقال الأرموي ، الشيخ الزاهد العابد ؛ ولد سنة خمس عشرة وستمائة بجبل قاسيون ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين [١] وتسعين وستمائة . سمع من الشيخ الموفق وابن الزبيدي وغيرهما، وكان صالحاً خيراً كبير القدر مقصوداً [٢] للتبرك . ولما قدم الأشرف دمشق من فتح عكا طلع إليه وزاره وطلب منه الدعاء ، ووصله . ولما مات طلع إلى جنازته ملك الأمراء والقضاة وحمل على الرءوس .

وله شعر جيد منه :

سهري عليك ألذُّ من سِنَةِ الكرى ... ويلذ فيك تهتكي بين الورى
وسوى جَمالكَ لا يروق لناظري ... وعلى لساني غير ذكرك ما جرى
وحياةِ وجهكَ لو بذلتُ حُشاشتي ... لمبشّري برضاكَ كنتُ مُقصِّرا
أنا عبدُ حبك لا أحُول عن الهوى ... يوماً وإن لام العذول وأكثرا

---

٦ – هذه الترجمة موجزة جداً في المطبوعة ، وانظر الزركشي ١ : ٢٨ والوافي ٦ : ٣٦ والدارس ٢ : ١٩٦ والنجوم الزاهرة ٨ : ٣٨ والشذرات ٥ : ٤٢٠ .

١ ص : اثنين .

٢ ص : مقصود .

٧

الشيخ برهان الدين الفزاري .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضيا ؛ هو الشيخ الجليل الإمام العلاّمة الورع شيخ الشافعية برهان الدين أبو إسحاق الفزاري الصعيدي الأصل الدمشقي ، مدرس الباذرائية[1] وابن مدرّسها ، وسيأتي ذكر والده الشيخ تاج الدين إن شاء الله تعالى في حرف العين .

كان جده فقيهاً بالرواحية[2] ، وولد الشيخ برهان الدين سنة ستين وستمائة ، وأمّه أمّ ولد ، عاشت إلى بعد العشرين وسبعمائة . سمّعه أبوه الكثير في الصغر من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر ، وبرع في الفقه على والده ، وقرأ العربية على عمه شرف الدين ، وقرأ الأصول وبعض المنطق ، وتفنن وجوّد الكتابة ، ونشأ في صون وخير وإكبابٍ على العلم والإفادة ، وتخرج به الأصحاب ، وأذن في الفتوى لجماعة ، وانتهى إليه إتقان غوامض المذهب . علّق على « التنبيه » شرحاً في مجلدات .

وكان عذب العبارة صادق اللهجة ، طلق اللسان ، طويل الدروس ، وكان له حظ من صلاة وصيام وذكر ، وفيه لطف وتواضع ولزوم خير وكفٌّ عن

---

٧ – لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وانظر طبقات السبكي ٦ : ٤٥ والدرر الكامنة ١ : ٣٥ والمنهل الصافي ١ : ٨٠ ومرآة الجنان ٤ : ٢٧٩ وطبقات الاسنوي ٢ : ٢٩٠ والدارس ١ : ٢٠٨ والبداية والنهاية ١٤ : ١٤٦ والوافي ٦ : ٤٣ وأعيان العصر : ٢٠ والرد الوافر : ٨٦ والشذرات ٦ : ٨٨ .

١ يكتبها المؤلف بالذال المعجمة حيثما وقعت وترد بالدال المهملة في المصادر ، وهي المدرسة التي أنشأها الإمام نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن الباذرائي (انظر الدارس ١ : ٢٠٥) .

٢ الرواحية : نسبة إلى مؤسسها زكي الدين أبي القاسم التاجر المعروف بابن رواحة (الدارس ١ : ٢٦٥).

الغيبة وعن أذى الناس . وكان كل شهر يعمل طعاماً لفقهاء الباذرائية ويقف في خدمتهم ، وكان واسع البذل ، يعود المرضى ويشيع الجنائز ؛ وكان لطيف المزاج نحيف الجسم أبيض حلو الصورة رقيق البشرة معتدل القامة ، قليل الغذاء جداً ، يديم التنقل بالخيار شنبر ، وربما انزعج في المناظرة .

ولي الخطابة بالجامع الأموي بعد عمه شرف الدين ، ثم عزل نفسه بعد شهر ، ولما توفي قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى[1] طلب للقضاء فامتنع ، وكان فيه رفق ورحمة ، يكره الفتن ولا يدخل فيها ، وله جلالة ووقع في النفوس . وكانت وفاته في سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وكانت جنازته مشهورة[2] ، رحمه الله تعالى .

٨

الشيخ العماد

إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، الشيخ عماد الدين الحنبلي الزاهد ، أخو الحافظ عبد الغني ؛ ولد بجماعيل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وتوفي سنة أربع عشرة[3] وستمائة . هاجر إلى دمشق ، وسمع وارتحل ، وصارت له معرفة حسنة بالحديث مع كثرة السماع واليد الباسطة في الفرائض والنحو والخط المليح ، وطوّل الشيخ شمس الدين الذهبي في ترجمته ، رحمه الله تعالى .

---

١ توفي سنة ٧٢٣ .

٢ الأصوب « مشهودة » كما في الوافي .

٨ – عبر الذهبي ٥ : ٤٩ والشذرات ٥ : ٥٧ والوافي ٦ : ٤٩ وذيل ابن رجب ٢ : ٩٣ ومرآة الزمان : ٥٨٦ ، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٣ ص : أربع عشر .

٩

ابن هرمة

إبراهيم بن علي بن سلمة الفهري المدني الشاعر المعروف بابن هرمة ، من شعراء الدولتين ؛ كان شيخ الشعراء في زمانه ، وكان منقطعاً إلى الطالبيين ، وكان منهوماً في الشراب لا يكاد يصبر عنه ، فقال للمنصو : يا أمير المؤمنين ، إني مغرم بالشراب ، وكلما أمسكني والي المدينة حدّني ، وقد طال هذا ، فاكتب لي إليه ، فقال : ويحك ! كيف أكتب في حدّ من حدود الله تعالى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، احتلْ لي في ذلك ؛ فكتب إلى عامله بالمدينة : « أما بعد ، فمن أتاك بابن هرمة سكراناً ، فحدّ ابن هرمة ثمانين واجلد الذي يأتيك به مائة » ؛ فكان يمرّ به العسسُ وهو سكران ملقّى على قارعة الطريق فيقولون : من يشتري ثمانين بمائة ؟

ومرّ يوماً على جيرانه وهو ميت سكراً حتى دخل منزله ، فلما كان من الغد عاتبوه[1] في الحالة التي أوه فيها ، فقال : أنا في طلب مثلها منذ دهر ، أما سمعتم قولي[2] :

أسأل الله سكرة قبل موتي ... وصياح الصبيان يا سكرانُ

---

٩ – الأغاني ٤ : ٣٦٨ (دار الثقافة) والشعر والشعراء : ٦٣٩ وتاريخ بغداد ٦ : ١٢٧ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٤ وطبقات ابن المعتز : ٢٠ والسمط : ٣٩٨ والموشح : ٢٢٣ والوافي ٦ : ٥٩ والخزانة ١ : ٢٠٣ وقد جمع ديوانه الأستاذ محمد جبار المعيبد (النجف ١٩٦٩) والأستاذان محمد نفاع وحسين عطوان (مطبوعات المجمع العلمي بدمشق) وإلى جمع المعيبد أشير في هذا الكتاب ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

[1] ص : فعاتبوه .

[2] ديوانه : ٢٢٩ .

فنهضوا من عنده ، ونفضوا ثيابهم وقالوا : ما يفلح هذا أبداً .

ويقال إنه ولد سنة سبعين ، ونادم المنصور سنة أربعين ومائة ، وعمّر بعد ذلك دهراً ؛ وهو القائل[1] :

ما أظنّ الزمانَ يا أمّ عمروٍ تاركاً إن هلكتُ من يبكيني

وكان كذلك ، لقد مات وما يحمل جنازته إلاّ أربعة نفر لا يتبعهم[2] أحد ، حتى دفن بالبقيع . وكانت وفاته سنة خمسين ومائة . وكان الأصمعي يقول : ختم الشعر بابن ميادة وابن هرمة ، رحمه الله تعالى .

١٠

عين بصل

إبراهيم بن علي بن خليل الحراني ؛ شيخ حائك ، كان عامياً أمّياً أناف على الثمانين ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبعمائة ؛ قصده قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله تعالى واستنشده من شعره فقال : أما القديم فما يليق ، وأما نظم الوقت الحاضر فنعم ، وأنشده :

وما كلّ وقتٍ فيه يسمح خاطري بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى
وهل يقتضي الشرع الشريف تيمماً بتربٍ وهذا البحر يا صاحبي معْنا[3]

---

١ ديوانه : ٢٤٣ .

٢ ص : لا يتبعهن .

١٠ – الزركشي ١ : ١٧ والمنهل الصافي ١ : ١٠١ والوافي ٦ : ٧٠ وأعيان العصر : ٢٣ والدرر الكامنة ١ : ٤٥ .

٣ جاء في الزركشي ان ابن خلكان قال له بعدما سمع البيتين : « أنت عين بصر » .

وله أيضاً :

وقائلٍ قال إبراهيم عينُ بصل أضحى يبيعُ قَبَاً في الناس بعد قبا
فقلت : مَهْ يا عذولي لا[1] تعنفني لو جعتَ قدتَ ولو أفلست بعت قبا

وله أيضاً في الشبكة والسمك :

كم كبسنا بيتاً لكي نمسكَ السكانَ منه في سائرِ الأوقاتِ
فمسكنا السكانَ وانهزم البيتُ لدينا خوفاً من الطاقاتِ

وله أيضاً :

جسمي بسُقم جفونه قد أسقما ريمٌ بسهمِ لحاظهِ قلبي رمى
كالرمح معتدلُ القوام مهفهفٌ مرٌّ الجفا لكنه حُلو اللَّمى
رشأ أحلَّ دمي الحرامَ وقد رأى في شرعه وصْلي الحلال محرَّما
ربّ الجمالِ بوصله وبهجره لقّى[2] وأصلى جَنّةً وجهنّما
عن ورد وجنته بآسِ عذارهِ وبسيف نرجس طرفه الساجي حمى
عاتَبتُهُ فقسا وفيت فخانَني قربته فنأى بكيت تبَسَّما
حكّمته في مهجتي وحُشاشتي فجنى وجار عليَّ حين تحكّما
ياذا الذي فاق الغصونَ بقدّه وسما بطلعتهِ على قمر السّما
رفقاً بمن لولا جمالك لم يكنْ حِلفَ الصبابةِ والغرام متيّما
أنَسيتَ أيّاماً مضتْ وليـاليا سلفت وعيشاً بالصَّريم تصرَّما
إذ نحن لم نخشَ الرقيبَ ولم نخفْ صرفَ الزمانِ ولا نطيع اللوما
والعيشُ غضٌّ والحواسد نوّمٌ عنا وعين البين قد كحلت عمى
في روضةٍ أبدت ثغورُ زهورها لمّا بكى فيها الغمام تبسُّما

---

١ الوافي : كم .
٢ ص والوافي : ألقى .

مدَّ الربيعُ على الخمائل نوره فيهـا فأصبح كالخيام مخيّما
تبدو الأقاحي مثل ثغرٍ مهفهفٍ أضحى المحبّ به كئيباً مغرما
وعيون نرجسها كأعينِ غادة ترنو فترمي باللواحظ أسهما
والطير يصدح في فروع غصونها صدحاً فيوقظ بالهديل النوما
والراح في راح الحبيب يديرها في فتيةٍ نظـروا المسرة مغنما
فسُقاتنا تحكي البدورَ وراحُنا تحكي الشموس ونحن نحكي الأنجما

وله أيضاً رحمه الله تعالى .

ربوع جلَّقَ للأوطار أوطانُ وليس فيها من النُّدمان ندمانُ
كم لي مع الحِبِّ في أقطارها أرباً إذ نحن في ساحتيْ جيرون جيران
أيامَ تجريرُ أذيالي بها طَربـاً ولي مكان له في السعد إمكان
إذ بت أنشدُ في غزلانها غزلاً لما غزت كبدي باللحظ غزلان
سقياً لجامعها كم قد جُمعنَ لنا فيه من الغيد أقمارٌ وأغصان
وكم حوى الحسن في باب البريد لنا فهل ترى عند ذاك الحسن إحسان
أغنت عن السمر فيه السمر إذ خطرت وسودُ أجفانها للبيض أجفان
أهلَّةٌ تحت ليل الشعر تحملها لفتنةِ الصبِّ قضبان وكثبان
جمالها وأخو الأشواقِ حين بدت إليه في الحبِّ مفتونٌ وفتان
وبعدها ليس يحلو في الهوى أبداً يوماً لإنسانه في الخلق إنسان
نواحه في نواحي جِلَّق وله بالحسن لا بالنقا والحزن أحزان
فجلق جنةٌ تبدو جواسقُها مثلَ القصور بها حورٌ وولدان
والسبت كالعيد تلقى الغيد سانحةً وقد حوى الغيد ميدانٌ وبستان
أنزه الطرفَ في الميدان من فرح والقلب مني لطفل اللهو ميدان
قم يا نديمي إلى شرب المدام بها من قبل يدرك بدر السَّعد نقصان
فأنت في جنّة منها مزخرفةٍ وقد تلقّاك بالرضوان رضوان

وأنت فيها عن اللذات في كسلٍ   انهضْ فما بلغ اللذات كسلان
أما ترى الأرض إذ أبكي السحاب بها   آذارُها ضحكت إذ جاء نيسان
والزهرُ كالزهر حياه الحيا فبدت   في الروض منه إلى الأبصار ألوان
زمرد قُضُبٌ فيهـا مركبة   جواهرٌ ويواقيت ومرجـان
كأنما الورد خدُّ الحبِّ حين غدا   له العذارُ سياجاً وهو ريحان
كأن منثورها إذ لاح مبتسماً   جيش من الروم بانت فيه صلبان
كأنما البان أهدى المسك حين بدا   فعطر الكون لما أورق البان
كأن ريح الصبا طافت بخمر هوًى   من الرياض فكل الكون نشوان
كأنما حُمرة التفاح خدُّ رشاً   لي في هواه عن السلوان سلوان
كأن نارنجها نارٌ وباطنـه   ثلجٌ وفيه لجين وهو عقيان
والطير تطربُ بالعيدانِ نغمتها   ما ليس يُطربُ بالأوتار عيدان
أبدت فنوناً فأفنت صبرَ سامعها   بالنوح إذ حملتها فيه أفنـان
بلابلٌ هيَّجت منّا بلابلنـا   وهاج منّا[1] صباباتٌ وأشجان
وهزنا الشوقُ إذ غنّى الهزار بها   فلا تجفُّ لنا بالدمع أجفـان
وربّ صافية في الكأس مشرقةٍ   كانت وما كان في العلياء كيوان
راحٌ أراحتْ لمن حلّت براحته   روحاً لها القار والفخار جثمان
صبّت لنا فهي ماء في زجاجتها   وأشرقت فهي في الكاسات نيران
يسعى بها رشأ بالسحر مكتحلٌ   حلو الدلال لجند الحسن سلطان
عذب اللمى ناعس الأجفان منتبه   مهفهف القدّ صاحٍ وهو نشوان
كأنما وجهه فيـه لعاشقـه   بستان والخال في البستان جنّان
كأنمـا خاله لمـا بدا كُرةٌ   والصدغ جوكانها والخد ميدان

وشعره مقبول ، غير أنه لا يخلو من اللحن ، رحمه الله تعالى وإيّانا .

---

١ الزركشي : منها .

١١

الجعبري

إبراهيم بن عمر بن إبراهيم ، الشيخ الإمام العلاّمة ذو الفنون شيخ القراء ، برهان الدين الجعبري الشافعي ابن مؤذن جعبر ؛ ولد في حدود الأربعين ، وسمع في حياة ابن خليل ، وتلا ببغداد بالسبع على ابن الوجوهي ، وقرأ « التعجيز » حفظاً على مؤلفه تاج الدين ابن يونس ، وسمع من جماعة ، وقدم إلى دمشق ، فنزل بالشميصاتية[1] وأعاد بالغزالية[2] ، وباحث وناظر ، ثم ولي مشيخة الحرم ببلد الخليل عليه السلام ، فأقام به بضعاً وأربعين سنة ، وصنف التصانيف ، واشتهر ذكره .

وألّف شرحاً للشاطبية كبيراً ، وشرحاً للرائية ، ونظم في الرسم « روضة الطرائف » واختصر مختصر ابن الحاجب ، ومقدمته في النحو ، وكمّل « شرح التعجيز » ، وله ضوابط كثيرة نظمها ، وله كتاب « الافهام والإصابة في مصطلح الكتابة » نظم ، وله كتاب « يواقيت المواقيت » نظم ، و « السبيل الأحمد إلى علم الخليل بن أحمد » و « تذكرة الحفاظ في مشتبه الألفاظ » و « رسوم التحديث في علم الحديث » و « موعد الكرام لمولد النبي عليه السلام » و « كتاب المناسك » و « مناقب الشافعي » و « الشرعة في القراءات السبعة »

---

١١ – الزركشي ١ : ١٧ والدرر الكامنة ١ : ٥١ وطبقات الشافعية ٦ : ٨٢ والوافي ٦ : ٧٣ وأعيان العصر : ٢٧ والبداية والنهاية ١٤ : ١٦٠ وغاية النهاية ١ : ٢١ والأنس الجليل ٢ : ٤٩٦ وطبقات الاسنوي ١ : ٣٨٥ ومرآة الجنان ٤ : ٢٨٥ والمنهل الصافي ١ : ١١٢ والشذرات ٦ : ٩٧ وبغية الوعاة : ١٨٤ ؛ وهذه الترجمة موجزة جداً في المطبوعة .

١ هكذا يكتبها المؤلف ، وفي الدارس والوافي : السميساطية ، وهي خانقاه .

٢ تنسب إلى الغزالي لكونه دخل دمشق ومنعه الصوفية من دخول الخانقاه السميساطية ، فأقام بزاوية عرفت من بعد بالغزالية (الدارس ١ : ٤١٣) .

و « عقود الجمان في تجويد القرآن » و « الترصيع في علم البديع » و « حدود الإتقان في تجويد القرآن » و « كتاب الاهتداء في الوقف والابتداء » و « الإيجاز في الألغاز » ؛ وتصانيفه تقارب المائة كلها جيدة محررة .

وكان حلو العبارة ، يحكى قال : كان قبلي لهذا الحرم شيخ ، جاء السلطان مرّة إلى زيارة الخليل عليه السلام متخلياً عن الناس ، فقال له المتحدثون في الدولة : يا شيخ ما تعرفنا حال هذا الحرم ودخله وخرجه ، فقال : نعم ، وأخذهم وجاء بهم إلى مكان يمدّون فيه السِّماط ، وقال لهم : الدخل هاهنا ، ثم أخذهم وجاء بهم إلى الطهارة ، وقال : الخَرْج هاهنا ، ما أعرف غير ذلك . فضحكوا منه .

وللجعبري شعر منه :

لمّـــا أعان الله جلّ بلطفــه لم تسبني بجمالهـــا البيضاءُ
ووقعت في شرك الرَّدى متحبّلاً وتحكّمتْ في مهجتي السوداءُ

وقال لي من سمعه يحكي : كنت في أوّل الأمر أشتري بفلس جزر أتقوّت به ثلاثة أيام .

وكان ساكناً ذكياً وقوراً ، وألف في كثير من العلوم ، وتوفي في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

ومن شعره :

أضاء لها دجى الليل البهيمِ وجدَّد وجدها مرُّ النسيمِ
فراحت تقطعُ الفلواتِ شوقاً مكلفةً بكلّ فتًى كريم
فقـــالوا لا نرى فيهـــا أنيساً سوى نجمٍ وغصنٍ نقاً وريم
نيـــاقٌ كالحنايا ضامراتٌ يحاكي ليلُهـــا ليلَ السّليم
كأنّ لها قوائمَ من حديـــد وأكباداً من الصَّلدِ الصميم
لهـــا بقبا وسفحِ منًى غرامٌ يلازمهـــا ملازمةَ الغريم

تراها من هوى وجوىً ووجد تسير مع الدجى سير النجوم
لما تلقــاه من نَصَبٍ نهاراً ترى الادلاجَ كالحلّ الحميم

وله أيضاً :

لمّا بدا يوسفُ الحسن الذي تلِفَتْ في حبّهِ مهجتي استحيت لواحيه
فقلتُ للنسوةِ اللاتي شغفن بـــه فذلكنّ الذي لمتُنّني فيـــه

١٢
الرقيق الكاتب

إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم ؛ أصله من القيروان ، رجل فاضل له تصانيف كثيرة منها : كتاب « تاريخ افريقية والقيروان » في عدة مجلدات . « كتاب النساء » كبير . « كتاب الروح[1] والأرتياح » . « كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك » في أربع مجلدات . « الاختصار البارع للتاريخ الجامع » في عدة مجلدات . « كتاب الأغاني » مجلد . كتاب « قطب السرور في أوصاف الخمور » مجلدان ، فضح العالمين فيه ، وعندي منه نسخة ، وله غيرذلك.

قال ابن رشيق في حقه : شاعر سهل الكلام ، لطيف الطبع ، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التأريخ وتأليف الأخبار ، وهو بذلك أحذق الناس ؛ قدم مصر سنة ثمان وثمانين[2] وثلثمائة بهدية من ابن باديس إلى الحاكم ، وقال قصيدة يصف

---

١٢ – معجم الأدباء ١ : ٢١٦ ومسالك الأبصار ١١ : ٣٣٣ والوافي ٦ : ٩٢ وقد نشرت قطعة من تاريخه تحقيق المنجى الكعبي (تونس ١٩٦٨) وجزء من كتابه قطب السرور (تحقيق أحمد الجندي ، دمشق ١٩٦٩) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ الوافي : الراح .

٢ ص : وثلاثين .

فيها المنازل والمناهل ، منها :

إذا ما ابن شهر قد لبسنا شبابه بدا آخرٌ من جانب الأفق يطلعُ
إلى أن أقرّت جيزة [1] النيل أعيناً كما قرّ عيناً ظاعن [2] حين يرجع

وقال أيضاً :

ريمٌ إذا ما معاريضُ المنى خطرتْ أجلّهُ المتمنّي عن أمانيهِ
يا إخوتي ألأقاح فيه أقبَلَ لي أم خطّ راءين من مسكٍ على فيه
أم حُسْنُ ذاك التراخي في تكلمه أم حسنُ ذلك التهادي في تثنيه

١٣

ابن كيغلغ

إبراهيم بن كيغلغ ، أبو إسحاق ، أديب فاضل . قال ابن النجار : ذكره الوزير أبو سعد محمد بن الحسين ابن عبد الرحيم في كتاب « طبقات الشعراء » وقال : من شعره :

لاعبتُ بالخاتمِ إنسانةً كالبدرِ في تاجِ دجًى عاتمِ
حتى إذا واليتُ أخذي [3] له من البنانِ الترفِ النّاعمِ
خبّأتْهُ في فيها ، فقلت انظروا قد خبت الخاتم في الخاتم

وله أيضاً :

---

١ ص : حيرة ، والتصويب عن ياقوت والوافي .

٢ ص : ضاعن ؛ وذلك كثير الورود ، إذ تصبح الظاء ضاداً في هذه النسخة .

١٣ – الزركشي ١ : ١٨ ودمية القصر ١ : ١٣٩ والوافي ٦ : ٩٥ .

٣ ص : خدي ، والتصويب عن الزركشي والوافي .

باللهِ ممّا هجرتني قل لي وأنت مما جنيت في حلٍّ
من لي بيوم أراك فيه وقد قررت عيني بزورةٍ من لي؟

وله أيضاً :

قم يا غلامُ أدرْ مدامك واحثُثْ على الندمانِ جامكْ
تدعى غـلامي ظاهراً وأظلُّ في سرٍّ غلامكْ
اللهُ يعـلمُ أنّني أهوى عناقك التزامكْ

كان المقتدر بالله قد قلده مدناً على ساحل الشام : السويدية واللاذقية وجبلة وصيدا وما يتعلق بهما ، وكانت وفاته في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

١٤
فخر الدين ابن لقمان

إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الوزير الكاتب ، فخر الدين الشيباني ؛ قال الشيخ شمس الدين : رأيته بعمامة صغيرة ، وقد حدّث عن ابن رواج [١] وكتب عنه البرزالي والطلبة ، وتوفي بمصر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وصلي عليه بدمشق ؛ ولي وزارة الصحبة للملك السعيد ، ثم وزر مرتين للملك المنصور قلاوون ، وأصله من إسعرد .

وكان قليل الظلم ، فيه إحسان إلى الرعية ، وكان إذا عزل من الوزارة يأخذ

---

١٤ — الزركشي ١ : ١٩ والمنهل الصافي ١ : ١١٨ والوافي ٦ : ٩٧ والنجوم الزاهرة ٨ : ٥٠ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ الوافي والمنهل الصافي : رواح .

غلامه الحرمدان[1] خلفه ، ويبكر من الغد إلى ديوان الإنشاء .

ولما فتح الكامل آمد كان ابن لقمان شاباً يكتب على عرصة القمح ، وينوب عن الناظر ، وكان البهازهير كاتب الإنشاء للملك الكامل ، فاستدعى من ناظر آمد حوائج ، فكانت الرسالة ترد إليه بخط ابن لقمان ، فأعجب البها زهير خطه وعبارته ، فاستحضره ونوّه به ، وناب عنه في ديوان الإنشاء ، ثم إنه خدم في ديوان الإنشاء في الدولة الصالحية وهلم جرّا إلى أوائل الدولة الناصرية .

قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : كان فخر الدين ابن لقمان وتاج الدين ابن الأثير صحبة السلطان على تل العجول ، ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا ، فاتفق أنه دعا بمملوكه المذكور ، « يا الطنبا » ، فقال : نعم ، ولم يأته ، فتكرر طلبه له وهو يقول نعم ، ولا يأتيه ، وكانت ليلة مظلمة ، فأخرج فخر الدين رأسه إلى الخيمة وقال : تقول نعم وما أراك ؟ فقال تاج الدين :

في ليلةٍ من جمادى ذاتِ أنديةٍ   لا يبصرُ الكلبُ من ظلمائها الطنبا

قلت : وهذا من جملة أبيات في « الحماسة » لمرة بن محكان[2] ، وما استشهد أحد في واقعة بأحسن من هذا أبداً .

ومن شعر فخر الدين ابن لقمان في غلامه غلمش :

لو وشى فيه مَن وشى   ما تسلَّيتُ غلمشا
أنا قد بحتُ باسمه   يَفعلُ اللهُ ما يشا

وله أيضاً :

كنْ كيف شئتَ فإنني بك مغرمُ   راضٍ بما فعل الهوى المتحكمُ

---

١ الحرمدان (وبالخاء في الفارسية) : جراب من جلد توضع فيه الأدوات والأوراق .

٢ شرح المرزوقي ، الحماسية رقم ٦٧٥ (١٥٦٢) وشرح التبريزي ٤ : ٥٩ ومرة بن محكان شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية (انظر الأغاني ٢٠ : ٩ ، ٢٢ : ٣٤٨ ومعجم المرزباني : ٣٨٣ والشعر والشعراء : ٥٧٦) .

ولئن كتمتُ عن الوشاةِ صبابتي بك فالجوانحُ بالهوى تتكلمُ
أشتاقُ من أهوى وأعلم أنني أشتاقُ من هو في الفؤادِ مخيِّم
يا مَن يصدُّ عن المحبِّ تدلُّلاً وإذا بكى وجداً[1] غدا يتبسَّم
أسكَنتكَ القلبَ الذي أحرقتَهُ فحذارِ من نارٍ بـه تتضرَّم

١٥

ابن المدبر

إبراهيم بن محمد بن عبيد الله المعروف بابن المدبّر الكاتب ؛ كان كاتباً بليغاً شاعراً فاضلاً مترسلاً ، خدم المتوكل مدة طويلة ، وكان في رتبة الوزارة ، وكان قد غضب عليه المعتمد وحبسه ، وله في الحبس أبيات كثيرة ، منها :

أدموعهـا أم لؤلؤ متناثرُ يندى به الوردُ الجنيُّ الزاهرُ
لا يؤيسنَّك من كريم نبوةٌ فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باتر
هذا الزمانُ تسومني أيامـه خَسْفاً وها أناذا عليه صابر
إن طال ليلي في الإسار فطالما أفنيتُ دهراً ليله متقاصر
والسجنُ يحجبني وفي أكنافه مني على الضرّاء ليث خادر
عجباً له كيف التقتْ أبوابه والجودُ فيه والربيعُ الباكر
هلا تقطَّع أو تصدَّع أوهوى فعذرته لكنه بيَ فاخر

وله في المعنى :

---

١ ص : جداً .

١٥ – الزركلي ١ : ٢٠ ومعجم الأدباء ١ : ٢٢٦ والأغاني ٢٢ : ١٥١ والجهشياري : ١٠٢ والوافي ٦ : ١٠٧ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

ألا طرقتْ سلمى لدى وقفةِ الساري وحيداً فريداً[1] موثقاً نازح الدار
هو الحبسُ ما فيه عليّ غضاضةٌ وهل كان في حبسِ الخليفة من عار
ألست ترين الخمر يظهر حسنها وبهجتها بالحبس في الطين والقار
وما أنا إلاّ كالجواد يصونُهُ مقوّمه للسبقِ في طيّ مضمار
أو الدرةِ الزهراء في قعرِ لجّةٍ فلا تُجتلى إلاّ بهولٍ وأخطار
وهل هو إلاّ منزلٌ مثل منزلي وبيتٌ ودار مثلُ بيتيَ أو داري
فلا تنكرنْ طولَ المدى وأذى العدا فإنّ نهاياتِ الأمورِ لإقصار
لعلّ وراء الغيبِ أمراً يسرُّنا يقدّره في علمه الخالق الباري

ولما عزل من الأهواز جاء الناس يودعونه . فجاء أبو شراعة فأمسك الحراقة ، وأنشد رافعاً صوته :

ليت شعري أيّ قومٍ أجدبوا فأُغيثوا بكَ من بعد العَجَف
نزل اليمنُ من اللهِ بهمْ وحُرِمناك لذنبٍ قد سلف
يا أبا إسحاق سرْ في دعةٍ وامضِ مصحوباً فما عنك خلف

فضحك ووصله :

وقال العطوي[2] الشاعر : استأذنت على ابن المدبّر فحجبني ، فكتبت إليه :

أتيتكَ مشتاقاً فلم أرَ جالساً ولا ناظراً إلاّ بعين قطوب
كأني غريمٌ مقتضٍ أو كأنني نهوض حبيبٍ أو جلوس[3] رقيب

فأدخلني وهو يقول : هي بالله ، نهوض حبيب أو حضور رقيب .
ومن شعر ابن المدبّر :

---

١ ص : فريقاً ، والتصويب عن الزركشي والوافي .
٢ ص : العطري .
٣ كذا في ص ، وسترد في السطر التالي « حضور » ، ووردت كذلك في الزركشي .

يا كاشفَ الكرب بعد شدَّتــه   ومُنزِلَ الغيثِ بعدما قنطوا
لا تبلُ قلبي بشحطِ بينهمُ   فالموتُ دانٍ إذا همُ شحطوا

وله أيضاً :

قالوا أضرَّ بنا السحاب بوكفه   لمّا رأوه لمقلتي يحكي
لا تعجبوا ممّا ترون فإنّما   هذه السماء لرحمتي تبكي

توفي إبراهيم ببغداد سنة تسع وسبعين ومائتين ، وولد سنة إحدى عشرة[1] ومائتين .

١٦

ابن لنكك

إبراهيم بن محمد بن جعفر بن لنكك[2] ، الشاعر ابن الشاعر ، من أهل البصرة ؛ قدم بغداد ، وروى بها شيئاً من شعره وشعر أبيه ؛ روى عنه أبو القاسم التنوخي قال : جلس ابن لنكك[2] في الجامع بالبصرة ، فجلس إليه قوم من العامة ، فاعترضوا كلامه بما غاظه ، فأخذ محبرة بعض الحاضرين وكتب من شعره :

وعصبةٍ لمّا توسّطتهمْ   ضاقتْ[3] عليَّ الأرض كالخاتم
كأنهم من بعــد إفهامهم   لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحكُ إبليس سروراً بهم[4]   لأنّهمْ عــارٌ على آدم

١ ص : أحد عشر .

١٦ – الزركشي ١ : ١٩ واليتيمة ٢ : ٣٥٨ والوافي ٦ : ١١٤ .

٢ ص : لكنك .

٣ الوافي : صارت .

٤ اليتيمة : إذا زارهم .

كأنّني بينهمُ جـــالسٌ من سوء ما شاهدت في مأتم

فاعترضه ولده وقال : يا أبةِ أبياتك متناقضة ، ولكن اسمع ما عملت :

لا تصلحُ الدنيا ولا تستوي إلاّ بكمْ يا بَقَرَ العالمِ
مَن قال للحرْثِ خلقتم فلم يكذبْ عليكم لا ولم[1] يأثم
ما أنتمُ عــارٌ على آدم لأنّكمْ غــيرُ بني آدم

توفي في حدود الأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

١٧

عز الدين السويدي الطبيب

إبراهيم بن محمد بن طرخان ، عز الدين أبو إسحاق الأنصاري الطبيب المعروف بابن السويدي، شيخ الأطباء بالشام؛ ذكر أنه من ولد سعد بن معاذ سيد الأوس ، رضي الله عنه . ولد سنة ستمائة بدمشق ، وسمع من ابن ملاعب وأحمد ابن عبد الله السلمي ، وعلي ابن عبد الوهاب أخي كريمة ، وتفرد عنه ، وابن مسلمة وزين الأمناء ابن عساكر ، وقرأ « المقامات » سنة تسع عشرة[2] على التقي خزعل النحوي ، وقرأ الأدب والنحو على ابن معطي ، وأخذ الطبّ عن الدخوار ، وبرع فيه وصنف فيه ، ونظر في علم الأوائل ، وله شعر وفضائل ، وكتب بخطه الكثير ، وكان مليح الكتابة ، كتب « القانون » لابن سينا ثلاث مرات ؛ وكان

---

١ ص : ولا ؛ والتصويب عن اليتيمة .

١٧ – الزركشي ١ : ١٠ والمنهل الصافي ١ : ١٢٤ والوافي ٦ : ١٢٣ والنجوم الزاهرة ٨ : ٢٨ والدارس ٢ : ١٣٠ والشذرات ٥ : ٤١١ ؛ وهي شديدة الإيجاز في المطبوعة .

٢ ص : تسع عشر .

أبوه تاجراً من السويداء بحوران .

قال ابن أبي أصيبعة في تاريخه[1] : له من الكتب « الباهر في الجواهر » و « التذكرة » في الطب في ثلاث مجلدات ، وهي من أحسن كتب الطب ، وكانت وفاته سنة تسعين وستمائة ، ودفن بتربته إلى جانب الخانقاه الشبلية ، رحمه الله . ومن شعره :

لو أنّ تغيير لون شيبي يُعيدُ ما فات من شبابي
لمــا وفى لي بما تلاقي روحيَ من كلفة الخضابِ

ومن شعره :

ومدامٍ حُرِمْتها لصيامٍ قد توالى عليَّ في رمضان
وأقاموا الحدود فيها بلا حـ ـدّ فدامت ندامةُ الندمان
وتغالى العلوجُ فيها بزعمٍ وحموها من كل إنس وجان
ثم قالوا المطبوخُ حلٌّ فأفنو ها طبيخاً بلاعج النيران
طبخوها بنارِ شوقي إليها فغدت مهجةً بلا جثمان

١٨

ابن معضاد

إبراهيم بن معضاد بن شداد الشيخ برهان الدين الجعبري . قال أبو حيان : رأيت المذكور بالقاهرة وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين ابن مكي ، وجرت

---

١ انظر عيون الأنباء ٢ : ٢٦٦ – ٢٦٧ .

١٨ – الزركشي ١ : ١٨ والمنهل الصافي ١ : ١٦٣ والوافي ٦ : ١٤٧ وطبقات السبكي ٥ : ٤٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٧ والشذرات ٥ : ٣٩٩ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

لنا معه حكاية ، وكان يجلس للعوامّ يذكرهم ، ولهم فيه اعتقاد ، وكان له مشاركة في العلم والطب .

وله شعر منه من أبيات :

عشقوا الجمال مجرداً بمجرد الـ روحِ الزكية عشق مَن زكّاها
متجرّدين عن الطباعِ ولؤمها متلبّسين عفافها وتقاها
متمثّلين بصورةٍ بشريّةٍ وقلوبهم ملكيّة بقواها
كتمثُّلِ الروحِ الأمينِ بدحيةٍ [إذ باليتيم له تمثل طاها] [1]

قال : لما مرض مرض موته أمر أن يخرج به إلى مكان مدفنه ظاهر القاهرة بالحسينية ، فلما وصل إليه قال له : قُبير ، جاك دُبَير ، وتوفي بعد ذلك بيوم سنة سبع وثمانين وستمائة ؛ ولأصحابه فيه مغالاة وعقيدة ، وكل من يعرفه يعظمه ويثني عليه ، وعليه مأخذ في عباراته . جاوز الثمانين بسنوات ، رحمه الله تعالى .

١٩
المعمار

إبراهيم الحائك ، وقيل المعمار ، وقيل الحجار ، غلام النوري المصري : عامي مطبوع تقع له التوريات المليحة المتمكنة ، لا سيما في الأزجال والبلاليق ، فمن مقاطيعه اللائقة قوله :

---

١ سقط من ص : وأكملته من الزركشي والوافي .

١٩ – الزركشي ١ : ١٠ وسماه إبراهيم بن أحمد ، والمنهل الصافي ١ : ١٧٤ وهو عنده إبراهيم ابن علي ، والوافي ٦ : ١٧٣ وأعيان العصر : ٤٣ والدرر الكامنة ١ : ٥٠ .

وصاحِب أنزل بي صفعةً   فاغتظتُ إذ ضيّع لي حرمتي
وقال في ظهرك جاءت يدي   فقلت : لا والعهد في رقبتي

وله أيضاً :

ومُفَتّنٍ يَهْوى الصفا   عَ ولم يكن إذ ذاك فنّي
سَلّمتُهُ عُنْقي الدقيـ   قَ فراح ينخلهُ بغبن
ما كان منّي بالرضى   لكنه من خلف أذني
لولا يَدٌ سبقتْ لهُ   لأمرته بالكفّ عنّي

وله أيضاً :

أيري إذا ندبتهُ   لحاجة تَعرِضُ بي
قام لها بنفسه   ما هو إلاّ عصبي

وله أيضاً :

عاتبت أيري إذ جاء ملتثماً   بالخرء من علقه فما اكترثا
بل قال لي حين لمته : قسما   ما جزت حمام قعره عبثا
كيف وفيها طهارتي[1] وبها   أقلبُ ماءً وأرفع الحدثا

وقال أيضاً :

لما جلوا لي عروساً لست أطلبها   قالوا ليهنك هذا العرسُ والزينه
فقلتُ لما رأيت النّهدَ منتفشاً   رُمانة كتبت يا ليتها تينه

وقال أيضاً :

قال لي العاذلون أنحلكَ الحـ   بُّ وأصبحتَ في السقام فريدا
أإذا صرتَ من جفاهم عظاماً   أبوَصْلٍ تعود خلْقاً جديدا ؟

---

١ ص : ظهارتي .

ما رأينا ولا سَمِعنا بهذا   قلت: كونوا حجارة أوحديدا

وقال أيضاً :

لثمتُ عذار محبوبي الشرابي   فقال : تركتَ لثم الخد عُجبا
حفظتَ اليانسونَ كما يقولوا   ورحتَ تضيّع الورد المربّى

وقال أيضاً :

قلت له هل لك من حرفةٍ   تَعِش بها بين الورى أو سببْ
فقال : يغنينيَ ردفي الذي   أسموه عشاقي تليلَ الذهب

وقال أيضاً :

لمّا جلوا عِرْسي وعاينتهــا   وجدت فيها كلَّ عيبٍ يقالْ
فقلتُ للدلاّلِ ماذا ترى ؟   فقال ما أضمنُ إلاّ الحلال

وقال أيضاً :

لج العَذول ولامَني   فيمن أحبُّ وعَنَّفــا
فهممتُ ألطمُ رأسه   ممّا ملئت تأسّفــا
لكنها زلقت يدي   وقعتْ[1] على أصل القفا

وقال أيضاً :

هويتُ طبّاخاً سلاني وقد   قلا فؤادي بعد ما رده
محترقــاً إذ لم يزل بالجفا   يغرفُ لي أحمضَ ما عنده

وقال أيضاً :

شكوتُ للحبّ منتهى حرقي   وما ألاقيه من ضنى جسدي
قال : تداوى بريقّي سحراً   فقلت : يا بَرد َها على كبدي

---

١ الوافي : نزلت .

وقال :

يا قلبُ صبراً على الفراقِ ولو   روَّعْتَ ممّن تحب بالبين
وأنت يا دمع إن ظهرت بمـا   يخفيه قلبي سقطتَ من عيني

وله غير ذلك . بلغنا وفاته في شهور سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٠
ظهير الدين البارزي

إبراهيم بن [. . .][١] البارزي الحموي ، ظهير الدين ؛ قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : رأيت المذكور ، شيخ صوفي من أولاد الرؤساء بحماة ، له أدب ، وأنشدني :

لئن فتكت ألحاظـه بحشاشتي   وساعدها بالهجرِ واعتزّ بالحسن
فلا بدّ أن تقتصّ لي منه ذقنـه   وتذبحه قهراً من الأذن للأذن

وأنشدني أيضاً :

غدا أسوداً بالشَّعر أبيض خدِّه   فأصبح من بعد التنعم في ضنكِ
على حظه أضحى يخطّ عذاره   فنادتْهما عيناه حزناً : قفا نبك[٢]

وأنشدني أيضاً :

٢٠ – الزركشي ١ : ٢١ والوافي ٦ : ١٧٨ .

١ بياض في ص ؛ وهو إبراهيم بن محمد بن مرشد بن مسلم الجهني البارزي .

٢ ص : نبكي .

أراكَ فأستحيي وأُطرقُ هيبةً وأُخفي الذي بي من هواك وأكتمُ
وهيهات أن يخفى وأنت جعلتني جميعي لسان بالهوى يتكلّمُ

وله أيضاً :

يذكرني وجدي الحمامُ إذا غنّى لأنا كلانا في الهوى نعشق الغصنا
ولكن إذا غنّى أجبتُ بأنّـةٍ وكم بين من غنّى طروباً ومن أنّا
تجولُ عيوني في الرياضِ لتجتلي محاسنكم منهـا إذا غبتمُ عنّا
وما وردها والنرجسُ الغض نايبـاً عن الوجنةِ الحمراء والمقلةِ الوسنى
فأعْرَبَ دمعي بالذي أنا كاتمٌ وقد رجّعت في الروض أطيارها اللحنا
ولو أن بيضَ الهندِ ممّا تردّني وسمر القنـا عنه تمانعني طعنا
لقبلتُ حدّ السّيف حبّاً لطرفه وعانقتُ من شوقي له الأسمر اللّدنا
وخضت عجاج الموت والموت طيبٌ إذا كان ما يرضي أحبتنا منّا
حفظنا على حكمِ الوفاءِ وضيعوا وحالوا بحكمِ الغدرِ عنّا وما حُلنا
وضنّوا على المضنى ببـذل تحية ولو سألوا بـذل الحياة لما ضنا

وكتب إلى من رزق توم[1] ذكر وأنثى من جارية سوداء :

وخصّكَ ربُّ العرش منها بتوأمٍ ومن ظلماتِ البحر يُستخرج الدُّررْ
وأيرك أضحى وارثاً علم جـابر فأعطاك من ألقابه الشمس والقمرْ

وقال في مليح شوّاءٍ :

وشواءٍ بديع الحسن يُزهى بطلعته على كلّ البرايا
فواشوقـاه للأفخاذِ منه يشمّرها ويقطعُ لي اللّوايا

وله أيضاً :

يا لحية الحبِّ الذي[2] زالَ لهـا تثبّتي

---

١ كذا في ص ؛ وفي الوافي : توأمين .
٢ الوافي : التي .

هل أنت فوق خدّه الـ   وردي مسك تُبّتِ[1]

توفي بعد الثمانين وستمائة ، رحمه الله وإيانا .

٢١
الفاروثي

أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج[2] بن أحمد بن سابور ، الإمام المقرىء الواعظ المفسر الخطيب الشيخ عز الدين الفاروثي الواسطي الشافعي الصوفي ؛ ولد بواسط سنة أربع عشرة[3] وستمائة ، وتوفي سنة أربع وتسعين وستمائة ، قدم بغداد وسمع من ابن كرم ومن شهاب الدين السهروردي ، ولبس منه خرقة التصوف ، وأبي الحسن القطيعي وابن الزبيدي وابن اللتي وابن سكينة والأنجب ابن أبي السعادات وابن روزبه وابن بهروز[4] وابن ياسين[5] وأبي بكر ابن الخازن وابن القبيطي وغيرهم .

وكان فقيهاً مفتياً مدرساً عارفاً بالقراءات ووجوهها ، خطيباً زاهداً عابداً

---

١ الوافي : تنبتّي، وصورة الكلمة في ص قريبة من ذلك ؛ وعلق الصفدي على ذلك بأن فيه لحناً وكان يجب أن يقول « تنبتين » قال : « والصحيح أن الأرض التي ينسب إليها المسك يقال لها أرض التبت » – على وزن عمر – .

٢١ – طبقات السبكي ٥ : ٣ وعبر الذهبي ٥ : ٣٨١ وطبقات الاسنوي ٢ : ٢٩٠ والوافي ٦ : ٢١٩ وغاية النهاية ١ : ٣٤ والدارس ١ : ٣٥٥ والشذرات ٥ : ٤٢٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ص : الفرح .

٣ ص : أربع عشر .

٤ الوافي : بهزور .

٥ الوافي : رياسين .

صوفياً صاحب أوراد وحسن أخلاق وكرم إيثار ومروة وفتوة وتواضع ، له أصحاب ومريدون . ولي مشيخة الحديث بالظاهرية ، والإعادة بالناصرية ، وتدريس النجيبية ، ثم ولوه خطابة البلد بعد زين الدين ابن المرحل ، وكان يخطب من غير تكلف ولا يتلعثم ، ويخرج من الجمعة وعليه السواد ، ويشيع الجنازة ويعود المرضى ويعود إلى دار الخطابة .

وله نوادر . وكان الشجاعي قائلا به ، ثم عزل عن الخطابة بموفق الدين ابن حبيش الحموي ، فتألم لذلك ، وترك الجهات ، وأودع بعض كتبه ، وكانت كثيرة جداً ، وسار مع الركب الشامي سنة إحدى وتسعين ، وسار مع حجاج العراق إلى واسط .

وكان لطيف الشكل ، صغير العمامة ، يتعانى الرداء على ظهره ، وخلف من الكتب ألفي مجلدة ومائتي مجلدة . وكانت وفاته بواسط ، وصلي عليه بدمشق بعد سبعة أشهر ، رحمه الله تعالى وإيانا .

٢٢

عماد الدين الواسطي

أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشيخ القدوة ، عماد الدين ابن شيخ الحزامية الواسطي الشافعي الصوفي ، نزيل دمشق ؛ تفقه وتأدب ، وكتب المنسوب [١] ، وتجرد ولقي المشايخ ، وتزهد وتعبد ، وصنف في السلوك والمحبة ، وشرح « منازل السائرين » واختصر « سيرة ابن هشام » و « دلائل النبوة » . وكان

---

٢٢ – لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وانظر الوافي ٦ : ٢٢١ وأعيان العصر : ٤٧ والمنهل الصافي ١ : ١٩٦ والدرر الكامنة ١ : ٩٦ والشذرات ٦ : ٢٤ .

١ المنسوب : خط ينسب إلى ابن مقلة .

يتبلغ من نسخه ولا يحب الخوانك ولا الاحتجاز [1] .

قال الشيخ شمس الدين : جالسته مرات ، وانتفعت به ، وكان منقبضاً عن الناس ، تسلّك به جماعة ، وكان ذا ورع وإخلاص ومنابذة للاتحادية ، وله نظم . عاش بضعاً وسبعين سنة ، وتوفي بالبيمارستان الصغير ، سنة إحدى عشرة [2] وسبعمائة ، ودفن بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .

٢٣

شرف الدين المقدسي

أحمد بن أحمد بن أحمد ، الإمام شرف الدين المقدسي أقضى القضاة ، خطيب الشام ، بقية الأعلام ؛ كان إماماً فقيهاً متفنناً [3] للمذهب والأصول والعربية حاد الذهن ، سريع الفهم ، بديع الكتابة إماماً في تحرير الخطّ المنسوب ؛ درّس بالشامية الكبرى ، وناب في الحكم عن الخويي ، وكان من طبقته ، وولي دار الحديث النورية ، ثم ولي خطابة الجامع الأموي . ولد سنة اثنتين وعشرين بالقدس ، وتوفي سنة أربع وتسعين وستمائة ، وكان أبوه خطيب القدس .

أجاز له ابن عبد السلام والسهروردي ، وكان له حلقة اشغال عند الغزالية ،

---

١ ص : الاحتجار .

٢ ص : إحدى عشر .

٢٣ – الزركشي ١ : ٢٤ والمنهل الصافي ١ : ٢١٢ وهو عنده «قاضي القضاة أحمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد شرف الدين النابلسي المقدسي» . وانظر الوافي ٦ : ٢٣١ وطبقات السبكي ٥ : ٧ وبغية الوعاة : ١٢٧ والدارس ١ : ١١١ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٤١ وعبر الذهبي ٥ : ٣٨٠ والشذرات ٥ : ٤٢٤ وطبقات الاسنوي ٢ : ٤٥٦ ، ٥٠٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٣ الوافي : محققاً ، وهو أصوب .

تخرج به جماعة ، وانتهت إليه رياسة المذهب بعد الشيخ تاج الدين ، وكان متواضعاً كيّساً حسن الأخلاق طويل الروح على التعليم ، متين الديانة حسن الاعتقاد . فمن شعره :

احججْ إلى الزهر لتحظى[1] به   وارم جمارَ الهمّ مستهترا[2]
من لم يطف بالزهر في وقتــه   من قبلِ أنْ يحلِقَ قد قصّرا

وقال في الدولاب :

وما أنثى وليست ذاتَ فرجٍ   وتحملُ دائماً من غير فحلِ
وتلقي كل آونــة جنينـــاً   فيجري في الرياضِ بغير رِجْلِ
وتبكي حـــين تلقيـــه عليه   بصوتِ حزينةٍ ثكلى بطفلِ

٢٤

القادر بالله

أحمد بن إسحاق أمير المؤمنين القادر بالله ؛ بويع له بالخلافة عند القبض على الطائع ، في حادي عشر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، ومولده سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وكان أبيض كث اللحية طويلها ، يخضب شيبته ، وكان من أهل الستر والصيانة وإدامة التهجد ، وبقي خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر . توفي ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ،

---

١ ص : واسعى ؛ والتصويب عن المنهل الصافي والوافي .
٢ المنهل والوافي : مستنفرا ؛ وهو أصوب .
٢٤ – لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وراجع كتب التاريخ العامة ؛ وانظر بخاصة : الوافي ٦ : ٢٣٩ وتاريخ الخلفاء : ٤٤٢ والفخري : ٢٥٨ والروحي : ٦٤ والمنتظم ٨ : ٥٧ وتاريخ بغداد ٤ : ٣٧ .

ودفن بدار الخلافة ، وصلى عليه ولده القائم بأمر الله . عاش سبعاً وثمانين سنة ، ثم نقل تابوته إلى الرصافة ، ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ، ولا أقام في الخلافة هذه المدة . ومن شعره :

ما الزهد أن تُمنعَ الدنيا فترفضها ولا تزال أخا صوم ٍ حليفَ دعا
وإنما الزهد أن تحوي البلاد وأر قابَ العباد فتلفى عادلاً ورعا

وبينما القادر يمشي ذات ليلة في أسواق بغداد إذ سمع شخصاً يقول لآخر : قد طالت دولة هذا المشوم، وليس لأحد عنده نصيب ، فأمر خادماً كان معه بالتوكل عليه ، وأن يحضره بين يديه ، فما شك أنه يبطش به ، فسأله عن صنعته فقال : إني كنت من السُّعاة الذين يستعين بهم أرباب هذا الأمر على معرفة أحوال الناس ، فمذ ولي أمير المؤمنين أقصانا ، وأظهر الاستغناء عنا ، فتعطلت معيشتنا وانكسر جاهنا ، فقال له : أتعرف من في بغداد من السعاة مثلك ؟ قال : نعم ، فأحضر كاتباً ، وكتب أسماءهم ، وأمر بإحضارهم ، ثم أجرى لكل واحد منهم معلوماً ، ونفاهم إلى الثغور القاصية ، ورتبهم هناك عيوناً على أعداء الدين ، ثم التفت إلى من حوله وقال : اعلموا أن هؤلاء ركب الله فيهم شراً وملأ صدورهم حقداً على العالم ، ولا بدَّ لهم من إفراغ ذلك الشر ، فالأولى أن يكون ذلك في أعداء الدين ، ولا ننغّص بهم المسلمين . رحمه الله تعالى .

٢٥
أبو جلنك الشاعر

أحمد بن أبي بكر شهاب الدين أبو جلنك الحلبي الشاعر المشهور بالعشرة والنوادر ؛ كان فيه همة وشجاعة ، نزل من قلعة حلب للإغارة على التتار ، فوقع في فرسه سهم ، فوقع وبقي راجلاً ، فأسروه وأحضر بين يدي مقدّم التتار ، فسأله عن عسكر المسلمين ، فكثّرهم وعظّم شأنهم ، فضرب عنقه سنة سبعمائة[1] :

يقال : إنه دخل الموصل وقصد الطهارة ، وعلى بابها خادم ، وعنده أكيال ، وهو مُرصِد لمن يدخل يناوله كيل ماء للاستنجاء ، فدخل أبو جلنك على عادة البلاد ، ولم يعلم بالأكيال ، فصاح به ذلك الخادم ، وقال : قف خذ الكيل ، فقال : أنا أخرا جُزاف[2] ، فبلغت الحكاية صاحب الموصل ، فقال : هذا مطبوع ، فطلبه ونادمه .

قال القاضي جمال الدين ابن ريان : لازمنا مدة ، فكان ينتبه نصف الليل فيكرر عليّ محافيظه ، منها « مختصر ابن الحاجب » ثم يشبب ويزمزم ، فإذا أصبح توضأ وصلى الصبح . من شعره لغز في مسعود :

اسم الذي أهواه في حروفه مسألة في طيّها مسائلُ
خمساه فعلٌ وهو في تصحيفه مبيّنٌ والعكس سمٌّ قاتل
تضيء بعد العصر إن جئت به مكرراً من عكسك المنازل

---

٢٥ – الزركشي ١ : ٢٥ والمنهل الصافي ١ : ٢٠٦ والوافي ٦ : ٢٧١ وأعيان العصر : ٥٠ والنجوم الزاهرة ٨ : ١٩٤ .

١ أحمد . . . . سبعمائة : لم يرد في المطبوعة .

٢ كذا في ص .

وهو إذا صحفته مكرراً فاكهة يلتذّ منها الآكل
وفيه طيب مطربٌ وطالما هاجت على أمثاله البلابل[1]

ومن شعره :

أتى العِذارُ بماذا أنتَ معتـــذر وأنت كالوجد لا تبقي ولا تذرُ
لا عذر يُقبل إن نمَّ العذار ولا ينجيك من خوفه بأس ولا حذر
كأنني بوحوش الشَّعر قد نزلت بوجنتيك وبالعشاق قد نفروا
وكلما مرّ بي مردٌ أقولُ لهم : قفوا انظروا وجه هذا الحرواعتبروا

وكان قد مدح قاضي القضاة شمس الدين ابنَ خلكان ، فوقّع له برطلين خبز ، فكتب على بستانه[2] :

لله بستانٌ حللنا دَوْحَـــه والورق قد صدحت عليه لما بها[3]
والبانُ تحسبه سنانيراً رأت قاضي القضاة فنفّشت أذنابها[4]

يقال إن الشيخ بدر الدين ابن مالك وضع على هذين البيتين كراسة في البديع .
وله أيضاً :

لا تحسبن خضابها النامي على الـ قدمين بالمتكلّف المصنوع
لكنها بالهجر خاضت في دمي فتسربَلَتْ أقدامها بنَجيع

وله أيضاً :

جعلتك المقصد الأقصى وموطنك الـ بيتَ المقدس من روحي وجثماني

---

١ قال القاضي . . . البلابل : لم يرد في المطبوعة .
٢ العبارة في المطبوعة : برطلين خبزاً كل يوم ، فكتب على لسانه وقد دخل بستاناً للقاضي فيه منظرة ، فكتب فيها .
٣ الوافي : في جنة قد فتحت أبوابها .
٤ قال صاحب المنهل الصافي : لعله وهم في هذه الحكاية ، وما هي مشهورة إلا عن قاضي القضاة ابن الزملكاني .

وقلبك الصخرة الصماء حين قَسَتْ قامت قيامةُ أشواقي وأشجاني
أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني وأن يزورك ذو زور وبهتان
فلا تغُرَّنْكَ نار في حشايَ فمن وادي جهنم تجري عين سلواني

ألطف من هذا قول القائل :

أيا قدسَ حسنٍ قلبه الصخرةُ التي قستْ فهي لا ترثي لصبّ متيمِ
ويا سؤلي الأقصى عسى بابُ رحمةٍ ففي كبدِ المشتاق وادي جهنم

ومن شعره أيضاً :

ماذا على الغصُن[1] الميالِ لو عطفا ومال عن طرُق الهجران وانحرفا
وعاد لي[2] عائدٌ منه إلى صلةٍ حسبي من الشوق ما لاقيته وكفى
صفا له القلبُ حتى لا يمازجه شيء سواه وأمّا قلبــه فصفا
وزارني طيفـــه وَهْناً ليؤنسني فاستصحبَ النومَ من جفنيَّ وانصرفا
ورمتُ من خصره برءاً فزدت ضنًى وطالبُ البرء والمطلوبُ قد ضعفا
حكى الدجى شَعَرُه طولاً فحاكمه[3] فضاع بينهما عمري وما انتصفا

٢٦

ابن الدبيثي

أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد الدبيثي ، أبو العباس البيع ، من أهل واسط ، من أعيانهم حشمة وتموّلا ، وهو ابن عم الحافظ أبي عبد الله بن الدبيثي .

---

١ المنهل : غصنه .
٢ المنهل : وعائدي .
٣ المنهل : فخاصمه .
٢٦ – الزركشي ١ : ٢٦ وعقود الجمان ١ : ١٥٨ والوافي ٦ : ٢٨٣ ؛ وقد أخلت المطبوعة بكثير مما جاء في هذه الترجمة .

قدم بغداد مرّات ، ورُوي بها شيء من شعره ؛ قال ابن النجار : ولم يتفق لي لقاؤه ، وكان قد ضمن البيع بواسط ، ثم عطل وصودر على أموال كثيرة .
أورد له ابن النجار :

يروم صبراً وفرط الوجد يمنعه سلوّه ودواعي الشوقِ تردعُهُ
إذا استبان طريقَ الرشد واضحه عن الغرام فيثنيه ويرجعه
محلأً ذاده عن عذب مورده جور الزمان وطام عزَّ مشرعه
مشحونة بالجوى والشوق أضلعهُ ومُفعم القلبِ بالأحزان مترَعه
تصبيه أن هتفتْ ورقاءُ ضاحيةً في كلّ يوم لها لحنٌ ترجعه
تسنَّمتْ من غصونِ البانِ مرتعداً تحطّه الريح أحياناً وترفعه
خضباء ضافية السربال ناعمة جنابها دمث الأكناف ممرعه
لا إلفها نازحٌ تنهلُّ أدمعها عليهِ وجداً كما تنهلُّ أدمعه
عاثتْ يدُ البينِ في قلبي لتقسمه على الهوى وعلى الذكرى توزِّعه
كأنّما آلت الأيّام جاهدة لمّا تبدّد شملي لا تجمّعه
روَّعتَ يا دهر قلبي بالبعاد وكم قد بات قلبي ولا شيء يروعه
وأنت يا بينُ قلبي كم تذوّقه مرَّ الأسى وفؤادي كم تجرعه
وكم مَرامٍ لقلبي ليس يبلغه تصدّه عنه أسباب وتمنعه
من لي بمن قلبه قلبي فأسمعه بثِّي فيبسط من عذري ويوسعه
قلَّ الوفاء فما أشكو إلى أحد إلاّ أكبَّ على قلبي يقطعه
يا خاليَ القلبِ قلبي حشوه حُرَقٌ وهاجعُ الليل ليلي لست أهجعه
إن خنتَ عهدي فإني لم أخنه ، وإن ضيعتُ ودّي فإنّي لا أضيعه
هذا مقام ذليلٍ عزَّ ناصره يشكو إليكَ ، فهل شكواه تنفعه؟
يلومه في الهوى قوم وما علِموا أنّ الملامةَ تغريهِ وتولعه
من لا يكابد فيه ما أكابده منه ويوجعني ما ليس يوجعه
تمرّ أقوالهم صفحاً على أذني مرّ الرياح بسلمى لا تزعزعه

من منقذي من يدَي من ليس يرحمني يقتادني للهوى المُردي فأتبعه
آتيه بالصدق من قولي فيدفعه ظناً ويكذبه الواشي فيسمعه
لو خفف الثقل عن قلبي وعلله بالوعدِ كنتُ أمنِّيهِ وأطمِعُه
لكنه صرَّح الهجران فالتهبت نارُ التأسف بالأحشاء تسفعه
أقول أسلو فتأتيني بدائعه تترى بكلّ شفيعٍ ليس أدفعه
وليلةٍ زارني فيها على عجل والشوق يحفزه والخوف يُفزعه
وبات مستنطقاً أوتار مزهره الـ فصاح يتبعها طوراً وتتبعه
إذا لوت كفُّهُ الملوَى سمعتَ لها وقعاً يلذ على الأسماع موقعه
فبت أنظره بدراً ، وأرشفه خمراً ، وأقطفه ورداً ، وأسمعه
وقام والوجدُ يُبْطيهِ ويعجله ضوء الصباح وأنفاسي تودعه

قلت : أظنه عارض بهذه القصيدة عينية ابن زريق المشهورة التي أولها :

لا تعذليه فإنّ العذلَ يولعه قد قلتِ حقاً ولكن ليس يسمعه

وجيّد هذه أكثر من جيد تلك .

وكانت وفاة ابن الدبيثي بواسط سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٧
المعتمد على الله

أحمد بن جعفر أمير المؤمنين ، المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم ، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين بسرّ من رأى ؛ كان أسمر رقيقاً أعين خفيفاً لطيف

٢٧ – الزركشي ١ : ٢٧ والروحي : ٥٧ والفخري : ٢٢٦ وتاريخ الخلفاء : ٣٩٢ والوافي ٦ : ٢٩٢ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

اللحية جميلاً ، توفي ليلة الاثنين تاسع عشر رجب سنة [تسع وسبعين ومائتين] [1] ببغداد ، وحمل فدفن بسامرّا ، وكانت خلافته ثلاثاً [2] وعشرين سنة وستة أيام ، وقيل إنّه سم في رءوس الجداء ، وقيل بل لف في بساط وشد عليه حتّى مات ، وقيل إن الذين أكلوا معه من الرءوس ماتوا ؛ وكان منهمكاً على اللذات ، فاستولى أخوه الموفق على الأمور ، وكان يشرب ويعربد على الندماء ، واستولى بعده ابن أخيه الموفق ، المعتضد .

قال المرزباني في « معجم الشعراء » : وكان يقول الشعر ويغني به المغنون ، فمن شعره :

طال والله عــذابي ... واهتمامي واكتئابي
بغزال من بني الأصـ ... ـفر لا يعنيه ما بي
أنــا مغرى بهواه ... وهو مغرًى بعذابي
فإذا ما قلت صلني ... كان « لا » منه جوابي

ومن شعره وقد نقله الموفق من مكان إلى مكان :

ألفتُ التباعدَ والغربَهْ ... ففي كلّ يوم لنا تُرْبَهْ
وفي كل يوم لنا حادث ... يؤدي إلى كبدي كربه
أمرَّ الزمان لنــا طعمه ... فما إن أرى ساعة عذبهْ

ومن شعره :

بليت بشادن كالبدر حسناً ... يعذّبني بأنواعِ الجَفاء
ولي عينان دمعهما غزير ... ونومهما أعزّ من الوفاء

وأطربته يوماً مغنية فأمر لها بشيء ، فلم ينجز لها ، فقال :

---

١ سقط من ص .

٢ ص : ثلاث .

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤكل باسمه الدنيـــا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه

٢٨

[الناصر لدين الله]

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله، أبو العباس ابن الإمام المستنصر ؛ ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وبويع له في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين ، وتوفي سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، فكانت خلافته سبعاً [١] وأربعين سنة .

وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الوجه [٢] ، خفيف العارضين ، أشقر ، رقيق المحاسن ؛ نقش خاتمه « رجائي من الله عفوه » . ولم يلِ [٣] الخلافة أطول مدة منه ؛ وكان شاباً مرحاً عنده منعة [٤] الشباب ، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل ، والناس يتهيبون لقاءه ، وظهر التشيع في أيامه ثم انطفا ، وظهر التسنن المفرط ثم زال ، وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي ، وتفنن الناس في ذلك ، وألبس الملك العادل وأولاده سراويلات الفتوة ، وكذلك للملك شهاب الدين الغوري صاحب غزنة وملك الهند وجميع الملوك الذين كانوا في أيامه ،

٢٨ – انظر كتب التاريخ العامة ؛ والروحي : ٦٨ والفخري : ٢٨٥ وتاريخ الخلفاء : ٤٨٠ ومرآة الزمان : ٦٣٥ والوافي ٦ : ٣١٠ ونكت الهميان : ٩٣ والمنهل الصافي ١ : ٢٦٤ ، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : سبع .
٢ الوافي : الجبهة .
٣ ص : يلي .
٤ الوافي : ميعة .

وكان شديد الاهتمام بالملك ومصالحه لا يكاد يخفى عليه شيء من أمور رعيته ، كبارهم وصغارهم ، وكان له حيل لطيفة ومكايد خفية ، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين ، ويوقع العداوة بين ملوك متصادقين .

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : قلّ بصر الخليفة في آخر عمره ، وقيل بل ذهب ، وكانت جاريته تُعلم عنه ، وكان قد علمها الخط ، فكانت تكتب مثل خطه .

ولما مات بويع لولده أبي[1] نصر ، ولقب بالظاهر لأمر الله . وكان الناصر سيء السيرة ، خرب في أيامه العراق ، وتفرق أهله في البلاد ، وأخذ أموالهم وأملاكهم . وكان يفعل الشيء وضده ، وجعل همه في رمي البندق والطيور المنسوبة وسراويلات الفتوة ، وملك من المماليك ما لم يملكه خليفة ، وخطب له بالأندلس والصين . وكان أسد بني العباس .

وكتب إليه خادم اسمه يمن ورقة تتضمن عتباً[2] ، فكتب إليه الناصر : بمنْ يمنُّ يُمن ، ثَمَنُ يمن ثُمْنُ ثُمْن .

ولما صرف ابن زبادة[3] عن عمل كان يتولاه ، ولم يعرف ابن زبادة سبب عزله ، كتب إلى الناصر شعراً منه :

هب أن ذلك عن رضاك فمن ترى   يدري مع الإعراض أنك راض

فوقع له على رقعته : الاختيار صرّفك ، والاختبار صَرَفك ، وما عزلناك لخيانة ولا لجناية ، ولكن للملك أسرار لا تطلع عليها العامة ، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ومن شعر الناصر :

---

١ ص : أبو .

٢ ص : عتب .

٣ ص : زيادة ؛ وأرجح أن المشار إليه هو أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد المعروف بابن زبادة (ابن خلكان ٦ : ٢٤٤) أو ابن له ، وقد ضبط ابن خلكان « زبادة » بالباء الموحدة وقال : هو القطعة من الزباد الذي يتطيب به النسوان .

زعموا أنني أحبّ علياً صدقوا كلهم لديَّ عليُّ
كلُّ مَن صاحب النبيَّ ولو طـرْ فـةَ عينٍ فحقـُّـه مرعيُّ
فلقد قلَّ عقلُ كلِّ غبيٍّ هو من شيعةِ النبيّ بريُّ

وقال أيضاً :

إن طال عمري فما قصّرتُ في كرمٍ ولا حراسةِ ملكي من أعـاديه
عُرْبٌ وعجمٌ ورومٌ كلهم طمعوا فلم يفوزوا بشيء غير تمويــه
بليت حتى بأدنى الناس من خلدي يريد موتي وبالأرواح أفديــه

يشير بذلك إلى ولده الظاهر بالله، وسيأتي ذكره في ترجمته، إن شاء الله تعالى .

وكان بالناصر أمراض منها عسر البول والحصى ، ووجد منه شدّة ، وشقّ ذكره مراراً ، سامحه الله تعالى وإيانا .

٢٩
الحاكم بأمر الله العباسي

أحمد بن الحسن ، الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس ابن الأمير أبي علي الحسن ابن أبي بكر بن علي بن أمير المؤمنين ، المسترشد بالله العباسي البغدادي .

قدم مصر ، ونهض ببيعته الملك الظاهر بيبرس الصالحي ، وبويع له سنة إحدى وستين وستمائة ، وخطب بالناس ، وكان ملازماً لداره ، فيه عقل وشجاعة وديانة ، وله راتب يكفيه من غير سرف . امتدت أيامه ، وعهد بالخلافة

---

٢٩ – تاريخ الخلفاء : ٥١١ والوافي ٦ : ٣١٧ وأعيان العصر : ٦٥ والمنهل الصافي ١ : ٢٩١ والدرر الكامنة ١ : ١٢٨ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

إلى ولده المستكفي بالله أبي[1] الربيع سليمان، وتوفي سنة إحدى وسبعمائة ، وهو في عشر الثمانين وكانت خلافته أربعين سنة ، ولم يكن له من الخلافة غير الخطبة والسكة .

٣٠

[المسيلي]

أحمد بن الحسين بن محمد المسيلي : ذكره ابن الأبار في « تحفة القادم »[2] ؛ توفي في حدود الخمسمائة ، رحمه الله تعالى . من شعره :

خطرت على وادي العذيب بأدمعي فما جُزْتُهُ إلاّ وأكثَرُهُ دمُ
وقد شرِبتْ منه كرامُ جيـادنا فكادتْ[3] بأسرارِ الهوى تتكلمُ
سرى البرق من نعمانَ يخبرُ أنّـه سيشقى بكم من كان بالأمس ينعمُ
رحلتم وهذا الليل فيكم ولم يعد إليّ سواه منكمُ إذ رحلتمُ
وما أنا صبٌّ بالنجومِ وإنّمـا تخيّل لي الأشواقُ أنكمُ همُ

وله أيضاً :

متى طلعت تلك الأهلة في الخُمْرِ ونابت لنا تلك العيونُ عن الخَمْرِ
ومن علّم الأعجاز تستعجز القنـا وهذي الثنايا الغرّ تسطو على الدرّ
شموسٌ أبت إلاّ شماسَ سجيّةٍ وأقمارُ حسنٍ في الهوى قمرت صبري

---

١ ص : أبو .
٣٠ – الزركشي : ٢٨ والوافي ٦ : ٣٣٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .
٢ لم ترد له ترجمة في المقتضب من تحفة القادم .
٣ ص : فكانت ، والتصويب عن الزركشي .

٣١

ابن أبي فنن

أحمد بن صالح بن أبي معشر ، وكنية صالح أبو فنن ، مولى المنصور ؛ كان أسود اللون ، وبلغ سناً عالية ، توفي بين الستين والسبعين والمائتين ، رحمه الله تعالى . وهو القائل :

سَرَّ مَن عاشَ مالُهُ فإذا حا سبه اللهُ سرَّهُ الإعــدامُ

وله أيضاً :

عاشَ بُنيِّي فصار مثلي يلبس ما قد خلعت عني
فسَرَّني ما رأيت منـــهُ وساءني مـا رأيتُ منّي

٣٢

[السنبلي]

أحمد بن صالح شهاب الدين السنبلي ؛ كان فاضلاً شاعراً حسن الشكل كثير المروة ، طيب الأخلاق ، وكان مباشر عمائر [١] الجامع الأموي بدمشق في

٣١ – الزركشي : ٢٨ وطبقات ابن المعتز : ٣٩٦ وكنيته أبو عبد الله ، وقال فيه : كان شاعراً مفلقاً مطبوعاً ، وتاريخ بغداد ٤ : ٢٠٢ ومعجم الأدباء ٦ : ١٢٣ والديارات : ٨١ وابن خلكان ٦ : ٣٤١ والوافي ٦ : ٤٢٣ ؛ ولم يرد من هذه الترجمة في المطبوعة سوى بيتين من الشعر .

٣٢ – الزركشي : ٢٨ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٢٠ وقد ذكره في وفيات سنة ٦٦٤ وأورد له البيتين الأولين ؛ والوافي ٦ : ٤٢٤ ؛ ولم يرد في المطبوعة إلا الشعر .

١ الوافي : إعمار .

زمن الصالح نجم الدين ، فلما ملك الناصر صاحب حلب دمشق وباشر عز الدين ابن وداعة شدّ الدواوين مدّحه ، وطلب النقلة إلى جهة خير منها ، فقال له ابن وداعة : أبصر جهةً مثل جهتك ومعلومَها ، فقال : يا خوند ، فحينئذ لم يحصل للمملوك إلاّ نقلة وحركة لا غير ، فاستحسن ذلك منه ، وولي جهةً أرضَتْه ، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، رحمه الله .

ومن شعره ما أورده الشيخ قطب الدين في « الذيل » :

هَويتُـــهُ مُكاريـــا شَرَّد عن عيني الكرى
كأنّـــه البدر فمـــا يمَلُّ من طولِ السُّرَى

وقال في السيفِ عاملِ الجامع :

رَبْعُ المصالح داثر لم يبقَ منه طائلُ
هيهات تعمر بقعـــة والسيفُ فيها عاملُ

وله أيضاً :

للوز زهر حسنـــه يُصبي إلى زمن التصابي
شكت الغصونُ من الشتا فأعارها بيضَ الثياب
وكأنّـــه عَشِقَ الرَّبيـ ـعَ فشاب من قبل الشباب

وله وقد وقع مطر كثير يوم عاشوراء :

يوم عاشوراء جادت بالحيا سُحُبٌ تهطل بالدمع الهمولِ
عجباً حتى السَّموات بكت رُزْءَ مولاي الحسين ابن البتولِ

٣٣

المعتضد بالله العباسي

أحمد بن طلحة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو العباس ابن ولي العهد أبي أحمد الموفق بالله ابن المتوكل ؛ ولد في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، أيام جده ، وتوفي في رجب سنة تسع وثمانين ومائتين ، رحمه الله . وكان قد استخلف بعد عمه المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين . وكان شجاعاً مهيباً ، أسمر[1] نحيفاً وافر العقل ، ظاهر الجبروت ، شديد الوطأة ، من أفراد خلفاء بني العباس ، كان يقدم على الأسد وحده لشجاعته .

قال خفيف السمرقندي : كنت معه في الصيد ، وانقطع عنا العسكر ، فخرج علينا أسد ، فقال : أفيك خير ؟ قلت : لا ، قال : ولا تمسك فرسي ؟ قلت : نعم ، فنزل وتحزم وسَلّ سيفه وقصد الأسد ، وتلقاهُ بسيفه فقطع عضده ، ثم ضربه ضربة فلقَتْ هامته ، ومسح سيفه في صوفه ، وركب ، وصحبته إلى أن مات ما سمعته يذكر ذلك لقلة احتفاله به .

وكان يبخّل ويجمع المال ، وفي أيامه سكنت الفتن لعظم هيبته، وكان يسمى السفّاح الثاني ، لأنه جدّد ملك بني العباس ، وكانت أيامه طيبة ، كثيرة الأمن والرخاء ، وأسقط المُكوس ، ونشر العدل ، ورفع المظالم عن الرعية ، وكان مزاجه قد تغير من إفراطه في الجماع وعدم الحمية ، بحيث إنه أكل في علته زيتوناً وسمكاً ، وشكّوا في موته ، فتقدّم الطبيب وجَسّ نبضه ، ففتح عينه ورفس الطبيب ، رماه أذرعاً ، فمات الطبيب ثم مات المعتضد ، وبويع ابنه

---

٣٣ – الروحي : ٥٩ والفخري : ٢٣١ وتاريخ الخلفاء : ٣٩٨ والمنتظم ٦ : ٣٤ والوافي ٦ : ٤٢٨ والنجوم الزاهرة ٣ : ١٢٦ ؛ وقد أخلت المطبوعة بجانب منها .

١ ص : أسمراً .

المكتفي ، فكانت ولايته تسع سنين وتسعة أشهر وأياماً . وهو أحد من ولي الخلافة ولم يكن أبوه خليفة ، وهم : السفاح والمنصور والمستعين والمعتضد .

وكان المعتضد حسن الميل إلى آل الرسول صلى الله عليه وسلم . وتزوج قطر الندى بنت خمارويه ، أصدقها ألف ألف درهم .

ومن شعره :

غلب الشوق اصطباري　　لتبـــاريحِ الفـــراقِ
إن جسمي حيث ما سِرْ　　تُ وقلبي بـــالعراقِ
أملك الأرض ولا أم　　لك دفع الإشتيـــاقِ

وحكى ابن حمدون النديم أن المعتضد كان قد شرط علينا أنا إذا رأينا منه شيئاً ننكره نقول له ، وإن اطلعنا على عيب واجهناه به ، قال : فقلت له يوماً : يا مولانا في قلبي شيء أردت سؤالك [عنه] منذ سنين ، قال : ولم أخرته إلى اليوم ؟ قلت : لاستصغاري قدري ولهيبة الخلافة . قال : قل ولا تخف . قلت : اجتاز مولانا ببلاد فارس . فتعرّض الغلمانُ للبطيخ الذي كان في تلك الأرض . فأمرت بضربهم وحبسهم . وكان ذلك كافياً ، ثم أمرت بصلبهم . وكان ذنبهم لا يجوز عليه الصَّلب ، فقال : أوتحسب أن المصلَّبين كانوا أولئك الغلمان ؟ وبأي وجه كنت ألقى الله تعالى يوم القيامة لو صلبتهم لأجل البطيخ ؟ وإنما أمرت بإخراج قوم من قطّاع الطريق كان وجب عليهم القتل ، وأمرت أن يُلبَسوا أقبية الغلمان وملابيسهم إقامة للهيبة في قلوب العسكر ، ليقولوا : إذا صلَب أخصَّ غلمانه على غَصْب البطيخ فكيف يكون على غيره ؟ وأمرت بتلثيمهم ليستتر أمرهم على الناس .

٣٤

الشيخ تقي الدين بن تيمية

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني الشيخ الإمام العلامة الفقيه المفسّر الحافظ المحدث ، شيخ الإسلام نادرة العصر ، ذو التصانيف والذكاء ، تقي الدين أبو العباس ابن العالم المفتي شهاب الدين ، ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات . ولد بحرّان عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين ، وتحول به أبوه إلى دمشق سنة سبع وستين ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

سمع من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر والكمال ابن عبد والشيخ شمس الدين والقاسم الاربلي وابن علان وخلق كثير ، وقرأ بنفسه ، ونسخ عدة أجزاء ، وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر مع التدين والذكر والصيانة والنزاهة عن حطام هذه الدار ، ثم أقبل على الفقه ودقائقه ، وغاص على مباحثه . وأما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة فكان لا يشق فيها غباره ، مع ما كان عليه من الكرم الذي لم يشاهد مثله ، والشجاعة المفرطة ، والفراغ عن ملاذ النفس : من اللباس الجميل ، والمأكل الطيب ، والراحة الدنيوية .

قيل إن والدته طبخت له يوماً قرعية ، ولم تذقها أولاً وكانت مرة ، فلما ذاقتها تركتها على حالها ، فأتى الشيخ إلى الدار فرأى القرعية ، فأكل منها حتى

---

٣٤ – الوافي ٧ : ١٥ وأعيان العصر : ٧٤ وذيل ابن رجب ٢ : ٣٨٧ وتذكرة الحفاظ : ١٤٩٦ والدرر الكامنة ١ : ١٤٤ والبدر الطالع ١ : ٦٣ والعقود الدرية لابن عبد الهادي ؛ والبداية والنهاية ١٤ : ١٣٥ وتاريخ ابن الوردي ٢ : ٢٨٤ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٧١ ، وقد كان ورد في المطبوعة ترجمة لابن تيمية ملخصة عن ابن عبد الهادي ، ثم تلخيص لما ورد في الفوات نفسه ، ولما كان القسم المأخوذ عن ابن الهادي من غير أصل الكتاب فقد أهملته .

شبع ، وما أنكر منها شيئاً[1] .

وحكي أنه كان قد شكا له إنسان من قطلوباك الكبير[2] ، وكان المذكور فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها ، وحكاياته في ذلك مشهورة ، فلما دخل إليه الشيخ ، وتكلم معه في ذلك ، قال : أنا الذي كنت أريد أجي إليك لأنك رجل عالم زاهد، يعني يستهزي به ، فقال له : لا تعمل عليَّ دركوان[3]، موسى كان خير مني وفرعون كان شراً منك ، وكان موسى كل يوم يجي إلى باب فرعون مرّات ، ويعرض عليه الإيمان .

قال الشيخ شمس الدين : وصنف في فنون ، ولعل تواليفه تبلغ ثلثمائة مجلدة . وكان قوّالاً بالحق ، نهّاءً عن المنكر ، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة ، وكان أبيض أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، كأنّ عينيه لسانان ناطقان ، رَبعة من الرجال ، جهوري الصوت ، فصيح اللسان ، سريع القراءة ، توفي محبوساً في قلعة دمشق على مسألة الزيارة ، وكانت جنازته عظيمة إلى الغاية ، ودفن في مقابر الصوفية صلى عليه قاضي القضاة الشيخ علاء الدين القونوي ، انتهى كلام الشيخ شمس الدين الذهبي .

ذكر تصانيفه :

كتب التفسير : قاعدة [في] الاستعاذة . قاعدة في البسملة [و] الكلام على الجهر بها ، قاعدة في قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين ، وقطعة كبيرة من سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ ومن النّاس مَنْ يَقول آمنّا بالله وباليوم الآخر ﴾ثلاث كراريس ، وفي قوله تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾ كراسين ، وفي قوله تعالى ﴿ يا أيها النّاس اعبدوا ﴾ سبع كراريس . ﴿ إلاّ مَن سَفِه نَفْسَه ﴾ كراسة . آية الكرسي ، كراسان ، وفي قوله ﴿ شهد الله أنّه

---

١ ص : شيء .

٢ انظر الدرر الكامنة ٣ : ٣٣٧ .

٣ الوافي : دركواناتك ، ولعلها بمعنى « الحيل » .

لا إله إلاّ هو﴾ ست كراريس ؛ ﴿ما أصابك من حسنة﴾ عشر كراريس ، وغير ذلك من سورة آل عمران ، تفسير المائدة مجلد [لطيف][1]. ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ ثلاث كراريس . ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ سبع كراريس . سورة يوسف ، مجلد كبير . سورة النور ، مجلد لطيف . سورة القلم وأنها أوّل سورة أنزلت ، مجلد . سورة لم يكن . سورة الكافرون . سورة تبت والمعوّذتين ، مجلد . سورة الإخلاص ، مجلد .

كتب الأصول : الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية ، أربع مجلدات . ما أملاه في الجب ردّاً على تأسيس القديس . شرح أوّل المحصّل ، مجلد . شرح بضعَ عشرةَ مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين . تعارض العقل والنقل ، أربع مجلدات . جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشي ، مجلد . الجواب الصحيح، ردّ على النصارى ، ثلاث مجلدات . منهاج الاستقامة . شرح عقيدة الأصفهاني مجلد . شرح أوّل كتاب الغَزْنوي في أصول الدين ، مجلد . الردّ على المنطق ، مجلد . ردّ آخر لطيف . الردّ على الفلاسفة ، أربع مجلدات . قاعدة في القضايا الوهمية ، قاعدة في تناهي ما لا يتناهى[2] ، جواب الرسالة الصفدية . جواب في نقض قول الفلاسفة : إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية ، مجلد كبير . إثبات المعاد والردّ على ابن سينا . شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد في الأصول . ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات ، مجلدان . قاعدة في الكليات ، مجلد لطيف . الرسالة القبرصية . رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور . الرسالة البعلبكية . الرسالة الأزهرية . القادرية . البغدادية . أجوبة الشكل والنقط . إبطال الكلام النفساني أبطله من نحو ثمانين وجهاً . جواب مَن حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت . إثبات الصفات

---

١ زيادة من الوافي .

٢ ص : تناسي ما لا يتناسى ؛ وفي الوافي : ما يتناهى وما لا يتناهى .

والعلو والاستواء مجلدان . المراكشية . صفات الكمال والضابط [فيها] . جواب في الاستواء وإبطال تأويله بالاستيلاء . جواب مَن قال : لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه . أجوبة كون العرش والسموات كريَّة وسبب قصد القلوب جهة العلو . جواب كون الشيء في جهة العلو مع أنه ليس بجوهر أو عرض معقول أو مستحيل . جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ؟ وهل لازم المذهب مذهب سماه الإربلية . مسألة النزول واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع ، مجلد لطيف . شرح حديث النزول ، مجلد كبير . بيان حل إشكال ابن حزم الوارد على الحديث . قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه ، مجلد . الكلام على نقض المرشدة . المسائل الإسكندرية في الرد على الاتحادية والحلولية . ما تضمنه فصوص الحكم . جواب في لقاء الله . جواب رؤية[1] النساء ربهنّ في الجنة . الرسالة المدنية في إثبات الصفات النقلية . الهلاوونية . جواب ورَدَ على لسان ملك التتار ، مجلد . قواعد في إثبات [القدر] والرد على القدرية والجبرية ، مجلد . رد على الروافض في الإمامة[2] على ابن مطهر . جواب في حسن إرادة الله تعالى لخلق الخلق وإنشاء الأنام لعلة أم لغير علة . شرح حديث « فحَجَّ آدم موسى » . تنبيه الرجل الغافل على تمويه المجادل ، مجلد . تناسي الشدائد في اختلاف العقائد ، مجلد . كتاب الإيمان ، مجلد . شرح حديث جبريل في حديث الإيمان والإسلام ، مجلد . عصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغونه . مسألة في العقل والروح . مسألة في المقربين : هل يسألهم منكر ونكير . مسألة هل يعذب الجسد مع الروح في القبر . الرد على أهل الكسروان[3] ، مجلدان . في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما . قاعدة [في] فضل معاوية وفي ابنه يزيد لا يُسَبّ . في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس . مختصر في

---

١ ص : رؤيا .

٢ ص : الأمامية .

٣ ص : السكروان .

كفر النصيرية . في جواز قتال الرافضة ، كراسة . في بقاء الجنة والنار وفي فنائهما رد على[1] مولانا قاضي القضاة تقي الدين السبكي أعزه الله تعالى .

ـ كتب أصول الفقه : قاعدة غالبها أقوال الفقهاء ، مجلدان . قاعدة كل حمد وذم من المقالات والأفعال لا يكون إلاّ بالكتاب والسنة . شمول النصوص للأحكام ، مجلد لطيف . قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام . جواب في الإجماع وخبر التواتر . قاعدة في كيفية الاستدراك على الأحكام بالنص والإجماع . في الرد على من قال إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين ، ثلاث مصنفات . قاعدة فيما يُظَنّ من تعارض النص والإجماع . مواخذ[2] على ابن حزم في الإجماع . قاعدة في تقرير القياس . قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الأحكام . رفع الملام عن الأئمة الأعـــلام . قاعدة في الاستحسان . وصف العموم والإطلاق . قواعد في أن المخطىء في الاجتهاد لا يأثم . هل العامي يجب عليه تقليد مذهب معين . جواب في ترك التقليد . فيمن يقول مـــذهبي مذهب النبي عليه السلام وليس أنا محتاج[3] إلى تقليد الأربعة . جواب من تفقه في مذهب ووجد حديثاً صحيحاً هل يعمل به أو لا . جواب تقليد الحنفيّ الشافعي في [الجمع] للمطر[4] والوتر . الفتح على الإمام في الصلاة . تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة . تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم . قاعدة في تفضيل الإمام أحمد . جواب هل كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبياً . جواب هل كان النبي صلى الله عليه وسلم متعبِّداً بشرع مَنْ قبله . قواعد أنّ النّهي يقتضي الفساد[5] .

ـ كتب الفقه : شرح المحرّر في مذهب أحمد ، ولم يبيض . شرح العمدة لموفق

---

١ الوافي : ورد عليه فيها .
٢ الوافي : مؤاخذة .
٣ كذا في ص ، والوافي وأعيان العصر .
٤ ص : المطر .
٥ كذا وفي الوافي : العناد .

الدين ، أربع مجلدات . جواب مسائل وردت من أصفهان . جواب مسائل وردت من الأندلس . جواب مسائل وردت من الصلت . مسائل من بغداد . مسائل وردت من زرع . مسائل وردت من الرحبة . أربعون[1] مسألة [لقبت][2] الدرر المضية في فتاوى ابن تيمية . الماردانية . الطرابلسية . قاعدة في المياه والمائعات وأحكامهما . طهارة بول ما يؤكل لحمه . قاعدة في حديث القُلتين وعدم رفعه . قواعد في الاستجمار وتطهير الأرض بالشمس والريح . جواز الاستجمار مع وجود الماء . نواقض الوضوء . قواعد في عدم نقضه بلمس النساء . التسمية على الوضوء . خطأ القول بجواز المسح على الخفين . جواز المسح على الخفين المنخرقين والجوربين واللفائف . فيمن لا يعطي أجرة الحمام . تحريم دخول الحمام بلا مئزر. في الحمام والاغتسال . ذم الوسواس . جواز طواف الحائض . تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعذر . كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها . الكلم الطيب في الأذكار . كراهية تقديم بَسط سجادة المصلي قبل مجيئه . في الركعتين اللتين تصليان[3] قبل الجمعة ، في الصلاة بعد أذان الجمعة . القنوت في الصبح والوتر . قتل تارك المباني وكفره . الجمع بين الصلاتين في السفر. فيما يختلف حكمه بالسفر والحضر . أهل البدع : هل يصلى خلفهم صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض . الصلوات المبتدعة . تحريم السماع . تحريم الشبابة . تحريم اللعب بالشطرنج . تحريم الحشيشة القنبية ووجوب الحد عليها وتنجيسها . النهي عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود وإيقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يُفعل في عاشوراء من الحبوب . قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين . في أن المطلقة بثلاثة لا تحل إلاّ بنكاح زوج ثان . بيان الحلال والحرام في الطلاق . جواب مَن حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة ثم طلق ثلاثاً في الحيض .

---

١ ص : أربعين .

٢ ص : كررت لفظة « مسألة » .

٣ ص : التي تصلى .

الفرق المبين بين الطلاق واليمين . لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف . كتاب التحقيق في الفرق بين الأيمان والتطليق . الطلاق البدعي لا يقع . مسائل الفرق بين الطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك . مناسك الحج . في حجة النبي صلى الله عليه وسلم . في العمرة المكية . في شهر[1] السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عليه السلام عقيب الحج . زيارة القدس مطلقاً . جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال الغيب[2] ولا أبدال . جميع أيمان المسلمين مكفَّرة .

الكتب في أنواع شتّى : جمع بعضُ الناس فتاويه بالديار المصرية مدّة مقامه بها سبع سنين في علوم شتّى ، فجاءت ثلاثين مجلد . الكلام على بطلان الفتوة المصطلح [عليها] بين العوام ، وليس لها أصل متصل بعلي رضي الله عنه . كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية . [بطلان] ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي . النجوم : هل لها تأثير عند القِران والمقابلة وفي الكسوف : هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة ، مجلد . تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتيم . إبطال الكيميا وتحريمها ولو صحت وراجت .

ومن نظم الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى على لسان الفقراء المجردين :

والله ما فقرنا اختيار ... وإنما فقرُنا اضطرار
جماعة كلنا كَسالى ... وأكلُنا ما له عيار
تسمع منّا إذا اجتمعنا ... حقيقة كلّها فشَار

وله أجوبة وسؤالات كان يُسْألها نظماً فيجيب عنها نظماً ، وليس هذا موضع إيراد ذلك رحمه الله تعالى .

---

١ ص : شرح .
٢ الوافي : غيب .

٣٥

ابن عبد الدايم

أحمد بن عبد الدايم بن أحمد بن نعمة بن إبراهيم بن أحمد بن بكير ، المعمّر العالم مسند الوقت ، زين الدين أبو العباس المقدسي الفندقي الحنبلي الناسخ ؛ ولد بفندق المشايخ[١] من جبل نابلس سنة خمس وسبعين وخمسمائة [وأدرك الاجازة][٢] التي من السلفي لمن أدرك حياته ، وأدرك الإجازة [الخاصة][٣] من خطيب الموصل أبي الفضل الطوسي وأبي الفتح بن شاتيل ونصر الله القزاز وخلق سواهم . وسمع من يحيى الثقفي وأبي[٤] الحسين الموازيني ومحمد بن علي بن صدقة والمكرم بن هبة الله الصوفي وبركات الخشوعي وابن طبرزد والحافظ عبد الغني . ودخل بغداد وسمع من ابن كليب وطبقته ، وتفقه على الشيخ الموفق ، وكتب بخطه المليح السريع ما لا يوصف ، لنفسه وبالأجرة ، حتى كان يكتب إذا تفرّغ في اليوم تسع كراريس قيل إنه كان يكتب الخرقي[٥] في ليلة واحدة ، وكان ينظر في الصفحة مرّة واحدة ويكتبها ، ولازم النسخ خمسين سنة ، وخطه لا نَقْط ولا ضبْط ، وكتب ألفي مجلدة .

---

٣٥ – الزركشي : ٢٩ والوافي ٧ : ٣٤ وذيل ابن رجب ٢ : ٢٧٨ ونكت الهميان : ٩٩ ومنتخب السلامي : ٢٩ والشذرات ٥ : ٥٢٣ ، ولم يرد في المطبوعة إلا قسم يسير من هذه الترجمة .

١ الوافي : بفندق الشيوخ .

٢ سقطت من ص وزدتها من الوافي .

٣ زيادة من الوافي .

٤ ص : وأبو .

٥ الوافي : القدوري ؛ يعني مختصر القدوري في فروع الحنفية ؛ أما مختصر الخرقي لأبي القاسم عمر ابن الحسن الحنبلي ، فإنه في فروع الحنبلية .

وكان تام القامة ، حسن الأخلاق والشكل ، وولي خطابة كفربطنا[1] ، وأنشأ خطباً كثيرة ، وحدث ستين سنة .

روى عنه الشيخ محيي الدين والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وشرف الدين الدمياطي وابن الظاهري وابن جعوان وابن تيمية ونجم الدين ابن صصرى وشرف الدين الفزاري وأخوه تاج الدين ، وولده برهان الدين ، وإمام الكلاسة ومنيف قاضي القدس وعلاء الدين [ابن] العطار وعلاء الدين ابن غانم ، وخلق كثير بمصر والشام ، وتفرد بالكثير ، وكف بصره في آخر عمره ، وتوفي لتسع خلون من رجب سنة ثمان وستين وستمائة . ومن شعره لما أضرّ ، رحمه الله تعالى :

إن يُذهبِ الله من عينيَ نورهما ... فإنّ قلبي بصير ما به ضررُ
والله إنّ لكم في القلب منزلَةً ... ما نالها قبلكم أنثى ولا ذكر
وصالكم لي حياةٌ لا نَفادَ لها ... والهجر موت فلا عين ولا أثر

ومن شعره :

عجزت عن حمل قرطاسٍ وعن قلم ... من بعد إلفيَ بالقرطاس والقلمِ
كتبت ألفـا وألفا من مجلدةٍ ... فيها علومُ الورى من غير ما ألم
ما العلم فخر امرىءٍ إلاّ لعامله ... إنْ لم يكن عمل فالعلمُ كالعدم

٣٦
[الشارمساحي]

أحمد بن عبد الدايم بن يوسف بن قاسم بن عبد الخالق الكناني الشارمساحي ؛

---

١ كفربطنا : من قرى غوطة دمشق .

٣٦ — الزركشي : ٣٠ والوافي ٧ : ٣٦ وأعيان العصر ١ : ٨٦ والدرر الكامنة ١ : ١٦١ .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : مولده بشارمسارح[1] سنة ثلاث وستين وستمائة ؛ ومن شعره :

محجبةٌ بين الترائب والحشا فدمعي لها طلقٌ وقلبي لها رهنُ
وحالُ الهوى ما ليس يدركُ كنهه وهل هو وهم يعتري القلب أو وهن
ومسلكه بالطرف سهلٌ وإنما له منهج أعيا القلوب به حَزْن
لديهِ الأماني بالمنايا مَشوبَةٌ وفيه الرجا واليأس والخوف والأمن
وكم مهلكٍ فيهِ يقين لعـاشق ومطلبه من دونه في الورى ظن[2]

وله أيضاً :

تخشى الظُّبا والظِّبا من فتْك ناظره وإن تثنّى فلا تسأل عن الأسَلِ
لا واخذ الله عينيه فقد نشطت إلى تَلافي وفيها غاية الكسلِ
يرمي القلوبَ فلا ندري أقام بهـا هاروت أم ذاك رام من بني ثُعلِ
هذا الغزالُ الذي راقتْ محاسنُهُ فـلا عجيبٌ عليه رقة الغزلِ
لما تواليتُ من وجدٍ ومن شغفٍ تحققَ النّاسُ أنّي مغرم بعَلي

ومن شعره :

لا تعجبوا للمجانيق التي رشقَتْ عكّا بنار وهَدّتها بأحجارِ
بل اعجبوا للسان النار قائلةً هذي منازلُ أهل النار في النار

---

١ شارمساح : بلدة من كورة الدقهلية ، قريبة من دمياط .
٢ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

٣٧

ابن نفادة

أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن نفادة السلمي الأديب البارع بدر الدين نشو الدولة ، الشاعر المحسن ؛ روى عنه الشهاب القوصي . كان رئيساً وديوانه مشهور . توفي سنة إحدى وستمائة وقد ناهز الستين . وله مدائح كثيرة في السلطان صلاح الدين الكبير وفي أولاده وأخيه العادل وجماعته ، وفي الوزير صفي الدين ابن القابض ، وفي القاضي الفاضل والقاضي ابن الشهرزوري ومحيي الدين ابن الزكي ؛ وهو من المشهورين بحسن النظم ، فمن شعره لغز في يوسف :

يا سائلي ما اسم الذي أحببتهُ إنّي بسرّ هواه غير مصرّحِ
لكن إذا فكرت فيه وجدته معكوسَ سابعِ لفظةٍ في سبحِ [1]

ومن شعره :

إنْ أعوزَ الحاذقُ فاستبدلوا مكانه آخرَ لم يحـذقِ
فلاعبُ الشطرنج من شأنـه وضعُ حصاةٍ موضع البيذقِ

وقال :

أفدي التي سفرتْ فقابل ناظري مرآةَ وجهٍ بالجمالِ صقيلِ
أبكي فأبصرُ أدمعي في خـدّها لصقـاله فأظنها تبكي لي

أخذه من قول الأرجاني [2] :

---

٣٧ – الزركشي : ٣٠ والوافي ٧ : ٣٩ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٣٢٩ والغصون اليانعة : ٢٦ ولم يرد من هذه الترجمة في المطبوعة إلا بيتا اللغز .

١ يريد لفظة « فسوّى » .

٢ انظر ديوانه : ٤٣٨ .

قابلني حتى بدت أدمعي في خده المصقول مثل المراه
يوهمُ صحبي أنه مسعدي بأدمعٍ لم تذرهـا مقلتاه
وإنّما قلّـدني منّـةً بدمعِ عينٍ من جفوني مَرَاه
ولم يقعْ من دمعهِ قطرةٌ إلاّ خيالاتُ دموع البكاه

وقال ابن نفادة :

حتامَ إنْ أمَرَ الغرامُ وإن نهى طاوعته وعصيت في الحبِّ النُّهى
أرضيت جفني للدموع موهلاً أبداً وقلبي بالولوعِ موله
قد كنت معتمداً على صبري إذا ما الخطب فاجاني وها صبري وهى
ومدللٍ ما زلتُ من هجرانه أبداً على مرّ الزمانِ مدلّها
متأوّد الأعطاف ، قلبُ محبّهِ ما زال من إعراضه متأوّها
تجني على عشاقه وجناتُهُ بالصدّ فهو[1] المشتكى والمشتهى
فيه إذا عُدّ الملاحُ المبتدا وإلى غرامي في هواهُ المنتهى
يا مطلعين لنا بدوراً أوْجُها فلك الجيوب فكيف تسمى أوجها
وملاحظين بأعينٍ من أمّهـا لم يدرِ غزلاناً تغازل أم مَهـا
فحذارِ من تلك العيون خديعة فبمَكرها سلبت فؤادي مُكْرها

وله أيضاً :

دعْهُ مثلي يبكي الصبا وزمانَهْ إن ذكراه هيّجتْ أحزانَهْ
ناح شجواً على ليالٍ وأيّا مٍ تقضت لم يقض منها لبانَهْ
كيف يرجو في الأربعين وفاءً من شبابٍ قبلَ الثلاثين خانَهْ
أو ينالُ اللذاتِ في أخريات[2] العمرِ من لم يفز بها ريعانَهْ

---

١ الوافي : فهي .
٢ ص : آخر ، والتصويب عن الوافي .

وقال :

قد حجبوا البيضَ ببيض الصفاحْ ومنعوا السُّمْرَ بسمرِ الرماحْ
وأطبقوا أصـــداف أجفانهم فما ترى شمس الصباح الصباحْ

منها :

يثبتُ تأليفُ الهوى حسنَهـــا وقدهـــا للصبر إن ماح ماحْ
وطرفهـــا مسكرةٌ خمـــره إذا أديرتْ وهو يا صاح صاحْ
أمدُّ قلبي نحو كاساتهـــــا رشفاً إذا مُدَّتْ إلى الراح راح
واضحها موضحُ عذري فما يلومني فيها إذا لاحَ لاحْ

وقوله أيضاً :

وامتدَّ ليلي إذ سهرتُ وكلّما قصرتْ جفوني زاد ليلي طولا
وكأن مرآة الصباح تنفسي الـ صعداء أصدأ وجهها المصقولا

وله غير ذلك كل معنى حسن ، وديوانه موجود ، رحمه الله تعالى وإيّانا .

٣٨

الحنبلي معبر المنامات

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي الشيخ الإمام العالم شهاب الدين الحنبلي مفسر المنامات ؛ ولد بنابلس سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع من عمه التقي يوسف ومن الصاحب محيي الدين ابن

٣٨ – الوافي ٧ : ٤٨ وأعيان العصر ١ : ٨٥ وذيل ابن رجب ٢ : ٣٣٦ والشذرات ٥ : ٤٣٧ ، وأكثر هذه الترجمة ورد في المطبوعة .

الجوزي ، وسمع بمصر من ابن رواج والساوي وابن الجميزي وسبط السلفي . وروى الكثير .

وكان إليه المنتهى في تعبير الرؤيا ، واشتهر عنه في ذلك عجائب ، ويخبر بأشياء ، وكان بعضُ الناس يعتقد فيه الكشف والكرامات ، وبعضهم يقول : كهانات وإلهامات ، ولكل منهم في دعواه شُبَه وعلامات .

قال الشيخ شمس الدين : حدثني الشيخ تقي الدين ابن تيمية أنّ شهاب الدين العابر كان له تابع من الجنّ يخبره بالمغيبات ، وكان صاحب أوراد وتعبّد ، وما برح كذلك حتّى مات .

صنف في التعبير مقدّمة سماها « البدر المنير » وكان عارفاً بالمذهب ، وذكر الدرس بالجوزيّة[1] ، وكان شيخاً حسن البشر ، وافر الحرمة ، معظّماً في النفوس ، أقام بمصر مدّة ؛ وكانت وفاته بدمشق سنة سبع وتسعين وستمائة ، وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة والأكابر .

وقال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : كنت عنده يوماً وقد جاءه إنسان ، قال : رأيت كأني صرتُ أترجة ، فقال : أترجة ألف تا را جيم ها ، وعدها خمسة أحرف ، وقال : أنت تموت بعد خمسة أيام ، فان مَن رأى أنه صار ثمرة تؤكل فإنه يموت ، وهذه زيادة من عنده عدد حروف الأترجة .

وقال بهاء الدين ابن غانم : كنت عنده يوماً ، فجاء إليه إنسان ومعه آخر ، فقال : رأيت رؤيا وقصها ، فقال له : ما رأيت شيئاً ، وإنما تريد الاستخفاف[2] ، فخرجا بعدما اعترفا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : لما تكلما نظرت في ذيل أحدهما نقطة [من دم] فذكرت الآية وهي قوله تعالى ﴿ وجاؤا على قميصه بدم كذب ﴾ (يوسف : ١٨) فاتفق أني رأيت أحدهما فيما بعدُ ، فسألته عن

---

١ هي إحدى مدارس الحنابلة ، وكانت بسوق القمح بالقرب من الجامع ، أنشأها محيي الدين ابن الجوزي (الدارس ٢ : ٢٩) .

٢ الوافي : الامتحان .

القصة ، فقال : لما اجتزنا عليه ذكرنا أمره الغريب ، وقلنا : نريد نمتحنه ، وصنفنا رؤيا للوقت ، فكان ما سمعت .

وحكي عنه أنه جاء إليه آخر وقال : رأيت كأن في داري شجرة يقطين ، قال : أعندك في دارك غير الزوجة ؟ قال : نعم جارية ، قال : بعني إياها ، قال : إنها ملك زوجتي ، قال : قل لها تبيعني إياها ، فراح وعاد وقال : إنها لا تبيعها ، فقال : امضي إلى هذه الجارية واعتبرها ، فمضى وعاد وقال : إنها طلعت عبد[1] ، وزوجتي تكتمني أمره ، وتلْبسه لباس النساء .

وجاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأني قد وضعت رجلي على رأسي ، فقال له : أفسر لك هذه الرؤيا بيني وبينك أو في الظاهر ؛ فقال : في الظاهر ، فقال : أنت كنت من ليالي[2] تشرب الخمر وسكرت ووطئت أمّك ، فاستحيا ومضى .

وقيل جاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأنّ قائلاً يقول لي : اشرب شراب الهكاري فقال له : فؤادك يوجعك ؟ قال : نعم ، قال : اشرب العسل تبرأ ، فسُئل : من أين لك هذا ؛ قال : سمعتهم يقولوا[3] اشرب الديناري . ولم أسمع بالهكاري . فرجعت إلى الحروف فرأيته شراب الهك أري ، والأريُ : العسلُ ، وذكرت قوله صلى الله عليه وسلم : كذب بطن أخيك ، اسقه العسل .

٣٩
المستظهر بالله

أحمد بن عبد الله أمير المؤمنين المستظهر أبو العباس ابن المقتدي بن الذخيرة

---

١ كذا في ص ؛ وأبقيته على حاله .

٢ كذا في ص .

٣ كذا في ص .

٣٩ – الوافي ٧ : ١١٥ والمنتظم ٩ : ٢٠٠ ومرآة الزمان ١ : ٧٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢١٥ والفخري : ٢٦٦ وتاريخ الخلفاء : ٤٥٧ والروحي : ٦٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

ابن القائم بن القادر ؛ ولد يوم السبت العشرين من شوال سنة سبعين وأربعمائة ، وبويع له وهو ابن ستة عشر وشهرين ، ولي الخلافة ثامن عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وتوفي سابع عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة[1] وخمسمائة ، فكانت ولايته خمساً وعشرين سنة وأشهراً[2] .

ولما بويع له صلى على والده ، وصلى بالناس صلاة الظهر ، وكان ميمون الطلعة ، حميد الأيام ، وكان لين الأخلاق ، موصوفاً بالعطاء والكرم ، يحب العلماء ويتفقد الفقراء ، وكان حسن الخطّ جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد .

وقال محب الدين ابن النجار : أنشدني محمد بن محمود المعدل ، قال أنشدنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ، وذكر أنها للمستظهر :

أذابَ حرُّ الهوى في القلب ما جمدا ... يومَ مددتُ إلى رسم الوداعِ يدا
فكيفَ أسلك نهجَ الإصطبارِ وقد ... أرى طرائقَ في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعدَ بدر[3] قد شغفت به ... من بعد ما قد وفى دهري بما وعدا
إن كنت أنقض عهدَ الحبِّ في خلدي ... من بعد هذا فلا عاينتـه أبـدا

وطلب من يؤم به في الصلوات ويلقن أولاده القرآن . وقصد أن يكون من أرباب البيوت الصالحين وأن يكون مكفوف البصر . فوقع الاختيار على المبارك ابن دوّاس المقرىء ، فوقع منه موقعاً حسناً . ولما صلّى به أول ليلة التراويح قرأ في كل ركعة آية ، فلما سلم قال له : زدنا من التلاوة ، فصلى في كل ركعة بآيتين ، فلما سلم قال له زدنا ، فأقام[4] يزيده إلى أن صلّى في كل ركعة بجزء كامل ، فلما كان ليلة الجمعة أحضر له كاغد طيب وعود ند وكافور وما أشبه

١ ص : اثني عشر .
٢ ص : وأشهر .
٣ ص : بدراً .
٤ ص : فلم .

ذلك ، وكاغد فيه ذهب ووضعه على مصلاه ، فلما فرغ من الصلاة وضع يده عليهما فدفعهما بظاهر كفه وانصرف ، فلما وصل إلى المكان الذي أفرد له جاء إليه خادم بالكاغدين وقال : ان أمير المؤمنين استحسن ذلك منك وقال : ما قصّر معكم ، قال لكم : ما أنا حمال ، ومنزلي فتعرفونه إن أردتم أن تعطوني شيء[1] فاحملوه إلى منزلي .

ومات المستظهر بعلة المراقيا ، رحمه الله تعالى .

٤٠

الاعيمى الاندلسي

أحمد بن عبد الله بن هريرة أبو العباس الأعيمى الاشبيلي ، توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . من شعره[2] :

بحياة عصياني عليكِ عواذلي ... إن كانت القرباتُ عندكِ تنفعُ
هل تذكرين لياليــاً سلفت لنا ... لا أنتِ باخلةٌ ولا أنا أقْنَعُ

وله أيضاً[3] :

أعدْ نظراً في روضتي ذلك الخدّ ... فإني أخاف الياسمين على الوردِ
وخذْ لهما دمْعي وعلّلهما بــه ... فإنّ دموعي لا تُعيد ولا تبدي

---

١ كذا في ص .

٤٠ – الزركشي : ٣١ وقلائد العقيان : ٢٧٣ والذخيرة (القسم الثاني : ٢١٥) وبغية الملتمس : ١٧٦ والمغرب ٢ : ٤٥١ وتحفة القادم : ٢٧ ونكت الهميان : ١١٠ والوافي ٧ : ١٢٦ ومقدمة ديوانه (ط . دار الثقافة ١٩٦٣) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ديوانه : ٧٨ .

٣ ديوانه : ٣٣ .

وإلاّ ففي كأس المدامة بلغة تقومُ مقامَ الدنّ عندك أو عندي
وفي ريقك المعسول لو أن روضة تعلّلُ بالكافور والمسك والشهد
وماء شبابي كان أعذب مورداً لوآن الليالي لم تزاحمك في الورد
أمنك الخيالُ الطارقي كلَّ ليلة على مثل حدّ السيف أو طرّة البرد
منًى لا أبالي أن تكون كواذباً فتفنى ولكن المدار على وجدي
وليلة وافـاني وقـد ملتُ ميلةً وكنت أنا والنجم بتنا على وعـد
ألمَّ فحيـا بين رقبـا ورقبةٍ ولا شيء أحلى من دنوٍّ على بعد
وقد زانه لمحٌ من البدر في الدجى كما لاح وسمُ الشيب في الشعر الجعد
رأى أدمعي حمراً وشيبيَ ناصعاً وفرط نحولي واصفراري على خدي
فودّ لو آني عقده أو وشاحـهُ وإن لم يطق حمل الوشاح ولا العقد
ألمّ فأعداني ضنـاهُ وسهدُهُ وقد كان هذا الشوق أولى بأن يعدي
وولّى فلا تسأل بحاليَ بعـده ولكن سلِ الأيّامَ عن حاله بعدي
تفاوت قومي[1] في الحظوظ وسبلها فمكدٍ على حرصٍ ومثرٍ على زهد
وأمّـا أنا والحضرميّ فإنّنـا قسمنا المعالي بين[2] غور إلى نجد
فأبت أنا بالشعر أحمي لواءه وآب ابن عيسى بالسيادة والمجد
فتًى لا يبالي فوزَ من فاز بالعلا إذا امتلأت كفا يديه من الحمد

وله أيضاً[3] :

وبديع الأوصاف كالشمس كالد مية كالغصن كالقنا كالريمِ
سكريّ اللمى وضيءُ المحيّـا يستخفُّ النفوسَ قبل الجسوم
متهدٍّ[4] إلى الحلوم بلحظ ربّما كان ضلّةً للحلوم

---

١ الديوان : قوم .
٢ الديوان : قسمنا العلا ما بين .
٣ ديوانه : ١٦٥ .
٤ ص : مستمد .

ما[1] يبالي من بات يلهو به إن   لم ينل ملكَ فارس والروم
قمت أسقيه من لمى ثغره العذ   بِ على صحن خدِّه المرقوم
بين ليلٍ كخضرةِ الروضِ في اللو   ن وصبحٍ كعرفه في الشميم
وكأن النجومَ في غَبَشِ الصبـ   ـح وقد لفها فرادى[2] بتوم
أعينُ العاشقين أدهشها البيْـ   ـنُ فأغضتْ بين الضنى والوجوم[3]

وله أيضاً[4] :

أما والهوى وهو إحدى المللْ   لقد مال قدُّك حتى اعتدلْ
وأشرق وجهك للعـاذلات   حتى رأت كيف يُعصَى العذل
ولم أرَ أفتـك من مقلتيه   على أن لي خبرةً بالمقـل
كحلتهما بهوًى قـاتـل   وقلت الردى حيلة في الكحل
وانّي وإن كنت ذا غفلةٍ[5]   لأعلمُ كيفَ تكونُ الحيل
ولست أسائـلُ عينيك بي   ولكن بعهد الرضى ما فعـل
وقد كنت جاريت تلك الجفون   إلى الموت بين المنى والعلـل

وقال يرثي شاباً قتل غيلة[6] :

خذا حدثاني عن فـل وفلان   لعلّي أرى باق على الحدثانِ
وعن دول حسن الديار وأهلها   فنين وصرف الدهر ليس بفان
وعن هرمي مصرَ الغداة أمُتِّعا   بشرخ شباب أم همـا هرمان
وعن نخلتيْ حلوانَ كيف تناءتـا   ولم يطويا كشحاً على شنآن

---

١ الديوان : لا .
٢ ص : فوادي .
٣ ص : والرحوم .
٤ ديوانه : ١٣٠ .
٥ الديوان : كنت داهنتني .
٦ هو ابن اليناقي ، انظر ديوانه : ٢٢٤ .

وطال ثواء[1] الفرقدين بغبطـــةٍ وما علما أن سوف يفترقان
وزايل بـــين الشعريين تصرّفٌ من الدهر لا وانٍ ولا متواني
فان تذهب الشعرى العبور لشأنها فان الغميصا في بقية شان
وجن سهيل[2] بالثريا جنونـــهُ ولكن سلاه كيف يلتقيـــان
وهيهات من جور القضاء وعدله شآمية ألوت بـــدين يمـــاني
فأزمع عنها آخر الدهر سلوةً عـــلى طمعٍ خـــلاه للدبران
وأعلن صرف الدهر لابني نويرة بيومٍ تناءٍ غـــال كلّ تدان
وكانـــا كندماني جذيمة حقبـــة منَ الدّهْرِ لو لم ينصرم لأوان
فهان دم بين الدكادك فاللوى ومـــا كان في أمثالها بمهـــان
وضاعت دموع بات يبعثها الأسى يهيِّجُهـــا قبرٌ بكلّ مكـــان
ومالَ على عبس وذبيان ميلةً فـــأودى بمجنيٍّ عليهِ وجان
فعوجـــا على جفر الهباءة فاعجبا بضيعـــةِ أعلاق هناك ثمـــان
دمـــاء جرت منها التلاعُ بمثلها ولا ذحلَ إلاّ أن جرت فرسان
وأيّام حرب لا يُنادى وليدُها أهابَ بهـــا في الحيّ يومُ رهان
فـــآب الربيع والبـــلاد تهزه ولا مثل مودٍ[3] من وراء عمان
وأنحى على ابني وائـــل فتهاصرا غصونَ الردى من كزة ولدان
تعـــاطى كليب فاستمرّ بطعنة أقامت لها الأبطال سوقَ طعان
وبات عديٌّ بالذنائب يصطلي بنـــارٍ وغيًّ ليست بذات دخان
فذلّتْ رقابٌ من رجال أعزّةٍ إليهم تنـــاهي عزُّ كلِّ زمان
وهبوا يلاقون الصوارمَ والقنـــا بكلّ جبـــينٍ واضحٍ ولسان
فـــلا خدّ إلاّ فيه حدٌّ مهنّدٍ ولا صدرَ إلاّ فيه صدرُ سنان
وصال على الجونين بالشِّعب فانثنى بأسلابِ مَطْلولٍ وربقة عان

---

١ ص : ثوى .

٢ ص : سهيلا .   ٣ ص : مرد .

وأمضى على أبنـــاء قيلةَ حكمه | على شرسٍ[1] أدلوا به وليان
ولو شاء عدوان الزمان ولو يشا | لَكانَ عذير[2] الحيِّ من عدوان
وأي قبيل لم يصدعْ جميعهــــم | ببكر من الأرزاء أو بعوان
خليليَّ أبصرت الرّدى وسمعْتهُ | فإنْ كنْتُما في مِرْيَةٍ فسلاني
ولا تعداني أن أعيشَ إلى غدٍ | لعلّ المنايا دون مــا تعداني
ونبهني ناعٍ مع الصبحِ كلّما | تشاغلتُ عنه عنّ لي وعنــاني
أُغمّض أجفاني كأنّيَ نائمٌ | وقد لجت الأحشاء في الخفقان
أبا حسنٍ أما أخوك فقـــد مضى | فوالهف نفسي ما التقى أخوان
أبا حسن إحدى يـــديك رزئتها | فهل لك بالصبر الجميـــل يدان
أبا حسنٍ ألقِ[3] السلاح فانّها | منايـا وإن قال الجهول أماني
أبا حسن هل يدفع الموت حينـــه | بأيدِ شجاعَ أو بكيدِ جبـان
توقوه شيئاً ثمّ كروا فجعجعوا[4] | بأروعِ فضفاض الرداءِ هجان
قليل حديث النّفْسِ عمّا يروعه | وإنْ لم يَزَلْ من ظنّهِ بمكان
أبيّ وان تتبع رضاه فمصحب | بعيـــد وإن تطلب جداه فداني
بنفسي وأهلي أي بدر دجنّة | لستّ خلَتْ من شهره وثمان
يقولون لا يبعـــد ولله درُّهُ | وقد حيلَ بين العير والنّزوان
ويأبون إلاّ ليتــه ولعلّــه | ومن أين للمقصوص بالطيران
ليشعركما السلوانَ أنّ محمّداً | مجاورُ حورٍ في الجنانِ حسان
وأن النّجوم الزهر في كل مطلع | يجدنَ به مثلَ الذي تجدان
سقاك كدمعي أو كجودك واكفٌ | من المزن بين السحِّ والهملان

---

١ ص : شرش .

٢ ص : عزيز .

٣ ص : القي .

٤ ص : فجمجموا .

٤١

[الشهاب العزازي]

أحمد بن عبد الملك العزازي التاجر بقيسارية جركس [١] ، الشاعر المشهور ؛ كان كيساً ظريفاً ، جيد النظم في الشعر والموشحات ، فمن شعره يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلّم :

دمي بأطلال ذات الخال مَطلولُ ... وجَيْشُ صبريَ مَهزوم ومفلولُ

ومن يلاق [٢] العيونَ الفاتكاتِ بلا ... صبر يدافع عنه فهو مخذول

لم يَدْرِ من سلبَ العشاقَ أنفسهم ... بأنّه عن دم العشّاقِ مسئول

وبي أغنّ غضيض الطرف معتدل القوام لَدْنُ مهزّ العطف مجدول

كأنّه في تَثَنّيهِ وخَطْرَتِـــهِ ... غصن من البان مطلول ومشمول

سُلافــة منه تَسْبيني وسالفـــة ... وعاسل منه يُصْبيني ومعسول

وكلّما مرضتْ أجفانُ مُقْلَتهِ ... يصحُّ إلاّ غرامي فهو منحول

يا بَرْقُ كيف الثنايا الغرُّ من إضمٍ ... يا برقُ أم كيف لي منهنّ تقبيل

ويا نسيمَ الصَّبا كررْ على أذني ... حديثهنّ فمــا التكرارُ مملول

ويا حُداة المطايا دون ذي سَلَم ... عوجوا وشرقيَّ بانات اللّوى قيلُوا

منها :

منازل لأكف الغيث توشيـــةٌ ... بها وللنّورِ توشيع وتكليـــل

---

٤١ – الزركشي : ٣٢٠ والوافي ٧ : ١٤٨ وأعيان العصر ١ : ٨٩ والدرر الكامنة ١ : ١٩١ والمنهل الصافي ١ : ٣٤٠ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢١٤ والشذرات ٦ : ٢١ .

١ الوافي : جهاركس .

٢ ص : يلاقي .

كأنّما طيبُ ريّاهـا ونفحتها　　بطيب ترب رسول الله مجبـول
أوْفى النبيّين برهانـاً ومعجزةً　　وخير من جاءه بالوحي جبريـل
لـه يـد وله بـاع يَزينهما　　في السلم طَوْلٌ وفي يوم الوغى طُول
سلّ الإلـه بـه سيفاً لملّتـه　　وذلك السيفُ حتّى الحشر مسلول
وشاد ركناً أثيلاً من نُبُوّتـه　　والكفر واهٍ وعرشُ الشرك مثلول
ويْلٌ لمن جَحَدُوا برهانَهُ وثَنى　　عنـانَ رشدهُمْ غيٌّ وتضليل
أولئك الخاسرون الخاسئون ومَنْ　　لهم من اللهِ تعذيبٌ وتنكيل
نمَتْهُ من هاشم أسْدٌ ضراغمة　　لها السيوفُ بيوتٌ والقنا غِيل
إذا تفاخر أربـاب العلى فهم الـ　　غُرُّ المغاوير والصِّيد البهاليل
لهم على العرب العرباء قـاطبةً　　بـه افتخارٌ وترجيح وتفضيل
قومٌ عمـائمهم ذلّتْ لعزّتهـا الـ　　قَعساءِ تيجان كسرى والأكاليل

وله أيضاً رحمه الله :

منذ عشقتُ الشارعيَّ الذي　　بالحسنِ يختـالُ ويغتالُ
لم يبق في ظهري ولا راحتّي　　تالله لا ماء ولا مالُ

وله أيضاً[1] :

ما عذر مثلك والركابُ تساقُ　　ألا تفيضَ بدمعك الآماقُ
فأذلْ مصونات الدموع فإنّما　　هيَ سنةٌ قد سَنّها العشّاق
ولربَّ دمعٍ خان بعد وفائـه　　مذ حان من ذاك الفريق فراق
ووراءَ ذيّاك العُذَيب مُنيزِلٌ　　لعبتْ بقلبك نحوه الأشواق
خذ أيمنَ الوادي فكم من عاشقٍ　　فتكتْ به من أهله[2] الأحداق

---

[1] هذه القطعة لم ترد في المطبوعة .
[2] الوافي : سربه .

واحفظ[1] فؤادك إن هفا برق الحمى أو هبَّ منه نسيمه الخفّاق

وقال أيضاً :

تعَشّقْتُهُ ساحر المقلتينِ كبدر يلوح وغُصن يميلُ
إذا احمرَّ من وجنتيه الأسيل واحورّ من مقلتيه الكحيلُ
فقــل للشقائقِ ماذا ترين وللنرْجس الغضّ ماذا تقولُ
وقالوا : ذبول بأعطــافه فقلت : يزين القناةَ الذبولُ
وعابوا تمرضَ أجفــانه فقلت : أصَحُّ النّسيم العليلُ

وكتب شهاب الدين العزازي إلى ناصر الدين ابن النقيب مُلغزا في شبابة وأحسن :

وما صفراء شاحبة ولكن يُزيّنها النَّضارةُ والشبابُ
مكتّبةٌ وليس لها بَنان منقبةٌ وليس لهــا نقابُ
تصيخُ لها إذا قبَّلْتَ فــاها أحــاديثاً تلذّ وتُستطابُ
ويحلو المدح والتشبيبُ فيها وما هي لا سُعاد ولا الرَّبابُ

فأجابه ناصر الدين ابن النقيب :

أتت عجمية أعربت عنها لسلمانٍ يكون لها انتسابُ
ويفهم ما تقول ولا سؤال إذا حققتَ ذاك ولا جوابُ
يكادُ لها الجمادُ يهزّ عِطفاً ويرقص في زجاجتِه الحبابُ

وقال الشهاب العزازي مُلغزا في القوس والنشّاب :

ما عجوزٌ كبيرةٌ بلغتْ عُمْـ ـراً طويلاً وتتّقيها الرجالُ
قد علا جِسمَها صفارٌ ولم تشـ ـكُ سَقاماً ولا عراها هُزال
ولها في البنين سهمٌ وقسم وبنوها كبار قَدْرٍ نِبال
وبنوها لم يُشبهوها ففي الأ مِّ اعوجاجٌ وفي البنين اعتدال

---

[1] ص : واخفض .

وقال أيضاً :

قال لي من أحبه عند لثمي وجنات تحدّث الوَرْدَ عنها
خلِّ عني أما شبعت فنادي ت رأيتَ الحياة يشبع منها ؟

ووقفت على ديوان الاعزازي ، وهو في مجلدين : شعر وموشح ، فمن موشحاته :

يا ليلة الوصل وكاس العقار دون استتار علّمتماني كيف خلع العذار

اغتنم اللذاتِ قبلَ الذهابْ
وجرَّ أذيالَ الصِّبا والشبابْ
واشرب فقد طابت كؤوس الشراب

على خدودٍ تنبت الجلّنـار ذات احمرار طرّزَها الحسن بآس العذار

الراحُ لا شك حياة النفوسْ
فحلِّ منها عاطلاتِ الكؤوسْ
واستَجلها بين الندامى عروسْ

تجلى على خُطّابها في إزار من النُّضار حَبابها قـام مقام النثار

أما ترى وجه الهنا قد بدا
وطـائر الأشجار قـد غرّدا
والروضُ قد وشّاهُ قَطْرُ النَّدى

فكمّلِ اللّهوَ بكأس تدار على افترار مباسم النُّوّار غِبَّ القَطار

اجْنِ من الوصل ثمار المنى
وواصل الكأس بما أمكنا
مع طَيِّبِ الريقة حُلْو الجنى

بمقلة أفتكَ من ذي[1] الفَقار   ذاتِ احورار   منصورة الأجفان بالانكسار

زار وقد حلّ عقودَ الجفا
وافترّ عن ثغر الرضى والوفا
فقلتُ والوقت لنا قد صفا

يا ليلةً أنْعم فيهـا وزار   شمسُ النهار   حُيِّيتِ من دون[2] الليالي القصار

وقال أيضاً :

ما سُلَّتِ الأعينِ الفواتر   من غِمْدِ أجفانها الصفاح
إلاّ أسالت دمَ المحاجر   من غير حَرْب ولا كفاح

تالله ما حرّك السّواكنْ   غير الظباء الجآذرِ
لما استجابت بكل طاعن   من القدود النّواضرِ
وفوّقت أسهمَ الكنائن   منْ كلّ جَفْنٍ وناظرِ

عُرْبٌ إذا صِحْنَ يالَ عامر   بين سرايا من الملاح
طَلَّتْ علينا من المحاجر   طلائعٌ تحملُ السلاح

أحبِبْ بما تُطْلع الجنوب   منها وما تبرز[3] الكلل
من أقمرٍ ما لها مغيب   وأغْصُنٍ زانها الميل
هيهات أن تعدل القلوب   عنها ولو جارت المقل

لمّا توشّحنَ بالغدائر   سفَرنَ عن أوجهٍ صِباح
فانهزمَ اللّيْلُ وهو عاثر   بذيله واختفى الصّباح

---

١ ص : ذو .
٢ الوافي : من بين .
٣ ص : تبدي ، وأثبت ما في الوافي .

وأهيفٍ نـــاعمِ الشّمائلْ تهزه نسمةُ الشّمـــال
فينثني كالقضيبِ مـــائل كما انثنى شاربٌ ومـــال
له عذار كالند سائـــل للهِ كم منْ دم أســـال

شُقّتْ عــلى نبته المرائر من داخل الأنفس الصحاح
تَكلُّ في وصفهِ الخواطِر وتَخرَسُ الألسُنُ الفِصاح

ظبيٌ إلى الإنسِ لا يميلُ الشمسُ والبدرُ من حُلاه
والحسنُ قالوا ولم يقولوا مَبْـــداهُ منْهُ ومنتهـــاه
وطرفـــه الناعسُ الكحيل هيهات من صنعه النجاه

أذلَّ بالسّحر كلَّ ساحِرْ فهو له خافضُ الجَنـــاح
يجولُ في باطِنِ الضّمائر كما يجولُ القَضا المُتاح

أما ترى الصبحَ قد تطلع مذْ غَمّضتْ أعين الغَسَقْ
والبدر نحو الغروب أسرع كهاربٍ نـــالهُ فَرَقْ
والبرق بين السّحابِ يلمع كصارم حين يُمتَشَقْ

وتحسب الأنجمَ الزواهر أسنةً ألْقتِ الرّمـــاح
فانهزمَ النّهرُ وهو سائر فدرَّعتْهُ يـــدُ الرّياح

وقال أيضاً :

كأس رويّـــهْ جَلا علينا النّديمُ أم سَنا مصباحْ
أم شمس حُسنِ قد توجتها النجومُ في سَما الأفراحْ

هات الكؤوسا ممزوجة بالرضاب مِنْ ثنـــايـــاكا
واخطب عروسا تروق تحت الحباب كسَجـــايـــاكا
وادعُ الجَليسا لمَجْلسٍ وشراب مثـــل ريّـــاكا

واشرب سَبيَّه بهـا النفوس تهيمُ ولهـا ترتاحْ
منْ بنت دنٍّ أليس نحن الجسوم وهي الأرواحْ

خـذها مُداما وجرَّ ذيل المجونِ أيمـا جرِّ
وافْضِض فِداما لها من الزرجونِ طيبَ النّشرِ
حيّـا النّدامى بها سقيمُ الجفونِ ناحـلُ الخصرِ

حرُّ السّجيّهْ حلوُ الدلال رخيمُ خنِثٌ مزّاح
لدنُ التّثنّي لـهُ قوامٌ قويمُ للقنـا فضّاح

مـدّ الربيعُ للوردِ أيَّ بِساطِ حفَّ بـالآس
قمْ يا خليعُ إلى الصَّبوح بشاطي نهر بـاناس
فمـا الهُجوعُ وقد دعاكَ معاطي جـذوة الكاس

في سُنْدُسيّه أجرت عليها الغيومُ مدمعـاً سحاح
من مـاء مزن وصال منها النّسيم أرَجـا نفاح

لنـا خليلُ نراه منـذ ليالي غـائب عنّا
ومـا الشّمولُ لذيذة وهْوَ سالي ألَيْسَ منّـا
قلْ يا رسول بأنّنا في ظـلال روضـة غنّا

زبـرجـديه وثمَّ شادٍ وريمُ وبقـايا راح
ويوم دَجْنٍ وقد دعاكَ النديمُ أجب يا صاح

سقيـاً للدهرِ مضى بعَلّ ونهل وبغـزلان
وطيب عمر قضى بليلة وصل ما لهـا ثاني
خلعت عذري فيها وقلت لخلي ولنـدمـاني

في البابليّـــة لا تسمعنْ من يلومُ واهجر النصاح
واشرب وغنّي يا ليلةً لو تدومُ دامَتِ الأفراح

وقال موشح ذوبيتي :

أقسمتُ عليكَ بالأسيل القاني أن تنظر في حال الكئيب العاني
أو تقصرَ عن إطالة الهجران يا مَنْ سلَبَ المنامَ من أجفاني
ما ألْيَق هذا الحسن بالإحسان

والله لقد ضاعفت عندي الكمدا مذ جزت من الهجر الطويل الأمدا
أدرك رمَقي أو هَبْ فؤادي جلَدا يا من أخذ الرُّوحَ وأبقى الجسدا
ما أصنع بعد الروح بالجُثمان ؟

بالله إذا قضيتُ وجداً وغرام فابسطْ عذري يوم عتابٍ وملام
قد كنت خلياً من عذار وقَوام لا أعطي لصبوةٍ قياداً وزمام
حتى عَلِقَتْ بي أعين الغزلان

من لي بسقيم الجفن واهي الخصر يرنو بعيون كحّلت بالسحر
كم أوضح لي عذاره من عذر ما مال به الدلالُ ميلَ السكر
إلاّ سجدَتْ معاطفُ الغزلان

في مرشفهِ مواردٌ للقُبَلِ تُحمَى بفتور لحظه والكحَلِ
كم قلت لمن كثّر فيه عذَلي ما دام سوادُ طرفهِ لم يَحُلِ
لا تطمعْ يا عذولُ في سلواني

بلىريّ محيا غُصُنيُّ القَـدّ يسبيكَ بجلنـارة في الخـدّ
ذو مبتسم عذب [وخد ورْدي] مذ عاينت العين نظام العقد
منه نَثَرَتْ قلائد العقيان

سالم لحظات طرفه الرشاق   واستكف سهاماً ما لها من واق
أو خذ لك موثقاً من الأحداق   واستخبر عن مصارع العشّاق
تنبيكَ وعَنْ مقاتل الفرسان

وقال أيضاً :

وقفت مذ سارت المحاملْ   واقتربتْ ساعةُ الفراقْ
أكفكفُ الدمعَ بالأناملْ   والدمعُ يأبى إلاّ اندفاقْ

هل للعزا بعدهم سبيلُ   أم هل لطيف الكرى مزارْ
هيهات والصبر مستحيلُ   والقلبُ لا يملكُ القرار
إن أوحشتْ منهم الطلول   فطالما آنسوا الدّيار

ساروا وقد زُمّتِ المحامل   بهم وأظعانهم تُساق
وخلّفوا أضلعاً نواحل   ترقُّ مع أدمعٍ تُراق

قف باللّوى نندب الرّبوعا   على فراق الحبايبِ
واسفح بأطلالها الدموعا   إنْ كنتَ خلّي وصاحبي
ملاعب تُنْبِتُ الوَلُوعا   سَقْياً لها من ملاعب

ما بال أقمارها أوافلْ   وقد محا نورَها المحاق
وما لباناتها ذوابل   وكنَّ مهزوزةً رشاق

بكيت من لوعتي ووجدي   حتى فني كنزُ أدمعي
وكان يوم الفراق ودّي   تبكي عيون الحيا معي
إن لم أف[1] بعدهم بعهدي   فكنتُ في الحبّ مُدّعي

---

[1] ص : ألم أفي .

فإن جفا النوم وهو واصل فكلُّ شملٍ له افتراق
أو غاضَ دمعي وكان سائل فالنيل يعتـاده احتراق

مَنْ لفتًى ساهر المـآقي قد ذلّ في طاعةِ الهَوى
يشكو إلى الله مـا يلاقي من التبـاريحِ والجَوى
قد بلغت روحُهُ التراقي مذ بعُدَتْ شُقَّة النوى

صَبٌّ لثقلِ الغرامِ حامل وحمل ذَيّاكَ لا يطـاق
راح لكأس الفراق ناهل وكاسُهُ مرّة المَـذاق

وقال أيضاً :

زمانَ شبابي كنتَ خير زمان فلا زلتْ مشكوراً بكلِّ لسانِ
فلله كمْ جرَّرْتُ ذيلَ بطالتي وأطلقت للّذّات فيك عِناني
وقد كنتُ سباقاً إلى غاية الصِّبا مجيباً إذا داعي المجونِ دعاني
أقبلُ ثغرَ الكأسِ أبيضَ واضحاً وألثِمُ خدَّ الراح أحمر قاني
ألا خلياني والتصابي فإنني أرى في التّصابي غير ما تريان
سأملأُ من طيبِ العِذارِ مَفارقي وأخضِب من صرف الكؤوس بناني

وقال أيضاً :

أرامة للآرامِ كنت مراتعـا فمالك للعشاق صرتِ مصارعا
فأين غصونٌ كنّ فيك موائساً وأين بدور كنّ فيك طوالعا
وقفنـا لتوديع الحمول عشيةً نبث صباباتٍ ونذري مدامعا
وعُدْنا وما بلّ الوداعُ غليلنا ولا بردَتْ منّا الدموعُ الأضالعا
سألتكما ما ضرَّ حادي ركابهم لو احتبس الأظعان أو كَرَّ راجعا
وماذا على المستودعين قلوبَنا بجبلي زَرُود لو رددن الودائعا
تعرضنَ لي يوم الكثيب كأنما تعرض لي سربٌ من الرمل راتعا

وما كنت أدري أن بين ستورهم شموس الضحى حتى رفعن البراقعا

وقال أيضاً :

أدركْ بقيةَ نفسٍ فات أكثرها أصبحتَ بالهجر تطويها وتنشرها
يا من إذا نظرت عيني محاسنَهُ ألومها في هواه ثمَّ أعذرها
حسبي علاقة حب قد برَت جسدي حتّامَ أكتمها والدمعُ يظهرها
ومهجة يتحاماها تجلّدها إذا هجرتَ ويغشاها تذكرها
يا للرجال أما في الحبِّ من حكمٍ ينهى العيون إذا جارت ويزجرها
ويا وُلاة الهوى قوموا بنصرِ فتًى حقوقه بيِّناتٌ وهي تنكرها
لا تطلبنَّ من الأعطاف عاطفة فإن أعدلها في الحبِّ أجوَرُها

وقال أيضاً :

يا راشقَ القلبِ منّي أصبت فاكفف سهامكْ
ويا كثير التجنّي منعت عنّي سلامك
وخنتَ ذمّةَ صبٍّ ما خان قط ذمامك
فارددْ عليَّ منامي فلا عدمتَ منامك
فمن رأى سوءَ حالي بكى عليَّ ولامك
فلو أردتَ حياتي لما هززتَ قوامَك
بمَنْ أحلَّكَ قلْبي ارفَعْ قليلاً لثامَك
وابسمْ لعلّيَ أحيا إذا رأيتُ ابتسامك
يا خدَّه ما أحيْلى للعاشقين التشامك
بكيتُ دالاً وميماً لمّا تأمّلت لامك

٤٢
علاء الدين ابن بنت الأعز

أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن عبد المحمود[1] بن بدر ، علاء الدين المعروف بابن بنت الأعز .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : درس المذكور [بالكُهارية] والقطبية وتولى الحسبة ، وكان له معرفة بالأدب ، وكان فصيح العبارة ، جميل الصورة ، فيه إحسان ومروة ، لطيف المزاج كثير التبسم ، حج ودخل اليمن ؛ ترددت إليه مراراً بالقاهرة ، دعاني يوماً لمأدبة صنعها بالروضة ، وحضر معنا القاضي صدر الدين ابن فخر الدين الماراني[2] ، فرأينا شاباً حسناً يسبح وقد تلطّخ بالتّراب ، فقال لنا القاضي علاء الدين : لينظم كلٌّ منا في هذا الشاب ، فقام كلٌّ منا إلى ناحية وانفرد ، فنظمنا نظماً قريب الاتفاق ، ولم يطلع أحد منا على ما نظمه صاحبه إلى أن أكمل كل منا ما نظمه ، وكان الذي نظمه القاضي علاء الدين :

ومترّبٍ لولا التّرابُ بجسمه ... لم تبصرِ الأبصارُ منه منظرا
وكأنه بدرٌ عليه سحابةٌ ... والتّرب ليلٌ من سناه مقمرا

وكان الذي نظمه أبو حيان :

ومترّبٍ قد ظنّ أن جماله ... سيصونه منا بتربٍ أعفرِ

---

٤٢ – الزركشي : ٣٤ والوافي ٧ : ١٦٣ وأعيان العصر ١ : ٩٣ وطبقات السبكي ٥ : ١٠ والدرر الكامنة ١ : ١٩٦ والمنهل الصافي ١ : ٣٥٨ والشذرات ٥ : ٤٤٤ ؛ ولم يرد من هذه الترجمة في المطبوعة إلا أربعة أبيات .

١ الوافي : بن محمود .

٢ الوافي : فخر الدين ابن صدر الدين المارداني .

فغدا يضمّخه فزاد ملاحةً إذ قد حوى ليلاً بصبح أنور [1]
وكأنما الجسم الصقيل وتربه كافورةٌ لطخت بمسكٍ أذفر

ومن شعر علاء الدين ابن بنت الأعز :

تعطّلتُ فابيضت دواتي لحزنها ومذ قلّ مالي قلّ منها مدادها
وللناس مُسْوَدٌّ اللباس حِدادهم ولكنّ مبيضّ الدواة حدادها

ومن شعره :

وقالوا بالعذار تَسَلَّ عنه وما أنا عن غزال الحسن سالي
وإن أبدتْ لنا خَدّاه مسكاً « فإنّ المسك بعض دم الغزال » [2]

قال الشيخ شمس الدين : قدم دمشق وتولى تدريس الظاهرية والقيمرية ، وكان مليح الشكل لطيف الشمايل ، يركب البغلة ، ثم عاد إلى مصر وأقام بها مديدة ، وتوفي سنة تسع وتسعين وستمائة ، رحمه الله ، وهو أخو الأخوين : قاضي القضاة صدر الدين وقاضي القضاة تقي الدين . رحمهما الله تعالى .

٤٣
الماهر الحلبي

أحمد بن عبيد الله بن فضال ، أبو الفتح الموازيني الحلبي الشاعر المعروف بالماهر ، روى عنه من شعره أبو عبد الله الصوري وأبو القاسم النسيب ، وتوفي

١ ص : ليل وصبح أنور ، والتصويب عن الوافي .
٢ مضمن من شعر المتنبي ، وصدره « فإن تفق الأنام وأنت منهم » .
٤٣ – الزركشي : ٣٥ والوافي ٧ : ١٧٣ ودمية القصر ١ : ١٥٨ وعبر الذهبي ٣ : ٢٢٧ والشذرات ٣ : ٢٨٩ والنجوم الزاهرة ٥ : ٦٧ ؛ وقد ورد الشعر فقط في المطبوعة .

بحلب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، رحمه الله تعالى. ومن شعره:

برغمي أن أعنِّف فيك[1] دهرا قَليـــلا فكره بمعنِّفيه
وأن أرعى النّجوم ولستَ فيها وأن أطأ التّرابَ وأنت فيـــه

ومنه أيضاً:

أرى نفسي تحدّثها[2] الظنون بأن البينَ بعدَ غَدٍ يكونُ
وما تركَ الفراقُ عليَّ دمعاً يسحّ ولا تشحّ به الجفون
وجيشُ الصبرِ منهزمٌ فقلْ لي عليكَ بأيِّ دمعٍ أستعين
كأني من حديثِ النفس عندي جهينةُ عندها الخبر اليقين

ومنه أيضاً:

من صحَّ قبلك في الورى[3] ميثاقُهُ حتّى تصحَّ، ومَن وفى حتّى تفي؟
عَرِف الهوى في الخَلْق مذ عرف الهوى بمذلّةِ الأقوى وعِزِّ الأضعف
يا مَنْ تَوَقّد في الحشا بصدوده نارٌ بغيرِ وصالــه لا تنطفي

وقال:

أموجبة الدعوى عليها ولا تفي وسامعةَ الشكوى إليها ولا تُشْكي
أظنُّ الأسى والدمعَ لا يبقيـان لي فؤاداً به أهوى وعيناً بهـــا أبكي

---

[1] الوافي: ألوم عليك.
[2] الوافي: تحدّ بها.
[3] الوافي: الهوى.

٤٤

ابن الخل

أحمد بن المبارك بن أحمد بن عبد الله بن الخلّ ؛ ولد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله ؛ كان فاضلا أديباً شاعراً ، وهو أخو الفقيه ابن الخل شارح « التنبيه » ؛ من شعره دوبيت :

ساروا وأقام في فؤادي الكمدُ ... لم يلقَ كما لقيتُ منهم أحدُ
شوقٌ وجوى ونارُ وجدٍ تتقِد ... مالي جلدٌ، ضعفت، مالي جلد

وله أيضاً :

هذا ولهي وقد كتمتُ الولها ... صوناً لحديثِ مَنْ هوى النفس لها
يا آخرَ محنتي ويا أوَّلها ... آياتُ غرامي فيك مَن أوّلها[1]

وله في بعض الوعاظ :

ومن الشقاوة أنهم ركنوا إلى ... نَزَغاتِ ذاك الأحمقِ النمّامِ[2]
شيخٌ يبهرجُ دينَهُ بنفاقه ... ونفاقُهُ منهم على أقوامِ
وإذا رأى الكرسيَّ تاه بأنفه ... أيْ أنّ هذا موطني[3] ومقامي
ويدقُّ صدراً ما انطوى إلاّ على ... غلٍّ يواريه بكفّ عظام
ويقول أيشِ أقول، من حصرٍ به ... لا لازدحامِ عبارةٍ وكلام

---

٤٤ – الزركشي : ٣٥ والوافي ٧ : ٣٠٣ والشذرات ٤ : ١٦٥ والاسنوي ١ : ٤٨٨ وابن خلكان ٤ : ٢٢٧ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ الوافي : أيام عنائي فيك ما أطولها .

٢ ابن خلكان : التمتام .

٣ الوافي : موضعي .

٤٥

ابن خلكان

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين الإربلي الشافعي ؛ ولد باربل سنة ثمان وستمائة ، وسمع بها صحيح البخاري من ابن مكرم الصوفي ، وأجاز له المؤيد الطوسي ، وروى عنه البرزالي والمزي. وكان فاضلاً بارعاً متقناً عارفاً بالمذهب ، حسن الفتاوي ، بصيراً [١] بالعربية ، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس ، كثير الاطلاع حلو المذاكرة ، وافر الحرمة . وصنف كتاب « وفيات الأعيان » وقد اشتهر كثيراً . وله مجاميع أدبية .

قدم الشام في شبيبته ، وتفقه بالموصل على كمال الدين ابن يونس ، وبحلب على بهاء الدين ابن شداد وغيرهما ، ودخل مصر وسكنها وتأهل بها ، وناب بها في القضاء عن بدر الدين السنجاري ، ثم قدم الشام على القضاء في ذي الحجة سنة تسع وخمسين منفرداً بالأمر ، ثم أقيم معه في القضاء سنة أربع وستين شمس الدين ابن عطا الحنفي وزين الدين عبد السلام الزواوي المالكي وشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي ، وكان الحنفي قبل ذلك نائباً للشافعي [٢] . ثم عزل عن القضاء سنة تسع وستين بالقاضي عز الدين ابن الصايغ ، ثم عزل ابن

٤٥ – قد قمت بدراسته في مقدمة الجزء السابع من وفيات الأعيان (ط . بيروت ١٩٦٨ – ١٩٧٢) وذكرت هنالك مصادر دراسته ومنها عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٥٤ ؛ وذيل الروضتين وذيل مرآة الزمان والوافي ٧ : ٣٠٨ وعيون التواريخ لابن شاكر ومرآة الجنان ٤ : ١٩٣ وطبقات الشافعية ٥ : ١٤ وطبقات الاسنوي ١ : ٤٩٦ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٠١ والزركشي : ٥٢ وفي كتابه معلومات كثيرة عنه ، وكذلك ما قيده ابنه في « المختار من وفيات الأعيان » .

١ ص : بصير .

٢ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

الصايغ بعد سبع سنين به ، وقدم من مصر ، فدخل دخولاً لم يدخله غيره مثله من الحكام ، وكان يوماً مشهوداً ، وجلس في منصب حكمه ، وتكلم الشعراء ، فقال الشيخ رشيد الدين الفارقي :

أنت في الشام مثل يوسف في مصـ ـرَ وعندي أن الكرامَ جِناسُ
ولكلٍّ سَبْعٌ شداد وبعد السـ ـبع عام فيـه يغاث الناس

وقال سعد الدين الفارقي :

أذقتَ الشامَ سبعَ سنين جدباً غداةَ هجرتــهُ هجراً جميلا
فلمّا زرتــه من أرضِ مصرٍ مددتَ عليهِ من كفيكَ نيــلا

وقال نور الدين ابن مصعب :

رأيتُ أهلَ الشآم طــرّاً ما فيهمُ قطُّ غيرُ راضِ
نالهم الخيرُ بعــد شرٍّ فالوقت بسطٌ بلا انقباض
وعُوِّضوا فرحةً بحزن مذ أنصف الدهر في التقاضي
وسرهم بعــد طول غم قدومُ قاض وعزل قاضي
فكلهم شاكرٌ وشــاكٍ بحالِ مُستقبلٍ وماض

وكان كريماً ممدحاً فيه ستر وعفو وحلم ، وحكاياته في ذلك مشهورة ؛ ثم عزل بابن الصايغ ، وبقي في يده الأمينية والنجيبية إلى أن مات رحمه الله ، سادس رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة بالنجيبية جوار النورية ، وشيعه الخلايق ، ودفن بسفح قاسيون .

وكان وجيه الدين ابن سويد صاحبه وكان يسومه قضاء أشغال كثيرة ، ويقضيها فحضر في بعض الأيام ورام منه أمراً متعذراً فاعتذر ، فقال وجيه الدين : ما يكون الصاحب صاحباً حتى يعرق جبينه مع صاحبه في جهنم ، فقال له ابن خلكان : يا وجيه الدين ، صرنا معك قشل مشل [1] وما ترضى .

---

[1] الوافي : قشلمشا .

ويقال إنه عمل سيرة[1] للملك الظاهر . وأوصل نسبه بجنكزخان . فلما وقف عليه قال : هذا يصلح أن يكون وزيراً . اطلبوه . فطلبوه فبلغ الخبر الصاحب بهاء الدين ابن حنا ، فسعى في القضية إلى أن أبطل ذلك ، وناسى السلطان عليه ، فبقي في القاهرة يركب كلّ يوم ، ويقف في باب القرافة ، ويمشي قدام الصاحب إلى أن يوصله إلى بيته . وافتقر حتى لم يبق له غير البغلة لركوبه . وكان له عبد يعمل بابا[2] ويطعمه . وكان الشيخ بهاء الدين ابن النحاس يؤثره . والصاحب بهاء الدين لا يحنو عليه ، حتى فاوضه الدوادار وقال له : إلى متى يبقى هذا على هذه الحالة ؟ فجهز إلى دمشق على القضاء .

ولما كان بطالاً أمر له بدر الدين الخازن دار بألفي درهم ومائة إردب قمح فأبى من قبولها وقال : تجوع الحرة ولا تأكل بثديها . ولم يقبل وأصرّ على الامتناع مع الفاقة الشديدة[3] .

وكان له ميل إلى بعض أولاد الملوك ، وله فيه أشعار رائقة ، يقال : إنه أول يوم زاره بسَط له الطَّرحة ، وقال له : ما عندي أعز من هذه ، طأْ عليها . ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه الركوب ، فقال ابن خلكان :

يا سادتي إني قنعتُ وحقكم	في حبّكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً	ورأيتمُ هجري وفرط تجنّبي
لا تمنعوا عيني القريحةَ أن ترى	يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنتَ تعلم يا حبيبي ما الذي	ألقاه من كمدٍ إذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة	لولاك لم يكُ حملها من مذهبي
[ومنَ البليّةِ والرزيّةِ أنني	أقضي وما تدري الذي قد حل بي]
قسماً بوجهك وهو بدرٌ طالعٌ	وبليل طرتك التي كالغيهب

١ الوافي : تاريخاً .

٢ كذلك هو في الوافي .

٣ وكان كريماً . . . الشديدة : لم يرد في المطبوعة .

وبقامة لك كالقضيب ركبتُ من	أخطارها في الحب أعظمَ مركب
وبطيب مبسملك الشهيّ البارد الـ	عذب النميرِ اللؤلؤيّ الأشنب
لو لم أكنْ في رتبة أرعى لها الـ	عهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذّ لي	خلعُ العذارِ ولجَّ فيك مؤنبي
لكن خشيتُ بأن تقول عواذلي	قد جُنّ هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقةً قد قاربت	كَشْفَ القِناعِ بحق ذيّاك النبي
لا تفضحَنّ بحبّكَ الصبّ الذي	جرعته في الحبِّ أكدر مشرب

قال القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي وسيأتي ذكره إن شاء الله : كن الذي يهواه القاضي شمس الدين ابن خلكان الملك المسعود ابن الزاهر صاحب حماة ، وكان قد تيمه حبه ، وكنت أنا عنده في العادلية ، فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن راح الناس من عنده ، فقال : نَمْ أنت هاهنا ، وألقى عليَّ فروة قرض[1] وقام يدور حول البركة في بيت العادلية ، ويكرر هذين البيتين ، إلى أن أصبح ، وتوضينا وصلينا ، والبيتان المذكوران :

أنا والله هالكٌ	آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي	قد أقامت قيامتي

ويقال : إنه سأل بعض أصحابه عمّا يقولوه[2] أهل دمشق فيه فاستعفاه ، فألح عليه فقال : يقولون : إنك تكذب في نسبك ، وتأكل الحشيشة ، وتحب الصبيان ، فقال : أما النسب والكذب فيه فإذا كان لا بدّ منه كنت أنتسب إلى العباس ، أو إلى عليّ بن أبي طالب ، أو إلى أحد الصحابة ، وأما النسب إلى قوم لم يبقَ لهم بقية ، وأصلهم قوم مجوس ، فما فيه فايدة ، وأما الحشيشة فالكلُّ ارتكاب محرم ، وإذا كان ولا بدّ فكنت أشرب الخمر لأنه ألذ ، وأما محبة

---

[1] يريد « فروة قرظ » .

[2] كذا في ص .

الغلمان فإلى غدٍ أجيبك عن هذه المسألة .

وذكره الصاحب كمال الدين ابن العديم ، ونسبه إلى البرامكة . ومن شعره أيضاً :

وسرْبِ ظباء في غدير تخالهم	بدوراً بأفقِ الماء تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي	أما لك عن هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى	فقلت له : دعهم يخوضوا ويلعبوا

وقال أيضاً :

كم قلت لما أطلعت وجناتـه	حول الشقيق الغَض ٍّ روضة آس
أعذارهُ الساري العجول بخدِّه	« ما في وقوفك ساعة من باس »[1]

وقال أيضاً :

لمّـــا بدا العارضُ في خَدِّه	بشَّرتُ قلبي بالسلو المقيم
وقلت : هذا عارضٌ ممطر	فجاءني فيه العذاب الأليم

وقال أيضاً :

وما سَرَّ قلبي منذ شَطَّتْ بك النوى	نعيمٌ ولا لهوٌ ولا متصرّفُ
ولا ذُقْتُ طعمَ الماء إلاّ وجدتـه	سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذّات إلاّ تكلفا	وأيُّ سرور يقتضيه التكلّف

وقال :

أحبابنا لو لقيتم في إقامتكمْ	من الصبابة ما لاقيت في ظعنّي
لأصبح البحرُ من أنفاسكم يَبَساً	والبر من أدمعي ينشق بالسفن

وقال :

---

[1] مضمن من شعر أبي تمام ، وعجز البيت : نقضي ذمام الأربع الأدراس .

تمثّلتمُ لي والديارُ بعيـــدةٌ فخيل لي أن الفؤاد لكم مغنى
وناجاكمُ قلبي على البعد والنوى فأوحشتم لفظـــا وآنستم معنى

وقال أيضاً :

انظر إلى عـــارضه فوقه لحاظُهُ يرسلُ منها الحُتوفْ
تعاين الجنّـــة في خدّه لكنها تحت ظلال السيوف

وقال في مِلاحٍ أربعة يلقب أحدهم بالسيف :

مُلاّك بلدتنـــا بالحسن أربعة بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا
تملكوا مهجَ العُشّاقِ وافتتَحوا بالسيف قلبي ولولا السيفُ ما ملكوا

وقال :

ألا يا سائراً في قفر عُـمْرٍ يقاسي في السُّرى حَزْناً وسهلا
قطعت نقا المشيب وجزت عنه وما بعد النّقا إلاّ المصلى

وقال :

أيّ ليلٍ على المحبّ أطاله سائقُ الظّعنِ يوم زَمّ جماله
يزجر العيس طاوياً يقطع المهـ ـمه عسفاً سهولَهُ ورمـــاله
أيهـــا السّائق المجِدُّ ترفّقْ بالمطايا فقـــد سئمن الرحاله
وأنخهـــا هنيهَةً وأرحْهـــا قد برّاها فرط السرى والكلاله
لا تطلْ سيرها العنيف فقد برّ ح بالصّبّ في سراها الإطاله
قد تركتم وراءكم حِلفَ وجدٍ باديـــا في محلّكم إطلاله
يسأل الربعَ عن ظباء المصلّى ما على الربْع لو أجاب سؤاله
ومحالٌ من المحيل جوابٌ غيرَ أن الوقوف فيها عُلالَه
هذه سنة المحبّين يبكـــو نَ على كلّ منزل لا مَحاله
يا ديارَ الأحْبابِ لا زالتِ الأد مُعُ في ترب ساحتيك مُذاله

وتمشى النّسيمُ وهو عليلٌ في مغانيك ساحباً أذيــاله
أينَ عيش مضى لنا فيك ما أسـ ـرع عنّــا ذهابه وزواله
حيث وجهُ الشبابِ طَلْقٌ نضيرٌ والتصابي غصونُــهُ ميّاله
ولنا فيك طِيبُ أوقات أنس ليتنا في المنام نلقى مثــاله
وبأرجاء جوّك الرحب سربٌ كلُّ عينٍ تراهُ تهوى جماله
من فتاةٍ بديعةِ الحسنِ ترنو من جفونِ لحاظهــا مغتاله
ورخيمِ الدّلالِ حُلوِ المعــاني تَتَثَنّى أعطــافه مختــاله
ذو قوام تودّ كلُّ غصون البـ ـانِ لو أنها تحاكي اعتدالــه
وجهــهُ في الظلامِ بدرُ تمامٍ وعذاراه[1] حولَــه كالهــاله
ظبية تبهر العيون جمــالاً وغزال تَغــار منه الغزاله
يا خليلي إذا أتيتَ رُبى الجز عِ وعاينتَ روضه وظلاله
قف به ناشداً فؤادي فلي ثمَّ فؤادٌ أخْشى عليهِ ضَلالَه
وبـــأعلى الكثيب بيت أغُضُ الطّرفَ عنه مهابةً وجلاله
كلّ من جئته لأسأل عنــه أظهر العيّ غَيْرَةً وتَبالَه
أنا أدري به ولكنَّ صَوْناً أتعامى عنــه وأبدي جهــاله
منزلٌ حبّه عليَّ قــديمٌ في زمانِ الصّبا وعَصْر البطاله
يا عُريبَ الحمى اعذروني فإني ما تجنبت أرضكم عن ملاله
حاشَ لله غير أنّيَ أخشى من عدوّ يسيءُ فينـا المقاله
فتأخرتُ عنكمُ قانعاً مــن طيفكم في المنام يهدي خياله
أتمنّى في النّومِ زورَ خيــالٍ والأماني أطماعُهــا قتّاله
يا أهيل النّقا وحق ليالي الوصـ ـل مــا صبوتي عليكم ضلاله
ليَ مُذْ غبتُمُ عن العيَنِ نارٌ ليسَ تخبو وأدمعٌ هطّــاله

---

[1] ص : وعذاريه .

فصلونا إن شئتُمُ أو فَصُدّوا لا عـدمناكمُ على كل حاله

وقال :

يا ربِّ إن العبدَ يخفي عيبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبهِ
ولقد أتاك وما لهُ من شافعٍ لذنوبه فاقبلْ شفاعةَ شيبهِ

وقال :

أعديتني بالجوى يا فاترَ المقلِ فصحَّ وجدي على ما بي من العللِ
ومِلتَ عني إلى الواشي فلا عجبٌ والغصنُ ما زال مطبوعاً على الميَل
يا واحدَ الحسن عدني زورةً حلماً وها يدي إن نومي قد جفا مقلي
يا جيرةً بأعالي الخيفِ من إضَمٍ خيَّبْتُمُ بجفاكم في الهوى أملي
وملتمُ بجميلِ الصبر عن دنفٍ أجلُ ما يتمنى سرعة الأجل
تجري على [الخد][1] مذ غبتم مدامعه وما عسى ينفع الباكي على طلل

وقال أيضاً رحمه الله :

أيـــا غادراً خانتْ مواثيقُ عهده لقد جُرْتَ في حكمِ الغرامِ على الصبِّ
وأقصيته من بعـد أنسٍ وصحبةٍ وما هكذا فعل الأحبّةِ والصحب
فللهِ أيّـــامٌ تقَضَّتْ حَميـدَةً بقربك واللّذاتُ في المَنزلِ الرحب
وإذ أنت في عَيني ألذّ مِنَ الكَرى وأشهى إلى قلبي من البارد العذب
فلهفي على ذاكَ الزمانِ الذي غَدَتْ عليهِ دموعُ العَينِ دائمةَ السَّكْب
ومُذْ صرتَ ترضيني بقولِ مُنَمَّقٍ وتُظْهِرُ لي سِلماً أشَدَّ من الحرب
ثنيتُ عناني عن هواكَ زهـادةً وإن كنتَ في أعلى المراتب من قلبي
لأني رأيتُ القَلْبَ عندك ضائعـاً تعذبـــه كيف اشتهيتَ بلا ذنب
ولم تحفظ الودَّ الذي هو بيَنـــنا ولم ترْعَ أسباب المودّةِ والحب

---

[1] زيادة تقديرية .

ولا أنت في قيدِ المحبّ إذا غـــدا تقلبه الأشْواقُ جنباً إلى جَنْب
ولا أنتَ ممّن يرعوي لمقـــالتي فأشفيَ قلبي بالشّكيّةِ والعَتْب
ولا رمتُ منكَ القربَ إلاّ جفوتني وأبعدتني حتى يئستُ مِنَ القرب
وأصغيتَ للواشي وصدقت قولـــه وضيّعْتَ ما بيني وبينكَ بالكذب
فلم يبقَ لي والله فيـــكَ إرادةٌ كفاني الذي قاسيتهُ فيك من عجب
ولا ليَ في حبيك ما عشتُ رغبــةٌ أبى الله أن تسبي فؤادي أو تصبي
ومن ذا الذي يقوى على حمل بعض ما تجرعتـــه بالذلِّ من خلقك الصعب
فلا تَرجُ منّي بعد ذا حسنَ صحبة فحسبي سُلُواً بعضُ ما قلته حسبي
فلا تعتبنّي قـــد قطعتُ مطـــامعي وخففت حتى في الرسائل والكتب

وقال في المعنى :

أيا معرضـــاً عنّي بغير جنايةٍ أما تستحي من فرط تيهك والعجبِ
سلوتكَ فاصنع مـــا تشاء فإنّه محا كثرةُ التقبيح حبك من قلبي

وقال أيضاً ذوبيت :

هذا الصلفُ الزائدُ في معناه قد حيرني فلست أدري ما هو
كم يحملُ قلبي من تجنيك ولا يـــدري أحدٌ بذاك إلاّ الله

وقال أيضاً :

في هامش خدك البديع القاني تصحيحُ غرام كلّ صبٍّ عاني
قد خرجها الباري فمـــا ألطفها من حاشيةٍ بالقلم الريحاني

وقال أيضاً :

يا سعدُ عساك تطرق الحي عساك قصداً فإذا رأيت مَن حلّ هناك
قل صبك ما زال به الوجدُ إلى أن مات غراماً أحسن الله عزاك

٤٦

الزين كتاكت

أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو العباس الأندلسي الإشبيلي المعروف بزين الدين كتاكت المصري الواعظ ؛ مولده سنة خمس وستمائة ، وتوفي بالقاهرة سنة أربع وثمانين وستمائة ، وكان له معرفة بالأدب رحمه الله[1] ، فمن شعره :

حضروا فمن نَظَرَوا جمالك غابوا   والكُلُّ مذ سمعوا خطابكَ طابوا
فكأنّهُمْ في جنّةٍ وعليهِمُ   من خمر حبك طافتِ الأكواب
يا سالبَ الألباب يا من حسنُهُ   لقلوبنا الوهّابُ والنهاب
القربُ منك لمن يحبك جنّة   قد زُخْرِفَتْ والبعد منك عذاب
يا عامراً منّي الفؤاد بحبّهِ   بيتُ العذولِ على هواك خراب
أنت الذي ناولتَني كأسَ الهوى   فإذا سكرتُ فما عليَّ عتاب
وعلى النّقا حَرَمٌ لعلوة آمنٌ   من حوله تُتَخَطَّفُ الألباب
لفريقها كيف الوصول ودونه   نار لها بحشاشتي إلهاب

وقال أيضاً :

يا بارقَ الحيِّ كرّر في حديثكَ لي   تذكارهم وأعِدْ روحي إلى بدني
وأنت يا دمعُ ما هذا الوقوفُ وقد   جرى حديث الحمى النجديِّ في أذني

وقال :

---

٤٦ – الوافي ٧ : ٣٣٣ والنفح ٢ : ٥١٦ وعده من المهاجرين من الأندلس وهو خطأ فقد ولد بتنيس ؛ وانظر النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٤ .

١ هذه المقدمة لم ترد في المطبوعة .

أحن ولكن نحو ضمٍّ قوامه — وأصبو ولكن نحو لثم لثامه
وأعشقُ ما لي نَغْمة[1] من حديثه — تفرّج إلاّ من هموم غرامه

وقال :

حلوتم أهلَ نعمان بقلبي — فكلُّ عذاب حبكمُ نعيمُ
وقد أصبحتمُ كنزَ الأماني — فواجدُ غيركم عندي عديم

وقال :

جواز الصبر[2] في أذني محال — وما للصبر في قلبي مجـــالُ
شغلتم كلَّ جارحةٍ بحسن — فليسَ لها بغيركم اشتغال
سقى الهَضَبات من نجدٍ سحابٌ — مُلِثٌّ الغيث تحدوه الشمال
ولا برحت أثيلاتِ المصلى — تَرِف[3] على منابتهـــا الظلال
منازل جيرة ما كان أهنـــا — بهم لي العيشَ لو دامَ الوصال
يهبُّ نسيمها فأميل سكراً — فهل هبّت شمول أم شمال

٤٧

ابن الشريشي

أحمد بن محمد بن أحمد البكري المعروف بابن الشريشي ، الشيخ كمال الدين

---

١ ص : نعمة .
٢ الوافي : العذل ؛ وهو أصوب .
٣ ص : ترق .
٤٧ – الزركشي ١ : ٤٩ والوافي ٧ : ٣٣٧ وأعيان العصر ١ : ١٠٨ والدرر الكامنة ١ : ٢٥٢ وبغية الوعاة : ١٥٥ ، ولم يرد من هذه الترجمة في المطبوعة إلا بيتا ابن الشريشي إلى ابن الوكيل ورد ابن الوكيل عليهما ، وقد أفرد لابن الوكيل ترجمة تحمل رقم ٤٨ في المطبوعة ، وذلك خطأ .

أبو العباس الشافعي وكيل بيت المال بدمشق ، وشيخ دار الحديث الأشرفية ، ومدرس الناصرية . ترشح لقضاء القضاة بالشام ، وكان ذا هيبة[1] وشكل ، مولده بسنجار سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وتوفي بدرب الحجاز بالكرك[2] سنة ثمان عشرة وسبعمائة رحمه الله .

اشتهر عنه أنه كتب إلى بدر الدين ابن الدقاق ناظر أوقاف حلب :

مولايَ بدرَ الدين صِلْ مُدنفا صيره حبّكَ مثل الخلال
لا تخش من عارٍ إذا زرتني فما يعاب البدر عند الكمال

فلما بلغا صدر الدين ابن وكيل بيت المال قال :

يا بدر لا تسمع قولَ الكمالْ فكلّ ما نمّقَ زورٌ محالْ
فالنقصُ يعرو البدرَ في تمه وربما يخسف عند الكمال

[فزار البدر المذكور ابن الشريشي ، فلم يحفل به ، فكتب :

إنّ كمال الدينِ إذ زرتُهُ أصلحَهُ الله على كلِّ حالْ
وجَدْتُ حَظّي عنده ناقصاً فصح أنّ النقص عند الكمال][3]

وكتب إلى ابن الرقاقي[4] يستعفيه من وكالة بيت المال ، وقد بلغه أنه سعى له فيها :

إلى بابلك الميمون وجّهتُ آمالي وفي فضلك المعهود قصدي وإقبالي
وأنت الذي في الشام ما زال محسناً إليّ ، وفي مصرٍ على كلِّ أحوالي
أتتني أيادٍ منْكَ في طيّ بعضها تمَلّكُ رقَّ الحر بالثمنِ الغالي
وقُمتَ بحقِّ المكرماتِ وإنما هو الرزق لا يأتي بحيلة محتال

---

١ الوافي : هيئة . ٢ ص : بالحسا ؛ والتصويب عن الوافي .
٣ ما بين معقفين لم يرد في ص ؛ وهو في الوافي .
٤ كان ناظر النظار بدمشق (أعيان العصر ١ : ١٠٩) .

عليّ لكم أن أعمرَ العمرَ بالثنا وبالمدح مهما عشتُ من غير إخلال
وقد بقيتْ لي بعد ذلك حاجـةٌ لها أنت مسئولٌ فلا تلغِ تسآلي
أرحنيَ من واو الوكالةِ عاطفـاً عليّ بإحسانٍ بـدأت وإفضال
وصنْ ماءَ وجهي عن مشاقة الورى فهذا على أرضٍ وهذا على مال
ولا تتأولْ في سؤاليَ تركهـا فوالله مالي نحوها وجه إقبال
ورزقيَ يأتيني وإنّي لقـانع لراحةِ قلبي من زماني بإقلال
وحاليَ حالٍ بافتقارٍ يصونُني ولبسيَ أسمالي مع العز أسمى لي
وتجبر وقتي كسرةُ الخبز وحدها وأرضى ببالي الثوب معْ راحة البال
فهذي إليكم قصتي قد رفعتها لتغتنموا أجري ، ورأيكم العالي

فقطع ابن الرقاقي الأبيات كلها من الورقة ، وأبقى البيت الأخير ، وكتب تحتها :

[رأينا] [1] العالي أن تعود إلى شغلك وعملك .

٤٨
الصنوبري الشاعر

أحمد بن محمد بن الحسن ابن مرار الضبي الحلبي المعروف بالصنوبري الشاعر ؛ كان جده الحسن صاحب بيت الحكمة للمأمون ، فتكلم بين يديه فأعجبه

---

١ زيادة من الوافي .

٤٨ – الوافي ٧ : ٣٧٩ وتهذيب ابن عساكر ١ : ٤٥٦ وعبر الذهبي ٢ : ٢٣٧ والشذرات ٢ : ٣٣٥ وقد نشرت ما تبقى من ديوانه (دار الثقافة ١٩٧٠) واستخرجت ما تناثر من شعره في المصادر ، ثم استدرك ما فاتني الأستاذ لطفي الصقال والسيدة درية الخطيب في مجموعة باسم « تتمة ديوان الصنوبري » (حلب : ١٩٧١) .

كلامه وشكله فقال : إنك لصنوبري الشكل ، فلزمه هذا اللقب . وتوفي الصنوبري الشاعر صاحب هذه الترجمة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . ومن شعره في الورد[1] :

زعم الورد أنه [هُوَ] أبْهى ... من جميع الأنوار والريحانِ
فأجابته أعينُ النرجس الغض ... بِذُلٍّ من فوقها وهَوانِ
أيما أحسن التورّدُ أم مق ... لة ريم مريضة الأجفانِ
أم فماذا يرجو بحُمرته الخد ... إذا لم يكن له عينانِ
فزها الورد ثم قال مجيباً ... بقياسٍ مستحسنٍ وبيانِ
إنّ وَرْدَ الخدودِ أحسن من عي ... نٍ بها صفرة من اليرقانِ

وله أيضاً[2] :

أرأيت أحسن من عيون النرجس ... أم من تَلاحُظهنّ وسط المجلس
در تَشَقّقُ عن يواقيت على ... قُضُب الزمرد فوق بسط السندس
أجفان كافور حَفَفْنَ[3] بأعينٍ ... من زعفرانٍ ناعمات الملمس
فكأنها أقمار ليل أحدقت ... بشموس أفق فوق غصن أملس

وقال أيضاً[4] :

يا ريمُ قومي الآن ويحك فانظري ... ما للرُّبى قد أظهرت إعجابها
كانت محاسن وجهها محجوبة ... فالآن قد كشَفَ الربيع حجابها
ورد بدا يحكي الخدود، ونرجس ... يحكي العيون إذا رأت أحبابها
ونبات باقلاء يشبه نوره ... بُلْقَ الحمامِ مشيلة أذنابها
والسَّرْوُ تحسبه العيون غوانيا ... قد شَمَّرَتْ عن سوقها أثوابها

١ ديوانه : ٤٩٨ .
٢ ديوانه : ١٨٠ .
٣ الديوان : حبين .
٤ ديوانه : ٤٥٤ .

وكأنّ إحداهنّ من نَفْحِ الصبا خَوْد تلاعب مَوهنا أترابها
لو كنت أملك للرّياضِ صيانةً يوماً لما وطىءَ اللئام ترابها

وقوله أيضاً[1] :

خجل الورد حين لاحظه[2] النر جس من حسنه وغار البَهارُ
فعلَتْ ذاك حمرة وعلت ذا حَيْرَةٌ واعترى البهار اصفرار
وغدا الأقحوان يضحك عُجباً عن ثنايا لثاتهنّ نُضار
ثمّ نمّ النمامُ واستَمَعَ السو سن لمـــا أذيعت الأسرار
عندهـــا أبرز الشقيق خدوداً صار فيها من لطمه آثار
سُكبتْ فوقها دموع من الطّ لّ كما تسكبُ الدموعُ الغزار
فاكتسى ذا البنفسج الغض أثوا بَ حدادٍ إذ خانه الاصطبار
وأضر السقام بالياسمين الـ غض حتّى أذابه الإضرار[3]
ثمّ نادى الخيريُّ في سائر الزهـ رِ فوافـــاه جحفل جرار
فاستجاشوا على محاربة النر جس بالحُرَّم الذي[4] لا يبار
فأتَوا[5] في جواشن سابغات تحت سجف من العجاج يثار
ثمّ لما رأيت ذا النرجسَ الغَ ضّ ضعيفاً ما إنْ لَدَيهِ انتصار
لم أزلْ أعملُ التلطف للور د حذاراً أن يغلب النوّار
فجمعنـــاهمُ لدى مجلسٍ تَصـ خبُ فيه الأطيار والأوتار
لو ترى ذا وذا لقلت خدود تدمنُ اللحظَ نحوها الأبصار

---

١ ديوانه : ٧٨ .
٢ الديوان : عارضه .
٣ ص : الاضطرار .
٤ ص : والذي .
٥ الديوان : فأتى .

وله أيضاً[1] :

بدر غدا يشرب شمساً غدت وحدّها في الوصف من حدّه
تغرب في فيـــهِ ولكنّهـــا من بعد ذا تطلع في خدّه

وله أيضاً[2] :

ولم أنسَ ما عاينته من جمالهِ وقد زُرْتُ في بعض الليالي مصلاّه
ويقرأ في المحراب والنّاس خلفه (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله)
فقلت : تأمّل ما تقول ؛ فإنّه فعالك يا من تقتل الناس عيناه

٤٩

قاضي القضاة ابن صصرى

أحمد بن محمد بن سالم بن الحافظ أبي المواهب بن صصرى ، الشيخ الإمام العالم قاضي القضاة ، نجم الدين أبو العباس الربعي التغلبي الدمشقي الشافعي ؛ ولد سنة خمس وخمسين وستمائة ، وحضر على الرشيد العطار والنجيب عبد اللطيف ، وسمع من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر وجده لأمه المسلم بن علان ، وتفقه على الشيخ تاج الدين ، ودخل ديوان الإنشاء ، ونظم ونثر ، وشارك في فنون .

---

١ الديوان : ٤٧٥ .

٢ الديوان : ٥١٢ .

٤٩ – الزركشي : ٥١ والوافي ٨ : ١٦ وأعيان العصر ١ : ١١٢ والدرر الكامنة ١ : ٢٦٣ وطبقات السبكي ٥ : ١٧٥ والبداية والنهاية ١١ : ١٠٦ والدارس ١ : ١٣٢ والبدر الطالع ١ : ١٠٦ وقضاة دمشق : ٨٤ .

وكان فصيح العبارة ، قادراً[1] على الحفظ ، طويل الروح مسالماً محسناً إلى مَنْ أساء إليه . بلغه أن الشيخ صدرَ الدين نظم فيه بليقة[2] ، فتحيَّل إلى أن وقعت بخطه في يده وسير خلف الشيخ صدر الدين ، ووضع الورقة مفتوحة على مصلاّه ، فلما دخل الشيخ صدرُ الدين رأى الورقة وعرفها ، وقاضي القضاة مشتغل عنه ، فلما تحقق أن صدر الدين قد رأى الورقة وعرفها قال للطواشي : أحضر للشيخ ما عندك ، فأحضر له بُقجة قماش وصرّة فيها ستمائة درهم ، وقال : هذه جائزة تلك البليقة .

وكان يوماً قد توجه إلى صلاة الصبح بالجامع ، فلما كان ببعض الطريق ضربه إنسان بمطرق رماه إلى الأرض ، وظنّ أنه قد مات ، فلما أفاق حضر إلى بيته وكان يقول : أعرفه وما أذكره لأحد .

وكان ينطوي على دين وتَعبُّد ، وله أموال وخدَم ، وهو من بيت حشمة .

وقيل إنه قال يوماً للشيخ صدر الدين : فرّقَ ما بيننا أنني أشتغل على الشمع الكافوري ، وأنتم على قناديل المدارس .

ودرس بالعادلية الصغرى والأمينية ثمَّ بالغزالية ، مع قضاء العسكر ومشيخة الشيوخ ، ثم ولي قضاء القضاة سنة اثنتين وسبعمائة إلى أن مات رحمه الله . وأذن لجماعة في الفتوى ، وقيل إنه لم يقدر أحد يُدَلِّس عليه قضية ولا يشهد زور[3] ، وكان متحرِّياً في أحكامه بصيراً بقضاياها ، وما سمع عنه أنه ارتشى[4] في حكومة .

وتوفي بعد تعلّل أصابه فجأة ببستانه في نصف شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وكان موته مفتاحاً لموت رؤساء دمشق وعلمائها .

ورثاه شعراء عصره ، ورثاه المرحوم شهاب الدين محمود ، ولشعراء زمانه فيه مدائح كثيرة .

---

١ ص : قادر .

٢ نوع من الشعر العامي ، انتشر بمصر ، وكثيراً ما يعتمد على الافحاش في القول .

٣ كذا في ص .

٤ ص : ارشتى .

ووجدت منسوباً إليه من الشعر :

ومذ خفيتْ عنّي بدورُ جمالهمْ ... غدا سقَمي في حبهم وهو ظاهرُ
وقد بتُّ ما لي في الغرام مسامرٌ ... سوى ذكرهمْ يا حبذاك المسامر
وإني على قرب الديار وبعدهـا ... مقيمٌ على عهدِ الأحبة صابر
ودمعي سريعٌ والتشوّقُ كامل ... ووجدي مديدٌ والتأسفُ وافر
وماليَ أنصار سوى فيضِ أدمعي ... إذا بات من أهواه وهو مهاجر
أأحبابَنا غبتم فغابت مسرّتي ... وأصبح حزني بعدكم وهو حاضر
وما القصدُ إلاّ أنتمُ ورضاكمُ ... وغير هواكم ما تسرُّ السرائر
وما في فؤادي موضعٌ لسواكمُ ... ولا غيركم في خاطر القلب خاطر
وما راقني من بعدكم حسنمنظرٍ ... ولا شاقني زاهٍ من الروض زاهر
وما كلَفي بالدار إلاّ لأجلكمْ ... وإلاّ فما تغني الرسومُ الدواثر
وما حاجرٌ إلاّ إذا كنتمُ بها ... إذا غبتمُ عنها فما هي حاجر

٥٠
شهاب الدين ابن غانم

أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل بن علي بن معلّى بن طريف ابن أبي جميل بن جعفر بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي الزينبي الجعفري ، ابن بنت القدوة الشيخ غانم ؛ إمام كاتب مترسل ، نديم أخباري يتفيهق في كلامه ، يستحضر من اللغة ومن شعر العرب شيئاً كثيراً ،

....

٥٠ – الوافي ٨ : ١٩ وأعيان العصر ١ : ١١٥ والدرر الكامنة ١ : ٢٦٥ والشذرات ١ : ٢٦٥ والزركشي : ٣٦ .

ويحفظ شعر المعري؛ باشر الإنشاء بصفد وغزة وقلعة الروم وفي كل مكان له وقائع مع نواب ذلك وأوابد ، ويخرج هارباً ، وكتب قدّام الصاحب شمس الدين غبريال ، فاتفق أنه هرب مملوك الأمير شهاب الدين قرطاي، فظفر به الصاحب، وأمره أن يكتب على يده كتاباً إلى مخدومه يقول فيه: إنما هرب خوفاً منك ، فكتب الكتاب ، وجاء في المعنى المقصود ، فقال : إذا خَشُن المقرُّ حسن المفرُّ ، فلما وقف الصاحب على ذلك أنكره وقال : ما هذه مليحة ، فطار عقل شهاب الدين ، لأنه ظن أن ذلك يصادف موقعاً يهشُّ له ، فضرب الدواة بالأرض، وقال : ما أنا ملزوم بالقُلف الغلف وخرج متوجهاً إلى اليمن وكتب لصاحبها ، ثم خرج منها هارباً .

وكان خَشِن الملبس شظف[1] العيش مطرح الكلفة ، يلبس البابوج والجمجم[2] ، ويلفّ الطول المقصص[3] الإسكندراني والقماش القصير . وكان حلو المعاشرة ، ألفَ به القاضي فخر الدين ناظر الجيش واستكتبه في باب السلطان .

ولما مات فخر الدين رجع إلى الشام كاتب إنشاء ، واختلّ[4] قبل موته بسنتين .

وكان مولده سنة خمسين بمكة ، شرّفها الله تعالى ، ووفاته بعد أخيه علاء الدين في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، ومات وله سبع وثمانون سنة تقريباً ؛ وسمع من ابن عبد الدايم وقرأ على ابن مالك وعلى ولده بدر الدين وعلى مجد الدين ابن الظهير الإربلي .

وكان إذا أنشأ أطال فكره ، ونتف شعر ذقنه ، أو وضعه في فمه وقَرَضه بثناياه ، رحمه الله .

فمن شعره :

---

١ ص : شيطف .

٢ ذكره دوزي في ملحق المعاجم بفتح الجيمين (وبضمهما في المعجم الفارسي) وعرفه بأنه نعل يلبسه الدراويش ، ويصنع من قطن .

٣ الوافي : المقفص ؛ ولم أجد شرحاً لما سماه « الطول المقصص » أو « المقفص » .

٤ الوافي : واختلط .

والله ما أدعو على هاجري إلاّ بأن يُمْحن بالعشْقِ
حتى يرى مقدارَ ما قد جرى منه ومـا قد تمَّ في حَقّي

وله أيضاً :

يا حسنها من رياضٍ مثـل النُّضار نَضارَهْ
كالزُّهر زَهراً وعنهـا حسن[1] العَبير عِبارَهْ

وله أيضاً :

بأبي صـائغ مَليح التَّثَنّي بقوامٍ يزري بخوط البـانِ
أمسَكَ الكلبتين يا صاح فاعجب لغزالٍ بكَفّـه كلبتانِ

وله أيضاً :

طرفـكَ هذا به فُتُور أضحى كقلبي به فتونُ
قد كنتُ لولاهُ في أمانٍ للهِ ما تفعلُ العيـونُ

وله أيضاً :

ما اعتكاف الفقيه أخذاً بأجرٍ بل لحكم قضى به رمضانُ
هو شهر تُغَلُّ فيه الشياطيـ ن ولا شك أنه شيطان

وله أيضاً :

أيها اللائمي لأكلي كروشاً أتقَنوهـا في غايةِ الإتقانِ
لا تلمني على الكروش فحبي وطني من دلائل[2] الإيمانِ

أخذ هذا المعنى من النصير الحمامي حيث قال :

رأيت شخصاً آكلاً كرشةً وهو أخو ذوقٍ وفيه فِطَنْ

---

١ الوافي : ريح .
٢ الوافي : علائم .

وقال ما زلت محبّاً لها قلت من الإيمان حب الوطن

وكان قد أضافه الملك الكامل ، ولما خرج نَسيَ جُبَّته عنده ، فطلبها منه فمَطَلَه بها فكتب إليه :

يا ذا الذي أطعمني في بيته سبع لُقَمْ
ورام أخذ جُبَّتي هذا على الرطل بكم

ولما كان قراسنقر نائباً بدمشق أمر أن يبيت كلّ ليلة بالقصر واحد من الموقعين ، فنام ليلة الشيخ نجم الدين الصفدي ، وكتب في حائط المكان الذي يبيتون فيه :

عذبت ليلة المبيت بقلبي فهي عندي مأمولةُ التوقيت

فلما كانت الليلة الثانية نام الشيخ شهاب الدين ابن غانم ، ورأى البيت فكتب تحته :

ليت شعري من بيَّتَ الشيخ حتى راح يثني خيراً على التبييتِ

وكتب إلى قاضي القضاة جمال الدين بن واصل ، وقد أقعده عاقداً بحماة في مكتب فيه السيف ابن المغيزل :

مولاي قاضي القضاة يا مَنْ له على العبدِ ألف مِنَّهْ
إليك أشكو قرينَ سوء بليتُ منه بألف محنهْ
شهرته بيننا اعتداء أغمِدهُ فالسيف سيف فتنه

وكان ليلة في سماع فرقَصُوا ثم جلسوا ، وقام من بينهم شخص وطال الحال في استماعه ، وزاد الأمر وشهاب الدين ساكت مُطرق ، فقال له شخص : أيش بك مطرق كأنه يوحى إليك ؟ فقال : نعم ، قد أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجنّ .

وكان يوماً عند صاحب حماة الملك المنصور وقد حضر السِّماط ، وكان أكثره مرق ، فقال شهاب الدين ، لما قيل له الصلاة ، بسم الله الرحمن الرحيم ، نويت رفع الحَدَث واستباحة الصلاة ، الله أكبر . وكان المظفر ولد المنصور يكره شهاب الدين فاغتنم الوقيعة فيه عند والده ، فقال : اسمع ما يقوله ابن غانم ، يهجِّنُ طعامنا ويشبهه بالماء الذي يرفع به الحدث ، فعاتبه المنصور على ذلك فقال : ما قصدت ذلك ، ولكن البسملة في بدء كل شيء مستحبة ، والحدَث الذي نويت رفعه حدث الجوع ، واستباحة الصلاة في الأكل ، قال : فما معنى الله أكبر ، قال : على كل ثقيل ، فاستحسن الملك ذلك وخلع عليه .

واجتمع ليلة عند كريم الدين الكبير في مولد بعلاء الدين ابن عبد الظاهر ، فجاء إليه شخص وقال : معاوية الخادم يقصد الاجتماع بك ، فقال : ويلك من يفارق عليّ[1] ويروح إلى معاوية ؟ .

كان شهاب الدين قد فارق أباه وهو صغير ، وتوجه إلى السماوة ونزل على الأمير حسين ابن خفاجة ، وأقام عنده مدة يصلي به ، وكان الوقت قريب العهد بخراب بغداد وقتل المستعصم وتشتت أهل بغداد في البلاد فظن به أنه ابن المستعصم واشتهر ذلك ، واتصل بالملك الظاهر ، فلم يزل في اجتهاد إلى أن أقدمه عليه لما أهمه من أمره ، فلما حضر سأله : ابن من أنت ؟ فقال : ابن شمس الدين ابن غانم ، فطلب والده إلى القاهرة وحضرا بين يدي الملك الظاهر واعترف والده به ، فقال : خذه فأخذه وتوجه به إلى دمشق .

وكان مع صاحب حماة قد خرج مرّة إلى شجرات[2] المعرة ، وكان إذ ذاك في خدمة الملك الظاهر ، وقد ضربت الوطاقات ، وامتلأت الصحراء خياماً ، فاحتاج شهاب الدين إلى الخلا ، وما كان يرى الدخول إلى الخربشت[3] ، فصعد

---

١ كذا في ص .

٢ الوافي : شجريات .

٣ لعلها من « خربشته » الفارسية ، بمعنى خيمة ، وهو هنا يعني المرحاض .

إلى شجرة تين ليتخلّى ، والملك المنصور يشاهده ولم يعلم ما يريد ، فأرسل إليه شخصاً ليرى ما يصنع ، فلما صار تحت الشجرة قال له : يا من في هذه الشجرة أطعمني من هذه التينة ، فقال له : خذ ، وسَلَحَ في وجهه ، قال : ما هذا ؟ قال : أطعمتك من التينة ، فلما اطلع المنصور على القضية وقع مغشياً عليه من الضحك .

ومن شعره :

قالوا : ذؤابته مَقصوصة حسداً فقلت : قاطعها للحسنِ صواغُ
صدغان كان فؤادي هائماً بهما فكيف أسلو وكلُّ الشعر أصداغ

٥١
ابن المدبر

أحمد بن محمد بن عبيد الله المدبر الكاتب أبو الحسن ؛ كان أسنّ من أخيه إبراهيم — وقد تقدم ذكره[١] — ؛ تقلد أحمد ديوان الخراج والضياع للمتوكل ثم تمالأ عليه الكتاب فأخرجوه إلى الشام والياً فكسب بها مالاً عظيماً ، ثم قتله أحمد ابن طولون في سنة سبعين ومائتين[٢] . وكان فاضلاً يصلح للقضاء ، وللبحتري فيه مدائح . مات تحت العذاب ، رحمه الله تعالى ؛ وهو القائل :

أتصـــبر للدهر أم تجزعُ وماذا عسى جزعٌ يَنفَعُ
فأمّـــا تصابيكَ بالغانياتِ فولّى به الفاحمُ الأفرعُ

---

٥١ — الوافي ٨ : ٣٨ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٥٩ والمغرب (قسم مصر) ١ : ١٢٣ وخطط المقريزي ١ : ٣١٤ وابن خلكان ٧ : ٥٦ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ انظر الترجمة رقم : ١٥ .

٢ الوافي : فيما قبل سبعين ومائتين تقريباً ، ثم ذكر ثلاثة تواريخ لمقتله .

غـــداةَ ابتدلت به حلةً   من الشيب ناصعها يلمعُ
وقد كنت أزمانَ شرخ الشباب   تصولُ مدلاً ولا تخشعُ
تطاعُ ويعصى لديكَ العذولُ   ويصفو لك العيشُ والمربعُ[1]

وكتب إليه أخوه إبراهيم يشكو حاله وهو محبوس[2] فكتب إليه :

أبا إسحاق ان تكن اللّيالي   عطفن عليكَ بالخطب الجسيمِ
فلم أرَ صرفَ هذا الدهر يجني   بمكروهٍ على غير الكريمِ

وقال أيضاً :

صباحُ الحبّ ليس له مساءُ   وداءُ الحبّ ليس له دواءُ
ولي نفس تنفّسها اشتياق   وعينٌ فيضُ عَبرتها الدماء
وليلي والنّهـار عليّ ممّا   أقاسي فيهما أبداً سواء

وقال المعتصم يوماً للفضل بن مروان ، وقد أراد الخروج إلى القاطول : غلماني تحت السماء ما لهم شيء يكنّهم ، فابنِ لهم غداً أربعة آلاف بيت ؛ فخرج مفكراً ، فلقيه أحمد بن المدبر فسأله عن غمه فأخبره بقول المعتصم فقال : إنما أمرك أن تشتري لهم أربعة آلاف لبّاد[3] ليستكنوا فيها ، فاشترى لهم ما وجد وتقدم في عمل الباقي لمن بقي ، فلما أصبح المعتصم ورآها على غلمانه قال للفضل : أحسنت ، بهذا أمرتك .

وقيل ان أحمد بن المدبر قال : حبست في حبس لابن طولون ضيق ، وفيه خلق وبعضنا على بعض ، فحبس معنا أعرابي فلم يجد مكاناً يقعد فيه ، فقال : يا قوم ، لقد خفت من كل شيء إلا أني ما خفت قط ألاّ يكون لي موضع في الأرض في الحبس أقعد فيه ، ولا خطر ذلك ببال ، فاستعيذوا بالله من حالنا .

---

١ الوافي : والمرتع .
٢ ص : محبوساً .   ٣ الوافي : لبادة .

وقال يموت بن المزرع : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر لم يرضه شعره قال لغلامه : امضِ به إلى الجامع ولا تفارقه حتّى يصلي مائة ركعة ، ثم خلِّه ؛ فتحاماه الشعراء إلاّ الأفراد المجيدون ، فجاءه الجمل المصري واسمه حسين[1] فاستأذنه في النشيد فقال له : قد عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، قال : فهات إذن ؛ فأنشده :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً　　كما بالمدح تنتجعُ الولاةُ
فقلنا أكرمُ الثقلين طراً　　ومَن كفّاهُ دجلةُ والفرات
فقالوا يقبلُ المدحاتِ لكنْ　　جوائزه عليهنّ الصلاة
فقلت لهم وما يغني عيالي　　صَلاتي إنما الشأنُ الزكاة
فيأمر لي بكسر الصاد منها　　فتضحي لي الصلاة هي الصِّلات

فضحك ابن المدبر وقال : من أين لك هذا ؟ قال : من قول أبي تمام الطائي :

هن الحمامُ فان كسرتَ عيافةً　　من حائهنّ فإنهنّ حِمامُ

فأعَطاه مائة دينار ، رحمهما الله تعالى ، وعفا عنهم .

٥٢

[سيف الدين السامري]

أحمد بن محمد بن علي بن جعفر ، الصدر الأديب الرئيس سيف الدين

---

١ هو الحسين بن عبد السلام المصري ، انظر ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٠٦ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٧٠ وانظر معجم الأدباء ١٠ : ١٢١ وكتاب الكندي وابن خلكان ٧ : ٥٦.

٥٢ – الزركشي : ٦٠ والوافي ٨ : ٦٦ وأعيان العصر ١ : ١٢٠ .

السامَرّيُّ – بفتح الميم وتشديد الراء – نسبة إلى سامرّا ، نزيل دمشق ؛ شيخ متميز متمول ظريف حلو المجالسة مطبوع النادرة جيد الشعر ، طويل الباع في الهجو ، من سَرَوات الناس ببغداد . قدم الشام بأمواله وحَظي عند الملك الناصر صاحب الشام وامتدحه ، وعمل تلك الأرجوزة المشهورة بالسامرية التي أولها :

يا سائقَ العيسِ إلى الشّـآم وقاطعَ الوِهادِ والآكامِ

حطَّ فيها على الكتاب وأغرى الناصر بمصادرتهم .

وكان مزّاحاً كثير الهزل ، لا يكادُ يتحمّـل ، مع أن الصاحب بهاء الدين ابن حنا صادره وأخذ منه نحو ثلاثين ألف دينار عندما قدم أخوه نور الدولة السامري من اليمن ، ونُكب في دولة المنصور ، وطلبه الشجاعي إلى مصر ، وأخذت منه حزرما وغيرها ومائتا[1] ألف درهم ، وكان يسكن داره المليحة التي وقفها خانقاه ووقف عليها باقي أملاكه . وكانت وفاته سنة ست وتسعين وستمائة .

ومولده [. . .] ؛ من شعره :

من سُرَّ مَنْ رّاء ومن أهلها عند اللطيف الخالق الباري
وأي شيء أنا حتى إذا أذْنبْتُ لا تُغفر أوزاري
يا رب ما لي غير سبِّ الورى أرجو به الفَوز من النّار

وكان قد سافر مع وجيه الدين ابن سويد إلى الموصل ، فحضر المكاسة فعفَوا عن جِمال الوجيه ، ومكسوا جِمال السامري وأجحفوا به ، فقال :

صحبتُ وجيهَ الدين في الدهرِ مرةً ليحملَ أثقـالي ويخفرَ أحمالي
فوزّنني عن كلِّ حق وباطل وعن فرسي والبغل والجملِ الحالي

فبلغ ذلك صاحب الموصل فأطلق القَفْل بأجمعه .

---

[1] ص : ومائتي .

وقال :

قبّح اللهُ كلَّ من بدمشقٍ   من أصيحابنا سوى ابن سعيدِ
فهْوَ معْ شُحِّه وما يتعاطا   ه من اللُّؤم أصلَحُ الموجودِ

وقال يهجو خاله وخال أبيه :

إذا ما قيل مَن بالكرخ نذلٌ   لئيمُ الأصلِ مذموم الفعالِ
أجبتهمُ إجابةَ لَوْذَعيٍّ   هما النّذلان خال أبي وخالي

وكتب إلى نور الدين الإسْعَردي مع غلام حسن الصورة يأخذ له ورقة برواحه إلى مصر من والي دمشق ، وكان النور كاتباً عنده :

أمولاي نور الدين عارضُ هذه   بغيرِ كلامٍ إنْ أردت ينامُ
فلاتخشَ أمراً إن خلوتَ ولُطبه   حلالاً فتأخير اللِّياط حرام
وقد رام إطلاقاً إلى مصر فانهَهُ   فلي فيهِ وجدٌ زائد وغرام
ونجلُ الخطيب التاج نصر ينيكه   إذا حَلّ مصراً ليس فيهِ كلام
أغار على تلك الروادف أنها   تُذالُ لغيري لائط وتسام
وليس على المملوك إن غاب شخصه   عن العين في أرض الشآم مقام
ومولاي من عهد التفقه شيخنا   به نهتدي في الفسقِ وهو إمام
سقى اللهُ أيام النظامية التي   فسقنا بها والمنكرون نيام
نغازلُ فيها كلَّ أحوى مهفهف   يُدار علينا من لماه مدام
من الغيدِ يحكي الخيزرانة قامةً   على مثلها عذرُ المحبِّ يقام
وإن علم المولى الوجيهُ محمد   وعاتبني فيهِ فأنت تلام
وليسَ على المملوكِ بعدَ وصوله   إليكَ وإيصالِ الجوابِ ملام

فأجابه نور الدين الإسعردي يقول :

عجبت لسيف الدين كيف يجود لي   بظبي له فيه هوًى وغرامُ

يميناً لقد بالغتَ فيه مروءة كعادتكَ الحسنى ولست تلام
فلا تخشَ من نصر فليس بضائر إذا ما تراضوا ما عليك أثام
وذكرتني عهد النظاميّة الذي أفاد المنى والمنكرون نيـام
ولم أنسَ بالمستنصريّـةِ أنسنا على الأنس في دار السلام سلام
سقى نهرَ عيسى والمحول والحمى الـ رصافيَّ والكرخَ المنيعَ غمـام
وعيشك ما ذكري لعيشي بها أسًى ووجد ولا بي لوعة وغرام
ولكنّ لي قلبـاً لـه أريحيّـة وذكر لمن فارقتـه وذِمام

ومن شعر سيف الدين السامرّي :

أترى وميضَ البارقِ الخفاقِ يهدي إلى أهل الحمى أشواقي
ولعلّ أنفاسَ النسيم إذا سرى يحكي تحيّة مغرم مشتاق
أحبابنا ما آن بعدَ فراقكم أن تسمحوا لمحبكم بتلاقِ
بنتم فضَنَّتْ بالرقادِ نواظري أسَفاً وجادَتْ بالدُّموعِ مآقي
أجريتُ من جفني على أطلالكم دمعاً غدا وقفاً على الإطلاقِ
أتراكمُ ترعون صبّاً رُعتُمُ أحشاءه بقَطيعَـةٍ وفراق
بين الدّموع وحرّ نار جوانحي عُذِّبْتُ بالإغراقِ والإحراق
باللهِ يا ريحَ الشّمالِ تحمّلي واقري سلامَ الوالِهِ المشتاق
وإذا مررتِ على الدّيار فبلّغي أهلَ الكثيب [بكلّ] ما أنا لاقي
فهناك لي رشأ أغنّ مهفهفٌ يُصمي القلوب بأسهم الأحداق
مُتَمَنِّعٌ من قَدِّهِ بمثقّفِ ومِنَ الجفونِ بأسهمٍ ورقاق
فإذا انثنى فضح القنا وإذا رنا سفكت لواحظه دما العشاق
ويزينُ غصنَ القدّ منه شعره وكذا الغصون تزان بالأوراق

ومن شعره في ابن المقدسي لما حبس بالعذراوية[1] :

---

[1] العذراوية مدرسة أنشأتها الست عذراء بنت أخي صلاح الدين الأيوبي داخل باب النصر بدمشق ، وكانت وقفاً على الشافعية والحنفية (الدارس ١ : ٣٧٣) .

ورد البشيرُ بما أقرّ الأعينــا   فشفى الصدورَ وبلّغَ الناس المنى
واستبشروا وتزايدتْ أفراحهم   فالخلق مشتركون في هذا الهنا
ثبتت مخازي ابن القتيلة عند من   وجدت لديهِ في الخيانة والخنا
بشهادة السّتر الرفيع وقولها   من غير واسطة لسلطان الدنا
وبنى البناء بلا أساسٍ ثابتٍ   فانهار ما شاد النكيحُ وما بنى
وتقدّم الأمرُ الشريفُ بأخذ ما   نهب اللعينُ من البلاد وما اقتنى
يا سيدَ الأمراء يا شمسَ الهدى   يا ماضيَ العزمات يا رحبَ الفِنا
يا من له عزمٌ وجأشٌ ثابتٌ   يغنيه عن حمل الصوارم والقنا
عَجـِّل بذبح العِلقِ وادفنه وما   من حقٍّ علقٍ مثله أن يُدفَنا
واغلظْ عليه ولا ترقَّ ، وكل ما   يلقى بما كسبت يداه وما جنى
فلكم يتيم مدقــع ويتيمـة   من جوره ماتا على فرش الضنى
ولكم غنيّ ظــلّ في أيامه   مسترفداً[1] للناس من بعد الغِنى
إن أنكر العلق القطيم فعاله   بالمسلمين فأوّلُ القَتلى أنــا

ولما عدّل القاضي صدر الدين ابن سنيّ الدولة جمال الدين ابن اليزدي ، وخلع عليه خلعة بطيلسان ، وأحضره مجلسه مع العدول وأشهد[2] عليه ، قال السامري :

طابَ شُربُ المدام في رمضان   واصطِفاقُ العيدان عند الأذان
والزنا واللواط في حرم الل   ه وتَرك الصلاة بالقرآن
منذ صار اليزديّ في سكك الشا   م يطوفُ الحانات بالطيلسان
وإذا صارت العدالة في الفس   اقِ واللاّئطين بالمردان
فجديرٌ بأن أكونَ نبياً   ويكونَ الصدّيق لي التلمساني
يا عُدُولَ الشآم قد سمح القا   ضي لأصحابه بنيل الأمــاني

---

١ ص : مسترفد .   ٢ ص : وأشهده .

قامروا واشربوا وقودوا ولوطوا   وافسقوا والحدوا إذن بأمان
وارفعوا عنكم التستّر بالفسـ   ـقِ فلا حاجةٌ إلى كتمانِ

قال : فلما بلغت الأبيات القاضي صدرَ الدين عز عليه ، وأعرض عن اليزدي ومنعه من الشهادة ، فحضر اليزدي إلى سيف الدين السامري ، ودخل عليه . ولا زال به إلى أن عمل :

قلْ لقاضي القضاةِ أيده اللـ   ـه ولا زال للجماعة ظِلاًّ
قد تصدّقت بالعدالةِ حوشيـ   ـتَ بقول الأغراض إن يقض عدلا
ولئن أجمعوا على فسقِ ذاك الشيـ   ـخ والبائس الذي قلَّ عقْلا
عدلوا عن طرائق العدل فيه   ورمَوْه بالزور والإفك نقلا
نبَزوهُ بقلّـةِ الدين والخيـ   ـر وترك الصلاة ظلماً وجهلا
وإذا لاط أو زنى وهو شاب   ما عليه عارٌ إذا صار كهلا
وجهه في مجالس الحكم يجزي   من رآه بشراً وكَيْساً وفضلا
إنْ تحلّى بالطّيلسان فبالحـ   ـقّ جدير بمثله يتحلّى
كل من كان شاهداً بمحـال   أو بزور لمـا تولّى تولّى
وكذا لم يزل لكلٍّ اجتماع   بين خلين بالتجمع أهـلا

وكتب إلى طوغان وأسنْدمر ، ولكل منهما أستادار يسمى العلم سنجر ونائب البر يسمى الشجاع همّام :

اسمُ الولايةِ للأمير وما له   فيها سوى الأوزار والآثامِ
وجباية [1] القتلى وكل مصيبةٍ   تُجبى منافعهـا إلى همام
سيفان قـد وليا وكلٌّ منهما   ماضي العزائم دائم الإقدام [2]

---

١ الوافي : وجناية .
٢ الوافي : في حفظ ما وليه كالضرغام .

وبباب كلٍّ منهما علم ينكـ ـل ما يجودُ به من الإنعام[1]
ما الناس عندهما بناسٍ لا ولا يريان هذا الناس كالأنعام
وقد استحلاّ منهمُ ما لم يزلْ من مالهم ودمائهم بحرام
فمتى أرى الدنيا بغير سناجرٍ والقطعَ والتنكيسَ للأعلام

٥٣

[المستعين]

أحمد بن محمد بن هارون ، أمير المؤمنين أبو العباس المستعين ابن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ؛ ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وبويع في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين عند موت المنتصر ابن المتوكل ، واستقام له الأمر ، واستوزر أبا موسى أوتامش بإشارة شجاع بن القاسم ثم قتلهما ، ثم استوزر صالح ابن شيرزاد ، فلما قتل وصيف وبغا باغراً[2] التركي الذي قتل المتوكل تعصب الموالي وتنكروا له ، فخاف وانحدر من سامرا إلى بغداد ، فأخرجوا المعتز بالله من الحبس وبايعوه وخلعوا المستعين . ثم إن المعتز جهز أخاه أحمد لحرب المستعين واستعد المستعين للحصار ، وتجرد أهل بغداد للقتال ، ودام أشهراً[3] ، وغلت الأسعار ببغداد ، ودام البلاء ، وصاح أهل بغداد : الجوع ، فانحل أمر المستعين ، فانتقل إلى الرصافة وانحل أمره وخلع نفسه ، وانحدر إلى واسط تحت الحوطة وأقام

---

١ الوافي : علم غدا في ظلمه علامة الأعلام .

٥٣ – الوافي ٨ : ٩٣ والمصادر التاريخية (كالطبري واليعقوبي والنجوم ومروج الذهب . . . الخ) وقد سقط جزء من هذه الترجمة من المطبوعة .

٢ ص : باغر .

٣ ص : أشهر .

بها محبوساً ، ثم انه ردّ إلى سامرّا فقتل بقادسيتها في ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وله أحد وثلاثون سنة .

وكان مربوع القامة أحمر الوجه خفيف العارضين حسن الوجه والجسم ، بوجهه أثر جدري ،وكان يلثغ بالسين فيجعلها ثاء ، وكان مسرفاً مبذِّراً للخزائن ويقال إنه قيل له : اخترْ أي بلد تكون فيه ، فاختار واسط ، فلما أحدروه لها قال له في السفينة بعض أصحابه : لأي شيء اخترتها وهي شديدة الحرّ ؟ فقال : ما هي بأحر من فقد الخلافة .

وأورد له المرزباني في « معجم الشعراء » لما خلع [1] :

أستعين الله في أم — ري على كل العباد
وبه أدفع عنّي — كيد باغٍ ومُعادي

وأورد له صاحب « المرآة » :

أحببت ظبياً ثمين — كأنّه غـُثْنُ تين
باللهِ يا عالمين — ما في الثما مثلمين
من لامَني في هواه — لَوّثْتُهُ بالعَجين

قلت يريد :

أحببت ظبياً سمين — كأنه غصن تين
باللهِ يا عالمين — ما في السما مسلمين

قلت : ولا في الأرض ، لأنهم اتخذوك خليفة .

وقيل إنه كان يأمر المغنِّين أن يغنوه بهذا الشعر وأشباهه ، فيتضاحكون

---

[1] ما قاله لما خلع هو :

كل ملك مصيره لذهاب — غير ملك المهيمن الوهاب
كل ما قد ترى يزول ويفنى — ويجازى العباد يوم الحساب

أما البيتان التاليان فقالهما لما استفحل أمر المعتز .

ويتغامزون عليه . وصنع يوماً هذين البيتين :

شربت كأساً أذهبت عن ناظريَّ الحمرا
فنشّطتني ولقـــد كنت حزيناً خاسرا [1]

ثم قال : أجيزوهما ، فقال أحدهم :

هذا خـرًا هذا خـرًا هذا خـرًا هذا خـرًا

وكان للطف أخلاقه يحتمل ذلك منهم .

وقال لهم يوماً وأومأ بيده إلى الباب : أي شيء تصحيف باب ؟ فقالوا : لا ندري ، فقال : لمَ لا تقولوا [2] باب ؟ فيقولون : بسم الله عليك ، ويقول : أي شيء تصحيف مخدة ؟ ويضع يده عليها ، فيقولون : لا نعلم ، فيقول : لم لا تقولون : مخدة فيقولون : بسم الله عليك !

وكان السبب في توليته الخلافة أن الأتراك لما قتلوا المستنصر خافوا من تولية الخلافة لأحد أولاد المتوكل فيأخذ بثأر أبيه وأخيه ، فولوا المستعين ، وكان خاملاً يرتزق بالنّسخ ، ولما جاءه الأمر بغتة من غير تطلع إليه قال :

جاء لطف اللهِ بالأمر الذي لا أرتجيهِ
فعليَّ اليوم أن أقضيَ حقَّ الله فيه

وأعداؤه روَوْا أنه قال : حَقَّ الشُّرب فيه ، رحمه الله تعالى وإيانا بمنه وكرمه .

---

١ الوافي : خاثرا .
٢ كذا في ص .

٥٤

ابن الحلاوي الشاعر

أحمد بن محمد بن أبي الوفا بن الخطاب بن الهزبر ، الأديب الكبير شرف الدين أبو الطيب بن الحلاوي الربعي ، الشاعر الموصلي ؛ ولد سنة ثلاث وستمائة ، وقال الشعر الجيد الفائق ومدح الخلفاء والملوك ، وكان في خدمة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وكان من مِلاح الموصل ، وفيه لطف وظَرْف وحُسن عشرة وخفة روح ، وله القصائد الطنانة التي رواها الدمياطي عنه في معجمه ؛ توفي سنة ست وخمسين وستمائة ؛ فممّا رواه الشيخ شرف الدمياطي له رحمه الله تعالى :

حكاه من الغصن الرطيب وريقُهُ ... وما الخمر إلاّ وجنتاه وريقُهُ

هلالٌ ولكنْ أفقُ قلبي محلُّهُ ... غزالٌ ولكن سفحُ عيني عقيقه

وأسمر يحكي الأسمر اللَّدْنَ قدُّه ... غدا راشقاً قلبَ المحب رشيقه

على خدّه جمر من الحسن مُضرمٌ ... يُشبّ ولكنْ في فؤادي حريقه

أقرّ له من كلّ حسنٍ جليلُه ... ووافقه من كلّ معنًى دقيقه

بديعُ التثنّي راح قلبي أسيرَهُ ... على أنّ دمعي في الغرام طليقه

على سالفيـــهِ للعـــذار جديده[1] ... وفي شفتيهِ للسّلافِ عَتيقـــه

يهددُ منه الطرفُ مَن ليس خصمَهُ ... ويُسكرُ منه الريقُ مَن لا يذيقه

على مثله يَستحسنُ الصبُّ هَتكه ... وفي حبه يجفو الصديق صديقه

من التّرك لا يصبيه وجدٌ إلى الحمى ... ولا ذكرُ باناتِ الغُوير تشوقه

---

٥٤ – الزركشي : ٥٨ والوافي ٨ : ١٠٢ والشذرات ٥ : ٢٧٤ وعبر الذهبي ٥ : ٢٢٧ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ وعقود الجمان ١ : ٣٨٧ .

١ ص : حديده .

ولا حلَّ في حيِّ تلوحُ قبابه ... ولا سار في ركب يساق وسوقه[1]
ولا بات صبّاً بالفريق وأهله ... ولكن إلى خاقان يُعْزى فريقه
له مَبسمٌ ينسي المدامَ بريقهِ ... ويخجل نوار الأقاحي بريقُهُ
تداويتُ من حرّ الغرامِ ببَرْده ... فأضرم من حرّ الحريقِ رحيقه
إذا خَفَقَ البرق اليمانيّ موهناً ... تذكره قلبي فَزادَ خفوقه
حكى وجهه بدرَ السّماء فلو بدا ... مع البدر قال الناس : هذا شقيقه
رآني خيالاً حين وافى خيالُهُ ... فأطرق من فرطِ الحياء طروقه
وأشبهتُ منه الخصرَ سُقماً فقد غدا ... يحمّلني كالخصر ما لا أطيقه
فما بالُ قلبي كلُّ حب يَهيجه ... وحتّام طرفي كلّ حُسْن يشوقه
فهذا ليوم البين لم تطفَ ناره ... وهذا فبعدَ البعدِ ما جَفَّ موقه
ولله قلبي ما أشدَّ عفافه ... وإن كان طرفي مستمراً[2] فسوقه
أرى الناسَ أضحَوْا جاهليةَ حبّهِ ... فما باله عن كلّ صبّ يعوقه
فما فاز إلاّ من يبيت صبوحه ... مدام ثناياه ومنها غَبُوقه

وقال أيضاً :

أألقى من صدودك[3] في جحيم ... وثَغْرُكَ كالصِّراطِ المستقيمِ
وأسهرني لديك رقيم خدّ ... فواعجبا أأسهر بالرقيم

منها :

وحتّامَ البكاءُ بكلِّ رسم ... كأنّ عليَّ رسماً للرسوم

واجتمعوا في بعض الأيام عند شخص يلقّب بالشمس ، فقالوا له : أطعِمنا شي فامتنع ، فقال بعضهم :

الطامع في مَنال قرص الشمس

---

١ الوافي : وسيقه . ٢ ص : مستمر . ٣ الوافي : خدودك .

فقال ابن الحلاوي :

كالطامع في مَنال قُرْصِ الشمس

وأنشده بعض الأفاضل لغزاً في شبابة :

وناطقةٍ خرساءَ بادٍ شحوبها ... تكنفها عشرٌ وعنهنّ تخبرُ
يلَذُّ إلى الأسماع رجْعُ حديثها ... «إذا سُدَّ منها منخرٌ جاش منخر»[1]

فأجابه في الوقت :

نهاني النهى والشيب عن وصْلِ مثلها ... «وكم مثلها فارقتها وهي تصفر»[2]

وسئل أن ينظم أبياتاً تكتب على مشط للملك العزيز محمد صاحب حلب ، فقال :

حللتُ من الملك العزيز براحةٍ ... غدا لثمها عندي أجَلَّ الفرائض
وأصبحتُ مفترّ الثنايا لأنّني ... حللت بكفّ بحرُها غير غائض
وقبلتُ سامي كفه بعد خده ... فلم أخلُ في الحالين من لثم عارض

وقال ، وهو مشهور عنه :

جاء غلامي وشكا ... أمر كميتي وبكى
وقـــال لي لا شـ ... ـك برذونك قد تشبكا
قد سُقْتُهُ اليوم فما ... مشى ولا تحركا
فقلتُ من غيظي له ... مجاوباً لما حكى
تريدُ أن تخدعني ... وأنتَ أصل المشتكى
ابن الحلاويِّ أنـــا ... خلّ الرياء والبكا

---

[1] عجز بيت لتأبط شراً ، وصدره « فذاك قريع الدهر ما عاش حول » .
[2] عجز بيت آخر لتأبط شراً ، وصدره « فأبت إلى فهم وما كدت آيباً » .

ولا تخادعني ودَعْ حديثــكَ المعلّكا
لو أنّـــه مُسَيّرٌ لما غــدا مشبكا
فمذْ رأى حَلاوَة الـ ألفاظِ منّي ضَحِكا

وكتب إلى القاضي محيي الدين ابن الزكي يصف خطه :

كتبتَ فلولا أنّ هذا محلّـــلٌ وذاك حرامٌ قستُ خطك بالسِّحرِ
فوالله مــا أدري أزَهْرُ خميلةٍ بطِرسك أم درٌّ يلوح على نَحْرْ
فإنْ كان زَهراً فهو صنعُ سحابةٍ وإن كان درّاً فهو من لجّةِ البحر

وقال يمدح الملك الناصر داود صاحب الكرك :

أحيا بموعِدِهِ قتيلَ وعيدِه رشأ يشوبُ وصالَهُ بصدودِهِ
قمرٌ يفوق على الغزالة وجهه وعلى الغزالِ بمقلتيهِ وجيده
يا ليتهُ يَعِدُ الصدود فإنّه ما زال ذا لهَج بخلف وعوده
يفترُّ عن عذبِ الرضابِ، حياتُنا في ورده والموت دون وروده
بَرَدٌ يذيبُ ولا يذوبُ وإنّما أدنى زفيرَ الوجدِ عذبُ بَرُوده
لم أنسه إذ جاء يسحبُ بُرْدَهُ والليلُ يخطر في فضولِ بروده
والصبحُ مأسورٌ أجَدَّ لأسره جنحُ الظلام تأسفاً لفقيده
واللّيل يرفلُ في ثياب حِداده والصبح يرسُفُ في فضول حديده
ولذاك لم تَنَمِ الجفونُ مخافةً من أن يعاني الصبحُ فكَّ قيوده
بمــدامة صفراء يحمل شمسها بدر يغير البدر عند سعوده
كأسٌ كأن مدامها من ريقهِ وحَبابها من ثغره وعُقوده
ما زال يُرْشِفُنا شقيقةَ ريقهِ طيباً ويُلثمنا شقيقَ خدوده
حتى تحكم في النجوم نعاسُها والتذَّ كلُّ مسهدٍ بهجوده
ورأى الصباح تخلصاً من أسره فأتى يكرُّ على الدجى بعموده
قمرٌ أطاع الحسن سُنّةَ وجهه حتى كأن الحسنَ بعضُ عبيده

أنا في الغرام شهيدُه ما ضرَّه لو أنّ جَنّةَ وصلِه لشهيده

وقال أيضاً :

تبدّى له في الخد من تبّتٍ خَطٌّ وأخجل منه القدُّ ما ينبت الخط
ولم ندر لمـــا هزَّ عاملَ قده وصارمَ جفنيهِ بأيهمـــا يسطو
رحيقيُّ ثغـــر بـــابليُّ لواحـــظٍ له سالف كالورد بالمسك مختط
من الترك لا وادي الأراك محلّه ولا داره رملُ المصلّى ولا السقط
كليث الشَّرى في الحرب بأساً وسطوةً وفي السّلمِ كالظبي الغرير إذا يعطو
يخفّ بـه لينُ المعـاطف مائساً فيمنعه ثقلُ الروادفِ أن يخطو
حمى ثَغْرَه من مشرف القد عاملٌ له ناظرٌ ما العدلُ في شرعه شرط
له حاجبٌ كالنون خطٍّ ابن مقلةٍ يُزَيّنُها للخـال في خده نقط
فللبدرِ مـا يثني عليهِ لثـامه وللغصن منه ما حوى ذلك المِرْط
يقولون يحكي البدرُ في الحسن وجهَهُ وبدر الدجى عن ذلك الحسن منحط
كما شبّهوا غُصنَ النقا بقَوامِهِ لقد بالغوا بالمدح للغصن واشتطوا

ولما توجَّه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى العجم للاجتماع بهُولاكو كان ابن الحلاويّ معه ، فمرض بتبريز ، وتوفي بها ، وقيل بسلماس ، وهو في حدود الستين من عمره .

ومن شعره أيضاً :

لحـاظ عينيك فاتناتُ جفونها الوُطفُ فاترات
فرّق بيني وبين صبري منك ثنـايا مفرقات
يا حَسَناً صدّه قبيح فجمعُ شملي به شَتات
قد كنتَ لي واحداً ولكنْ عَداك عن وصليَ العداة
إن لم يكن منك لي وفاءٌ دنَتْ بهجرانك الوفاة
حيّاتُ صُدغيك قاتلاتٌ فمـا للسوعها حياة

والثغر كالثغر في امتناعٍ ... تحميهِ من لحظك الرماة
يا بَدرَ تمٍّ له عذارٌ ... بحُسْنهِ تمّتِ الصفات
منمنَمُ الوَشي في هواه ... يا طالما نمت الوشاة
نبات صُدغ حلاّك حسناً ... والحلو في السكر النَّبات

وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ لا ينادمه ولا يحضره مجلسه ، وإنما كان ينشده أيام المواسم والأعياد المدائح التي يعملها فيه ، فلما كان في بعض الأيام رآه في الصحراء في روضة معْشبة وبين يديه برذون له مريض يرعى ، فجاء إليه ووقف عنده وقال : ما لي أرى هـذا البرذون ضعيفاً ؟ فقام وقبل الأرض وقال : يا مولانا السلطان ، حاله مثل حالي ، وما تخلفت عنه في شيء، يدي بيده في كل رزق رزقنا الله تعالى ، فقال : هل عملت في برذونك هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشده بديهاً :

أصبح برذونيَ المرقّع بالد ... زقات في حسرةٍ يكابدها
رأى حمير الشعير عابرة ... عليهِ يوماً فظل ينشدها
« قِفا قليلاً بها عليَّ فلا ... أقلَّ من نظرةٍ أُزوّدُها »[1]

فأعجبت السلطان بديهته. وأمر له بخمسين ديناراً[2] وخمسين مكوكاً من الشعير وقال له : هذه الدنانير لك ، وهذا الشعير لبرذونك ، ثم أمره بملازمة مجلسه كسائر الندماء، وأقطعه إقطاعاً، ولم يزلْ يترقى عنده إلى أن صار لا يصبر عنه ، رحمهما الله تعالى .

---

١ بيت مضمن ، وهو للمتنبي ، ديوانه : ٢
٢ ص : دينار .

٥٥

[ابن المنير]

أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي ، ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني ؛ ولد سنة عشرين وستمائة ؛ كان عالماً فاضلاً مفنناً، وكان في علومه له اليدُ الطُّولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة ، وتفسير نفيس ، وسمع الحديث من ابن رواج وغيره ، وله تأليف على تراجم صحيح البخاري وله كتاب « الاقتفا » عارض به « الشفا » للقاضي عياض، وولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرّتين ودرّس بعدة مدارس ؛ وقيل إن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام كان يقول : ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها : ابن المنير بالإسكندرية ، وابن دقيق العيد بقُوص ، وله ديوان خطب ، و « تفسير حديث الإسراء » في مجلد على طريقة المتكلمين . وتوفي في مستهل ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمائة بالثغر . وكتب إلى الفائزي يسأله رفع التصقيع عن الثغر :

إذا اعتلّ الزمان فمنك يرجو بنو الأيّـــام عاقبةَ الشّـفاءِ
وإنْ ينزِلْ بساحتهم قضاء فأنت اللطف في ذاك القضاء

وقال فيمن نازعه الحكم :

قل لمن يبتغي المناصب بالجهـ ـلِ تنحّى[1] عنها لمن هو أعلمْ
إن تكن في ربيع وُليتَ يوماً فعليكَ القضاءُ أمسى محرمْ

وكتب إلى قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان :

---

٥٥ – الزركشي : ٥٧ والديباج المذهب : ٧١ والوافي ٨ : ١٢٨ والشذرات ٥ : ٣٨١ ؛ وقد سقطت عبارات كثيرة من هذه الترجمة في المطبوعة .

١ كذا في ص .

ليس شمس الضحى كأوصاف شمس الـ ... ـدين قاضي القضاة حاشا وكلاّ
تلك مهما علَتْ محلاً ثنت ظلا ... وهـذا مهما علا زاد ظلاّ

وفي ناصر الدين يقول أبو الحسين الجزار :

قد اعتبرت البرايا ... فتوةً وفتاوي
فمنهم من يساوي ... شيئاً ومن لا يساوي
همُ الدراهم ، فيها ... محاسنٌ ومساوي
من لم يكن ناصرياً ... فإنّـه عكّاوي

وفيه يقول البرهان الغزولي :

أقولُ لخلّ قد غدا متكبّراً ... عليّ : ترفّق إنّني منك أكبرُ
وإن كنت في شك فعندي دليله ... بأني غزولي وأنت منـيرُ

وفيه يقول أيضاً ، وقد قطع جواري المتصدّرين :

ألا يا ابنَ المنيّر لا تداري[1] ... فذنبكَ ليس يُمْحى باعتذارِ
لبستَ ثيابَ لؤمٍ عنك شفت ... ومن يكسى ثيابَ العار عاري
قَويْ حبُّ العبيد عليك حتى ... أراكَ سعيتَ في قطع الجواري

٥٦
المتيم الأفريقي

أحمد بن محمد الافريقي أبو الحسن المعروف بالمتيم أحد الأدباء الشعراء الفضلاء ، له من التصانيف كتاب « الشعراء الندماء » . كتاب « الانتصار المنبي

١ كذا في ص .

٥٦ – الزركشي : ٦٢ واليتيمة ٤ : ١٥٧ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٤ والوافي ٨ : ١٥٦ .

على فضل المتنبي » وله ديوان شعر .

قال الثعالبي : رأيته ببخارى شيخاً رثّ الهيئة ، تلوح عليه سيما الحرفة ، وكان يتطبب وينجم ، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر . أنشدني لنفسه :

وفتيـــة أدباء مـــا علمتهمُ ... شبهتهم بنجوم الليل إذ نجموا
فروا إلى الراح من خطب يلم بهم ... فما درت نوَبُ الأيام اين همُ[1]

وأنشدني لنفسه :

تلوم على ترك الصلاة حليلتي ... فقلت : اغربي عن ناظري أنت طالقُ
فوالله لا صَلَّيْتُ لله مفلســاً ... يُصلي له الشيخ الجليل وفائقُ
ولا عَجَباً إنْ كانَ نوحٌ مصلياً ... لأنَّ له قسراً تدينُ الخلائقُ
لماذا أصلي ؟ أين حالي[2] ومنزلي ؟ ... وأينَ خيولي والحُلى والمناطق ؟
أصلي ولا فترٌ من الأرض تحتوي ... عليـــهِ يميني ؟ إنّني لمنــافق
بلى إنْ عليَّ اللهُ وسَّعَ لم أزلْ ... أصلي لـهُ ما لاح في الجوّ بارق

وقال في مليح تركي :

قلبي أسيرٌ في يَدَيْ مقلةٍ ... تركيةٍ ضاق لها[3] صدري
كأنها من ضيقها عروةٌ ... ليس لها[3] زر سوى السِّحرِ

---

١ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .
٢ الوافي : باعي .
٣ ص : له .

٥٧

ابن البققي

أحمد بن محمد، فتح الدين ابن البققي ــ بباء واحدة وقافين ــ الحموي؛ أقام بديار مصر ، وكانت تبدو منه أشياء ضبطت عليه ، وكان جيد الذهن ذكياً ، ولكن أداه إلى الاستخفاف بالقرآن والشرع ، فضرب القاضي المالكي عنقه بين القصرين ، في ربيع الأول سنة إحدى وسبعمائة ، وطيف برأسه ، وقد تكهل .

ومن شعره :

الكُسُّ للجحرِ غــدا معانداً من قدمِ [١]
فانظره يبكي حسَدا في كل شهرٍ بدمِ

وله أيضاً :

لحا اللهُ الحَشيشَ وآكليها لقد خبُثتْ كما طاب السُّلافُ
كما يصبي كذا تضني وتشقي كما يشفي وغايتهــا الحرافُ
وأصغر دائهــا والداء جَمٌّ بغــاء أو جنون أو نشافُ

وله أيضاً :

جُبِلْتُ على حُبي لها وألفتُهُ ولا بدّ أن ألقى بهِ الله معلنــا
ولم يخلُ قلبي من هواها بقدر ما أقول وقلبي خــالياً فتمكنا

---

٥٧ ــ الزركشي : ٦٢ والوافي ٨ : ١٥٨ وأعيان العصر ١ : ١٢٤ والدرر الكامنة ١ : ١٣٤ والشذرات ٦ : ٥٢ وذيل عبر الذهبي : ١٥ والبداية والنهاية ١٤ : ١٨ وأخلت المطبوعة بجانب من هذه الترجمة، كما أن بعض أشعار ابن البققي فيها وردت خطأ في ترجمة إبراهيم ابن سليمان بن حمزة .

١ ص : القدم .

ومنه قوله :

أينَ المراتبُ في الدنيا ورفعتها مَن الذي حاز علماً ليس عندهُمُ
لا شكّ أن لنا قدراً رأوه ومـــا لمثلهمْ عندنا قـــدرٌ ولا لهمُ
همُ الوحوشُ ونحن الإنس حكمتنا تقودهم حيثما شئنا وهم نَعَمُ
وليس شيءٌ سوى الإهمال يقطعنا عنهم لأنّهمُ وجدانهم عدمُ
لنا المريحان من علم ومن عدم وفيهمُ المتعبان الجهل والحشمُ

قلت : عارض بهذه الأبيات أبياتاً نظمها الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد يأتي ذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى .

ومن شعره :

يا مَنْ يخادعني بأسْهُمِ مكرهِ بسلاسةٍ نعمتْ كلمسِ الأرقمِ
اعتدّ لي زَرَداً تضايق نَسْجُهُ وعَليَّ فَكٌّ عيونها بالأسهم

وما أحسن قولَ شمس الدين ابن دانيال فيه :

لا تلمِ البقّيَّ في فعلـه إنْ زاغَ تضليلاً عن الحقّ
لو هَذَّبَ النّاموس أخلاقه ما كان منسوباً إلى البق

وقوله فيه لما سجن ليقتل :

يظنّ فتى البققي أنّـهُ سيخلص من قبضة المالكي
نعم سوف يسلمه المالكيُّ قريباً ولكنْ إلى مالك

٥٨

موفق الدين ابن أبي الحديد

أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين ابن أبي الحديد ، أبو المعالي موفق الدين ، ويدعى القاسم أيضاً ؛ ولد سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن ، وكان أديباً فقيهاً فاضلاً شاعراً مشاركاً في أكثر العلوم ، توفي سنة ست وخمسين وستمائة ، وهو أخو عز الدين عبد الحميد المعتزلي – الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى – ورأيت الشيخ شمس الدين قد قال في حق هذا إنه أشعري ، والله أعلم . كتب الإنشاء للمستعصم بالله مدة [1] .

من شعره في عارض جيش خرج من دار الوزير بخلعة فعانقه وقبله :

لمّا بدا رائق التّثَنّي ... وهو بأثوابه يميدُ
قبّلته باعتبار معنًى ... لأنّه عارضٌ جديد

وقال أيضاً :

بيتٌ من الشعر في تشبيهِ وجْنَتِهِ ... لمّا أحاط بها سَطرٌ من الشّعَرِ
كالظلّ في النور أو كالشمس عارضَها ... خطٌّ من الغيمِ أو كالمحو في القمرِ

وقال أيضاً :

لو يعلمون كما علمتُ لما لحَوْا ... في حُبِّهِ ولأقصروا إقصارا
هلاّ أحدّثكم بسرٍّ لطيفة ... دقّتْ إلى أن فاتت الأبصارا
جادت صقالَ خدوده أصداغُهُ ... فتمثلت للنّاظرينَ عِذارا

---

٥٨ – الزركشي : ٦٣ والوافي ٨ : ٢٢٥ وذيل مرآة الزمان ١ : ١٠٤ وابن خلكان ٥ : ٣٩٢ .

[1] من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

وقال الشيخ شرف الدين الدمياطي : أنشدني موفق الدين لنفسه :

قمر عدمْتُ عواذلي في عشقه بل ما عدمتُ تزاحمَ العشاقِ
يبدو فتسبقه العيونُ وإنهــا مأمورة بالغُمْضِ والإطراقِ
عيناي قد شهدا بعشقك ، إنما[1] لك أن تقول هما من الفسّاقِ

ولما صنف أخوه « الفلك الدائر على المثل السائر » كتب إليه موفق الدين :

المثلُ السائرُ يا سيّــدي صنفتَ فيهِ الفلك الدائرا
لكنّ هــذا فلكٌ دائر أصبحتَ فيهِ المثَلَ السائرا

٥٩

البلاذري

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري . أبو الحسن وقيل أبو بكر البغدادي ؛ ذكره الصولي في ندماء المتوكل ، مات في أيام المعتضد . كان جده جابر يخدم الخصيب صاحب مصر . وذكر ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال : سمع بدمشق هشام بن عمار وأبا حفص ابن عمر بن سعيد ، وبحمص محمد بن [مصفى][2] وبالعراق عفان بن مسلم وعبد الأعلى وعبد الله بن صالح العجلي ومصعباً[3] الزبيري والقاسم بن سلام وعثمان بن أبي شيبة . ووسوس في آخر عمره بشربه البلاذر ، وكان كثير الهجاء بذيء اللسان آخذاً لأعراض الناس . وتناول

---

١ ص : إنها .

٥٩ – الزركشي : ٦٥ والفهرست : ١١٣ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ١٠٩ ومعجم الأدباء ٥ : ٨٩ والوافي ٨ : ٢٣٩ .

٢ سقط من ص .

٣ ص : ومصعب .

وهب بن سليمان بن وهب لما ضرط فمزقه ، فمن قوله فيه — وكانت الضرطة بحضرة عبيد الله بن يحيى بن خاقان — :

أيا ضرطة حسبت رعده ْ تنوّقَ في سلّها جَهْدَهْ
تقدّمَ وهبٌ بها سابقاً وصلّى أخو صاعدٍ بعدهْ
لقد هتكَ اللهُ ستريهما كذلك من يطعم الفهدهْ

وقال في عافية ابن شيث[1] :

مَنْ رآهُ فقد رأى عربيّاً مدلّسا
ليس يدري جليسه أفسا أمْ تَنَفّسا[2]

قال البلاذري : كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصده الشعراء فقال : ليس أقبلُ إلاّ من الذي يقول مثل قول البحتري في المتوكل :

فلَوَانّ مشتاقاً تكلّفَ فوق ما في وُسْعِهِ لَسَعى إليك المِنبرُ

فرجعتُ إلى داري وأتيته وقلت : قد قلت فيك أحسنَ ممّا قاله البحتري في المتوكل ، فقال : هات ، فأنشدته :

ولو أنّ بُرْدَ المصطفى إذ لبسته يظنُّ لظنّ البردُ أنك صاحبُهْ
وقال وقد أعطيتَهُ ولبستَهُ : نعم هذه أعطافُهُ ومناكبه

فقال لي : ارجع إلى منزلك فافعل ما آمرك به ، فرجعت ، فبعث إليّ سبعة آلافِ دينار وقال : ادّخر هذه للحوادث بعدي ، ولك عليّ الجراية والكفاية ما دمت حيّا .

وقال في عبيد الله بن يحيى بن خاقان وقد صار إلى بابه فحجبه ، فأنشده :

---

١ الوافي : شبيب .

٢ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

قالوا اصطبارك للحجابِ مَذلّةٌ عارٌ عليكَ مدى الزمانِ وعابُ
فأجبْتهم ولكلٍّ قولٍ صادقٍ أو كاذبٍ عند المقال جَوابُ
إنّي لأغتَفِرُ الحجابَ لماجدٍ أمسَتْ له مننٌ عليَّ رِغابُ
قد يرفع المرءَ اللئيمَ حجابُهُ ضَعةً ودون العُرْف منه حجابُ

وله من الكتب : « كتاب البلدان الصغير » . « كتاب البلدان الكبير » ولم يتم . « كتاب جمل أنساب الأشراف » وهو كتابه المعروف المشهور . « كتاب الفتوح » . «كتاب عهد أزدشير» . وكان أحد النقلة من الفارسي إلى العربي ، رحمه الله تعالى[1] .

٦٠

شهاب الدين ابن فضل الله

أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلي بن دعجان بن خلف بن أبي الفضل نصر ابن منصور بن عبيد الله بن علي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح بن أبي سلمة عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، القاضي شهاب الدين أبو العباس ، ابن القاضي أبي المعالي محيي الدين ، القرشي العدوي العمري .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في حقه : هو الإمام الفاضل البليغ المفوّه الحافظ ، حجة الكتاب ، إمام أهل الآداب ، أحد رجالات الزمان كتابةً وترسّلاً ،

---

١ وله من الكتب . . . تعالى : سقط من المطبوعة .

٦٠ – الزركشي : ٦٤ والوافي ٨ : ٢٥٢ وأعيان العصر ١ : ١٤٧ والدرر الكامنة ١ : ٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠ : ٣٣٤ والردّ الوافر : ٨١ والشذرات ٦ : ١٦٠ وذيل عبر الذهبي : ٢٧٥ .

وتوصّلاً إلى غايات المعاني[1] ، وتوسلا ، وإقداماً على الأسود في غابها ، وإرغاماً لأعاديه بمنع رغابها ، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهّب ، ويتحدر سَيله ذاكرةً وحفظاً ويتصبّب ، ويتدفق بحره بالجواهر كلاماً ، ويتألق إنشاؤه بالبوارق المسرعة[2] نظاماً ، ويقطر كلامه فصاحةً وبلاغةً ، وتَنْدى عبارته انسجاماً وصياغة ، وينظر إلى غيب المعاني من ستر رقيق ،ويغوص في لجّة البيان فيظفر بكبار اللؤلؤ من البحر العميق ؛استوت بديهته وارتجاله ،وتأخر عن فروسيته مِنْ هذا الفنّ رجاله ، يكتب من رأس قلمه بديهاً ، ما يَعجِز تَرَوّي القاضي الفاضل أن يدانيه تشبيها ، وينظم من المقطوع والقصيدة جوهرا ، ما يخجل الروضَ الذي باكره الحَيا مزْهِرا ، صَرّف الزمان أمراً ونهيا ، ودبّر الممالك تنفيذاً ورأيا ، ووصل الأرزاق بقلمه ، ورويت تواقيعه وهي إسجالات حُكْمِهِ وحكمه. لا أرى أن اسم الكاتب يصدق على غيره ولا يطلق على سواه :

لا يُعْمِلُ القولَ المكرّ رَ منه والرأيَ المردّدْ
ظنٌّ يصيبُ به الغيـو بَ إذا توَخّى أو تعمد
مثل الحسام إذا تألـ قَ والشهابِ إذا توقّد
كالسيْف يقطعُ وهو مسـ لولٌ ويُرهبُ حين يُغمَد

ولا أعتقد أن بينه وبين القاضي الفاضل مَنْ جاء مثله ؛ على أنه قد جاء مثل تاج الدين ابن الأثير ومحيي الدين ابن عبد الظاهر وشهاب الدين محمود وكمال الدين بن العطار وغيرهم ، هذا إلى ما فيه من لطف أخلاق وسَعَة صدر وبِشر محيّا ؛ رزقه الله أربعة أشياء لم أرها اجتمعت في غيره . وهي : الحافظة ، قلما طالع شيئاً إلاّ كان مستحضراً لأكثره ، والذاكرة التي إذا أراد ذكر شيء من زمن متقدّم كان ذلك حاضراً كأنه إنما مرَّ به بالأمس ، والذكاء الذي تسلّط

---

١ الوافي : المعالي .
٢ الوافي : المتسرعة .

به على ما أراد ، وحسن القريحة في النظم والنثر . أما نثره فلعله في ذِروة كان أوْج الفاضل لها حَضيضا ، ولا أرى أحدا[1] يلحقه فيه جودة وسرعة ، وأما نظمه فلعله لا يلحقه فيه إلاّ الأفراد ، وأضاف الله تعالى له إلى ذلك كله حسن الذوق الذي هو العمدة في كل فنّ . وهو أحد الأدباء الكملة الذين رأيتهم ، وأعني بالكَمَلَة الذين يقومون بالأدب علماً وعملاً في النظم والنثر ومعرفة بتراجم أهل عَصره ومَن تقدمهم على اختلاف طبقاتهم وبخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة ، ثم إنه مشارك من رأيته من الكملة في أشياء ، وينفرد عنهم بأشياء بلغ فيها الغاية لأنه جوّد فن الإنشاء والنثر ، وهو فيه آية ، والنظم وسائر فنونه ، والترسل البارع عن الملوك ، ولم أرَ[2] مَن يعرف تواريخ الملوك المُغُل من لَدُن جنكيزخان وهلمّ جرّا معرفته ، وكذلك ملوك الهند والأتراك . وأمّا معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان وخواصها ، فإنه فيها إمام وقته ، وكذلك معرفة الاصطرلاب وحل التقويم وصور الكواكب . وقد أذن له العلاّمة شمس الدين الأصفهاني في الإفتاء على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ، فهو حينئذ أكمل الكَمَلَة الذين رأيتهم . ولقد استطرد الكلام يوماً في ذكر القُضاة فسرَد ذكر القضاة الأربعة[3] الذين عاصرهم شاماً ومصراً ، وألقابهم وأسماءهم وعلامة كل قاض منهم ، حتى إني ما كدت أقضي العجب ممّا رأيت » .

« ولد بدمشق ثالث شوّال سنة سبعمائة . قرأ العربية أولاً على الشيخ كمال الدين ابن قاضي شهبة ، ثم على قاضي القضاة شمس الدين ابن مسلم ، وتفقه على قاضي القضاة شهاب الدين ابن المجد عبد الله ، وعلى الشيخ برهان الدين ، وقرأ الأحكام الصغرى على الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والعروض على الشيخ شمس الدين الصائغ وعلاء الدين الوداعي [وقرأ جملة من المعاني والبيان على العلاّمة

---

١ ص : أحد .

٢ ص : أرى .

٣ ص : الأربع .

شهاب الدين محمود][1] وقرأ عليه جملة من دواوين العرب ، والأصول على الشيخ شمس الدين الأصفهاني ، وأخذ اللغة عن الشيخ أثير الدين ، وصنف « فواضل السمَر في فضائل آل عمر » أربع مجلدات ، وكتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » في عشرين مجلد كبار ، وهو كتاب حافل ما أعلم أن لاحد مثله ، و « الدعوة المستجابة » ، مجلّد و « صبابة المشتاق في المدائح النبوية » مجلد ، و « سفرة السفرة » و « دمعة الباكي ويقظة الساهر » و « نفحة الروض » ونظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات والذوبيت والموشح والبليق ، وأنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع ومكاتبات الملوك وغير ذلك » .

ومن شعره :

شربت مع غادة عجوز طلا　　فاستصحبت بعد منعها العادَهْ
لَيَّنَهـا السكرُ لي فحينئذٍ　　سلَّمتُ أن العجوز قَوَّادَه

وقال :

شادنٌ جدّد وجـدي بعدما　　صرت شيخاً ليس ترضاني العجوزُ
قلت جاوِزْ لي متاعي قال قل　　غير هذا ذاكَ شيء لا يجوز

وقال :

سلْ شجيّاً عن فؤادٍ نزحا　　وخليّاً فيهمُ كيفَ صحا
ومحبّاً لم يـذق بعـدهمُ　　غيرَ تبريحٍ بهم ما برحـا
مَزَجَ الـدّمعَ بذكراهُ لهم　　مثل خديْ مَن سقاه القدحا
زارهُ الطيف وهذا عجب　　شَبَحٌ كيف يلاقي شَبَحا

وقال :

أأحبابنـا والعذر منّا إليكمُ　　إذا ما شغلنا بالنّوى أن نودّعا .

---

[1] سقط من ص ، وزدته من الوافي .

أبثّكُمُ شوقاً أباري ببعضه حمامَ العشايا رنَّةً وتوجعا
أبيتُ سميرَ البرقِ قلبي مثله أقضّي به الليلَ التمامَ مروعا
وما هو شَوْق مدّة ثمّ ينقضي ولا أنّة لكن محبّ مفجَّعا
ولكنه شوق على القرب والنوى أغصّ الأماقي مَدْمعاً ثمّ مدمعا
ومن فارق الأحباب في العمر ساعةً كمن فارق الأحباب في العمر أجمعا

وقال :

يقول بي مَن شعره أسودٌ كالليل بَلْ بينهما فرقُ
قلت وبي مَن وجهه أبيضٌ فقال لي هـذا هو الحق

وكانت وفاته [سنة تسع وأربعين وستمائة] [1] .

٦١
إدريس ابن اليمان

إدريس بن عبد الله بن اليمان العبدري الأندلسي الشاعر ؛ روى عن أبي العلاء صاعد اللغوي ، وتوفي سنة سبعين وأربعمائة . من شعره :

وموسدين على الأكفّ رءوسَهُمْ قد غالهمْ نومُ الصباح وغالني
ما زلت أسقيهم وأشربُ فضلهم حتى سكرتُ وناهم ما نالني
والكاس [2] تعرف كيف تأخذ ثأرها إنّي أملتُ إناءها فأمالني

١ بياض في الأصل ، واستدركته من المصادر .
٦١ - الزركشي : ٦٦ وجذوة المقتبس : ١٦٠ وبغية الملتمس (رقم : ٥٦٠) والذخيرة (القسم الثالث) : ١١٥ والمغرب ١ : ٤٠٠ والمسالك ١١ : ٢٠٤ والوافي ٨ : ٣٢٧ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .
٢ ص : والعارف .

وقال :

وفتيان صدق عرّسوا تحت دوحة ... وليس لهم إلاّ النبات فراشُ
كأنهمُ والنّوْرُ يسقط فوقهم ... مصابيح تهوي نحوهنّ فراشُ

وقال :

ثقلت زجاجاتٌ أتتنا فرّغاً ... حتى إذا ملئت بصرف الراحِ
خفت فكادت أن تطيرَ بما حوت ... وكذا الجسوم تخف[1] بالأرواحِ

٦٢

اسبهدوست

أسبهدوست بن محمد بن الحسن بن شيرويه الديلمي أبو منصور الشاعر ؛ روى عن ابن الحجاج ديوانه وكان يسلك طريقته . قال سبط ابن الجوزي : كان يهجو الصحابة والناس ، ثم تاب وحسنت توبته ؛ من شعره في الحُمّى :

وزائرةٍ تزورُ بلا رقيبٍ ... وتنزلُ بالفتى من غير حُبّه
وما أحد يحبُّ القربَ منها ... ولا تحلو زيارتها بقلبه
تبيتُ بباطنِ الأحشاء منهُ ... فيطلبُ بُعدَها من عظم كربه
وتمنعه لذيذ العيش حتى ... تنغّصه بمأكله وشربه
أتتْ لزيارتي مِنْ غيرِ وعدٍ ... وكمْ من زائرٍ لا مَرحبا به

وقال في أبي الفتوح الواعظ ، ولم يكن في زمانه أحسن صورة منه ولا أعذب لفظاً :

---

١ ص : تجف .

٦٢ – الزركشي : ٦٦ والوافي ٨ : ٣٨٤ .

وواعظٍ تيَّمَني وعظُهُ فعُرْفُهُ شيبَ بإنكارِ
ينهى عن الذنب وألحاظُهُ تأمرُ بالذنب بإصرارِ
وما رأينا قبْلَهُ واعظاً مُكسِبَ آثامٍ[1] وأوزارِ
لسانهُ يدعو إلى جنّةٍ ووجهه يدعو إلى نارِ

ومن شعره أيضاً :

يا طالب التزويج إنّكَ بالذي تبْغيهِ منه[2] جاهلٌ معذورُ
هل أبصرت عيناك صاحب زوجةٍ إلاّ حزيناً ما لديهِ سرورُ
لا تبغِ في الدنيا نكاحاً لازماً وافعلْ بها ما يفعل الزنبورُ
أوَما تراه حين يدركُ فرصةً يدنو ويَلسعُ لسعةً ويطيرُ

وتوفي سنة تسع وستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى وإيانا ، بمنه وكرمه .

٦٣

ابن الطبيب الشاعر

إسحاق بن خلف الشاعر المعروف بابن الطبيب ، من شعراء المعتصم ؛ كان رجلاً شأنه الفتوة ومعاشرة الشطار والتصيد بالكلاب وإيثار أصحاب الطنابير ، وكان من أحسن الناس إنشاداً كأنه يتغنى في إنشاده ، وكان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم مراجعته من حسن ألفاظه . حُبس مرّة بجناية جناها فقال الشعر في السجن ، ثمّ ترقّى في ذلك حتّى مدح الملوك ، ودوّن شعره ، ولم يزل

[1] ص : آثاماً .

[2] ص : مني ، والتصويب عن الوافي .

٦٣ – الزركشي : ٦٧ وطبقات ابن المعتز : ٢٩٢ والوافي ٨ : ٤١١ .

على رسم الفتوّة وضرب الطنبور إلى أن توفي في حدود الثلاثين ومائتين .

ومن شعره رحمه الله :

النحوُ يبسطُ من لسانِ الألكنِ — والمرء تُعْظِمُهُ إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبتَ من العلوم أجَلَّها — فأجَلُّها عندي مقيمُ الألسُنِ

وقال في السيف :

ألقى بجـانبِ خَصره — أمضى من الأجَلِ المُتاحِ
وكأنّما ذَرَّ الهبـاء عليهِ أنفاسُ الرياح

وقال المبرد[1] : قالت الشعراء في رونق السيف ضروباً من الأقاويل ما سمعت فيها بأحسن من هذا .

وقال في ابنة أخت كان ربّاها[2] :

لولا أميمة لم أجْزَع من العَدَمِ — ولم أجُبْ في الليالي حِندِسَ الظُّلَم
وزادني رغبةً في العيشِ معرفتي — ذلَّ اليتيمة يجفوهـا ذوو الرحم
أخشى فظاظةَ عمٍّ أو جفاء أخٍ — وكنت أبقي عليها من أذى الكلم
تهوى لقائي وأهوى مَوتها شَفَقاً — والموت أكرم نَزَّالٍ[3] على الحرم
إذا تَذكّرت بنتي حين تندُبني — فاضتْ لعِبْرَةِ بنتي عبرتي بدم

---

١ الكامل ٢ : ٢٣ .

٢ انظر الحماسية رقم ٨٥ في شرح المرزوقي .

٣ ص : نزالا .

٦٤
مجد الدين النشابي

أسعد بن إبراهيم بن حسن الأجلّ مجد الدين النشابي الكاتب ؛ ولد بإربل سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، وكان في صباه نشاباً [١] ثم تنقّل في الجزيرة والشام . ووليَ كتابة الإنشاء لصاحب إربل ، ونفذه رسولاً إلى الخليفة المستنصر فلما وقعت عينه على الخليفة قال :

جَلالَةُ هيبة هذا المقام تحيّرُ عالمَ عِلْمِ الكَلامْ
كأنّ المناجي بهِ قائماً يناجي النبيّ عليه السلامْ

ثمّ ان مخدومه غضب عليه وحبسه ، ثم انه بعد موت صاحب إربل خدم ببغداد واختفى أيام التتار ، فسلم ، ثم مات في تلك السنة وهي سنة ست وخمسين وستمائة .

ومن شعره في شرف الدين إبراهيم بن عليّ بن حرب لما ولي وزارة إربل :

فرحنا وقلنا تولّى الوزير وأفْلَحَ ديواننا بالوزارهْ
فما زادنا غير جاويشه وفي كتْبنا «كتبت بالإشارهْ»

ولما وقع بين الأخوين الكامل والأشرف ، والكامل صاحب مصر والأشرف صاحب خِلاط ، ومال ملوك الشام والشرق إلى الكامل ، وتحاملوا على الأشرف فقال مجد الدين :

صاحب مصرٍ ثنى الملوكَ عن الـ أشرفِ من كل مسعدٍ عوْنِ

---

٦٤ – الزركشي : ٦٧ وعقود الجمان ١ : ٥٢١ والوافي (ج : ٩) ؛ وقد أخلت المطبوعة بأجزاء متفرقة من هذه الترجمة .

١ ص والزركشي : نشابياً .

واحتج كلٌّ به فقلت وهل   يؤخذ موسى بذنبِ فرعَونِ

وله في شرف الدين المبارك [1] مستوفي إربل :

إنّ المباركَ فيهِ توَقّفٌ ولَجاجَهْ
صديقُهُ أنتَ ما لم تعرضْ إليهِ بحاجهْ

وله في صدر الدين ابن نبهان ، وكان صديق عارض الجيش فعزل ، ثم صار صدر الدين صورة وزير الأمير شجاع الدين العزي فتوفي ، فاتصل صدر الدين بالملك فتح الدين ، فخرج من بغداد مغاضباً ، فقال :

رجل ابن نبهان الاعرجْ شومها معلوم   ما دار قط بأحد إلاّ لقي المحتومْ
قلع ملكْ وعزلْ عارضْ بهـذا الشّوم   وعاد حر وزعيمهُ مبعر أخت البومْ

ومن شعره :

والأفقُ روضٌ زهْرُهُ   أمسى يفتّح لي كمامهْ
قبضت به كف الثريـ   ـا فالهلالُ لها قُلامهْ
وأغن يشهد أنّ ريـ   ـقتهُ الطلا عودُ البَشامهْ
يصمي القلوب إذا رمى   باللحظ يا ربّ السّلامهْ

ومنه قوله :

تقلد أمر الحُسنِ فاستعبدَ الورى   وراحت له الأفكارُ تنظم ديوانا
وعامله ولّى على القلبِ ناظراً   فأصبح لما حَل بالقلب سلطانا
غدا باحمرار الخدّ للحسنِ مالكاً   ومِنْ فيهِ أبدى للتبسّمِ رضوانا
فأبـدى لنا من ثغره ورُضابه   وعارضِه راحاً ورَوحاً وريحانا
رأى خدّه ميدان حسن وخالَهُ   به كرةً فاستعمل الصدغ جوكانا

---

[1] هو أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد مؤلف تاريخ إربل وغيره من الكتب ، توفي سنة ٦٣٧ (انظر ابن خلكان ٤ : ١٤٧ وفي الحاشية ذكر لمصادر ترجمته) .

أجِلْ نظراً في خدّه يا مُعتَنِفي تجدْ فيه من إنسانِ عينك إنسانا

ومنه أيضاً :

والبرقُ يخفقُ في خلال سحابه خفَقَ الفؤادِ لموعدٍ من زائرِ

وقال :

يا لَقومي قد جئتكم مستجيرا لا أرى منكمُ وليّاً نصيرا
أنا ما بين عاذلٍ ورقيب منهما خلت منكراً ونكيرا
بأبي شادنٌ تبدّى فأبدى من محيّاهُ بهجةً وسرورا
وعِذار في ذلكَ الخدّ أبدى ببَهَا الحسنِ جنّةً وحريرا
وثنايا كأنها من لجين قَدّروها في ثغره تقديرا
لا رعى الله يوم زمّوا المطايا إنّهُ كانَ شرّه مستطيرا
أودعوا حين ودّعوا الصبَّ وجدا وتناءوا والقلبُ يَصْلى سعيرا
وأسالوا الدموعَ من نرجسٍ غـ ضٍّ على الخدّ لؤلؤاً منثورا
فغدا الصبّ يرتضي الحب دينا ويَرى ناظرَ السلُوّ حَسيرا
وهَدَى قَلبَهُ السّبيلَ فإمّا صابراً شاكراً وإمّا كفورا
صَمّ سمعي عن الكلامِ كما صرْ تُ بمدحي زنكي سميعاً بصيرا
كمْ سقى سيفهُ شَراباً حميما وسقى سَيْبُهُ شَراباً طَهورا
سرح الطّرف في ذراه ترى ثـ مّ نعيماً به وملكاً كبيرا
لم يرَ النّازلُونَ في ظلّه المعـ مور شمساً يوماً ولا زمهَريرا
ويبيح الطّعامَ والمالَ كم عـ مّ يتيماً بزادِهِ وأسيرا
وأرانا نوالهُ وسُطاهُ فرأينا منهُ بشيراً نذيرا
كلّ ساعٍ داعٍ لهُ بدوامِ الـ مُلْكِ ما زالَ سَعْيُهُ مشكورا

٦٥
أسماء بن خارجة

أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفَزاري ؛ أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين من الكوفة ، كان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق .

حكى ابن عساكر قال : أتى الأخطل الشاعرُ إلى عبد الملك بن مروان في حَمالات [1] تحملها عن قومه ، فأبى أن يُعطيه شيئاً ، فسألها بشر بن مروان أخا عبد الملك فقال كما قال عبد الملك ، فأتى أسماء بن خارجة ، فتحملها عنه جميعاً . فقال :

إذا ما مات خارجةُ بنُ حِصنٍ فلا مَطَرَتْ على الأرضِ السماءُ

ولا رجَعَ البشيرُ بغُنْمِ جيشٍ ولا حَمَلَتْ على الطّهر النساء

فيومٌ منك خير من رجال كثير حَولَهمْ نَعَمٌ وشاء

فبورك في بنيكَ وفي بَنيهمْ وإن كثروا ، ونحن لك الفداء

وبلغ الشعر عبدَ الملك فقال : عَرّض بنا الخبيث في شعره .

وحكى أبو اليقظان قال : دخل أسماءُ بن خارجة على عبد الملك بن مروان فقال له : بمَ سُدْتَ الناس ؟ فقال : هو من غيري أحسن ، فقال له : بلغني عنك خصال شريفة ، وأنا أعزم عليك إلاّ ذكرت بعضها ، فقال : أما إذ عزمت عليّ فنعم ، فقال عبد الملك : هذه أولها ، فقال أسماء : ما سألني أحد حاجة إلاّ ورأيت له الفضل عليّ ، ولا دعوت أحداً [2] إلى طَعام إلاّ ورأيت له المنّة عليّ ، ولا جلس إليّ رجل إلاّ ورأيت له الفضل عليّ ، ولا قصَدَني أحدٌ في حاجة

---

٦٥ – تاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ٣٧٢ والنجوم الزاهرة ١ : ١٧٩ والكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٦٦) وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٤١ (وكتب خطأ : إسماعيل) .

[1] ص : حملات . [2] ص : أحد .

إلاّ وبالغت في قضائها ، ولا شتمت أحداً قط ، لأنه إنما يشتمني أحد رجلين : إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بعفوها ، وإما لئيم فأصونُ عرضي منه . فقال له عبد الملك : حق لك أن تكون سيّداً شريفاً .

وقال الكلبي : خرج أسماء في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة فنزل في رياض مُعْشبة ، وهناك رجل من بني عَبس نازل ، فلما رأى قِباب أسماء وخيامَه قَوَّض خيامه ليرحل ، فقال له أسماء : ما شأنك ؟ فقال : لي كلب هو أحبُّ إليّ من ولدي ، وأخاف أن يؤذيكم فيقتله بعضُ غلمانكم . فقال له أسماء : أقِمْ وأنا ضامن كلبك ، ثم قال لغلمانه : إذا رأيتم كلبه قد ولَغَ في قدوري وقصاعي فلا تهيجوه ، وأقام على ذلك مدّة ، ثم ارتحل أسماء ونزل في الروضة رجل من بني أسد ، وجاء الكلب على عادته فضربه الأسدي فقتله ، فجاء العبسي إلى أسماء فقال له : أنت قتلت كلبي ، قال له : وكيف ؟ قال : عوَّدته عادة ذهب يرومُها من غيرك فقتل ، فأمر له بمائة ناقة دية الكلب .

ولما أراد أسماء أن يهديَ ابنته إلى زوجها قال لها : يا بُنيّة ، كوني لزوجك أمَة يكن لك عبداً ، ولا تَدْني منه فيملّك ، ولا تتباعدي عنه فيتغيّر عليك ، وكوني له كما قلت لأمك :

خذي العفو مني تَستديمي مودّتي ولا تنطقي في سَوْرَتي حين أغضبُ
فإني رأيتُ الحبَّ في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

وقال الرياشي : قال أسماء بن خارجة لامرأته : اخضبي لحيتي ، فقالت : إلى كم ترقع منك ما خَلَقَ ؟ فقال :

عيّرْتني خَلَقاً أبْلَيْت جدّته وهل رأيت جديداً لم يعدْ خَلَقا
كما لبستِ جديدي فالبسي خَلَقي فلا جديدَ لمن لم يَلبسِ الخلَقا

وأسند أسماء عن علي بن أبي طالب وابن مسعود ، وتوفي في سنة ست وستين وقيل : سنة اثنتين وثمانين ، وهو ابن ثمانين سنة ، رحمة الله عليه .

٦٦
تقي الدين بن أبي اليسر

إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبي المجد ، مسند الشام ، تقي الدين شرف الفضلاء أبو محمد التنوخي المعري الأصل الدمشقي ؛ ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وتوفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

سمع من الخشوعي وعبد اللطيف وشيخ الشيوخ وابن عساكر والدولعي الخطيب وحنبل وابن طبرزد والكندي ، وأجاز له جماعة [1] .

تفرّد بأشياء كثيرة ، وكان متميّزاً في كتابة الإنشاء جيّد النظم حسَن القول ، ديّناً متصوّناً، صحيح السماع ، من بيت كتابة وجلالة ، وكان جدّه كاتب الإنشاء لنور الدين . وكتب هو للناصر داود وولي بدمشق نظر البيمارستان وسمع ببغداد من الداهري والزبيدي وولي مشيخة أمّ الصالح ومشيخة الرواية بدار الحديث الأشرفية .

روى عنه قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وابن العطار وابن تيمية وأخواه وابن أبي الفتح .

سأله أبو حفص ابن أبي المعالي أن يحلّ أبياتَ ابن الرومي الزائية التي أوّلها :

وحديثها السحرُ الحلالُ لو انّهُ   لم يجنِ قتلَ المسلم المتحرزِ
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت   ودّ المحدّثُ أنهـا لم توجزِ

---

٦٦ – الزركشي : ٦٨ وعبر الذهبي ٥ : ٢٩٩ والشذرات ٥ : ٣٣٨ والوافي (ج : ٩) .

١ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة ؛ وهناك مواضع أخرى أيضاً أخلت بها المطبوعة .

فقال: وحديثها الحديث لا كالحديث، عَذُبَ فهو الماء الزلال، وأسكر فأشبه العتيق الجِريال، واستملي من غير ملَل ولا ملال، وشغل عن غرر من واجب الأشغال، وجنى من قتل المسلم المتحرِّز ما ليس بحلال، وصادت بشركه النفوس، ومالت إلى وجهه الأعناق والرؤوس، فهو نزهة العيون وعقال العقول، والموجَزُ الذي ودّ المحدّث أن يطول:

حديثٌ حديثُ الروض فتح نَورَه ... فمن نوره قد زاد في السمع والبصرْ
يخرّونَ للأذقانِ عند سماعه ... كأنهمُ من شيعةٍ وهْوَ منتظرْ
يلذُّ به طولُ الحديث لسامر ... ولا يعتريهِ من إطالتهِ ضَجرْ
بهِ طُرَف للطّرفِ تجنى وعُقلة ... لعاقلِ ركبٍ قد سبقن إلى سفرْ
هي البدر فاسمع ما تقول فإنه ... غريبٌ وحدّث بالرواية عن قمرْ

وكتب على لسان سيف الدين مقلد ابن الكامل بن شاور إلى الملك الأشرف — وكان أبطأ عليه عطاؤه — رقعةً مضمونها:

يقبّل الأرض بين يدي الملك الأشرف — أعزّ الله نصره، وشرح ببقائه نفس[1] الدهر وصدره — ويُنهي أنه وصل إلى باب مولانا كما قال المتنبي:

حتّى وصلتُ بنفس مات أكثرها ... وليتني عشت منها بالذي فضلا

ويرجو ما قاله في البيت الآخر:

أرجو نَداكَ ولا أخْشى المِطالَ بهِ ... يا مَنْ إذا وهَبَ الدنيا فقد بَخِلا

فأعطاه صِلة سنيّة، وقرّر له جامكية، وأحسن قراه، ورتب له ما كفاه.

وكتب إلى القاضي بدر الدين السنجاري:

لولا مواعيدُ آمالٍ أعيشُ بها ... لمُتُّ يا أهلَ هذا الحيِّ من زمَنِ
وإنّما طِرْفُ آمالي بهِ مَرَحٌ ... يجري بوَعْد الأماني مُطلقَ الرَّسَنِ

---

١ ص: نفيس.

ومن شعره :

لَيْلي كشَعْرِ معذّبي ما أطوَلَهْ ... أخفى الصباحَ بفرعه إذ أسبلَهْ
قصصي بنَملِ عذارهِ مكتوبة ... يا حسن ما خطّ الجمالُ وأجمله
والله لا أهمَلْتُ لامَ عِذارهِ ... يا عاذلي ما كلُّ لامٍ مُهمله
اقرأ على قلبي سبَا في حبّهِ ... والذّاريات لمدمع قــد أهمله
آياتُ تحريمِ الوصالِ أظنّها ... بطلاق أسبابِ الحياة مرتَّله
ثبتَ الغرامُ بحاكمٍ من حسنهِ ... وشهادةِ الألفاظ وهي معدّله
إن أبعدته يد النوى عن ناظري ... فلهُ بقلبي إن ترحّلَ منزله
بالعاديات قد اغتدى عنّا ضُحًى ... وبدا له في كلّ قلبٍ زلزله
شمس النفوس لبينه قد كُوِّرَتْ ... والنار في الأحشاء فيهِ مُشعَلَه

وقال رحمه الله : ركبني دين فوق عشرة آلاف درهم ، وبقيت في قلَق ، فرأيت والدي في النوم فشكوت له ثقل الدين ، فقال : امدح النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أعجز عن مدحه صلى الله عليه وسلم ، فقال : امدحه يوفّى دينك ، فقلت وأنا نائم :

أجِدِ المقالَ وجدَّ في طول المدى ... فعساكَ تظفر أو تنال المقصدا
هي حَلْبة للمدح ليس يحوزها ... بالسبق إلاّ من أعينَ وأسعدا

وانتبهت فأتممت القصيدة ، فوفّى الله ديني تلك السنة .

ومن شعره :

يا أحمدُ إن فترةَ الأجفانِ ... نُبِّيتَ بها في آخر الأزمــانِ
والمعجز منك واضحُ البرهانِ ... تحيي بالوصل ميت الهجرانِ

٦٧

الحمدوني

إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، أبو علي الحمدوني ، وجدّه حمدويه صاحب الزنادقة عل عهد الرشيد .

قال المرزباني : بصريّ مليح الشعر حسن التضمين ، اشتهر بقوله في طَيلسان ابن حرب\ابن أخي يزيد المهلبي وشاة سعيد ، وكان يقول : أنا ابنُ قولي :

يا ابنَ حربٍ كسَوْتَني طَيلسانا ... ملَّ من صحبةِ الزمانِ وصدّا

طالَ تَردادُه إلى الرَّفوِ حتّى ... لو بَعثناهُ وحْدَهُ لَتَهدّى

وله — ويقال إنّه أول شعر قاله فيه — وقد قال فيه خمسين مقطوعاً :

كساني ابن حربٍ طيلساناً كأنّه ... فتى ناحلٌ بالٍ من الوجدِ كالشَّنِّ

تغنّى لإبراهيمَ لمّــا لبسته ... « ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ مني »

يريد إبراهيم بن المهدي ، وهذا الشعر له وتتمته :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ مني ... هوى الدهر بي عنها وولّى بها عني

فإنْ أبْكِ نفسي أبكِ نفساً نفيسةً ... وإن احتسبْها أحتسبها على ضنٍّ

ومن شعر الحمدوني في شاة سعيد :

ما أرى إن ذبحتُ شاة سعيد ... حاصلاً في يَديّ غيرُ الإهــابِ

ليسَ إلاّ عظــامها .لو تراهــا ... قلتَ : هذي أزايف في جراب

من خساسِ الشاءِ اللّواتي إذا مــا ... أبصروهنَّ قيل : شاء النهاب

---

٦٧ — الزركشي : ٦٩ وطبقات ابن المعتز : ٣٧١ والأغاني ١٢ : ٦١ والوافي (ج : ٩) وابن خلكان ٧ : ٩٥ وسماه « الحمدوي » ولعل « الحمدويي » هو الأصوب .

ستراهنَّ كيف ينفضنَ في وجـ ـهِ المضحِّي بهنَّ يومَ الحساب

وقوله أيضاً فيها :

أيا سعيدُ لنا في شاتكَ العبرُ جاءت وما إن لها بولٌ ولا بعرُ
وكيف تبعر شاةٌ عندكم مكثت طعامُها الأبيضانِ الماء والقمر
لو أنها أبصرت في نومها علَفاً غنّت له ودموع العين تنحدر :
« يا مانعي لذةَ الدنيا بأجمعها إنّي ليقنعني من وجهك النظر »

وقال فيها :

أسعيد قد أعطيتني أضحيّةً مكثت زماناً عندكم ما تطعمُ
نضْواً تغامزتِ الكلابُ بها وقد شدّوا[1] عليها كي تموت فيولموا
فإذا الملا ضحكوا بها قالت لهم لا تهزؤوا بي وارحموني ترحَموا
مرت على علَف فقامت لم ترِمْ عنه وغنت والمدامعُ تسجم
«وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنـــهُ ولا متقدم »[2]

وقال فيها :

لسَعيد شويهـــةٌ سلّها الضرّ والتلفْ
قد تغنّتْ وأبصرتْ رجلاً حاملاً علف :
« بأبي مَن بكفّه برء دائي من الدنف »
فأتـــاها مطمّعـــاً فأتتـــهُ لتعتلف
فتولّى فـــأقبلتْ تتغنّى من الأسف :
« ليته لم يكنْ وقف عذب القلب وانصرف »

وقال في الطيلسان الذي وهبه إياه ابن حرب[3] :

---

١ ص : بندوا .
٢ بيت لأبي الشيص ، طبقات ابن المعتز : ٧٤ .
٣ من هنا حتى آخر مقطعات الحمدوني لم يرد في المطبوعة .

يا طيلسانَ ابن حربٍ قد هممتَ بأن ... تودي بجسمي كما أودى بك الزمنُ
ما فيك من ملبسٍ يغني ولا ثمنٍ ... قد أوهنت حيلي أركانكَ الوهنُ
فلو تَراني لَدى الرفّـاء مرتبطـاً ... كأنّني في يديـه الدهرَ مرتَهنُ
أقولُ حـين رآني النّـاسُ ألزمُـهُ ... كأنّمـا ليَ في حـانوته وطنُ
« من كان يسأل عنا أين منزلنـا ... فالأقحوانةُ منّا منزلٌ قمنُ » [1]

وقال فيه :

يا ابن حربٍ كسوتني طيلساناً ... أنحلته الأزمـان فهو سقيم
فإذا ما رفوتـه قـال سبحا ... نك محيي العظام وهي رميم

وقال فيه :

قل لابن حرب طيلسانك قد ... أودى قوايَ بكثرة الغُرم
متبيِّـنٌ فيـهِ لمبصِرهِ ... آثارُ رفوِ أوائـل الأمم
فكأنهُ الخمر التي وُصِفَتْ ... في « يا شقيق النفس من حكم » [2]
فإذا رممنـاهُ فقيـل لنـا ... قد صحَّ ، قال له البلى انهدم
مثل السقيمِ بري فراجعـهُ ... نكسٌ فأسلمهُ إلى سَقَم
أنشدتُ حين طغى فأعجزَني ... « ومن العناء رياضة الهرم » [3]

وقال فيه :

طيلسانٌ لو كان لفظاً [4] إذن ما ... شكَّ قومٌ في أنّهُ بهتان
فهو كالطورِ إذ تجلى له اللا ... هُ فدكّتْ قواه والأركان
كمْ رفوناهُ إذ تمزق حتى ... بقي الرفوُ وانقضى الطيلسان

---

١ بيت للحارث بن خالد المخزومي (الأغاني ٣ : ٣٢٠ ط . دار الثقافة) .
٢ صدر بيت شعر لأبي نواس ، وعجزه « نمت عن ليلي ولم أنم » .
٣ فيه تضمين وصدره « أتروض عرسك بعد ما هرمت » .
٤ ص : لفظ .

وقال فيه :

طيلسانٌ لابن حربٍ جاءني ... خلعةً في يوم نحسٍ مستمرْ
فإذا ما صحتُ فيهِ صيحةً ... تركتهُ كهشيم[1] المحتظر
وإذا ما الريح هبّت نحوه ... طيّرتـهُ كالجراد المنتشر
مهطعُ الدّاعي إلى الرافي إذا ... مـا رآه قال : ذا شيءٌ نكر
فإذا رفـاؤه حاول أنْ ... يتـلافـاهُ تعـاطى فعقر

وقال فيه :

أيا طيلسانيَ أعييتَ طبي ... أسُلٌ بجسمكَ أم داءُ حبٍّ
ويا ريحُ صيرتني أتقيكِ ... وقد كنتُ لا أتقي أن تهبي
ومستخبرٍ خبرَ الطيلسـان ... فقلت له: الروحُ من أمر ربي

وقال فيه :

طيلسانٌ لابن حربٍ جاءني ... قد قضى التمزيقُ منه وطَرَهْ
أنا منْ خَوفي عليهِ أبـداً ... سامريٌّ ليسَ يـألو حذرهْ
يا ابنَ حرب خذه أو فابعث بما ... نشتري عجلاً بصفرٍ عشرهْ
فلعلَّ اللهُ يحييـهُ لنـا ... إنْ ضربناهُ ببعضِ البقرهْ
فهو قد أدرك نوحـاً فعسى ... قد حوى من علم نوح خبرهْ
أبداً يقرأ مـنْ يبصره ... (أإذا كنّا عظامـاً نخره)

وقال فيه :

يا ابن حربٍ كسوتني طيلساناً ... يُزْرَعُ الرَّفوُ فيه وهو سباخ
مات رفـاؤه ومات بنوه ... وبدا الشيب في بنيهم وشاخوا

وقال فيه :

---

[1] ص : كنسيم .

يا ابن حرب أطلتَ فقري برفوي طيلسانـاً قد كنت عنه غنيّا
فهو في الرفوِ آل فرعون في العر ضِ على النار بكرة وعشيا
زرتُ فيهِ معاشراً فازدروني فتغنّيْتُ إذْ رأوني زريا :
« جئتُ في زيّ سائلٍ كي أراكم وعلى الباب قد وقفت مليّا »

وقيل إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع ، وكان قد وقف على أبيات عملها أبو حمران السلمي في طيلسانه ، وكان قد بلي ، وهي :

يا طيلسانَ أبي حمرانَ قد برمت بك الحياة فما تلتذُّ بالعمرِ
في كلِّ يومين رفّاءٌ يجدّده هيهات ينفع تجديدٌ مع الكبرِ
إذا ارتـداهُ لعيدٍ أو لجمعته تنكب الناسَ أن يبلى من النظرِ

وذكرت ها هنا ما كتبه ناصر الدين ابن النقيب إلى السراج الوراق :

لو فرَّ بغلي من اصطبلي لقلت لمن يجري وراه تمهَّلْ أيها الساري
ففي زقاق سراج الدين موقفه أو ذلك الخطّ أو في حومة الدار
وطيلسان ابن حرب قد سمعت به من طول بعث وترداد وتكرار

فأجابه السراج :

أفدي خُطاكَ ولو كانت على بصري لكانَ في ذاكَ تشريفٌ بمقـداري
وإن داركَ صـانَ اللهُ مالكها أعز عنديَ من أهلي ومن داري
وطيلسان ابن حرب في تردُّده قلبي إليك من الأشواق في نار
إذا تمـزقَ ألفـاكَ الشّريَّ لـَهُ في رفْوِ بالٍ وفي حوكٍ لأشعار

٦٨

[شرف الدولة ابن منقذ]

إسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، شرف الدولة أبو[1] الفضل بن أبي العساكر الكناني الشيزري الأمير ؛ كان فاضلاً شاعراً ، وكان أبوه صاحب شيزر وابن صاحبها ، فلما مات أبوه وليها أخوه تاج الدولة ، وأقام هو تحت كنف أخيه إلى أن خربتها الزلزلة ، ومات أخوه وطائفة تحت الردم ، وتوجه نور الدين فتسلّمها ، وكان إسماعيل غائباً عنها ، فانتقل إلى دمشق ؛ وكانت الزلزلة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة . وأبوه عمّ مؤيد الدولة أسامة . ومات إسماعيل بدمشق سنة إحدى وستين وخمسمائة . ومن شعره :

ومهفهف كتب الجمالُ بخده سطراً يحيِّرُ ناظر المتـــأملِ
بالغتُ في استخراجه فوجدته لا رأي إلاّ رأي أهلِ الموصلِ

وقال لغز[2] في زنبور ونحلة :

ومغردين ترنما في مجلسٍ فنفاهما لأذاهما الأقوامُ
هذا يجود بما يجودُ بعكسه هذا ، فيحمد ذا وذاك يذامُ

ومن شعره :

سُقيتُ كاسَ الهوى علاًّ على نَهَلٍ فلا تزدنيَ كأسَ اللومِ والعذلِ
نأى الحبيب فبي من نأيهِ حُرَقٌ لو لامست[3] جبلاً هدَّت قوى الجبلِ

---

٦٨ – الزركشي : ٦٩ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٥٦٤ ومعجم الأدباء ٥ : ٢٣٤ والوافي (ج : ٩) وليس في المطبوعة من هذه الترجمة إلا بيتان من الشعر .

١ ص : أبي .

٢ كذا في ص .

٣ الخريدة : لابست .

ولو تطلّبتُ سلواناً لزدت هوًى وقد تزيدُ رسوباً نهضةُ الوحل
عفَتْ رسومي فعجْ نحوي لتندبني فالجسمُ[1] غبَّ زيال الحب كالطلل
صحوتُ من قهوة تُنْفى الهمومُ بها لكنّني ثملٌ[2] من طرفه الثمل
أُصبِّر النفسَ عنه وهي قائلةٌ ما لي بعاديةِ الأشواقِ من قبَل
كمْ ميتةٍ وحياةٍ ذقتُ طعمهما مذ ذقتُ طعمَ النوى لليأسِ والأمل
والنفسُ إنْ خاطرت في غمرة وأَلتْ منها وإن خاطرتْ في الوجد لم تئل
لها دروعٌ تقيها من سهامِ يدٍ فهل دروعٌ تقيها أسهُمَ المقَل
فانظرْ إليهِ ترِ[3] الأقمارَ في قمر وانظر إليَّ ترَ[3] العشّاقَ في رجل
بأيّ أمرٍ سأنجو من هوى رشأ في جفنه سحر هاروت وسيف علي
إذا رمى لحظه بالسّحرِ قال لهُ قلبي : أعدْ لا رماك الله بالشلل
إن خفتُ روعةَ هجران الحبيب فقد أمنتُ في حبّهِ من روعةِ العذل

٦٩

[ابن عز القضاة]

إسماعيل بن علي بن محمد بن عبد الواحد بن أبي اليمن ، فخر الدين المعروف بابن عزّ القضاة ؛ كان في أول أمره كاتباً أديباً خدم في جهات كبار ، وله دخول على الملك الناصر صاحب حلب مع الشعراء وأهل حضرته ، فلما أن جفل الناس

---

١ الخريدة : فالصب .
٢ ص : ثملا .
٣ ص : ترى .
٦٩ – الزركشي : ٧١ وعبر الذهبي ٥ : ٣٦١ والشذرات ٥ : ٤٨٠ والوافي (ج : ٩) ؛ وقد سقط من المطبوعة معظم هذه الترجمة .

من الشام إلى مصر أيام التتار توجه إلى مصر ، وعاد بصورة عظيمة من الزهد والاعراض عن الدنيا ، ولازم كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي ، نسخ منها جملة ، وواظب[1] زيارة قبره ، واشتهر بالخير واعتقد الناس فيه . وتوفي سنة تسع وثمانين وستمائة ، ولم يخلف شيء[2] ، وفرغت نفقته ليلة مات ، وتوفي بعقربا ، وكانت له جنازة عظيمة ، ودفن في تربة أولاد الزكي ، وتلوا الناس على قبره ختمات كثيرة ، وتفجع[3] الناس عليه ، ورؤيت له المنامات الصالحة .

ومن شعره ما كتبه إلى الشيخ شرف الدين الرقي ، وهو مجاور بمكة ، شرفها الله تعالى : من الخادم إلى سيده وأخيه في الله إن ارتضاه ، أما بعد ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإني كنت أرجو بركة دعائه لما أظنه من عناية الله به ، فكيف الآن وهو جار الله ، فانضاف إلى عناية الله تعالى بسيدي عناية الوطن ، وكان الخادم عند توجه الحاج نظم أبياتاً حسنة مشوقة إلى تقبيل الحجر المكرم ، وها هي :

أوَفْدَ اللهِ أعطاكم قَبولاً وكانَ لكم حَفيظاً أجمعينا
إنِ الرحمنُ أذكركمْ بأمري هنـاكَ فقبّلوا عنّي اليمينا
فإنّي أرتجي منـــهُ جنــاناً لأنَّ إليهِ في قلبي حنينـا
وأرجو لَثْمَ أيــدٍ بايعتهُ إذا عــدتمْ بخيرٍ آمِنينـا

فاجابه الشيخ شرف الدين :

نعم أسعى على بصري ورأسي وألثُمُ عنكم الركنَ اليمينـا
نعم وكرامةً وأطوفُ أيضاً ببيتِ اللهِ ربِّ العــالمينـا
وأنتَ أخي وخلّي ثمَّ عندي كريمٌ في إخــائك ما بقينا

---

[1] ص : وواضب .
[2] كذا في ص .
[3] ص : وتفجج .

وأرجو أن نكون غداً جميعاً   إلى وجهِ المهيمنِ نـــاظرينا

ومن شعر ابن عزّ القضاة :

لم أنتَ في ودّ الصديقِ تُفَرّط   ترضى بلا سببٍ عليهِ وتسخطُ
يا من تلوّنَ في الوداد أما ترى   ورَقَ الغصون إذا تلون يسقط

وقال يصف شموعاً :

وزُهْرِ شموعٍ إن مددنَ بنانها   بمحوِ سطور الليل نابت عن البدرِ
وفيهنّ كافوريّةٌ خلتُ أنها   عمودُ صباح فوقه كوكبُ الفجر
وصفراءُ تحكي شاحباً شاب رأسه   فأدمُعُها تجري على ضيعة العمر
وخضراءُ يبدو وقدها فوق قدها   كنرجسة تُزهى على الغصن النضر
ولا غرو أن تحكي الأزاهر حسنها   أليس جناها النحل قِدماً من الزهر

وله أيضاً :

وملثم بالشَّعْرِ من فوق ثغره   غدا قائلاً شبِّهه ُ لي بحيـاتي
فقلت سترتَ الليل بالصبح قال لا   ولكن سترتُ الدرَّ بالظلمات

وقال على طريقة الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه :

يقولونَ دعْ ذكرى[1] بثينةَ كيف لي   وقد ملكتْ قلبي بحسن اعتدالها
ولكن إن اسطعتم تردّون ناظري   إلى غيرها فالعينُ نصبُ جمالها
وأقسمُ ما عاينت في الكونِ صورةً   لها الحسنُ إلاّ قلت طيفُ خيالها
ومن لي بليلى العـــامريّةِ إنّما   عظيم الغنى من نالَ وهمَ وصالها
فما الشمس أدنى من يديْ لامسٍ لها   وليس السُّها في بعد نقطة خالها
ولكن دنَتْ لطفاً له فتنزّلتْ   على عزها في أوجها وجلالهـــا
وأبدت لنا مرآتها غيب حضرة   غدت هي مجلاها وسرّ كمالها
فحسبيَ فخراً أن نُسبتُ لحبّها   وحسبيَ قرباً أن خطرت ببالها

---

[1] ص : ليلى .

٧٠

[العين زربي]

إسماعيل بن علي ، العين زربي [نسبة إلى عين زربة ، ثغر بقرب المصيصة][1] الشاعر ، سكن دمشق ومات بها سنة ثمان وستين وأربعمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

وحقكمُ لا زرتكمْ في دُجُنة — من الليل تخفيني كأنيَ سارقُ
ولا زرتُ إلاّ والسيوفُ شواهرٌ — عليّ وأطرافُ الرماح لواحقُ

ومنه أيضاً :

ألا يا حمامَ الأيكِ عشّك آهلٌ — وغصنك ميّاد وإلفكَ حاضرُ
أتبكي وما امتدت إليك يد النوى — ببين ولم يذعر جنابك ذاعر

وله أيضاً :

أعينيّ لا تستبقيا فيضَ عبرة — فإنّ النّوى كانت لذلكَ موعدا
فلا تعجبا أنْ تمطرَ العينُ بعـــدهمْ — فقد أبرقَ البينُ المشتُّ وأرعدا
ويومٍ كساه الغيمُ ثوباً مصندلاً — فصاغت طِرازيه يدُ البرق عسجدا
كأنّ السما والرعدَ فيهِ تذكّرا — هَوًى لهمــا فاستعبرا وتنهّدا
ذكرت به فياضَ كفك في الندى — وإن كانتا أهْمى وأبقى وأجودا

ومنه أيضاً :

---

٧٠ – الزركشي : ٧٢ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٦ والخريدة (قسم الشام) ٢ : ١٨٠ والوافي (ج : ٩) وكنيته أبو محمد .

١ زيادة من المطبوعة .

أحِنُّ إلى ساكنات الحجاز　　وقد حجزتني أمورٌ ثقالُ
بكيتُ ففاضتْ بحارُ الدموعِ　　وكان لها من جفوني انثيالُ
وظنّ العواذلُ أني سلوت　　لفقد البكاء وجاءوا وقالوا :
حقيقٌ حقيقٌ وجدتَ السلوَّ　　فقلت لهم [بل] محال محال [1]

ومن هذه المادة قول ابن سَناء الملك :

أرى ألفَ ألفِ مليح فما　　كأني رأيت مليحاً سواهُ
أراه وما لي وصُولٌ إليهِ　　فراحةُ قلبي أنْ لا أراهُ
وقالوا هواك مقيمٌ مقيمٌ　　عليهِ فقلتُ كما هو كما هو

٧١

الملك المؤيد صاحب حماة

إسماعيل بن علي، الإمام العالم الفاضل السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا ابن الأفضل ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور، صاحب حَماة ؛ مات في الكهولة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، كان أميراً بدمشق ، وخدم الملك الناصر لما كان بالكرك وبالغ في ذلك ، فوعده بحماة ووفى له بذلك وأعطاه حماة لما أمر لأسندمر بحلب بعد موت نائبها قبجق ، وجعله سلطاناً يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد من الدولة بمصر من نائب ووزير معه حكم ، وأركبه في القاهرة بشعار الملك وأبَّهة السلطنة ، ومشى الأمراء والناسُ في خدمته ، حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقام له القاضي كريم الدين بكلّ ما يحتاج

---

١ ابن عساكر : عنها فقلت محال محال .

٧١ – الزركشي : ٧٣ والدرر الكامنة ١ : ٣٩٦ والبداية والنهاية ١٤ : ١٥٨ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٩٢ وطبقات السبكي ٦ : ٨٤ والوافي (ج : ٩) .

إليه في ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيره ، ولقبوه الملك الصالح ، ثم بعد قليل لقبه الملك المؤيد .

وكان كل سنة يتوجّه إلى مصر بأنواع من الخيل والرقيق والجواهر وسائر الأصناف الغريبة ، هذا إلى ما هو مستمر طولَ السنة ممّا يُهديه من التحف والطُّرف ، وتقدم السلطان الملك الناصر إلى نوابه بأن يكتبوا إليه « يقبل الأرض » وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى يكتب إليه « يقبل الأرض بالمقام العالي الشريف المولوي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي » وفي العنوان « صاحب حَماة » ويكتب إليه السلطان أخوه محمد بن قلاوون « أعز الله أنصار المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي » بلا مولوي .

وكان الملك المؤيد فيه مكارم وفضيلة تامّة من فقه وطب وحكمة وغير ذلك ، وأجود ما كان يعرفه علم الهيئة لأنه أتقنه ، وإن كان قد شارك في سائر العلوم مشاركة جيدة . وكان محبّاً لأهل العلم مقرباً لهم ، أوى إليه أمين الدين الأبهري ، وأقام عنده ، ورتب له ما يكفيه ، وكان قد رتب لجمال الدين محمد بن نُباتة كل سنة ستمائة درهم ، وهو مقيم بدمشق ، غير ما يتحفه به .

ونظم « الحاوي » في الفقه ، ولو لم يعرفه معرفة جيدة ما نظمه ، وله تاريخ مليح ، وكتاب « الكناش » مجلدات كثيرة ، وكتاب « تقويم البلدان » هذبه وجَدوله وأجاد فيه ما شاء ، وله كتاب « الموازين » جوده وهو صغير .

ومات وهو في الستين ، رحمه الله تعالى ؛ وله شعر ، ومحاسنه كثيرة .

ولما مات رثاه الشيخ جمال الدين بن نُباتة بقصيدة أولها :

ما للنّدى لا يُلبي صوتَ داعيه ... أظنُّ أنَّ ابن شاد[ي] قام ناعيه

ما للرجاء قد اشتدَّتْ مذاهبهُ ... ما للزمان قد اسودّت نواحيه

نعى المؤيد ناعيه فيا أسَفا ... للغيث كيف غدَتْ عنّا غواديه

منها :

كان المديح له عرساً[1] بدولته   فأحسنَ اللهُ للشعْرِ العزا فيه
يا آل أيّوبَ صبراً إنْ إرثكم   من اسمِ أيوب صبراً كان منجيه
هي المنايا على الأقوام دائرة   كلٌّ سيأتيهِ منهـا دور ساقيه

وتوجه الملك المؤيد بعض السنين إلى مصر ومعه ابنه الملك الأفضل محمد ، فمرض ولده . فجهز إليه السلطان الحكيمَ جمالَ الدين ابن المغربي رئيس الأطباء ، فكان يجيء إليه بكرة وعشياً ، فيراه ويبحث معه في مرضه ، ويقرر الدواء ، ويطبخ الشراب بيده في دست فضة ، فقال له ابن المغربي : يا خوند ، أنت والله ما تحتاج إليّ ، وما أجي إلاّ امتثالاً لأمر السلطان . ولما عوفي أعطاه بغلة بسرج وكنبوش[2] زركش وتعبية قماش وعشرة آلاف درهم والدست الفضة ، وقال : يا مولاي ، اعذرني فإني لما خرجت من حماة ما حسبت مرض هذا الابن .

ومدحه الشعراء وأجازهم ، ولما مات فرق كتبه على أصحابه ، وأوقف منها جملة . ومن شعره :

اقرأ على طيب الحيا   ةِ سلامَ صَبٍّ مات حزنا
واعلمْ بـذاكَ أحبّةً   بخل الزمان بهمْ وضنّا
لو كان يُشرى قربهم   بالمال والأرواحِ جدنا
متجرِّعٌ كأسَ الفِرا   قِ يبيتُ للأشجان رَهْنا
صبٌّ قضى وجداً ولم   يُقْضَى له ما قد تمنى

وله أيضاً :

كم من دمٍ حلّلَتْ وما ندمتْ   تفعل ما تشتهي فلا عُدِمتْ
لو أمكن الشمس عند رؤيتهـا   لثم مواطي أقـدامها لثمت

وله أيضاً :

---

١ ص : عرس .
٢ ص : وكبنوش ؛ والكنبوش : جلال يتخذ للدابة .

سرى مسرى الصَّبا فعجبت منه   من الهجران كيف صبا إليّا
وكيف ألمّ بي من غير وعدٍ   وفارقني ولم يعطف علَيّا

وله موشح رحمه الله تعالى :

أوقعني العمر في لعلّ وهل   يا ويح مَن عمره مضى بلعلْ
والشيبُ وافى وعنده نزلا   وفرّ منهُ الشباب وارتحلا
ما أوقحَ الشّيب الآتي   إذْ حَلّ لا عن مرضاتي
قد أضعفتني الستون لا زمني   وخانني نقص قوّة البدن
لكن هوى القلب ليس ينتقص   وفيه مع ذا مِن جرحه غُصص
يهوى جميع اللذات   كما لهُ من عادات
يا عاذلي لا تطل ملامك[1] لي   فإنّ سمعي نأى عن العذل
وليس يجدي الملامُ والفنَدُ   فيمن صبابات عشقه جُدُد
دعني أنا في صبواتي   أنت البَري مِنْ زلاّتي
كم سرني الدهر غير مقتصر   بالكاسِ والغانيات والوتر
نمرح في طيب عيشنا الرغد   طَرْفي وروحي وسائر الجسد
وكم صفت لي خطراتي   وساعدتني أوقاتي
مضى رسولي إلى معذبتي   وعاد في بهجَةٍ مجدّدة
وقال : قالت تعال في عجل   لمنزلي قبلَ أن يجي رجُلي

---

١ ص : ملالك .

واصعدْ وجُزْ من طـاقاتي   ولا تَـخَـفْ مِنْ جاراتي

قال : ومن الغريب أنّ السلطان ، رحمه الله ، كان يقول : ما أظنّ أني أستكمل من العمر ستين سنة ، فما في أهلي – يعني بيت تقي الدين – من استكمله ، وفي أوائل الستين من عمره قال هذا الموشح ، ومات في بقية السنة ، رحمه الله تعالى .

وهذه الموشحة جيدة في بابها ، منيعة على طلابها ، وقد عارض بوزنها موشحة لابن سناء الملك رحمه الله تعالى ، أوّلها :

عسى ويا قلما تفيد عسى   أرى لنفسي من الهوى نَفَسا

مذ بان عني مَن قد كلفتُ به   قلبيَ قد لجّ في تَقَلُّبه

وبي أذى شَوق عـاتي   ومـدمعي يَومٌ شـاتي

لا أتركَ اللهوَ والهوى أبَدا   وإنْ أطَلتُ الغرامَ والفَنَدا

إن شئتَ فاعذل فلست أستمع   أنا الذي في الغرام أتبع

وتحتـذى صَبابـاتي   وبـدعي[1] وعـاداتي

بي مَلَكٌ في الجمال لا بشر   يُظْلَمْ إنْ قِيلَ إنّـهُ قمر

يحسن فيهِ الولوع والولـه   وعِزٌّ قلبي في أن أذلّ لهُ

خـدّي حِـذا إنْ ياتي   ويَرْتَعي حُشـاشـاتي

لست أذم الزمـانَ معتديـا   كم قد قطعت الزمانَ مُلْتهيا

وظَلْتُ في نعمة وفي نـعمِ   يلتذُّ سَمْعي وناظري وفمي

---

١ ص : ويدعى .

ولا قَذى في كـــاساتي ومرتَعي في الجنّـــات

وغـــادةٍ دينهـــا مخالفتي ولا ترى في الهَوى مخالَفتي

وتَسْتَبيني ولسْت أمْنعهـــا فقلت قَولاً عساهُ يخـدعها

مـــا هو كذا يا مولاتي اجري مَعي في مـــاواتي

وموشحة السلطان ، رحمه الله تعالى ، نقصت عن موشحة ابن سناء الملك ما التزمه من القافيتين في الخرجة وهو الذال في « كذا » والعين في « معي » وخرجة ابن سناء الملك أحسن من خرجة السلطان ، رحمهما الله تعالى .

٧٢

السيد الحميري

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة المعروف بالسيد الحميري ؛ كان شاعراً محسناً كثير القول ، إلاّ أنه كان رافضي جلد زائغ[١] عن القَصد؛ له مدائح جمّة في آل البيت عليهم السلام ، وكان مقيماً بالبصرة ، وكان أبواه يُبغضان عليّاً ، وسمعهما يسُبّانه بعد صلاة الفجر ، فقال :

لعن اللهُ والديّ جميعاً ثمّ أصلاهما عذابَ الجحيم

وكان يرى رجعة محمد بن الحنيفة في الدنيا ، وكان كثيِّرٌ الشاعرُ يرى هذا

---

٧٢ - طبقات ابن المعتز : ٣٢ والأغاني ٧ : ٢٢٤ وابن خلكان ٦ : ٣٤٣ والوافي ٩ رقم ٥٠٠٣ وفتوح ابن أعثم ٢ : ٢٣٤ ورجال الكشي : ٢٤٢ وقد طبع في النجف (١٩٦٥) كتاب للمرزباني بعنوان « أخبار السيد الحميري ». وقد جمع ديوانه شاكر هادي شكر (بيروت ؛ دون تاريخ) .

١ كذا هو في ص ، دون اعراب .

الرأي ، وكان السيد يعتقد أن ابن الحنفية لم يمت ، وأنه في جبل بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضّاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جَوْراً ، ويقال إن السيد اجتمع بجعفر الصادق عليه السلام فعرّفه خطأه وأنه على ضلالة فتاب .

وقال المرزباني في «معجم الشعراء» : إنه إسماعيل بن محمد بن وداع الحميري ، ولذلك يقول[1] :

إنّي امرؤٌ حِميريٌّ حين تنسبُني ... جَدّي رُعَينٌ وأخوالي ذوو يَزَنِ
ثمّ الولاء الذي أرجو النجاة[2] به ... يوم القيامةِ للهادي أبي الحسنِ

وكان أسمر تامّ القامة حسن الألفاظ جميل الخطاب ، مقدّماً عند المنصور والمهدي . ومات أوّل أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وولد سنة خمس ومائة . وكان أحد الشعراء الثلاثة[3] الذين لم يُضبط ما لهم من الشعر ، هو وبشار وأبو العتاهية ، وإنما أمات ذكره وهَجَره الناس لسبّه الصحابة وبغض أمّهات المؤمنين وإفحاشه في قَذفهم ، فتحاماه الرواة .

قال المازني : سمعت أبا عبيدة يقول : ما هجا بني أمية أحد كما هجاهم يزيد ابن مفرّغ والسيد الحميري .

وقال السيد : أتى بي أبي وأنا صغير إلى محمد بن سيرين فقال لي : يا بنيّ ، اقصُص رؤياك ، فقلت : رأيت كأنّي في أرض سَبِخة ، وإلى جانبها أرض حسنة ، وفيها النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً ، وليس فيها نبت ، وفي الأرض السبخة شوك ونخل ، فقال لي : يا إسماعيل ، أتدري لمن هذا النخل ؟ قلت : لا ، قال : هذا لامرىء القيس بن حجر ، فانقله إلى هذه الأرض الطيبة التي أنا فيها ، فجعلت

---

١ ورد البيتان في ديوانه : ٤٣٩ برواية مختلفة .
٢ ص : النجاء .
٣ ص : الثلاث .

أنقله ، إلى أن نقلت جميعَ النخل وحوَّلتُ شيئاً من الشوك ، فقال ابن سيرين لأبي : أمّا ابنك هذا فسيقول الشعر في مدح طَهَرة أبرار ، فما مضت إلاّ مدة حتى قلت الشعر .

قال ابن سلاّم : فكانوا يرون أن النخل مدْحُه أمير المؤمنين وذريته ، وأن الشوك حوله وما أمر بتحويله هو ما خلط به شعره من سب السلف .

وقال الصُّولي : حدّثنا محمد بن الفضل بن الأسود ، حدّثنا علي بن محمد بن سليمان ، قال : كان السيد يزعم أن عليّاً رضي الله عنه سَمّى محمد بن الحنفية المهدي ، وأنه الذي بشّر به النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأنه حيّ في جبال رَضْوَى .

قال الصُّولي : قال أبو العيناء للسيد : بلغني أنك تقول بالرَّجعة ، قال : هو ما بلغك ، قال : فأعطني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة ، فقال له السيد : على أن توثّق لي بمن يضمن أنك ترجع إنساناً ، أخاف أن ترجع قرداً أو كلباً فيذهب مالي .

وكان السيد إذا سُئل عن مذهبه أنشد من قصيدته المشهورة[1] :

سَميُّ نَبيِّنا لم يَبْقَ منهم ... سواه فعنده حصلَ الرجاءُ
فَغُيِّبَ غيبةً من غير موت ... ولا قَتل وسار به القضاء
وبين الوحش ترعى في رياضٍ ... من الآفاتِ مرتعها خلاء
تحلّ فما بها بشرٌ سواهُ ... بعقْوتِهِ له عسل وماء
إلى وقت ، ومدة كل وقت ... ـوإن طالت عليه ـ لها انقضاء
فقل للناصب الهاذي ضلالاً ... يقوم وليس عندهمُ غَناء
فداء لابن خولَةَ كل نَذْل ... يطيف به ، وأنت له فداء
كأنا يابنَ خولةَ عن قريبٍ ... وربُّ العرشِ يفعل ما يشاء

---

[1] ديوانه : ٤٩ وهي منقولة عن الفوات .

تهز دُوَين عين الشمس سيفاً كلمع البرق أخلصه الجلاء
تشبه وجهـــه قمراً منيراً يضيء له إذا طلع السماء
فلا يخفى على أحدٍ فصبرٌ وهل بالشمس ضاحيةً خفاء
هنالك تعلم الأحزابُ أنّا ليوثٌ لا يُنَهنهنا اللقـاء
فندرك بالذحول بني أميٍّ وفي ذاك الذحول لهم فنـاء

وحكي أن اثنين تلاحيا في أي الخلق أفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهما : أبو بكر ، وقال الآخر : عليّ ، فتراضيا بالحكم إلى أوّل مَن يطلع عليهما ، فطلع عليهما السيد الحميري ، فقال القائل بفضل عليّ : قد تنافرت أنا وهذا إليك في أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت أنا : علي ، فقال السيد : وما قال هذا ابن الزانية ؟ فقال ذاك : لم أقل شيئاً .

وقال الصولي : حدثنا محمد بن عبد الله التميمي قال حدثنا أحمد بن إبراهيم عن أبيه قال : قلت للفضل بن الربيع : رأيت السيد الحميري ؟ قال : نعم ، عهدي به واقفاً بين يدي الرشيد ، وقد رفع إليه أنه رافضي ، وهو يقول : إن كان الرفض حبكم يا بني هاشم وتقديمكم على سائر الخلق فما أعتذر ولا أزول عنه ، وإن كان غير ذلك فما أقول به ، ثم أنشده[1] :

شجاك الحيّ إذ بانوا فدمعُ العـين هتّانُ
كأنّي يوم ردّوا العيـ ـسَ للرحلَـةِ نشوان
وفوق العيسِ إذ ولّوا مهـا عينٌ[2] وغزلان
وما حازوا إلى الأعلى[3] فأقمـارٌ وأغصـان

---

١ ديوانه : ٤١٠ .

٢ ص : عينا ؛ وفي الديوان : بها حور .

٣ الديوان : وما جاوز للأعلى .

منها :

عـــليٌّ وأبو ذَرٍّ ومقْـــــدادٌ وسلمان
وعَبّـــــاسٌ وعَمّارٌ وعبـــد الله إخوان
دعوا فاستودعوا علماً فأدَّوْهُ ومـــا خانوا
أَدينُ اللهَ بـــالدين الـ ذي كانوا بــه دانوا

منها :

فحبّي لك إيمـــانُ وميـــلي عنهُ كفران
فعدِّ القومُ ذا رفضـــاً فلا عُدُّوا ولا كانوا

قال : فعهدي بالرشيد وقد ألطف له ووصله ، وبرّه جماعة من الهاشميين ، وتوفي بعد قليل[1] .

قيل لما استقام الأمر للسَّفّاح خطب يوماً فأحسن الخطبة، فلما نزل عن المنبر قام إليه السيد الحميري فأنشده[2] :

دونَكُموها يا بني هاشم فجدّدوا من آيها الطّـــامسا
دونكموها فالبَسوا تاجها لا تعدموا منكم لها لابسا
دونكموها لاعلت كعبُ مَن أمسى عليكم مُلكَها نافسا
خـــلافة الله وسلطـــانه وعنصرٌ كان لكم دارسا
قـــد ساسهـــا قبلكمُ ساسةٌ لم يتركوا رطبـــاً ولا يابسا
لو خُيِّرَ المنبر فُرسانه ما اختار إلاّ منكمُ فارسا
فلست من أن تملكوها إلى هبوطِ عيسى منكمُ آيسا

فقال السفاح سلْ حاجتك ، قال : ترضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب

١ وقال الصولي . . . قليل : لم يرد في المطبوعة .
٢ ديوانه : ٢٥٨ .

وتوليه الأهواز ، قال [1] : قد أمرت بذلك ، وكتب عهده ودفعه إلى السيد ، وقدم به عليه ، فلما وقعت عينه عليه أنشده [2] :

أتيناكَ يا قرمَ أهلِ العراقِ   بخيرِ كتابٍ من القائمِ
أتيناكَ من عند خيرِ الأنامِ   فذاكَ ابن عم أبي القاسمِ [3]
يولّيكَ فيهِ جسامَ الأمور   فأنت صنيعُ بني هاشمِ
أتينـا بعهدِكَ من عنده   على من يليك من العالمِ

فقال له سليمان : شريف وشافع وشاعر ووافد ونسيب ، سلْ حاجتك ، فقال : جارية فارهة جميلة ومَن يخدمها ، وبدرةُ دراهم وحاملها ، وفرس رائع وسائسه ، وتخت من صنوف الثياب وحامله ، قال : قد أمرت لك بكل ما سألت ، وهو لك عندي كل سنة .

قال أبو ريحانة ، وكان يشار إليه في التصوّف والورع : حدّثني رجل كان أبوه في جوار السيد قال : لما حضرته الوفاة جاءنا وليّه فقال : هذا وإن كان مخلطاً فهو من أهل التوحيد ، وهو جاركم ، فادخلوا إليه ولقّنوه الشهادة ، قال: فدخلنا إليه وهو يجود بنفسه وقلنا له : قل [4] لا إله إلاّ الله ، قال: فاسودّ وجهه وفتح عينيه وقال : ﴿وحيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (سبأ : ٥٤) قال : فخرجنا من عنده ، فمات من ساعته .

---

١ ص : قلت .
٢ ديوانه : ٣٩٦ .
٣ سقط هذا البيت من المطبوعة .
٤ ص : قول .

٧٣
ابن مكنسة الشاعر

إسماعيل بن محمد ، أبو الطاهر المعروف بابن مكنسة الاسكندراني ؛ ذكره أمية ابن أبي الصلت في « الحديقة » ؛ توفي في حدود الخمسمائة أو بعدها . من شعره :

أعاذلُ ما هبتْ رياحُ ملامةٍ ... بنار هوًى إلاّ وزادت تضرّما
فكلني إلى عينٍ إذا جفّ ماؤها ... رأت من حقوق الحب أن تذرف الدما
فكم عبرةٍ أعطتْ غرامي زمامها ... عشيةَ أعملنَ المطيَّ المزمزما
فللهِ قَلْبٌ قارعتهُ همومُهُ ... فلم يبقَ حدٌّ منهُ إلاّ تثلّما [١]

وأورد له أيضاً في « الحديقة » :

رقّتْ معاقدُ خصرهِ فكأنها [٢] ... مشتقّةٌ من عَهدهِ وتجلُّدي
وتجعّدَتْ أصداغهُ فكأنها ... مسروقةٌ من خَلقهِ المتجعد
ما باله يجفو وقد زعم الورى ... أن الندى يختص بالوجه الندي
لا تخدعنّكَ وجنةٌ محمرّةٌ ... رقت ففي الياقوت طبع الجلمد
وزعمتَ أني لستُ من أهل الهوى ... صبا [٣] فقل ما شئته وتقلّد
والله ما أبصرتُ يوماً أبيضاً ... منذ ابتليتُ بحبّ طرفٍ أسود

وله أيضاً :

---

٧٣ – الزركشي : ٧٤ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ٢٠٣ والوافي ٩ رقم : ٥٠٢٠ .

١ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

٢ ص : فكأنما .

٣ ص : صب .

صيّرتمونـــا يا بني بكجور عشاقاً بشِدّهْ
لكم الولاية في الهوى أمراً أراد اللهُ عقدَهْ
مـــا قام منكم قائمٌ إلاّ وكان الحسن جُندهْ
ما يلتحي حتّى ينصّ على وليّ العهدِ بعدَهْ

وأورد له أيضاً :

يعطيكَ مبتدياً لدى سرّائه ويضاعف الإعطاءَ في ضرّائه
بتْ جاره فالعيش تحت ظلاله واستسقه فالبحر من أنوائه
يلقى الخطوبَ بمثلها من صبره والباترات بمثلها من رائه
فالطود حاسدُ حلمهِ وأناتِهِ والسيف حاسدُ بأسه ومضائه

ولابن مكنسة :

يا رب عربيدٍ إذا ما انتشى أربى على المجنون في مسّه
قالوا : فقد تاب ووالله ما يتوب أو يجعلَ في رمسه
وإنمـــا توبتـــه هـــذه عربدةٌ أيضاً على نفسه

وله أيضاً[1] :

إبريقنا عاكف على قَدَحٍ كأنّهُ الأمّ ترضعُ الولدا
أو عابد من بني المجوس إذا توهم الكاسَ شعلة سجدا

---

[1] لم يرد البيتان في المطبوعة .

٧٤

[أشجع السلمي]

أشجع بن عمرو السلمي من ولد الشريد بن مطرود ، مدح الرشيد والبرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه ، ووصله الرشيد وأعجبه مدحه وتقدم عنده وأثرت حالته في أيامه ، وهو القائل يصف الخمر :

ولقد طعنتُ الليلَ في أعجازه ... والكأسُ بين غطارفٍ كالأنجمِ
يتمايلونَ مع النّسيمِ كأنّهم ... قُضُبٌ من الهندي لم تتثلم
والليلُ ملتحفٌ بفضلِ ردائه ... قد كاد يسفر عن أغرٍّ أرقم
فإذا أدارتها الأكفّ رأيتهـــا ... تثني الفصيحَ إلى لسان الأعجم
وعلى بنَانِ مديرها عقيانـــةٌ ... من كسبها وعلى فضول المعصم
تغلي إذا ما الشعريان تلظّيا ... صيفاً وتسكن في طلوعِ المرزم
ولها سكونٌ في الإناء وتارةً ... شغباً تطوّحُ بالكميّ المعلم
تعطي على الظلم الفتى يقتادها ... قسراً وتظلمه إذا لم يظلم

قال عبد الله بن العباس الربيعي : إن أول من أدخل أشجع على الرشيد أنه خدم الفضل بن الربيع فوصفه للرشيد وقال : هو أشعر أهل هذا الزمان ، وقد اقتطعه البرامكة ، فأمر بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ، فلما وصل إليه أنشده في القصر الذي بناه :

قصرٌ عليـــهِ تحيّـــةٌ وسلامُ ... نثرت[1] عليـــهِ جمالها الأيامُ

---

٧٤ - طبقات ابن المعتز : ٢٥١ والشعر والشعراء : ٧٥٨ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٥٩ والأغاني ١٨ : ١٤٣ والوافي ٩ : رقم ٥٠٨٨ وتاريخ بغداد ٧ : ٤٥ والموشح : ٤٥٢ والأوراق للصولي (قسم أخبار الشعراء : ٧٤) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ابن المعتز : نشرت .

فيهِ اجتلى الدنيا الخليفةُ والتقتْ ... للملكِ فيه سلامةٌ وسلام[1]
قصرٌ سقوفُ المزن دون سقوفه ... فيـهِ لأعلامِ الهدى أعلام
نشرت عليه الأرض كسوتها التي ... نسج الربيع وزخرف الأرهام
أدْنتكَ من ظلِّ النبيّ وصيّةٌ[2] ... وقرابةٌ وشجت بها الأرحام
برقت سماؤك في العدوّ فأمطرتْ ... هاماً لها ظلٌّ السيوف غمام
وإذا سيوفك صافحتْ هام العدا ... طارت لهنَّ على الرءوس الهام
تثني على أيّامِكَ الأيّـامُ ... الشّاهـدانِ الحلُّ والإحرام
وعلى عدوِّك يا ابن عمّ محمد ... رصدان ضوءُ الصبح والإظلام
فإذا تنبّهَ رعتهُ وإذا غفَا ... سلّتْ عليه سيوفَكَ الأحلام

قال : فاستحسنها الرشيد ، وأمر له بعشرين ألف درهم . وكان جعفر بن يحيى البرمكي يجري عليه في كل جمعة مائة دينار . وتوفي أشجع في حدود المائتين تقريباً . وأخباره في كتاب « الأغاني » كثيرة ، رحمه الله تعالى وإيانا .

٧٥

أشعب الطمع

أشعب بن جبير المدني ، الذي يضرب به المثل في الطّمع .

روى عن عكرمة وأبان بن عثمان وسالم بن عبد الله ، وله النوادر المشهورة .

---

١ ابن المعتز : ودوام .

٢ ابن المعتز : وسيلة .

٧٥ – الوافي ٩ رقم : ٥٠٩٢ وابن خلكان ٢ : ٤٧١ (شعيب) وهو من مزيدات طبعة بيروت (١٩٦٨ – ١٩٧٢) وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٧٥ وميزان الاعتدال ١ : ٢٥٨ وتاريخ بغداد ٧ : ٣٧ والمحاسن والمساوىء : ٥٩٧ والأغاني ١٩ : ٦٩ وأخبار الظراف : ٣١ وثمار القلوب : ١٥٠ .

قال : حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال : إن لله على العبد نعمتين [1] ، وسكت فقيل له : اذكرهما ، فقال : الواحدة نسيها عكرمة ، والأخرى نسيتها أنا .

وهو خال الأصمعي .

وقال يوماً : ابغوني امرأة أتجشأ في وجهها فتشبع ، وتأكل فخذ جرادة فتنتخم .

وأسلمته أمه في البزازين ، فقال لها يوماً : تعلمت نصف الشغل ، قالت : وما هو ؟ قال : تعلمت النشر وبقي الطي . وقيل له ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما زُفّت امرأة في المدينة إلاّ كَنَسْتُ بيتي رجاء أن تهدى لي . ومرّ برجل يعمل طبقاً ، فقال له : وسِّعه فربما يشتري أحد ويهدي لنا فيه شيئاً [2] . ومن عجائب أمره أنه لم يمت شريف [3] بالمدينة إلاّ استعدى على وصيّه أو على وارثه ، وقال له : احلف أنه لم يوصِ لي بشيء قبل موته .

كان زياد بن عبد الله الحارثي على شرطة المدينة ، وكان مبخّلاً ، فدعا أشعب في شهر رمضان ليفطر عنده ، فقدمت له أول ليلة مَضيرة [4] معقودة ، وكانت تعجبه ، فأمعن فيها أشعب وزياد يلمحه ، فلما فرغوا من الأكل قال زياد : ما أظن لأهل [5] السجن إماماً يصلي بهم في هذا الشهر ، فليصلِّ بهم أشعب ، فقال أشعب : أو غير ذلك أصلحك الله ، قال : وما هو ؟ قال : أحلف بالطلاق أن لا أذوق مضيرة أبداً . فخجل زياد وتغافل عنه .

وقال أشعب : جاءتني جارية بدينار وقالت : هذا وديعة عندك ، فجعلته بين ثني الفراش ، فجاءت بعد أيام فوجدت الدينار ، فقلت : ارفعي الفراش

---

١ ص : نعمتان .

٢ ص : شيء .

٣ ص : شريفاً .

٤ الوافي : مصلية .

٥ ص : لأجل .

وخذي ولده ، وكنت تركت إلى جانبه درهما ، فتركت الدينار وأخذت الدرهم وعادت بعد أيام فوجدت معه درهماً[1] آخر ، فأخذته ، وعادت في الثالثة كذلك ، فلما جاءت الرابعة تباكيتُ ، فقالت : ما يبكيك ؟ فقلت : مات الدينار في النِّفاس ، فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ فقلت : يا فاسقة تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنِّفاس ؟

وسأل سالم بن عبد الله بن عمر عن طمعه ، قال : اجتمعوا عليّ الصبيان يوماً ، فقلت لهم : هذا أبان بن عثمان قد طبخ هريسة وهو يفرقها ، فاذهبوا إليه ، فلما ذهبوا ظننت أن الأمر كما قلت ، فعدوت خلفهم .

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخان جاري فأثرد . وقيل له أيضاً ، قال : ما رأيت اثنين[2] يتساران إلاّ ظننت أنهما يأمران لي بشيء .

وجلس يوماً في الشتاء إلى إنسان من ولد عقبة بن أبي مُعيط ، فمرّ به حسن ابن حسن ، فقال : ما يقعدك إلى جانب هذا ؟ قال : أصطلي بناره .

ولما مات ابن عائشة المغني جعل أشعب يبكي ويقول : قلت لكم زوّجوا ابن عائشة من الشماسية حتى يخرج بينهما مزامير داود ، فلم تفعلوا ، ولكن لا يُغني حَذر من قدر .

ولما أخرجت جنازة الصريمية المغنية كان أشعب جالساً مع نفر من قريش ، فبكى أشعب وقال : اليوم ذهب الغناء كله ، وترحَّم عليها ، ثم مسح عينه والتفت إليهم وقال : وعلى ذلك فقد كانت الزانية شر خلق الله ، فضحكوا ، وقالوا : يا أشعب ليس بين بكائك عليها وبين لعنك لها فرق ، قال : نعم كنا نجيها الفاجرة بكبش إذا أردنا أن نزورها ، فتطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا إلاّ بسلق .

وجاز به يوماً سبط لابن سريج[3] ، فوثب إليه وحمله على كتفه ، وجعل يرقِّصه ويقول : فديت من ولد على عود ، واستهلّ بغناء ، وحنِّك بملوى ،

---

[1] ص : درهم .

[2] ص : اثنان .

[3] ص : سيرين ، والتصويب عن الوافي .

وقطعت سرّته بزبير ، وختن بمضراب .

وقيل له : رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، كلب أم حَومل ، تبعني فرسخين وأنا أمضغ لباناً[1] .

وخفف الصلاة مرّة ، فقال له بعض أهل المسجد : خففت الصلاة جداً ، قال : إنها صلاة لم يخالطها رياء . وقال له رجل : كان أبوك عظيم اللحية ، وأنت كوسج ، فلمن أشبهت ؟ قال : أشبهت أمي . وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، خرجت [إلى] الشام مع رفيق لي ، فنزلنا على باب بعض الديارات فتلاحينا ، فقلت : أير الراهب في است الكاذب ، فلم نشعر إلاّ بالراهب قد اطلع علينا وقد أنعظ وهو يقول : مَن هو الكاذب فيكم ؟

وكان أشعب لا يغيب عن طعام سالم بن عبد الله بن عمر ، فاشتهى سالم يوماً أن يأكل مع بناته ، فخرج إلى بستان له ، وأُعلم أشعب بالقصة ، فاكترى جَمَلاً بدرهم ، فلما حاذى حائط البستان وثب من على الجمل فصار على الحائط ، فغطى سالم بناته بثوبه [وقال : بناتي][2] فقال أشعب : إنك لتعلم ما لَنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد[3] .

وقال رجل يوماً لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما سألتني عن هذا الأمر إلاّ وقد خبأت لي شيئاً تريد تعطيني إياه .

وقيل هو من موالي عثمان بن عفان ، وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة ، وولد سنة تسع للهجرة ، فعمر عمراً طويلاً . وامرأته بنت وردان الذي بنى قبر النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أشعب قد قرأ القرآن وتنسك ، وكان حسن الصوت في القراءة ، وربما صلى بهم في المسجد .

قال المدائني ، قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة ، وقلت : اللهم أذهب

---

١ ص : لبان .

٢ سقط من ص ، وزدته من الوافي .

٣ انظر سورة هود : ٧٩ .

الحرص عني ، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً[1] ، فجئت إلى أمي فحكيت لها ذلك فقالت : والله لا تدخل بيتي حتى تذهب فتستقيل الله تعالى ، فرجعت فقلت : يا رب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبي ، فأقِلْني ، ثم رجعت فلم أمرّ بمجلس من مجالس قريش وغيرهم إلاّ سألتهم وأعطوني ، ووهبوا لي غلاماً[2] ، فجئت إلى أمي بحمار موقور[3] من كل شيء ، فقالت : ما هذا ؟ فخفت إن أعلمتها أن تموت ، فقلت : وهبوا لي غين ، قالت : وما غين ؟ قلت : لام ، قالت : ويلك وما لام ؟ قلت : ألف ، قالت وأي شيء ألف ؟ قلت ميم ، قالت : وأي شيء ميم ؟ قلت : غلام ، فسقطت مغشياً عليها ، ولو سميته أوّل سؤالها لماتت .

ورأى على عبد الله بن عمر كساء ، فقال : سألتك بوجه الله إلاّ أعطيتني هذا الكساء ، فرماه له . وكان يقول : حدّثني عبد الله بن عمر وكان يبغضني في الله .

وكان أشعب يجيد الغناء ، وذكره إبراهيم الرقيق في كتابه[4] ، وذكر له جملة أخبار ، رحمه الله تعالى .

٧٦

[أبو عطاء السندي]

أفلح بن يسار ، هو أبو عطاء السّندي مولى بني أسد ، ومنشؤه بالكوفة ، وكان من مخضرمي الدولتين ، وكان أبوه سنديّاً أعجمياً لا يفصح ، وكان في

---

١ ص : شيء .
٢ ص : غلام .
٣ الوافي : موقر .
٤ الوافي : في كتاب الأغاني له .

٧٦ — الشعر والشعراء : ٦٥٢ والأغاني ١٧ : ٢٤٥ والوافي ٩ رقم : ٦٠٣١ والخزانة ٤ : ١٧٦ والعيني ١ : ٥٦٠ والسمط : ٦٠٢ ومعجم المرزباني : ٤٥٦ وابن خلكان ٥ : ٢٨١ واسمه عنده « مرزوق » .

لسان أبي عطاء عجمة ولثغة ، وكان إذا تكلم لا يفهم كلامه ، ولذلك قال لسليم ابن سُليم الكلبي :

أعوزتني الرواة يا ابن سليم ... وأبى أن يقيم شعري لساني
وغَلا بالذي أجَمْجِمُ صدري ... وجفاني لعجمَتي سلطاني
وازدرتني العيونُ إذ كان لوني ... حالكاً مجتوًى من الألوان
فضربتُ الأمورَ ظهراً لبطنٍ ... كيف أحتال حيلةً لبياني
وتمنيتُ أنني كنت بالشعـ ... ـر فصيحاً وكان بعض بياني
ثم أصبحتُ قد أنختُ ركابي[1] ... عند رحبِ الفِناء والأعطان
فاعطِني ما تضيقُ عنهُ رُواتي ... بفصيحٍ من صالح الغلمان
يُفهمُ الناسَ ما أقولُ من الشعـ ... ـر فإنَّ البيان قد أعياني
واعتمدني بالشكر يا ابنَ سليم ... في بلادي وسائر البلدان
ستَرى فيهمُ قصائدَ غُرّاً ... فيك سباقَةً[2] بكلّ لسان

فأمر له بوصيف، فسماه عطاء ، وتبنّى به ورواه شعره ، فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه أو إنشاد شعر أمره فأنشد .

قيل إنه قال له يوماً: والأ منذ لدن دأوتأ وألت لبيأ ما أنت تصنأ ، يعني : والك منذ [لدن] دعوتك وقلتَ لبيك ما كنت تصنع .

وشهد أبو عطاء حربَ بني أمية وبني العباس ، وأبلى مع بني أمية ، وقتل غلامه عطاءٌ مع ابن هبيرة وانهزم هو .

وحكى المدائني أن أبا عطاء كان يقاتل المسودة وقدّامه رجل من بني مرّة يكنى أبا يزيد قد عُقر فرسه ، فقال لأبي عطاء : أعطني فرسك أقاتل عني وعنك ، وقد كانا أيقنا بالهلاك، فأعطاه أبو عطاء فرسه ، فركبه المريُّ ومضى على

---

١ ص والوافي : ردائي .
٢ ص : غر . . . سيافه .

وجهه ناجياً ، فقال أبو عطاء :

لعمرك إنّني وأبـا يزيـد   لكالسّاعي إلى لمعِ السَّرابِ
رأيت مخيلة فطَمِعتُ فيها   وفي الطّمعِ المذلّة[1] للرقاب
فما أغناك عن طلب ورزق   وما أغناك عن سَرَقِ الدواب
وأشهد أن مُرَّة حَيُّ صِدْقٍ   ولكن لستَ فيهم في النصاب

وعن المدائني أن يحيى بن زياد الحارثي وحماد الراوية كان بينهما وبين مسلم ابن هبيرة ما يكون بين الشعراء من النّفاسة ، وكان مسلم يحب أن يطرح حماداً[2] في لسان مَن يهجوه ، قال حماد : فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبي عطاء السنـدي أن يقول زج وجرادة ومسجد بني شيطان ؟ قلت : نعم ، فما تجعل لي على ذلك ؟ قال : بغلتي بسرجها ولجامها ، فأخذت عليه بالوفاء مَوثقاً ، وجاء أبو عطاء فجلس إلينا فقال : مرهبا بكم ، هياكم الله ؛ فرحبنا به وعرضنا عليه العشاء فأبى وقال : هل عندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرّت عيناه ، فقلنا له : يا أبا عطاء ، كيف علمك باللغز ؟ فقال : جيد ، فقلت :

أبِنْ لي إن سألتُ أبا عطـاء   يقيناً كيف علمك بالمعـاني ؟

فقال :

خبيراً عالماً[3] فاسأل تجدني   بهـا طبّاً وآيات المثاني

فقلت :

فما اسم حديدة في رأس رمح   دوَيْنَ الكعب ليست بالسِّنان

---

١ ص : المذكر .
٢ ص : حماد .
٣ الوافي : خبير عالم .

فقال :

هو الزُّزُّ الذي لو بات ضيفاً   لصدرك لم تزل لك لوعتان[1]

فقلت :

فما صفراء تُدعى أمّ عوفٍ   كأنَّ رُجيلَتَيْها منجلان

فقال :

أردت زرادةً وأقول حقّاً[2]   بأنك ما عدوت[3] سوى لساني

فقلت :

أتعرف مَسْجداً[4] لبني تَميم   فُوَيْقَ الميل دون بني أبان ؟

فقال :

بنو سيتان دون بني أبان   كقرب أبيك من عبد المَدانِ

قال حماد : فرأيت عينيه قد ازدادت حمرة ، ورأيت الغضب في وجهه وتخوّفته ، فقلت : يا أبا عطاء ، هذا مقام المستجير بك ، ولك نصف ما أخذته ، قال : فاصدقني ، قال : فأخبرته فقال : أولى لك ، قد سلِمت سَلِم لك جُعلك ، خذه بورك لك فيه فلا حاجة لي إليه ، وانفلت يهجو مسلم بن هبيرة .

ووفد أبو عطاء السندي على نصر بن سيار ، فأنشده :

قالت بريكةُ بنّي وهي[5] عاتبةٌ   إن المُقام على الإفلاس تعذيب

ما بالُ همٍّ دخيلٍ بات محتضراً   رأسَ الفؤاد فنوم العين ترجيب

---

١ الأغاني : عولتان .

٢ الأغاني : وازن زنا (= وأظن ظناً) .

٣ ص : عددت .

٤ ص : مسجد .

٥ ص : وهو .

إني دعاني إليك الخير من بلدي والخير عند ذوي الأحساب مطلوب

فأمر له بأربعين ألف درهم .

وتوفي بعد الثمانين والمائة ، رحمه الله تعالى .

٧٧

[علاء الدين الجاولي]

ألطنبغا ، علاء الدين الجاولي ، مملوك ابن باخل ؛ كان عند الأمير علم الدين سنجر الجاولي دوادار لما كان بغزة . وكان حسن الصورة تامّ القامة ، وكان الجاولي يحسن إليه ويبالغ في الإنعام عليه ؛ وكان اقطاعه يعمل عنده عشرين ألف درهم ، فلما شنع على الجاولي أن إقطاعات مماليكه تعمل من العشرين إلى الثلاثين راك الأجناد ، وأعطى لعلاء الدين المذكور اقطاع دون الذي كان بيده، فتركه ومضى إلى مصر بغير علم الأمير علم الدين ، فراعى الناس خاطر مخدومه ولم يستخدمه أحد ، فأقام يأكل من حاصله بمصر زماناً ، ثم حضر إلى صفد فأكرم نزله الأمير سيف الدين أرقطاي النائب بها ، وكتب له مربعه بإقطاع ، وتوجه إلى مصر ، فخرج عنه فأتى إلى دمشق، فأكرمه الأمير سيف الدين تنكز ، وأعطاه إقطاع بحلقة دمشق، ووقع بينه وبين الأمير علم الدين بسببه ، وبقي بدمشق إلى أن أمسك الجاولي وحبس ، فلما فرج عنه فتوجه[١] إليه وخدمه مدة ، ثم سيره إلى دمشق شادّاً على أوقاف المنصور الذي يختص بالبيمارستان المنصوري[٢] .

٧٧ – الوافي والزركشي : ٧٥ والدرر الكامنة ١ : ٤٣٥ ، واحتفظت بكثير من الألفاظ غير معربة في هذه الترجمة .

١ كذا في ص ، والأنسب : توجه .

٢ وكان اقطاعه . . . المنصوري : سقط من المطبوعة .

وكان نادراً في أبناء جنسه : في الشكل المليح ولعب الرمح ، والفروسية والذكاء ولعب الشطرنج والنرد ، ونظم الشعر الجيد ، لا سيما في المقطّعات فإنه يجيدها ، وله القصائد المطولة ، ويعرف فقهاً على مذهب الشافعي ، ويعرف أصولاً ، ويبحث جيداً ، ولكنه سال ذهنه لما اجتمع بالشيخ تقي الدين ابن تيمية ، ومال إلى رأيه ، ثم تراجع عن ذلك إلاّ بقايا ، وكان حسن العشرة لطيف الأخلاق فيه سماحة .

ومن شعره :

سَبِّحْ فقد لاح برقُ الثغر بالبرد ... واستسق كأسَ الطلا من كفِّ ذي ميَد

مستعربَ اللّفظِ للأتراكِ نسبتــهُ ... لهُ على كلّ صبٍّ صولةُ الأسد

يا عــاذلي خلّني فالحسن قلّده ... عقداً من الدر لا حبلاً من المسد

ويلٌ لمـنْ لامَني فيــهِ ومُقلَتهُ ... نفاثةُ النَّبْلِ لا نفــاثةُ العقد

وله أيضاً :

خوْدٌ زها فوق المراشف خالها ... فلئن فتنتُ به فلستُ ألامُ

فكأنَّ مبسمها وأسْودَ خالها ... مسكٌ على كأس الرحيق ختام

وله أيضاً :

وباردِ الثغرِ حــلو ... بمرشف فيــه حُوَّهْ

وخصرهُ في انتحــالٍ ... يبدي من الضعفِ قوهْ

وله أيضاً :

ردفه زاد في الثّقــالة حتى ... أقعد الخصرَ والقوام السويّا

نهضَ الخصر والقوام وقــاما ... وضعيفــانِ يغلبــان قويّا

وله أيضاً :

تخاطبني خوْد فأبدي تصامماً ... فتكثرُ تكرارَ الخطاب وتجهرُ

فأصغي لها أذناً وأظهرُ عجمةً   لكيما أرى دراً من الدر ينثر

وله أيضاً :

وصالُكَ والثريّا في قِرانِ   وهجركَ والجفا فرسا رِهانِ
فديتك ما حفظت لشؤم بختي   من القرآن إلاّ (لن تراني)

وله أيضاً :

سلْ وميضَ البروقِ عن خفقاني   وعليلَ النّسيمِ عنْ جثماني
ولهيبَ الهجيرِ عن نارِ قلبي   وخفيَّ الخيال عن أجفاني

وله أيضاً :

إن عاد لمعُ البرق يخبر عنكمُ   وأتى القبولُ مبشراً بقبولي
فلأقدحنَّ البرقَ من نار الحشا   ولأخلعنَّ على النّجومِ نحولي

وله أيضاً :

انهلَّ أدمعها دراً وفي فمها   درٌّ وبينهما فرقٌ وتمثالُ
لأن ذا جامدٌ في الثّغر منتظم   وذاكَ منتثرٌ في الخدّ سيّال

وله أيضاً :

جاءني الورد في بديع زمان   فَقَطَعْناهُ في منًى وأمانِ
ونهبنا فيهِ لذيذَ وصالٍ   وهتكنا فيه عروس الدنان
وغلطنا فيه ببعض ليالٍ   فخلطنا شعبان في رمضان

وتوفي[1] بدمشق في ثامن ربيع الأول سنة أربع وأربعين وسبعمائة بعلة الاستسقاء ، رحمه الله تعالى .

---

١ جاء في ص بعدها : « رحمه الله تعالى » وكررت أيضاً في ختام العبارة .

٧٨

[أيدمر المحيوي]

أيدمُر المحيوي ، فخر الترك عتيق محيي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى . قال ابن سعيد المغربي في كتاب « المشرق » في ترجمة هذا : بأي لفظ أصفه ، ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أنصفه ؟ نشأ في الدوحة السعيدية فنمَّت أزاهره، وطلع بالسماء الندوية [1] فتمت زواهره ، جمعت لإقرانه [2] أعلام الفنون ، حتى خرج آية في كل فن ، وبرع في المنثور والموزون ، مع الطبع الفاضل الذي عضده ، وبلغه من رياسة هذا الشأن ما قصده ، لا سيما حين سمعت قوله الذي أتى فيه بالإغراب ، وترك مهيار معلّقاً منه بالأهداب :

بالله إن جزت الغُويرَ فلا تُغِر ... باللين منك معاطفَ الأغصان
واستُرْ شقائقَ وجنتيك هناك لا ... ينشقّ قلبُ شقائقِ النعمان

وأورد له أيضاً [3] :

الروضُ مقتبلُ الشبيبةِ مونقُ ... خَضِلٌ يكاد غضارةً يتدفقُ
نثر النّدى فيه لآلئَ عقده ... فالزهرُ منهُ متوَّج وممنطق
وارتاع من مرِّ النّسيمِ به ضحًى ... فغدت كمائمُ نَوْرهِ تتَفتّق
وسرى شعاعُ الشمس فيه فالتقى ... منها ومنه سنا شموس تشرق
والغصن ميّاس القوام كأنّه ... نشوانُ يُصبَح بالنّسيم ويغبق

---

٧٨ – الوافي والزركشي : ٧٦ وخطط المقريزي ١ : ٣٤٢ وقد طبع ديوانه بدار الكتب ١٩٣١ وهو مختار من شعره ، ولذلك لم أجد فيه أكثر المقطعات التي أوردها المؤلف .

١ ص : الندابة .

٢ ص : لاقرانه .

٣ ديوانه : ١ .

والطيرُ ينطقُ معرباً عن شجوه   فيكاد يفهمُ عنه ذاك المنطق
غرداً يغني للغصون فتَنْثني   طرباً جيوبُ الظل[1] منه تشقق
والنهر لمّا راح وهو مسلسلٌ   لا يستطيع الرقص ظلّ يصفق
وسُلافة باكرتها في فتيةٍ   مِنْ مثلها خُلُق لهم وتَخلّق
شربت كثافتها الدهور فما ترى   في الكأسِ إلاّ جذوةً تتألّق
يسعى بها ساقٍ يهيج إلى[2] الهوى   ويُري سبيلَ العشق من لا يعشق
تتنادم الألحاظ منهُ على سَنا   خدٍّ تكادُ العينُ فيهِ تغرق
راقَ العيونَ غضاضةً ونضارةً   فهو الجديدُ ورَقّ فهو معتّق
ورنا كما لمع الحسام المنتضى   ومشى كما اهتز القضيبُ المورق
وأظلّنا[3] من فرعه وجَبينهِ   ليلٌ تألق فيه صبحٌ مشرق
وكأنّ مقلته ترددُ لفظة   لتقولها لكنّها لا تنطق
فإذا العيونُ تجمعتْ في وجهه   فاعلم بأنّ قلوبها تتفرق

وله أيضاً[4] :

وافاكَ شهرُ الصومِ يخبر أنه   جارٍ بأيمنِ طائرٍ ميمونِ
ما زال يُمحقُ بدرُهُ شوقاً إلى   لقياك حتى عاد كالعُرجون

وله أيضاً :

حللنا مقاماً كلنا عبد ربّه   فلا غرو أن نهدي له درر العقد[5]

وله أيضاً :

---

١ ص : الطل .
٢ ص : به .
٣ الديوان : وأظله .
٤ ديوانه : ٣٤ .
٥ لم يردْ في المطبوعة .

رعى الله ليلاً ما تبدّى عشاؤه   لأعيننـــا حتّى تطلّعَ صُبْحُهُ
كأنَّ تغشّيه لنا وانفراجَهُ   لقربهما إطباقُ جفنٍ وفتحهُ

وله أيضاً[1] :

وأغرَّ مصقولِ الأديمِ تخالهُ   زرت عليهِ جلابب من عسجدِ
ذي منخرٍ كفم المزادةِ زانهُ   خدٌّ قليل اللحم غيرُ مخدّد
وكأنه نالَ المجرة وثبـــه   فرمته وسط جبينه بالفرقد
صناهُ عن رسمِ الحديد فوسمه   بالشكر من نعم الوزير محمد

وله أيضاً :

حبّذا الفسطاط من والدة   جنبت أولادها درَّ الجفا
يردُ النيلُ إليهـــا كدراً   فإذا مازج[2] أهليها صفا

وله أيضاً :

كأنّما الهالةُ حول بدرها   كمامةٌ تفتقت عن زهرها

وله أيضاً :

كم لدَيْنا همانيـــاً   قد حوت محكم العملْ
فـــارغاتٌ من الدّنـــا   نير ملأى من الأمل

وقال يرثي سهماً انكسر :

يا سهمُ هاج رداك لي بلبالاً   وأطار نومي والهمومَ أطالا
[لولاك] ما راع الحِمام حمامةً   يوماً ولا علق المنون غزالا
ولطالما شوشت من سرب المها   ألفاً ومن سطر[3] الكراكي دالا

---

١ المقطعات السبع الآتية لم ترد في المطبوعة .
٢ ص : مازح .
٣ ص : شطر .

قد كنت أعجبُ للقسيِّ سقيمةً صفرا تئنُّ كأنهنَّ ثكالى
فإذا بها علماً بيومك في الردى كانت عليك تكابد الأهوالا
عجباً من الآجالِ كيف تقسمت فيهِ وكان يقسّمُ الآجالا

وله أيضاً :

وكأن نرجسها المضاعفَ خائضٌ في الماء لفَّ ثيابهُ في راسِهِ

وقال أيضاً :

ذو قِصَرٍ بين طويـ لين قد اجتاز بنا
كـأنّهُ بينهما دمامةً نونُ «لنا»

وقال أيضاً ، وقد ركب مولاه في البحر فانكسر المركب :

غضب البحرُ من حجابٍ منيع حائلٍ بينهُ وبين أخيه
نَزَّقَتْهُ حَمِيَة الشّوق حتى خرق الحجب علّهُ يلتقيه

وقال موشحة[1] :

بات وسُمّاره النّجوم ساهرْ فمن ترى علّمك السهدَ يا جفون

صب[2] إلى مذهب التصابي صابي لا يعدل
فجنبهُ خافقُ الجنابِ نابي مبلبل
والطرف من دائم انسكابِ كابي مخبل
لسانه للهوى كتوم ساتر لما جرى والشان أن تكتّم[3] الشؤون

سباه مستملح المعاني عاني به البصر

---

١ الديوان : ٣٤ .
٢ ص : صبا .
٣ الديوان : تستّر .

يذكره عن شَدا الأغاني غـــاني إذا اذّكر
يقول مـــــا ناظر رآني راني إلاّ القمـــر
يرنو إلى وجهه[1] الحليم حائر لما يرى مرأى به تفتّن العيون

من أين للبدر في الكمال ما لي فيـــوصـــف
والغصن هـَلْ عطفه بحالي حالي مـــزخـــرف
وعارض النّقْص للهـــلال لا لي والكَلـــــف
ولا فم الشمس منه ميم ظـاهر لمن قَرا ولا من الحاجبين نون

ما كنت لولا درى بشاني شاني أخشى افتضاح
أفدي الذي راح للمثاني ثـاني عِـطْفَ المراح
[أنا لئن][2] صدَّ أو جفاني فـاني فـــلا جناح
لما لوى الجيد قلت[3] ريمُ نـــافر ثم انبرى يمشي كما تنثني الغصون

أيا نَداماي إن بـــالي بالي فغـــــردوا
صوتاً أنـــا عنهُ لانتقـالي قالي فـــــرددوا
في رُتَبِ المجدِ والمعـــالي عالي محمّــــــد
دام لــــهُ العزّ والنّعيم قاهر مقتــــدرا يعزُّ من شاءَ أو يهين

وقد عارض هذا الموشح السراج المحار الحلبي بقوله :

ما ناحت الورق في الغصون إلاّ هاجت على تغريدها لوعَـةَ الحزين

هل ما مضى لي مع الحبايب آيـب بعد الصدودْ
أم هل لأيّامنا الذواهبْ واهب بـــأنْ تعـــود

---

١ ص والديوان : وجهي .
٢ سقط من ص .
٣ ص : قلتو .

مع كل مصقولةِ الترائب كاعب هيفـــاء رُود
تَفْتَرُّ عن جوهر ثمـين جلاّ أن يجتلى يحمى بقضب من الجفون

وأهيفٍ نـاعم الشّمايلْ مايلْ في بـــردهِ
في أنفسِ العاشقينَ عاملْ عامل مـــن قـــدهِ
يرنو بطرف إلى المقاتـل قاتل في غِمْــدِهِ
أسطى من الأسد في العرين فعـــلا و أقتلا لعاشقيـــهِ من المنون

قاسوه بالبدر وهو أحلى شكلا من القمَـــر
فَراشَ هُدب الجفون نبَلا أبـلى بهـا البشر
وقال لي وهو قـد تجلّى جَـلاّ باري الصور
ينتصف البدر من جبيني أصـلا فقلت لا قال: ولا السِّحر من عيوني

عُلِّقتـهُ كامل المعـاني عاني قلبي بـــه
مبلبل البـال مذ جَفاني فاني في حبّـــه
كم بتُّ من حيث لا يراني راني لقـــربـــه
وبات من صُدْغه يُريني نمـلا يسعى إلى رضابه العاطر المصون

بتنـا وما نـال ما تمنّى منا طيب الوسَـن
نفض من خَمْرِهِ لدنّا دنا يَشْفي الحـزن
وكلّمـا مـال أو تثنّى غنى صوتـاً[1] حسن
لا تستمع في هوى المجون عذلا وانهض إلى راح تقي سَورةَ الشجون

وكانت وفاة أيدمر المحيوي في شهور سنة [. . . .][2] .

---

١ ص : صوت .
٢ بياض في ص .

٧٩

أيدمر السنائي

هو عز الدين أيدمر بن عبد الله ، كان جندياً وله معرفة بتعبير الرؤيا والأدب ، وكانت وفاته [في ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة] [1] ؛ فمن شعره :

تخذ النسيمَ إلى الحبيب رسولا ... دنفٌ حكاهُ رقّــــةً ونحولا
يُجري العيونَ من العيون صبابةً ... فتسيلُ في أثر الفريق سيولا
ويقول من حسدٍ له يا ليتني ... كنتُ اتخذت مع الرسول سبيلا

وله أيضاً :

سفرتْ فخلتُ الصبحَ حين تبلجا ... في جنح فودٍ كالظلام إذا سجا
فتــانة فتاكةٌ من طرفهـــا ... كم حاول القلبُ النجاةَ فما نجا
نحلت نضيرَ الغصن قامةَ قدها ... وحبت مهاة الجزع طرفاً أدعجا
تفترُّ عن بَرَدٍ نقيٍّ برده [2] ... بالرشف حَرَّ حُشاشتي قد أثلجا
ما إن دخلتُ رياضَ جنة خدها ... فرأيت عنها الدهر يوماً مخرجا
ولما رشفت رحيقَ فيهـا ظامياً ... فازددتُ إلاّ حرقةً وتوهجا
تعطو برخصٍ طرّفتْهُ بعندمٍ ... وتريك ثغراً كالأقاح مفلجا
أنّى نظرتَ إلى رياض جمالها ... عاينتَ ثَمَّ مفوفـاً ومدبّجا
زارت وعمرُ الليل في غُلَوائه ... فغدا من الشمس المنيرة أبهجا
وسرى نسيمُ الروض ينكر إثرها ... فتعرفتْ آثارُه وتأرَّجا

---

٧٩ – الوافي والزركشي : ٧٨ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ بياض في ص ، وقد اعتمدت في هذا التاريخ على الزركشي .

٢ الزركشي : ثغره .

ومن شعره أيضاً :

وَرَدَ الوردُ فأورِدنا المُداما　　وأرحْ بالراح أرواحاً هيامى

وآجْلُها بكراً على خُطّابها　　بنتَ كرم قد أبت إلاّ الكراما

ذات ثغر جوهريٍّ وصفُه　　في رحيق رشفه يشفي الأواما

برقعت باللؤلؤ الرطب على　　وجنةٍ كالنار لا تألو اضطراما

أقبلت تسعى بها شمس الضحى　　تخجل البدرَ إذا يبدو تماما

بجفونٍ بابـــليٍّ سحرُها　　سقمها أهدى إلى جسمي السَّقاما

ونضيرُ الورد في وجنتهـا　　نبتُهُ أنبتَ في قلبي الغراما

ودَّت الأغصانُ لما خطرت　　لو حكت منها التثني والقواما

قال لي خالٌ على وجنتها　　حين ناديت أما تخشى الضراما

منذ ألقيتُ بنفسي في لَظَى　　خدها ألفيت برداً وسلاما

حرف الباء



٨٠

[بكر بن النطاح]

بكر بن النَّطّاح الحنفي ، قيل هو عجلي ، كان شاعراً حسن الشعر كثير التصرف فيه ، وكان صُعلوكاً يقطع الطريق ثم اقصر عن ذلك ، وكان كثيراً ما يصف نفسه بالشجاعة والإقدام ، وهو القائل :

هنيئاً لإخواني ببغداد عيدُهُم وعيدي بحلوانٍ قراعُ الكتائبِ

وأنشدها أبا دُلف ، فقال له : إنك لتصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت عندك لذلك أثراً[١] ، فقال أيها الأمير ، وما ترى عند رجل حاسر أعزل ؟ فقال : أعطوه سيفاً ورمحاً ودرعاً وفرساً ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقيه مالٌ لأبي دُلَف يحمل إليه من بعض ضياعه فأخذه وجرح جماعة من غلمانه فهربوا وسار بالمال ، فلم ينزل إلاّ على عشرين فرسخاً ، فلما اتصل خبره بأبي دُلف قال : نحن جنَيْنا على أنفسنا وكنا أغنياء عن إهاجته ، وكتب إليه بالأمان[٢] وسوّغه المال وأمره بالقدوم عليه، فرجع ولم يزل معه يمدحه حتى مات .

وكان قد لحق أبو دلف إنساناً قد أردف آخر خلفه ، فطعنهما فشكّهما بالرمح ، فتحدث الناس في ذلك ، فلما عاد دخل عليه بكر بن النطاح فأنشده :

قالوا أينظِم فارسين بطعنةٍ يوم اللقاء ولا يراه جليلا

---

٨٠ - الوافي وطبقات ابن المعتز : ٢١٧ والأغاني ١٩ : ٣٦ وتاريخ بغداد ٧ : ٩٠ .

١ ص : أثر .

٢ ص : بالاماره .

لا تعجبنْ لو كان مدُّ قناتـهِ ميلاً إذاً نظم الفوارس ميلا

فأمر له أبو دُلف بعشرة آلاف درهم .

وله فيه :

له راحةٌ لو أن مِعشارَ جودها على البر كان البر أندى من البحرِ
ولو أن خلقَ الله في جسم فارسٍ وبارزه كان الخليَّ من العمر
أبا دُلف بوركت في كل بلدة كما بوركت في شهرها ليلة القدر

وله فيه أيضاً :

إذا كان الشتاء فأنت شمسي وإن حضر المصيف فأنت ظلُّ
وما تدري إذا أعطيت مالاً أيكثر في سماعك أم يَقلُّ

فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وقصد مالك بن طوق ، ومدحه فأثابه ، فلم يُرْضِهِ ، فخرج من عنده وكتب رقعة وبعث بها إليه وفيها :

فليتَ جَدا مالكٍ كلّهُ وما يرتجى منه من مطلبِ
أصيبَ بأضعافِ أضعافـه ولم أنتجعهُ ولم أرغب
أسأت اختياري فقلَّ الثوابُ ليَ الذنب جهلاً ولم يذنب

فلما قرأها وجه جماعة في طلبه ، وقال : الويل لكم إن فاتكم ، فلحقوه وردُّوه ، فلما رآه قام إليه وتلقّاه وقال : يا أخي عجلت علينا ، وما كنا نقتصر على ذلك وإنما بعثت إليك نفقة ، وعوّلنا على ما يتلوها ، واعتذر إليه ، ثم أعطاه حتى أرضاه ، فقال بكر بن النطاح يمدحه :

فتًى جاد بالأموالِ من كل جانبٍ وأنهبَها في عَوْدِهِ وبداتهِ
فلو خـذلت أمواله جود كفّه لقاسمَ مَن يرجوه شطرَ حياته
فإنْ لم يجد في العمر قسمةَ باذلٍ وجاز له الإعطاء من حسَناته

لجـــاد بها من غيرِ كفرٍ بربه   وشاركهم في صومهِ وصَلاته

وقال أيضاً :

كريمٌ إذا ما جئت طالبَ فضله   حـَباكَ بمـا تحوي عليهِ أنامله
ولو لم يكن في كفّه غيرُ نفسه   لجاد بهــا فليتّقِ الله سائله

ومن شعره :

بيضاء تسحب من قيام فرعها   وتغيب فيه وهو جثلٌ أسحمُ
فكأنهـــا فيهِ نهارٌ ساطعٌ   وكأنهُ ليـــلٌ عليهـــا مظلمُ

وله أيضاً :

ملأتُ يدي من الدنيا مراراً   فما طمع العواذل في اقتصادي
وما وجبت عليَّ زكاةُ مالٍ   وهل تجب الزكاة على جواد ؟

وتوفي بكر بن النطاح في حدود المائتين .

٨١

[الصابوني]

بكر بن علي الصابوني ؛ قال ابن رشيق في « الأنموذج » : كان شيخاً معمَّراً شاعراً مطبوعاً صاحب نوادر هجاء خبيثاً ، وأقدر الناس على بديهة ، وكان نقيَّ الشيبة والثياب ، حسن الصمت والخطاب . وكان مولعاً بأذى أبي بكر الوسطاني ، وضرب بينه وبين القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم عداوة ، وكان سبب خروجه من القيروان ناجياً بروحه إلى مصر ، وكان قد صنع قبل ذلك قصيدة أولها :

٨١ – لم يرد منها في المطبوعة إلا شيء يسير ؛ وانظر الوافي ومسالك الأبصار ١١ : ٣٥٨ .

أمرض بالوعظ القلوب الصِّحاحْ ما قاله الهاتفُ عند الصباحْ
أيقظني[1] من نومتي في الدجى شخصٌ سمعت القول منه كفاح
يقول : كم ترقدُ يا غافلاً والدهرُ إن لم يغدُ بالموت راح
تركَنُ للدنيا كأن لا براح منها وتغدو لاهياً في مزاح
ما الدهرُ والأيامُ في مرِّهـــا إلاّ كبرقٍ خاطفٍ ثم راح

مدح فيها عبد الله بن محمد الكاتب بعد مواعظ كثيرة ، وهجا ابن الوسطاني أقبح هجاء ، وذكر أنه يستتر بالعزائم والرقى ، ويسرُّ الفسقَ والزنا ، وأنشده إياها حذاءَ باب السلام بحضرة أشياخ الدولة ، وكان الراي الشاعر حاضر[2]، وله عناية بابن الوسطاني ، فقال : أتيت بشعر غيرك تسفه به على أهل الرتب بين يدي الملوك ، والله انك مستحق العقوبة ، فقال : أما قولك « تسفه » فسفه منك وقلة أدب لأني جئت محتسباً فيما يعلمه الله والقاضي وجماعة المسلمين . وأما قولك « أهل الرتب » فتلك الرتبة التي اشتكينا بما سمعت ، لأنها رتبة مصحَّفة ، وأما قولك « شعر غيرك » فإن أذن لي أبو محمد عرفتك أنه شعري ، فقال عبد الله للراي : ما ترى ؟ فقال : إيذن له ، فقال : شأنك ، فأنشد كأنه يحفظه :

سألتك بالقمر الأزهر وبالعين والحاجب الأنورِ
وبالسيد المـاجد المرتجى لدفع المظـــالم والمنكر
حسام الخلافة وابن الحسام ومنصورنـا جوهر الجوهر
أجرني من الناقص الأعور فلولاكَ في النّاس لم يذكر
هو النّحس حلّ به نحسه فلا خلق أنحس من أعور
إذا رام خيراً وما رامه أبتـــه شيمةِ البربر

فقال الراي : قد انتقصت بسيدنا العزيز بالله لأنه من البربر ، فقال بكر :

---

١ ص : أيقضني .
٢ كذا في ص .

لحا الله ناقصه بيننا		وإن كنتَ ذاك ولم تشعر
وفي أي شيء تنقصته		وقد حلّ في[1] البيت من حمير

فكأنما ألقمه حجراً .

ودخل إلى صاحب قيان ، فوجد جماعة من أصحابه يشربون ، منهم أبو[2] حفص الكاتب، ورأى برذونه قائماً في السقيفة، فقال : كم لكم هاهنا ؟ فقالوا : كذا وكذا يوم ، فشرب نهاره أجمع وليلته ، وأراد الانصراف من الغد ، فافتقد رداه ودراهم كانت معه ، وسأل القوم فما وقع على عينٍ ولا أثر ، فقال لابن أبي حفص : سألتك بالله إلاّ ما نزلت إلى هذا العبد الصالح ، فاستوهب لنا منه بأن يفضح الله سارقنا ، أو يجمع علينا ما راح منا ، فإنه صائم النهار قائم الليل ، قال : أي عبد يكون هذا ؟ قال : هو برذونك يا سيدي . فضحك الجماعة وخرج وهو يقول :

وغرفةٍ نُكّسَ أعلاها		للفسقِ والعصيان أنشاها
قد وضع الميزانِ في وسطها		وكنتُ من أول قتلاها
من يعرف الله فلا يأتها		فما بها من يعرف الله

ومن هجائه :

أذابَ والٍ بسوسة مخنّي		يُعرف بين الأنام بالفرخِ
يزعم عبد العزيز والده		وأير عبد العزيز مسترخي

وتوفي سنة تسع وأربعمائة ، وقد زاحم المائة ، رحمه الله تعالى وإيانا .

---

١ ص : من .
٢ ص : أبي .

٨٢

[ابن قوام]

أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام بن منصور بن معلى البالسي ، أحد مشايخ الشام ؛ كان شيخاً زاهداً عابداً قانتاً لله ، عديم النظير [١] كثير المحاسن ، وافر النصيب من العلم والعمل ، صاحب أحوال وكرامات . ولد بصفين سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ونشأ ببالس . وكان حسن الأخلاق لطيف الصفات ، وافر الأدب والعقل ، دائم البشر ، كثير التواضع ، شديد الحياء ، متمسك [٢] بالآداب الشرعية ، تخرّج به غير واحد من العلماء والمشايخ ، وتتلمذ له خلق كثير ، وقُصد بالزيارة .

قال : كنت في بدايتي تطرقُني الأحوال كثيراً ، فأخبر شيخي بها فينهاني عن الكلام فيها ويقول : متى تكلمت في هذا ضربتك بهذا الصوط ، ويقول : لا تلتفت إلى شيء من هذه الأحوال ، إلى أن قال لي : سيحدث لك في هذه الليلة أمر عجيب فلا تجزع ، فذهبت إلى أمي وكانت ضريرة ، فسمعت صوتاً من فوق فرفعت رأسي ، فإذا نور كأنه سلسلة متداخلٌ بعضه في بعض ، فالتف على ظهري حتى أحسست ببرده في ظهري ، فرجعت إلى الشيخ فأخبرته ، فحمد الله تعالى وقبلني بين عينيّ وقال : الآن تمت عليك النعمة يا بني ، أتعلم ما هذه السلسلة ؟ قلت : لا ، قال : هذه سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأذن لي في الكلام حينئذ .

قال حفيده : حدثني الشيخ الإمام شمس الدين الخابوري قال : سألت الشيخ

٨٢ — الوافي وعبر الذهبي ٥ : ٢٥٠ والشذرات ٥ : ٢٩٥ والدارس ٢ : ٢٠٨ .

١ ص : النضير .

٢ كذا في ص .

عن قوله تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم ﴾ (الأنبياء : ٩٨) فقد عبد عيسى وعُزَير ، فقال : تفسيرها ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ (الأنبياء : ١٠١) فقلت له : يا سيدي ، لا تعرف تكتب ولا تقرأ ، من أين لك هذا ؟ قال : يا أحمد ، وعزّة المعبود لقد سمعت الجواب فيها كما سمعت سؤالك .

وبعث إليه الملك الكامل على يد فخر الدين خمسة عشر ألف درهم ، فما قبلها وقال : لا حاجة لنا بها ، أنفقها في جُند المسلمين .

وجاءته امرأة وقالت : عندي دابة قد ماتت ، ومالي من يخرجها عني ، قال : امضي وحَصِّلي حبلا حتى أبعث من يجرها ، فمضت وفعلت ، فجاء بنفسه وجرّ الدابة ، فجاء الناس وجرُّوها عنه .

وكان لا يدع أحد[1] يقبّل يديه ويقول : من أمكن من تقبيل يده نَقَص من حاله شي .

وتوفي بقرية علم سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بها ، فأوصى أن يدفن في تابوت ، وقال لابنه : يا بني لا بدّ أن أنقل إلى الأرض المقدسة ، فنقل بعد اثنتي[2] عشرة سنة إلى دمشق سنة سبعين ودفن بزاويته أسفل عقبة دمَّر ، رحمه الله تعالى .

---

١ كذا في ص .

٢ ص : اثني .

٨٣

[الملك الأمجد]

بهرام شاه بن فرُّخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، السلطان الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر ، صاحب بعلبك ؛ وليَ بعلبك بعد أبيه ، وكان أديباً فاضلاً شاعراً ، له ديوان شعر موجود بأيدي الناس . أخذت منه بعلبك سنة سبع وعشرين وستمائة ، أخذها منه الأشرف موسى ، وسلَّمها إلى أخيه الصالح إسماعيل ، فقدم الأمجد إلى دمشق ، وأقام بها قليلاً ، وقتله مملوك له مليح في أوائل سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ودفن بتربة والده على الشرف الشمالي ، وكان سبب قتله أنه كان له غلام محبوس في خزانة في الدار ، فجلس ليلة يلهو بالنَّرد ، فولع الغلام برزَّة الباب فقلعها ، وهجم على الأمجد وهو غافل مشتغل باللعب فقتله وهرب ، ورمى بنفسه من السطح فمات ، وقيل لحقه المماليك عند وقعته فقطعوه بالسيوف . وقيل رآه بعض أصحابه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

كنت من ذنبي على وجلٍ زال عنّي ذلك الوجَلُ
أمنتْ نفْسي بَوائقَهـا عشتُ لما متُّ يا رجلُ

ومن شعره :

دعوت بمـاء في إناء فجاءني غلامٌ بها صرفاً فأوسعته زجرا
فقال : هو الماء القَراح وإنما تجلّى لها خدّي فأوهمك الخمرا

وكتب إليه الشيخ تاج الدين الكندي :

---

٨٣ – الوافي والزركشي : ٧٩ وابن خلكان ٢ : ٤٥٣ ومرآة الزمان : ٦٦٦ – ٦٦٨ وعبر الذهبي ٥ : ١١٠ والشذرات ٥ : ١٢٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٥ والبداية والنهاية ١٣ : ١٣١ ومرآة الجنان ٤ : ٦٥ .

لا تضجرنكمُ كتبي وإن كثرتْ — فإن شوقيَ أضعاف الذي فيها
والله لو ملكت كفّي مسالمة — من الليّالي التي حظّي يحاكيها
لما تصرَّمَ لي في غير داركمُ — عمرٌ ولا متّ إلاّ في نواحيها

فأجابه الأمجد :

إنا لتتحفنا بالأُنسِ كتبكُمُ — وإن بعدتم فإن الشوق يدنيها
وكيف نضجرُ منها وهي مُذهبة — من وحشةِ البين لوعاتٍ نعانيها
فإن وصفتمْ لنا فيها اشتياقَكمُ — فعندنا منكمُ أضعافُ ما فيها
سَلُوا نسيم الصبا يهدي تحيتنا — إليكم فهو يدري كيف يهديها

ومن شعره :

طوبى لقيّمنا أحْنى على قمرٍ — يجلو براحته عن وجهه الكَلَفا
أو درة كمنت في خدرها فغدا — يفض باللطف عن أنوارها الصَّدفا

وأورد له القوصي في معجمه :

أمّا هواك وإن تقادمَ عهده — فشفيعُ وجهكَ ما يزالُ يجدّدُهُ
لا تحسبنَّ على التقاطع والنّوى — ينساكَ مشتاقٌ تعاظمَ وجده
يهواكَ ما هبّ النسيمُ وحبّذا — نفحُ النسيمِ الحاجريٍّ وبرده
ما كان يكلفُ بالرياح صبابةً — لولا تجنّيهِ ولولا بعده
تسري إليهِ بنفحةٍ من عقده — إنّ المنى فيما تضمنَ عقده
ماذا الملامُ مع الغرام وفي الحشا — منه لهيبُ هوًى تضرم وقْدُه ؟
أيرومُ عاذلهُ المضلّل ردَّه — عن رأيه؟ هيهات خُيِّبَ قصده
ماذا عليهِ إذا تضاعف ما بـه — حتى يعودَ وقد تناهى حده
إنّ الهوى طمع يولد داءهُ — أملٌ يقَوِّيهِ الهوى ويمده
فلكم تملكَ رقَّ حر عَنوة — أمسى وأصبح وهو فيه عبده
وبأيمن الوادي غزالُ أراكةٍ — أصبو إليه وإن تزايد صده

يختالُ والأغصانُ تعطفها الصبا فيغار منهُ إذا تمايلَ قدّه
والأقْحوان إذا تبَسّمَ ثغره والورد مطلول الجوانب خدّه
قد كان شوّفني الوصالَ وليته من بعد مطل أن ينجّزَ وعده

وله أيضاً :

قولوا لجيران العقيقِ والنّقا حتّام تُهدون إلينا القلقا
يا ساكني قلبي عَسى مبشرٌ يخبرني متى يكون الملتقى
ما لبقائي بعد بُعدي عنكمُ معنًى، فإن لقيتكم طاب البقا
أشقانيَ الدّهر فإن أسعدني بجمع شملي بكمُ زال الشقا
أهواكمُ وأتّقي ، وقلّما يجمعُ ما بين الغرام والتُّقى
حبكمُ سفينة ركبتها مأمونة فكيف أخشى الغرَقا
حاشا لمن أصبح يرجو الوصل أن يمسي بنار هجركم محترقا

وله أيضاً :

يميناً لقد بالغت يا خلُّ في العذلِ وما هكذا فعلُ الأخلاءِ بالخلّ
إذا أنت لم تسعدْ خليلك في الهوى فذرْه لقد أمسى عن العذل في شغل
ولا تحسبنَّ اللومَ يُذهبُ وجدَهُ فلومك بالمحبوب يُغري ولا يسلي
وما كنت ممن يذهب الوجد حزمه لعمرك لولا أسهم الأعينِ النجل

٨٤

[بهلول المجنون]

بهلول بن عمرو ، أبو وهيب الصيرفي المجنون ، من أهل الكوفة ؛ حدّث

---

٨٤ – له ترجمة في الوافي للصفدي .

عن أيمن بن نابل وعمرو بن دينار وعاصم بن أبي النجود ، وكان من عقلاء المجانين ووسوس ، وله كلام مليح ونوادر وأشعار ، واستقدمه الرشيد أو غيره من الخلفاء ليسمع كلامه . توفي في حدود التسعين والمائة .

قال الأصمعي : رأيت بهلولاً قائماً ومعه خبيص ، فقلت له : أيش معك؟ قال : خبيص ، فقلت : أطعمني ، قال : هو ليس لي ، قلت : لمن هو ؟ قال : هو لحمدونة ابنة الرشيد بعثته لي آكله لها .

وقال محمد بن أبي إسماعيل ابن أبي فديك: رأيت بهلولاً في بعض المقابر وقد أدلى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب ، فقلت : ما تصنع هاهنا ؟ قال : أجالس أقواماً لا يؤذوني وإن غبت لا يغتابوني ، فقلت : قد علا السعر مرة ، فهل تدعو الله فيكشف عن الناس ؟ فقال والله ما أبالي ، ولو كان حبة بدينار ، لله علينا أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا ، ثم صفق يده وأنشأ يقول :

يا من تمتّع بالدنيا وزينتهـا ولا تنامُ عن اللذات عينـاهُ
شغلتَ نفسك فيما لست تدركه تقول لله ما ذا حين تلقـاهُ

وقال الحسن بن سهل : رأيت الصبيان يرمون بهلولاً بالحصى ، فأدمته حصاة فقال :

حسبيَ الله توكّلْتُ عليهِ مَن نواصي الخلق طُرّاً بيديه
ليس للهارب في مهربـهِ أبداً من راحة إلاّ إليهِ
رُبَّ رام لي بأحجارِ الأذى لم أجدْ بدّاً من العطف عليهِ

فقلت له : تعطف عليهم وهم يرمونك ؟ فقال : اسكت لعل الله يطلع على غمي ووجعي وشدة فرح هؤلاء فيَهَبَ بعضنا لبعض .

وقال عبد الله بن عبد الكريم : كان لبهلول صديق قبل أن يجنّ ، فلما أصيب بعقله فارقه صديقُه ، فبينما بهلول يمشي في بعض طرقات البصرة إذ رأى صديقه ، فلما رآه صديقه عَدَل عنه ، فقال بهلول :

ادْنُ منّي ولا تخافنّ غدري ليس يخشى الخليلُ غدرَ الخليلِ
إنّ أدْنى الذي ينالك مني سَتْرُ ما يتّقى وبثُّ الجميلِ

قال الفضل ابن سليمان : كان بهلول يأتي سليمان ابن علي فيضحك منه ساعة ثم ينصرف ، فجاءه يوماً ، فضحك منه ساعة ثم قال : عندك شيء نأكل ؟ فقال لغلامه : هات لبهلول خبزاً وزيتوناً ، فأكل ثم قام لينصرف وقال لسليمان : يا صاحب إن جئنا إلى بيتكم يوم العيد يكون عندكم لحم ؟ فخجل سليمان .

وجاء إلى بعض أشراف الكوفة وقال له : أشتهي آكل عسل بسرقين ، فدعا بهما ، فأكل من العسل وأمعن فيه ، فقال له الرجل : لم لا تأكل السرقين كما قلت ؟ قال : العسل وحده أطيب .

وعَبِثَ به الصبيان يوماً ففرّ منهم والتجأ إلى دار بابها مفتوح فدخلها ، وصاحب الدار قائم له ضفيرتان [1] ، فصاح به : ما أدخلك داري ؟ فقال : ﴿ يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾ (الكهف : ٩٤) .

وسأله يوماً عليُّ بن عبد الصمد البغدادي : هل قلت شيئاً في رقة البشرة ، فقال : اكتب :

أضمرُ أن أضمرَ حبي له فيشتكي إضمارَ إضماري
رَقَّ فلو مرّتْ به ذرّةٌ لخضبته بدمٍ جاري

فقال : أريد أرقّ من هذا ، فقال :

أضمرَ أن يأخذ المِراةَ لكي يبصر وجهاً له فأدناها
فجاز وَهْمُ الضمير منه إلى وجنته في الهوى فأدماها

فقال : أريد أرق من هذا أيها الأستاذ ، فقال : نعم وما أظنه ، اكتب :

شبّهتُهُ قمراً إذ مرّ مبتسماً فكاد يجرحه التشبيه أو كلَما

---

١ ص : ظفيرتان .

ومرَّ في خاطري تقبيلُ وجنته فسيَّلت فكرتي في وجنتيه دما

فقال : أريد أرق من هذا ، فقال : يا ابن الفاعلة أرق من هذا كيف يكون ؟ رويدك لأنظر إن كان قد طبخ في المنزل حريرة أرق من هذا ، رحمه الله تعالى .

٨٥
الفرنسيس الإفرنجي

بولش الافرنجي المعروف بالفرنسيس ؛ أجل ملوك الافرنج وأعظمهم قدراً وأكثرهم عساكر [١] وأموالاً وبلاداً ، قصد الديار المصرية واستولى على طرف منها ، وملك دمياط سنة سبع وأربعين وستمائة ، واتفق موت الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وتملك المعظم توران شاه — الآتي ذكره في موضعه — وأسر الفرنسيس فبقي في أيدي المسلمين مدة ، ثم أطلق بعد تسليم دمياط إلى المسلمين ، وتوجه إلى بلاده وفي قلبه النار مما جرى عليه من ذهاب أمواله وقتل رجاله وأسره ، فبقيت [٢] نفسه تحدثه بالعود إلى مصر لأخذ ثأره ، فاهتم بذلك اهتماماً عظيماً في مدة سنين ، إلى سنة ستين وستمائة ، فقصد مصر ، فقيل له : إن قصدت مصر ربما يجري لك مثل النوبة الأولى ، والصواب أن تقصد تونس ، وكان ملكها

---

٨٥ — تصحف عليه الاسم إلى بولش ، وهو « لويس » التاسع المعروف لدى قومه بالقديس لويس ، ويدعى في المصادر العربية « ريد افرنس » أي ملك افرنس وتجد وصفاً مفصلا للحملة الصليبية التي قادها لويس ضد مصر في السلوك للمقريزي ١ / ٢ : ٣٣٣ وما بعدها وتاريخ أبي الفدا ٣ : ١٧٨ والوافي، وكذلك عند أبي شامة والعيني في عقد الجمان وخطط المقريزي ١ : ٢١٩ وانظر « لويس التاسع في الشرق الأوسط » لجوزيف نسيم و « حملة لويس التاسع » لمحمد مصطفى زيادة ، ١٩٦١ : وهذه الترجمة موجزة في المطبوعة .

١ ص : عساكراً .

٢ ص : فبقت .

محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر ، فإنك إن ظفرت به تمكنت من قصد مصر في البرّ والبحر ، فقصد تونس وكاد يستولي عليها ، ومعه جماعة من الملوك ، فأوقع الله في عسكره وباء عظيماً [1] ، فهلك افرنسيس سنة إحدى وستين وستمائة ، ورجع من بقي من عسكره إلى بلادهم ووصلت البشرى بذلك إلى الملك الظاهر .

ولما أسر الفرنسيس نوبة دمياط تسلمه الطّواشي جمال الدين صبيح المعظمي ووضع في رجليه قيد ، وسجنه في الدار التي كان فيها فخر الدين ابن لقمان كاتب الإنشاء ، فلذلك قال الصاحب جمال الدين ابن مطروح لما بلغ المسلمين عودة الفرنسيس في المرة الثانية :

قلْ للفرنسيس إذا جئتـــه ... مقالَ حق من مقول فصيحْ
آجرك الله عـــلى مـــا جرى ... من قتل عبّاد يسوع المسيح
أتيت مصر تبتغي ملكهـــا ... تزعم أن الزمر يا طبلُ ريح
فساقـــكَ الحينُ إلى أدهمٍ ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحـــابك أوردتهم ... بسوء أفعالك بطنَ الضَّريح
خمسون ألفـــاً لا يُرى [2] منهم ... إلاّ قتيل أو أسير جريح
وفقك اللهُ لأمثـــالهـــا ... لعلَّ عيسى منكمُ يستريح
إن كان باباكُمْ بذا راضياً ... فربّ غش قد أتى من نَصيح
وقلْ لهم إن أضمروا عودة ... لأخذ ثأر أو لقصد صحيح
دارُ ابن لقمانٍ عـــلى حالها ... والقيدُ باقٍ والطواشي صبيح

واشتهرت هذه الأبيات وسارت بها الرُّكبان ، خصوصاً البيت الأخير فلهذا قال بعض المغاربة لما قدم الفرنسيس تونس :

يا فرنسيس هذه أختُ مصرٍ ... فتيقَّنْ لمـــا إليهِ تصيرُ
لك فيها دارُ ابنِ لقمان قبرٌ ... وطواشيك مُنْكر ونَكير

---

[1] ص : عظيم .   [2] ص : ترى .

وقال آخر في المعنى الأول أيضاً :

قلْ للفرنسيس إنّ كلاً ... له من المسلمين شاكرْ
لأنّـــهُ محسنٌ إلينـــا ... بقَوْدِه نحونا العســـاكر
ساق إلى مصر ما اقتنَـاهُ ... أمـــةُ عيسى من الذخائر
وأورد الجمع بحرَ حَرْبٍ ... مصـــدره بالمنون آخـــر
أركبهمْ أدهمـاً خِضمّاً ... ورابح الشرِّ فهو خاسر
ورامَ باباهُمُ أمـــوراً ... فأخلفتْ ظَنَّـــهُ المَقادر
وأذهل القومَ هولُ حربٍ ... تشخصُ من خوفهِ النواظر
لم تَعْمَ أبصارهم ولكن ... قد عميتْ منهم البصـــائر
ولم يفد وفق فيلسوف[1] ... طِلَّسْمُهُ كاهنٌ وساحر
فإن يعـــد طالباً لثـــارٍ ... من أرض دمياط فليبادر
فذلك البحرُ تعـــرفـوه ... والسيف ماض والجيش حاضر
أعاده الله عن قـــريب ... لمثلهـــا ؛ إنّهُ لقـادر
بحيث لا يبقَ للنصـــارى ... من بعد كسر الصليب جابر
ويستريح المسيحُ منهمْ ... من كلّ علجٍ وكل كافر

٨٦

الحبيس الراهب

بولص الراهب المعروف بالحبيس ؛ كان كاتباً أوّلاً ، ثم ترهب وانقطع

---

١ ص : فيلسوفاً .

٨٦ – له ترجمة في الوافي (كما جاء في التجريد) والشذرات ٥ : ٣٢٢ .

في جبل حلوان بالديار المصرية ؛ يقال إنه ظفر بمال دفين في مغارة ، فواسى به الفقراء من كل ملة ، وقام عن المصادرين بجملة وافرة . وكان أول ظهور أمره أنه وقعت نار[1] بحارة الباطلية[2] سنة ثلاث وستين وستمائة فأحرقت ثلاثاً وستين دار[3] جامعة ، ثم كثر الحريق بعد ذلك حتى أحرقت ربع فرج[4] ، وكان وقفاً على أشراف المدينة ، والوجه المطل على النيل من ربع العادل ، واتهم بذلك النصارى ، فعزم الملك الظاهر على استئصال النصارى واليهود ، وأمر بوضع الحلفا والأحطاب في حظيرة كانت في القلعة وأن تضرم النار فيها ويُلقى فيها اليهود والنصارى ، فجمعوا حتى لم يبقَ منهم إلاّ من هرب ، وكتفوا ليرموا فيها ، فشفع فيهم الأمرا ، فأمر أن يشتروا أنفسهم ، فقرر عليهم في كل سنة خمسمائة ألف دينار ، وضمنهم الحبيس المذكور ، وحضر موضع الجباية منهم ، فكان كل من عجز عمّا قرر عليه وزَنَ الحبيس عنه ، سواء إن كان يهودياً أو نصرانياً ، وكان يدخل الحبوس ومَن كان عليه ديناً[5] وزنه عنه ، وسافر إلى الصعيد وإلى الاسكندرية ووزن عن النصارى ما قرر عليهم وكان للناس به رفق وكان الناس قد عرفوه ، فكان بعض الناس يتحيل عليه ، فإذا رآه قد دخل المدينة أخذ معه اثنين صورة أنهما من رسل القاضي أو المتولي ، وأخذا يضربانه ويجذبانه ، فيستغيث به : يا أبونا يا أبونا ، فيقول : ما باله ؟ فيقولان : عليه دين واشتكت عليه زوجته ، فيقول : على كم ؟ فيقال : على ألفين ، أو أقل أو أكثر ، فيكتب له على شقفة أو غيرها إلى بعض الصيارف بذلك المبلغ ، فيقبضه منه .

وقيل إن مبلغ ما وصل إلى السلطان وما واسى به الناس في مدة سنتين ستمائة ألف دينار مضبوطة بقلم الصيارف الذي كان يجعل عندهم المال ، وذلك

---

١ ص : ناراً .

٢ انظر خبر حريق الباطلية في خطط المقريزي ٢ : ٨ .

٣ كذا في ص .

٤ ص : فرح .

٥ كذا في ص .

خارجاً عن ما كان يعطي من يده .

وكان لا يأكل من هذا المال ولا يشرب ، بل النصارى يتصدقون عليه بمؤنته ، فلما كان سنة ست وستين وستمائة أحضره الملك الظاهر بيبرس ، وطلب منه المال أن يحضره أو يعرفه من أين وصل إليه ، فجعل يغالطه ويدافعه ولا يفصح له عن شي ، فعذّبه حتى مات ولم يقر بشيء ، وأخرج من قلعة الجبل ورمي ظاهرها على باب القرافة ، وكانت قد وصلت إلى الظاهر فتاوى فقهاء إسكندرية بقتله ، وعللوا ذلك بخوف الفتنة من ضعفاء النفوس من المسلمين .

٨٧

الملك الظاهر

بيبرس بن عبد الله ، السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي ؛ قال عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شدّاد : أخبرني الأمير بدر الدين بيبرس أن مولد الملك السلطان الظاهر بأرض القَبجاق سنة خمس وعشرين وستمائة تقريباً ، وكانت الغيّارة قد أغارت على القبجاق فأسروا جماعة ، وكنت أنا والظاهر فيمن أسر ، فبيع فيمن بيع وحُمل إلى سيواس ، فاجتمعت به في سيواس ، ثم افترقنا [1] ، واجتمعت به في حلب بخان ابن قليج ثم افترقنا ، وحمل إلى القاهرة ، فشراه الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار وبقي عنده ، فلما قبض عليه الملك

٨٧ – الوافي والزركشي : ٨١ والنجوم الزاهرة ٧ : ٩٤ وحسن المحاضرة ٢ : ٩٥ وبدائع الزهور ١ : ٩٨ ، ١١٢ وتاريخ ابن الوردي ٢ : ٢٢٣ والدارس ١ : ٣٤٩ والسلوك ١ : ٤٣٦ – ٦٤١ وتاريخ أبي الفدا ٣ : ٢٠٧ وعقد الجمان للعيني وعيون التواريخ لابن شاكر وسيرة الملك الظاهر لابن شداد (مخطوط سليمية رقم ٢٣٠٦) . والبداية والنهاية ١٣ : ٢٧٤ ؛ وليس من اليسير حصر مصادر أخباره .

[1] ص : افترقا .

الصالح نجم الدين أيوب أخذ الملك الظاهر في جملة ما استرجعه . وقدّمه على طائفة من الجمدارية[1] ، فلما مات الصالح وملك بعده المعظم وقتل وولّوا عز الدين أيبك التركماني ، وقتل الفارس أقطاي الجمدار ، ركب الظاهر والبحرية وقصدوا القلعة فلم ينالوا مقصوداً ، فخرجوا من القاهرة مجاهرين بالعداوة للتركماني مهاجرين إلى الملك الناصر صاحب الشام ، وكان مع الظاهر بلبان الرشيدي وأزدمُر السيفي وسنقر الرومي وسنقر الأشقر وبيسري الشمسي ، وقلاون الألفي وبلبان المستعرب وغيرهم ، فأكرمهم الملك الناصر ، وأطلق للظاهر ثلاثين ألف درهم وثلاث قطر بغال وثلاث قطر جمال وخيل وملبوس[2]، وفرق في البقية الأموال والخِلَع ، وكتب إليه المعز أيبك يحذره منهم، فلم يصغِ إليه ، وعين للظاهر إقطاع بحلب ، فسأله العوض عن ذلك بزرعين وجينين ، فأجابه ، فتوجّه إليهما ، ثم خاف الناصر فتوجه بمن معه من خوشداشيته[3] إلى الكرك ، فجهز صاحبها معه عسكر إلى مصر فخرج إليهم عسكر من مصر فكسروهم ، ونجا الظاهر وبيليك الخزندار إلى الكرك، وتواترت إليه كتب المصريين يحرِّضونه على قصد مصر ، وجاء إليه جماعة من عسكر الناصر ، وخرج عسكر مصر مع الأمير سيف الدين قطز وفارس الدين أقطاي المستعرب ، فلما وصل المغيثُ صاحب الكرك والظاهر إلى غزة انعزل إليهما من عسكر مصر أيبك الرومي وبلبان الكافري وسُنقرشاه العزيزي وبدر الدين ابن خان بغدي وأيبك الحموي وهارون القيمري ، واجتمعوا فقويت شوكة الظاهر ، وتوجهوا إلى الصالحية ، والتقيا بعسكر مصر سنة ست وخمسين، واستظهروا عليهم ، ثم انكسر الظاهر والمغيث وهربا ، وأسر جماعة وقتلوا صبراً ممن ذكرته أولاً .

---

١ الجمدار : الذي يحمل البقجة خلف السلطان في الموكب (سيرة الملك الظاهر ٢ : ١٧١) .

٢ كذا دون إعراب ، وأبقيته على حاله ، وكذلك ما أشبهه في هذه الترجمة .

٣ النجوم : خشداشيته ؛ والخوشداشية مماليك ينتمون إلى سيد واحد ، فأصبحوا زملاء على مرّ الزمن (انظر معجم شتاينجاس الفارسي تحت مادة : خواجاتاش) .

ثم حصل بين الظاهر والمغيث وحشة ففارقه ، وعاد إلى الناصر على أن يقطعه [خبز] [1] مائة فارس ، من جملتها نابلس وجينين وزرعين ، فأجابه إلى ذلك ، ومعه جماعة حلف لهم الناصر : منهم بيسري الشمسي وأوتامش السعدي وطيبرس الوزيري وأقوش الرومي الدوادار [2] وكشتغدي الشمسي ، ولاجين الدرفيل وأيدغمش الحلبي وأيبك الشيخي وخاص ترك الصغير وبلبان المهراني وسنجر الاسعردي [3] ، وسنجر الهمامي وجماعة ، فأكرمهم ووفى لهم ، فلما قبض قطز على أستاذه [4] حرّض الملك الظاهر الملك الناصر على قصد مصر فلم يجبْه ، فسأله أن يقدمه على أربعة آلاف فارس، أو يقدم غيره ليتوجه إلى شط الفرات ليمنع التّتار من العبور ، فلم يمكنه ، ففارقه وتوجه إلى الشهرزورية وتزوج منهم ، ثم جهز إلى المظفر قطز من استحلفه له ، وعاد إلى القاهرة ودخلها سنة ثمان وخمسين فخرج المظفر إلى لقائه وأنزله في دار الوزارة ، وأقطعه قصبة قليوب لخاصته ، فلما خرج المظفر للقاء التتار جهّز الظاهر في عسكر لكشف أخبارهم ، فأول ما وقعت عينه عليهم ناوشهم القتال .

ولما انقضت الوقعة بعين جالوت تبعهم الظاهر يقتصّ آثارهم إلى حمص ، وعاد فوافى المظفر بدمشق . ولما عاد المظفر إلى مصر اتفق الظاهر مع الرشيدي وبهادر المعزي وبكتوت الجوكنداري [5] وبيدغان الركني وبلبان الهاروني وأنس [6] الأصفهاني ، على قتل المظفر ، فقتلوه على الصورة التي تذكر في ترجمته إن شاء الله ،

---

١ زدتها من النجوم الزاهرة .

٢ الدوادار : هو الذي يقرأ للسلطان كتب الأسرار الواردة عليه من الملوك وهو الذي يجيب عنها ، ويسفر بينه وبين وزرائه وكتابه (سيرة الملك الظاهر ٢ : ١٧١) وانظر صبح الأعشى ٤ : ١٩ .

٣ النجوم : الباشقردي (أو الباشغردي) .

٤ النجوم : حتى قبض الأمير قطز على ابن أستاذه الملك المنصور علي وتسلطن . . . الخ .

٥ النجوم : وبكتوت الجوكندار المعزي ؛ والجوكندار : الذي يحمل الجوكان للسلطان ، وهو المحجن الذي يلعب به ويضرب الكرة (صبح الأعشى ٥ : ٤٥٨) .

٦ النجوم : وأنص .

وساقوا إلى الدهليز ، فبايع الأمير فارس الدين أتابك للملك الظاهر وحلف له ، ثم الرشيدي ثم الأمراء ، وركب معه الأتابك وبيسري وقلاون وجماعة من خواصه ، ودخل قلعة الجبل سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين ، وجلس في إيوان القلعة ، وكتب إلى الأشرف صاحب حمص ، وإلى المنصور صاحب حماة ، وإلى مظفر الدين صاحب صهيون ، وإلى الإسماعيلية ، وإلى علاء الدين ابن صاحب الموصل نائب حلب ، وإلى مَن بالشام ، يعرفهم ما جرى ، وأفرج على من في الحبوس من أصحاب الجرائم . وأقر الصاحب زين الدين ابن الزبير على الوزارة ؛ وكان قد تلقب بالملك القاهر ، فقال له الصاحب زين الدين : ما لُقِّب أحد بالملك القاهر فأفلح ، لقب به القاهر ابن المعتضد، فلم تطل أيامه ثم خلع وسمل عينيه ، ولقب به الملك القاهر ابن صاحب الموصل فسمّ ولم تطل أيامه . فأبطله ولقب بالظاهر . وزاد إقطاعات من رأى استحقاقه من الأمراء وخلع عليهم ، وسيَّر أقوش المحمدي بتواقيع الأمير علم الدين الحلبي فوجده قد تسلطن بدمشق ، فشرع الظاهر في استفساد من عنده ، فخرجوا عليه ونزعوه من السَّلطنة ، وتوجه إلى بعلبك فأحضروه منها وتوجهوا به إلى مصر ؛ وصفا الملك بالشام للملك الظاهر وضبط الأمور وساس الملك أتمّ سياسة ، وفتح الفتوحات وباشر الحروب بنفسه .

وكان جباراً في الأسفار والحصارات والحروب ، وخافه الأعادي من التتار والفرنج وغيرهم ، لأنه روَّعهم بالغارات والكبسات ، وخاض الفرات بنفسه فألقت العساكر بأنفسها خلفه ، ووقع على التتار فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مائتي نفس ، وفي ذلك قال محيي الدين ابن عبد الظاهر :

تجمَّع جيش الشرك من كل فرقة ... وظنوا بأنا لا نطيقُ لهم غلبا
وجاءوا إلى شاطي الفراتِ وما دَروا ... بأن جياد الخيل تقطعها وثْبا
وجاءت جنودُ الله في العددِ التي ... تميس لها الأبطال يوم الوغى عجبا
فعمنا بسدٍّ من حديدٍ سباحةً ... إليهم ، فما اسطاع العدوُّ له نَقْبا

وقال بدر الدين يوسف بن المهمندار [1] :

لو عاينت عيناكَ يومَ نزالنـــا والخيلُ تطفحُ في العجاج الأكدرِ
وقد اطلخمَّ الأمر واحتدم الوغى ووهى الجبانُ وساء ظنّ المجترّي
لرأيت سدّاً من حديد ما يرى فوق الفراتِ وفوقه نار تري
طفرت وقد منَعَ الفوارس مَدَّها تجري ولولا خيلنا لم تطفر
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزُّبى ومن الفوارس أبحراً في أبحر
لما سبقنا أسهماً طـاشت لنـــا منهمْ إلينـــا بالخيولِ الضُّمَّر
لم يفتحُوا للرمي منهُمْ أعينـاً حتى كحلن بكلّ لدْنٍ أسمر
فتسابقوا هربـاً ولكن ردهمْ دونَ الهزيمةِ رمْحُ كلّ غضنفر
ما كان أجْرى خيلَنا في إثرهمْ لو أنهـــا برؤوسهمْ لم تعثر
كمْ قد فلقنا صخرةً من صخرةٍ ولكم ملأنا محجراً من محجر
وجرت دماؤهمُ على وجهِ الثرى حتى جرت منها مجـاري الأنهر
والظاهر السلطــــان في آثارهم يذري الرؤوس بكلّ عضب أبتر
ذهب الغبار مع النجيع بصقله فكأنّهُ في غِمْــدِهِ لم يشهر

وقال ناصر الدين حسن ابن النقيب :

ولمّا تراءينــا الفراتَ بخيلنــا سكرناهُ منّا بالقوى والقوائمِ
فأوقفتِ التيارَ عن جريانـــهِ إلى حيثُ عدنا بالغنى والغنائم

وقال الحكيم موفق الدين عبد الله بن عمر المعروف بالورن :

الملكُ الظاهرُ سلطاننــا نَفديه بالمالِ وبالأهـلِ
اقتحمَ الماء ليُطفي بـــه حرارةَ القلبِ من المغلِ

---

[1] المهمندار هو الذي يتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم (ومهمن تعني الضيف بالفارسية) (صبح الأعشى ٤ : ٢٢ ، ٥ : ٤٥٩) .

وقال الشيخ شهاب الدين محمود من قصيدة :

لما تراقصت الرؤوس وحركت ... من مطربات قسيِّك الأوتارُ
خضتَ الفراتَ بسابح أقصى مُنى ... هوجِ الصبا من نعله الآثار
حملتك أمواجُ الفراتِ ومن رأى ... بحراً سواكَ تُقِلّه الأنهار
وتقطعت فرقاً ولم يكُ طودُها ... إذ ذاكَ إلاّ جيشكَ الجرار
رشّتْ دماؤهم الصعيدَ فلم يطر ... منهم على الجيش السعيدِ غُبار
شكرت مساعيك المعاقل والورى ... والترب والآساد والأطيار
هذي منعت وهؤلاء حميتهم ... وسقيت تلك وعمّ ذي الإيثار

وعمر الجسور الباقية إلى اليوم بالساحل والأغوار ، وأمن الناس في أيامه . فلما عاد من وقعة البلستين [1] أقام بالقصر الأبلق في دمشق ، فأحس في نفسه توعكاً ، فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر السلحدار ، وكان قد شرب قمز [2] ، فأشار عليه بالقيء ، فاستدعاه فاستعصى عليه ، فلما كان ثاني يوم — وهو يوم الجمعة ثاني عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة — ركب من القصر إلى الميدان على عادته والألم يقوى عليه ، فلما أصبح اشتكى حرارة في باطنه ، فصنعوا له دواء فشربه فلم ينجع ، فلما حضروا الأطباء أنكروا استعماله الدواء وأجمعوا على أن يسقوه مسهلاً ، فسقوه فلم ينجع ، فحركوه بدواء آخر فأفرط الإسهال به ودفع دماً محتقناً ، فتضاعفت حمّاه وضعفت قواه ، فتخيل خواصه أن كبده تتقطع وأن ذلك عن سم شربه ، فعولج بالجوهر ، وذلك يوم عاشره ، ثم أجهده المرض إلى أن توفي يوم الخميس ثامن عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، فأخفوا موته ، وحمل إلى القلعة ليلاً ، وغسلوه وحنطوه وصبروه ، وكفنه

١ السلوك (١ : ٦٢٥) الأبلستين ؛ وتسمى اليوم البستان ، وهي قريبة من إفسس .

٢ نبيذ يعمل من لبن الخيل (راجع ملحق دوزي) .

مهتاره[1] الشجاع عنبر ، والفقيه كمال الدين المعروف بابن المنبجي وعز الدين الأفرم، وجعلوه في تابوت وعلّقوه في بيت من بيوت البحرة بقلعة دمشق ، وكتب الأمير بدر الدين بيليك الخزندار مطالعة بيده إلى ولده الملك السعيد .

وركب الأمراء يوم السبت ولم يظهروا الحزن ، وكان الظاهر قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من داريا وأن يبنى عليه هناك ، فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل الصور ، فابتاع دار العقيقي بثمانية وأربعين ألف درهم ، وأمر أن تبنى مدرسة للشافعية والحنفية ودار حديث وقبة للدفن ، ولما نجزت حضر الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خرص ، والطواشي صفي الدين جوهر الهندي إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان النائب عز الدين أيدمر ، فعرفاه ما رسم به الملك السعيد ، فحمل تابوته ليلاً ودفن خامس شهر رجب الفرد من السنة ، فقال محيي الدين ابن عبد الظاهر :

صاحِ هذا ضريحــهُ بين جفنـيَّ فزوروا من كل فج عميقِ
كيف لا وهو من عقيقِ جفوني دفنوهُ منهـــا بدار العقيقي

وفي سنة سبع وسبعين عملت أعزيته بالديار المصرية ، ونصبت الخيام العظيمة وصنعت الأطعمة الفاخرة واجتمع الخاص والعام وحضر القراء والوعاظ ، وخلع عليهم وأجيزوا بالجوائز السنية .

ذكر أولاده رحمه الله تعالى : الملك السعيد ناصر الدين بركة ، وأمه بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي ، والملك نجم الدين خضر ، وأمه أم ولد ، والملك بدر الدين سلامش، وله من البنات سبع من بنت سيف الدين دماجي التتري[2] .

---

١ المهتار : لقب واقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، كمهتار الشراب خاناه ، ومهتار الطست خاناه ، ومهتار الركاب خاناه (مه بالفارسية =كبير ، وتار= أفعل تفضيل) صبح الأعشى ٥ : ٤٧٠ .

٢ يستفاد من السيرة أن بناته سبع ، اثنتان منهن من بنت دماجي .

ذكر فتوحاته : قيسارية . أرسوف . صفد . طبرية . يافا . الشقيف . أنطاكية . بغراس . القصير . حصن الأكراد . حصن عكار . القرين ، صافيتا . مرقبة حلبا[1] .

وناصف الفرنج على : المرقب وبليناس[2] وبلاد أنطرسوس ، وعلى سائر ما بقي في أيديهم من البلاد والحصون . وولّى في نصيبه الولاة والعمال ، واستعاد من صاحب سيس : دربساك ، ودركوش ، وبليس ، وكفردنين ، ورعبان ، والمرزبان .

وملك من المسلمين : دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وزلبيا وتل باشر وصهيون وبلاطنس وبرزيه وحصون الإسماعيلية والشوبك والكرك وشيزر والبيرة . وفتح الله عليه بلاد النوبة ودُنقلة وغيرها .

ذكر عمائره رحمه الله تعالى : عمر بقلعة الجبل دار الذهب ، وبرحبة الحبارج قبة عظيمة محمولة على اثني عشر عمود من الرخام الملون ، وطبقتين مطليتين على رحبة الجامع ، وعمر برج الزاوية المجاور لباب السر ، وأخرج منه رواشن وبنى عليه قبة ، وأنشأ جواره طباق للمماليك ، وأنشأ برحبة القلعة دار كبيرة لولده الملك السعيد، وأنشأ دور كثيرة للأمراء ظاهر القاهرة مما يلي القلعة ، وإصطبلات ، وأنشأ حماماً بسوق الخيل لولده ، والجسر الأعظم ، والقنطرة الذي على الخليج والميدان .

وجدد الجامع الأقمر والجامع الأزهر ، وبنى جامع العافية بالحسينية ، أنفق عليه ألف ألف درهم ، وزاوية للشيخ خضر[3] ، وحماماً وطاحوناً وفرناً وقبة على المقياس مزخرفة ، وعدة جوامع في الأعمال المصرية ، وجدد قلعة الجزيرة ،

---

١ السلوك ١ : ٦٢٨ ومرقبة وحلبا .

٢ السلوك : وبانياس .

٣ ستجيء ترجمته في حرف الخاء .

وقلعة العمودين ببرقة ، وقلعة السويس ، وعمّر جسراً بالقليوبية ، وجدد الجسر الأعظم على بركة الفيل ، وأنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة السباع التي أخربها الملك الناصر بن قلاون بعده ، وقنطرة على بحر ابن منجى لها سبعة أبواب ، وقنطرة بمنية الشيرج ، وقنطرة عند القصير بسبعة أبواب ، وستة عشر قنطرة تسلك منها إلى دمياط ، وقنطرة على خليج القاهرة للمرور عليها إلى الميدان، وقنطرة عظيمة على خليج الإسكندرية ، وحفر خليج الإسكندرية وكان ارتدم ، وحفر بحر أشموم وكان قد عمي ، وحفر ترعة الصلاح وخور سرسخا [1] ، وحفر المحايري والكافوري وترعة كيساد وزاد فيها قصبة ، وحفر بحر الصمصام وحفر بحر السردوس وحفر في ترعة أبي الفضل ألف قصبة ، وتمم عمارة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمل منبره ، وأحاط بالضريح درابزيناً ، وذهّب سقفه وبيّضه ، وجدد البيمارستان بالمدينة ، ونقل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة ، وبعث إليه طبيباً من الديار المصرية ، وجدد قبة الخليل عليه السلام ورمّم شَعَثَه وأصلح أبوابه وميضأته وبيّضه ، وزاد في راتبه المجرى عليه وعلى قوّامه ومؤذنيه ، ورتب له من مال البلد ما يجري على الواردين عليه والمقيمين به ، وجدد بالقدس الشريف ما كان تَداعى من قبة الصخرة ، وجدد قبة السلسلة وزخرفها ، وأنشأ خاناً للسبيل ، وبنى به مسجداً وطاحوناً وبستاناً وفرناً ، وبنى على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجداً ، وهو عند الكثيب الأحمر ، ووقف عليه وقفاً ، وبنى على قبر أبي عبيدة رضي الله عنه مشهداً بعمتا من الغور ووقف عليه وقفاً ، وجدد بالكرك برجين كانا صغيرين فهدمهما وكبرهما وعلاّهما، ووسع مشهد جعفر الطيار ، ووقف عليه وقفاً زيادة على وقفه ، وعمر جسر دامية بالغور ، ووقف عليه وقفاً برسم ما عساه يتهدم من عمارته ، وأنشأ جسور كثيرة بالساحل والغور ، وعمر قلعة قاقون ، وبنى بها جامعاً ووقف عليه وقفاً ،

---

[1] كذا في ص .

وبنى حوض السبيل ، وجدد جامع الرملة وأصلح مصالحها ، وأصلح جامع زرعين وما عداه من جميع البلاد الساحلية ، وجدد باشورة[1] لقلعة صفد ، وبنى برَبَضها جامعاً حسناً ، وكانت الشقيف قلعتين مجاورتين فجمع بينهما ، وبنى بها جامعاً وحماماً ودار نيابة ، وجدد عمارة قلعة الصبيبة[2] بعدما خرّبها التتار ، وكان التتار هدموا شراريف قلعة دمشق ورؤوس أبراجها فجدد ذلك ، وبنى الطارمة[3] التي على سوق الخيل ، وبنى حمام خارج باب النصر ، وجدد ثلاث إصطبلات على الشرف الأعلى ، وبنى القصر الأبلق بالميدان ، ولم يكن مثله ، وجدد مشهد زين العابدين بجامع دمشق ، وجدد رؤوس الأعمدة والأساطين وذهّبها ، وجدد باب البريد وفرشه بالبلاط ، ورمّ شعث مغارة الدم ، وجدد دور الضيافة للرسل والمترددين مجاورة للحمام ، وجدد ما تهدم من قلعة صرخد وجامعها ومساجدها ، وكذلك فعل ببصرى وبعجلون والصلت ، وجدد ما تهدم من قلعة بعلبك ، وجدد قبر نوح عليه السلام ، وجدد أسوار حصن الأكراد ، وعقد قلعتها حنايا ، وحال بينها وبين المدينة بخندق ، وبنى عليها أبرجة بطلاقات ، وجدد من حصن عكار ما كان استهدم وزاد الأبرجة ، وبنى خان المحدثة ، وعمل به الخفرا ، وبنى من القصير إلى المناخ إلى قارا إلى حمص أعمدة أبرجة فيها الحمام والخفرا ، وكذلك من دمشق إلى تدمر والرحبة إلى الفرات ، وجدد سفح قلعة حمص والدور السلطانية بها ، وقلعة شميمس[4] أنشأها بجملتها ، وأصلح قلعة شيزر وقلعتي الشغر وبكاس وقلعة بلاطنس ، وبنى قلاع الإسماعيلية الثمان ، وبنى ما تهدم من قلعة عين تاب والراوندان ، وبنى بأنطاكية جامعاً مكان الكنيسة وكذلك ببغراس ، وأنشأ قلعة البيرة ، وبنى بها الأبرجة ووسع

---

١ الباشورة : سد من التراب يمنع وصول الخيالة أو غيرهم إلى مواضع المحاربين (انظر ملحق دوزي)

٢ هي قلعة بانياس .

٣ الطارمة : بيت من خشب ، سقفه على هيئة قبة يجلس فيه السلطان (ملحق دوزي) .

٤ السلوك (١ : ٤٤٦) شميميش ، وهي إحدى بلاد كورة حمص .

خندقها وجدد جامعها ، وأنشأ بالميدان الأخضر شمالي حلب مسطبة كبيرة مرخمة ، وأنشأ الجسر للقلعة ، وبنى في أيامه ما لم يُبْنَ في أيام غيره .

وكانت العساكر بالديار المصرية في أيام غيره عشرة آلاف فارس فضاعفها أربعة أضعاف ، وكانوا الملوك قبله مقتصدين في النفقات والعُدَد ، وعسكره بالضد من ذلك ، وكانت كلف المطبخ الصالحي النجمي ألف رطل لحم بالمصري كل يوم فضاعفها عشر مرات ، فكانت في الأيام الظاهرية كل يوم عشرة آلاف رطل ، وتوابلها عشرون ألف درهم ، ويصرف من خزانة الكسوة كل يوم عشرون ألف درهم ، ويصرف في ثمن القرط [1] لدوابه ودواب من يلوذ به كل سنة ثمانمائة ألف درهم ، ويقوم بكلف الخيل والجمال والبغال والحمير كل يوم خمس عشر ألف عليقة عنها ستمائة إردب ، ويصرف للمخابز للجرايات خلا ما يصرف لأرباب الرواتب لمصر خاصة كل شهر عشرون ألف إردب .

وكان رحمه الله تعالى قد منع الخمر والحشيش وجعل الحد على ذلك السيف ، فأمسك ابن الكازروني وهو سكران ، فصلب وفي حلقه جرة خمر ، فقال الحكيم شمس الدين ابن دانيال رحمه الله :

لقد كان حدُّ السكر من قبل صلبه ... خفيفَ الأذى إذ كان في شرعنا جلْدا
فلما بدا المصلوبُ قلت لصاحبي : ... ألا تُبْ فإن الحد قد جاوز الحدا

وقال القاضي ناصر الدين ابن المنير :

ليس لإبليس عندنا طمعٌ ... غيرُ بلاد الأمير مأواه
منعتَه الخمرَ والحشيشَ معاً ... أحرمته ماءه ومرعاه

وقال ناصر الدين ابن النقيب الفقيسي :

منع الظاهر الحشيش مع الخمـ ... ـر فولّى إبليس من مصر يسعى

---

[1] القرط : البرسيم .

قال مالي وللمقام بأرضٍ لم أمتَّعْ فيها بماء ومرعى

وقال الحكيم شمس الدين ابن دانيال :

نهى السلطان عن شرب الحميّا وصيَّر حدَّها حدَّ اليماني

فما جسرتْ ملوكُ الجن خوفاً لأجل الخمر تدخل في القناني

وقال آخر :

الخمر يا إبليس إن لم تقم وتوسع الحيلة في ردها

لا نفقت سوقُ المعاصي ولا أفلحْتَ يا إبليس من بعدها

ولما أراد الظاهرُ أن يقرر القطيعة[1] على البساتين بدمشق واحتاط عليها وعلى الأملاك والقرى وهو نازل على الشقيف قال له القاضي شمس الدين ابن عطا الحنفي : هذا ما يحل ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه ، وقام مُغضباً وتوقف الحال ، وصقعت[2] البساتين تلك السنة وعدمت الثمار جملة كافية ، فقال في ذلك مجد الدين ابن سحنون خطيب النيرب رحمه الله :

واهاً لأعطاف الغصون وما الذي صنعته أيدي البرد في أثوابها

صبغت خمائلها الصَّبا وكأنها قد ألبست أسفاً على أربابها

وقال نور الدين ابن مصعب :

لهفي على حلل الغصون تبدلت من بعد خضرة لونها بسوادِ

وأظنّها حَزِنَتْ لفرقةِ أهلها فلذاكَ قد لبست ثيابَ حدادِ

وظنّ الناس أن السلطان يرحمهم لذلك ، فلما أراد التوجه إلى مصر أحضر العلماء ، وأخرج فتاوى الحنفية باستحقاقها ، بحكم أن دمشق فتحها عمر بن

---

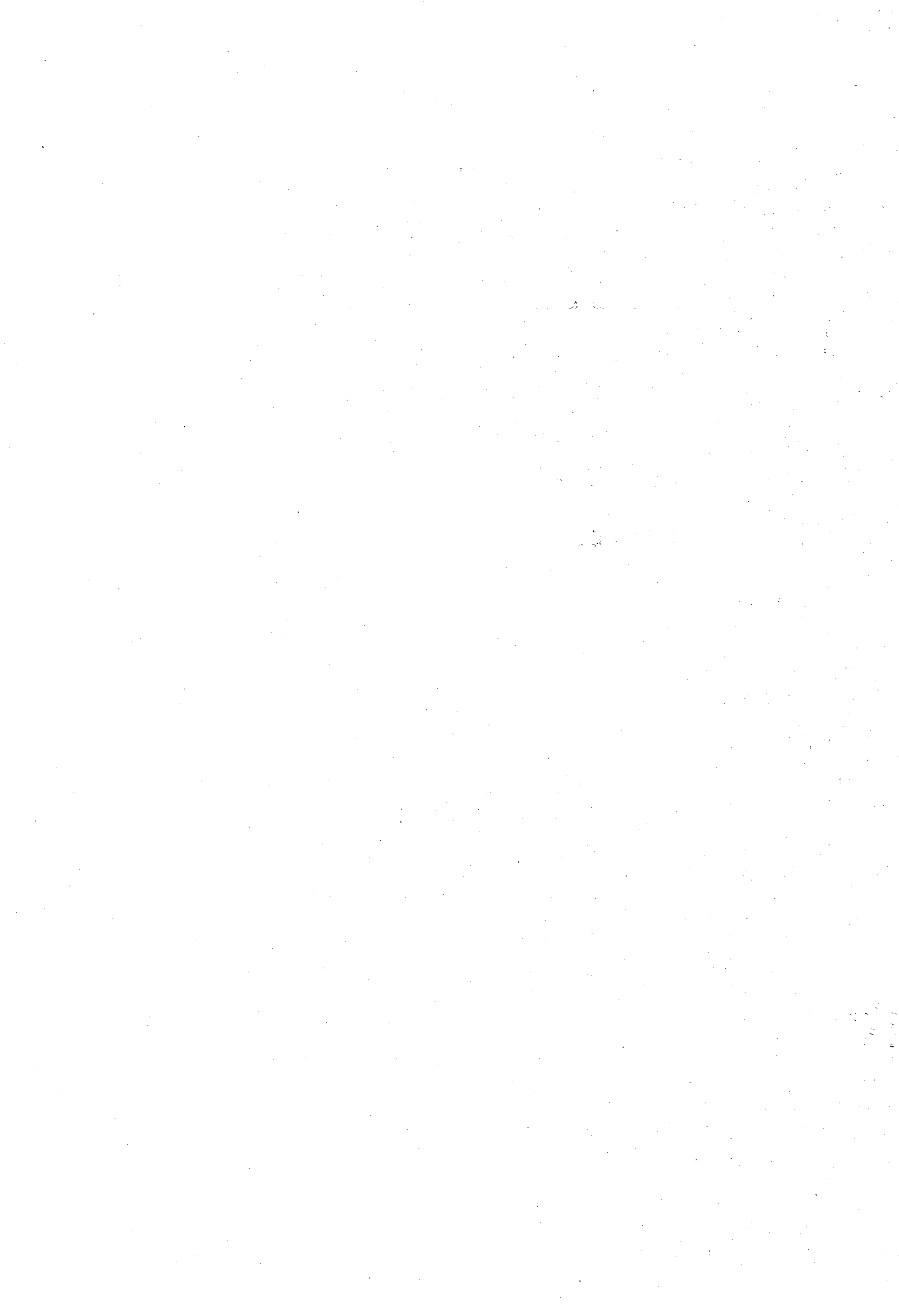
١ القطيعة : الضريبة .

٢ صقعت : أصيبت بالصقيع .

الخطاب رضي الله عنه عنوة ، ثم قال : من كان معه كتاب عتيق أجريناه ، وإلاّ فنحن فتحنا هذه البلاد بسيوفنا ، ثم قرر عليهم ألف ألف درهم ، فسألوه تقسيطها فأبى ، وتمادى الحال ، فعجلوا له أربعمائة ألف درهم بواسطة فخر الدين الأتابك وزير الصحبة ، ثم أسقط الباقي عنهم بتوقيع قرىء على المنبر ، رحمه الله تعالى .



حرف التاء



٨٨

الأمير تنكز نائب الشام

تنكز الأمير الكبير المعظم المهيب ، سيف الدين نائب السلطنة بالشام ؛ جُلِب إلى مصر وهو حدث فنشأ بها ، وكان أبيض إلى السمرة ، رشيق القد مليح الشعر خفيف اللحية قليل الشيب حسن الشكل ، جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي ، فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين ، فلما قتل لاجين في سلطنته صار من خاصكية السلطان الملك الناصر ، وشهد معه وادي الخزندار ، ثم وقعة شقحب .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه : أخبرني القاضي شهاب الدين ابن القيسراني قال ، قال لي : أنا والأمير سيف الدين طينال من مماليك الأشرف أمَّره الملك الناصر عشرة قبل توجهه إلى الكرك ، وكان قد سلم إقطاعه إلى الأمير صارم الدين صاروجا المظفري ، فكان على مصطلح الترك آغا له ، ولما توجه السلطان إلى الكرك كان في خدمته ، وجهزه إلى دمشق رسولاً إلى الأفرم ، فاتهمه أن معه كتباً إلى أمراء الشام ، فحصل له منه مخافة شديدة ، وفُتِّش وعرض عليه العقوبة ، فلما عاد إلى السلطان عرفه ما جرى له فقال له: إن عدت إلى الملك فأنت نائبُ دمشق ، فلما عاد إلى المملكة جعل الملك سيف الدين أرغون الدوادار نائبَ مصر بعد إمساك الجوكندار الكبير ، وقال لتنكز ولسودي : احضرا كلَّ يوم عند أرغون وتعلما منه النيابة والأحكام ، فبقيا كذلك سنة يلازمانه ، فلما مَهَرا جهز سيف الدين سودي إلى حلب نائباً ، وسيف الدين تنكز إلى دمشق

---

٨٨ – الوافي والدرر الكامنة ٢ : ٥٥ والسلوك ٢ / ٢ : ٥٠٦ والنجوم الزاهرة ٩ : ١٤٥ ، ٣٢٧ .

نائباً . فحضر إليهما على البريد هو والحاج سيف الدين أرقطاي وحسام الدين طرنطاي البشمقدار[1] ، فكان وصولهم إليها في شهر ربيع الأول سنة اثني عشرة وسبعمائة ، وتمكن في النيابة ، وسار بالعساكر إلى مَلَطْيَة فافتتحها ، وعظم شأنه ، وهابه الأمراء بدمشق ونواب الشام ، وآمن الرعايا ، ولم يمكن أحداً من الأمراء ولا أرباب الجاه يقدر يظلم أحد ذمياً أو غيره ، خوفاً من بطشه وشدة إيقاعه ، ولم يزل في ارتفاع علو درجة يتضاعف إقطاعه وإنعامه وعوائده من الخيل والقماش والطيور والجوارح حتى كتب له: «أعز الله أنصار المقرّ الكريم العالي الأميري » وفي الألقاب : « الأتابكي الزاهدي العابدي » وفي النعوت : «معز الإسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين » ؛ وهذا لم يكتب عن سلطان لنائب ولا غير نائب على اختلاف الوظائف[2] .

وكان السلطان لا يفعل شيء في الغالب حتى يسيّر يشاوره فيه ، وقلما كتب إلى السلطان في شيء فردّه ،وكلّ ما قرره من إمرة ونيابة وإقطاع وقضاء أو غير ذلك تردُ التواقيع السلطانية بإمضاء ذلك . وكان قد اعتمد شيئاً ما سمع عن غيره ، وهو أنه كان له كاتب ليس له شغل ولا عمل إلاّ حساب ما يدخل خزانته من الأموال وما يستقر له ، فإذا حال الحول عمل أوراقاً بما يجب صرفه من الزكاة ، فيأمر بإصرافه إلى ذوي الاستحقاق .

وزادت أمواله وأملاكه. وعمر الجامع المعروف به بحكر السماق بدمشق، وأنشأ إلى جانبه تربة وحمّاماً ، وعمّر تربة إلى جانب الخواصين لزوجته ، وعمر داراً للقرآن إلى جانب داره دار الذهب،وأنشأ بالقدس رباطاً، وعمر القدس وساق إليه الماء وأدخله الحرم، وعمر به حمامين وقيسارية مليحة إلى الغاية، وعمر بصفد البيمارستان المعروف به ، وجدد القنوات بدمشق، وكانت مياهها قد تغيرت ، وجدد عماير المساجد والمدارس ، ووسع الطرقات بها واعتنى بأمرها ، وله في

---

[1] النجوم (٩ : ١٤٧) البشمقدار – بالباء الموحدة – هو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير .

[2] ص : الوضايف .

سائر الشام أملاك وعمائر وآثار .

ولم يكن عنده دهاء ولا له باطن . ولا يحتمل شيئاً ولا يصبر على أذى ، ولم يكن عنده مداراة للأمراء ولا يرفع بهم راساً ، وكان الناس في أيامه آمنين على أموالهم ووظائفهم[1] . وكان في كل سنة يتوجه إلى الصيد بالعسكر إلى نواحي الفرات ، وعدّى بعض السفرات الفرات وأقام في ذلك البر خمسة أيام يتصيد ، وكان الناس يجفلون قدامه إلى بلاد توريز والسلطانية ، وكان ما قَصْدُه غير الحق والعمل به ونصرة الشرع ، خلا أنه كان به سوداء يتخيل بها الأمر فاسداً ويبني عليه ، فهلك بذلك أناس ، ولا يقدر أحد من مهابته يوضح له الصواب ، ولا يقول له الحق فيما يفعله ، وكان إذا غضب لا سبيل له إلى الرضى ولا العفو ، وإذا بَطَش بَطْش الجبارين ، ويكون الذنب يسيراً فلا يزال يكبره ويزيده ويوسعه إلى أن يخرج فيه عن الحد .

وكان الشيخ حسن ابن دمرتاش قد أهمه أمره وخافه ، فيقال إنه تمّم عليه عند السلطان وقال له إنه قصد الحضور إلى عندي والمخامرة عليك ، فتنكر السلطان ، وكان في ذلك الأيام قد عزم السلطان على أن يجهز الأمير بشتاك ويلبغا اليحياوي وعشرين أمير من الخاصكية ليحضروا عرس أولاده ، ويجهز معهم بنات السلطان ، فبعث يقول : يا خوند . إيش الفايدة في حضور هؤلاء الأمراء الكبار إلى دمشق ، والبلاد الساحلية في هذا العام ممحلة ، ويحتاج العسكر إلى كلفة كثيرة ، أنا أحضر بأولادي إلى الباب ويكون الدخول هناك ، فجهز إليه السلطان طاجار الدوادار وقال له : السلطان يسلم عليك ويقول لك : إنه ما بَقَى يطلبك إلى مصر ، ولا يجهز إليك أمير كبير حتى لا تتوهم . فقال تنكز : أنا أتوجه بأولادي إليه . فقال طاجار : لو وصلت إلى بلبيس ردّك . وأنا أكفيك هذا المهم . وبعد ثمانية أيام أكون عندك بتقليد جديد وإنعام جديد . فلبّثه بهذا الكلام . ولو كان

---

[1] ص : ووضايفهم .

توجه إلى السلطان كان خيراً له ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً

وكان أهل دمشق في تلك المدة قد أرجفوا بأنه قد عزم على التوجه إلى بلاد التتار ، فوقع هذا الكلام في سمع طاجار الدوادار ، وكان قد عامله تنكز في هذه المرة معاملة لا تليق به ، فتوجه من عنده مُغضباً ، وكأنه حرّف الكلام ، والله أعلم ، فتغير السلطان تغيراً عظيماً ، وجرّد عشرة آلاف فارس من مصر ، وجهز بريدي إلى الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد ، وأمره بالتوجه إلى دمشق لمسك تنكز ، وكتب إلى الحاجب وإلى الأمير سيف الدين قُطْلوبغا الفخري وإلى الأمراء بالقبض عليه وقال : إن قدرتم على تعويقه فهو المراد ، والعساكر تصل إليكم من مصر ، فوصل الأمير سيف الدين طشتمر الظهر إلى المزّة ، وجهز إلى الأمير سيف الدين الفخري ، وكان دواداره قد وصل بكرة النهار واجتمع بالأمراء فاتفقوا ، وتوجه اللمش الحاجب إلى القابون ووعّر الطريق ورمى الأخشاب فيها وأحمال التبن ، وقال للناس : إن غريم السلطان يعبر الساعة عليكم فلا تمكنوه ، وركب الأمراء واجتمعوا على باب النصر . هذا كله وهو في غفلة عما يُراد به ، ينتظر ورود طاجار الدوادار ، وكان قد خرج ذلك النهار إلى القصر الذي بناه في القطايع ، فتوجه إليه الأمير سيف الدين قرشي وعرفه بوصول طشتمر ، فبُهت لذلك وسُقط في يده . وقال : ما العمل ؟ قال : تدخل إلى دار السعادة ، فحضر ودخل إلى دار السعادة ، وغلقت أبواب المدينة ، وأراد اللبس والمحاربة . ثم علم أن الناس ينهبون ويعمل السيف في البلد ، فآثر إخماد الفتنة وأن لا يجرد سلاح ، فجهز إلى الأمير سيف الدين طشتمر وقال له : في أي شيء جيت ؟ قال : أنا جيتك رسول من عند أستاذك ، فإن خرجت إلي قلت لك ما قال لي ، وإن رحت إلى مطلع الشمس تبعتك ، ولا أرجع إلاّ إن مات أحدنا ، فخرج إليهم واستسلم ، وأخذ سيفه وقيد خلف مسجد القدم ، وجهز إلى السلطان وجهز معه الأمير ركن الدين بيبرس السلاح دار ، ثالث عشرين ذي الحجة سنة أربعين وسبعمائة ، وتأسف أهلُ دمشق عليه ويا طول أسفهم ؛

فسبحان مزيل النعم الذي لا يزول ملكه ولا يتغير عزه ولا تطرأ عليه الحوادث !
واحتيط على حواصله ، وأودع طغاي وجنغاي[1] مملوكاه في القلعة ، وبعد مدة يسيرة حضر الأمير سيف بَشتاك وطاجار الدوادار والحـاج أرقطاي وتتمة عشرة أمرا ، ونزلوا القصر الأبلق ، وحال وصولهم حلّفوا الأمراء ، وشرعوا في عرض حواصله ، وأخرجوا ذخايره وودايعه ، وتوجه بشتاك إلى مصر ومعه من ماله ثلثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار مصرية ، وألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وجواهر وبلخش ، وأقطاع مثمنة ، ولولو غريب الحب . وطرز زركش ، وكلوتات[2] زركش ، وحوايص ذهب ، بخامات[3] مرصعة ، وأطلس وغيره من القماش ما كان جملته ثمانمائة حمل ، وأقام بعده برسبَغا ، وتوجه في أثره بعد ما استخلص من الناس ومن بقايا أموال تنكز ، ومعه أربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم ، وأخذ مماليكه وجواريه وخياله المثمنة إلى مصر ، وأما هو فإنه جهز إلى اسكندرية وحبس بها مدة دون الشهر ، ثم قضى الله تعالى فيه أمره . يقال : إن المقدم ابن صابر توجه إليه ، وكان ذلك آخر العهد به ، ومات وصلى عليه أهل اسكندرية :

فكأنّه بَرقٌ تألّق بالحمى ثمّ انثنى فكأنه لم يلمعِ

ثم ورد مرسوم السلطان بتقويم أملاكه ، فعمل ذلك بالعدول وأرباب الخبرة ، وحضرت محاضر[4] إلى ديوان الإنشاء لتجهز إلى الأبواب السلطانية .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي[5] : فنقلت منها ما صورته : دار الذهب بمجموعها وإسطبلاتها ستمائة ألف درهم ، دار الزمرّد مائتا ألف درهم ، دار

---

١ ص : وجنماي .
٢ الكلوتة : غطاء للرأس يلبس وحده أو بعمامة (ملحق دوزي) .
٣ كذا في ص ؛ وفي المطبوعة وبخامات .
٤ ص : محاظر .
٥ نقل صاحب النجوم الزاهرة هذا النص أيضاً (٩ : ١٥٤) .

الزردكاش وما معها مائتا ألف وعشرون ألف درهم ، الدار التي بجوار جامعه بدمشق مائة ألف درهم ، الحمام التي بجوار الجامع مائة ألف أدرهم ، خان العرصة مائة ألف وخمسون ألف درهم ، إسطبل حكر السماق عشرون ألف درهم ، الطبقة التي بجوار حمام ابن يمن أربعة آلاف وخمسمائة درهم ، قيسارية المرحليين مائتا ألف وخمسون ألف درهم ، الفرن والحوش [1] بالقنوات من غير أرض عشرة آلاف درهم ، حوانيت التعديل ثمانية آلاف درهم ، الأهراء من إصطبل بهادراص عشرة آلاف درهم ، خان البيض وحوانيته مائة ألف وعشرة آلاف درهم ، حوانيت باب الفرج خمسة وأربعون ألف درهم ، حمام القابون عشرون ألف درهم ، حمام القصير العمري ستة آلاف درهم ، الدهيشة [2] والحمام مائتا ألف وخمسون ألف درهم ، بستان العادل مائة ألف وثمانون ألف درهم ، بستان النجيبي والحمام والفرن مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، بستان الجبلي [3] بحَرَستا أربعون ألف درهم ، الحدائق بحرستا مائة ألف وخمسة وأربعون ألف درهم ، بستان القوصي بحرستا ستون ألف درهم ، بستان الدردور بزبدين خمسون ألف درهم ، الجنينة المعروفة بالحمام بزبدين سبعة آلاف درهم ، بستان الرزار خمسة وثلاثون ألف درهم ، الجنينة وبستان عبرتهما [4] ثمانون ألف درهم ، مزرعة البوقي والعنبري مائة ألف درهم ، الحصة بالدفوف القبلية بكفربطنا ثلثاها ثلاثون ألف درهم ، بستان السقلاطوني بالمنيحة خمسة وسبعون ألف درهم ، حقل البيطارية بها خمسة عشر ألف درهم ، الفاتكيات والرشيدي والكروم بزملكا مائة ألف وثمانون ألف درهم ، مزرعة المرفع بالقابون مائة ألف وعشرة آلاف درهم ، الحصة من غراس غيطة الأعجام عشرون ألف درهم ، نصف الغيطة المعروفة

---

١ النجوم : والحوض .

٢ النجوم : الدهشة .

٣ النجوم : الحلبي .

٤ عبرتهما : دخلهما .

بزرنبه خمسة آلاف درهم ، غراس قايم جواردار الحالق ألفا درهم ، النصف من غراس الهامة ثلاثون ألف درهم . الحوانيت التي قبالة الجامع مائة ألف درهم ، الإسطبلات التي عند الجامع ثلاثون ألف درهم ، بيدر زبدين ثلاثة وأربعين ألف درهم ، أرض خارج باب الفرج ستة عشر ألف درهم . القصر وما معه خمسمائة ألف درهم وخمسون ألف درهم ، ربع ضيعة القصرين مائة وعشرون ألف درهم . نصف البيطارية مائة ألف وثمانون ألف درهم ، حصة من البويضا مائة ألف وخمسة وثمانون ألف درهم . نصف بوابة مائة وثمانون ألف درهم ، العلانية بعيون الفاسرتا ثمانون ألف درهم ، حصة دير ابن عصرون خمسة وسبعون ألف درهم ، حصة دوير اللبّن ألف وخمسمائة درهم ، الدير الأبيض خمسون ألف درهم ، التنورية اثنان وعشرون ألف درهم ، العزيل مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، حوانيت داخل باب الفرج أربعون ألف درهم .

الأملاك التي بمدينة حمص : الحمام خمسة وعشرون ألف درهم ، الحوانيت سبعة آلاف درهم ، الربع ستون ألف درهم ، الطاحون الراكبة على العاصي ثلاثون ألف درهم ، زور قبجق خمسة وعشرون ألف درهم ، الخان مائة ألف درهم ، الحمام الملاصقة للخان ستون ألف درهم ، الحوش الملاصق له ألف وخمسمائة درهم ، المناخ ثلاثة آلاف درهم ، الحوش المجاور للفندق ثلاثة آلاف درهم ، حوانيت العريضة ثلاثة آلاف درهم ، الأراضي المحتكرة سبعة آلاف درهم .

الأملاك ببيروت : الخان مائة وخمسة وثلاثون ألف درهم ، الحوانيت والفرن مائة وعشرون ألف درهم ، المصبنة بآلاتها عشرة آلاف درهم ، الحمام عشرون ألف درهم ، المسلخ عشرة آلاف درهم ، الطاحون خمسة آلاف درهم ، قرية زلايا خمسة وأربعون ألف درهم .

القرى بالبقاع : مرج الصفا سبعمائة ألف درهم ، التل الأخضر مائة ألف وثمانون ألف درهم ، المباركة خمسة وسبعون ألف درهم ، المسعودية مائة ألف

وعشرون ألف درهم . الضياع الثلاثة المعروفة بالجوهري أربعمائة ألف وسبعون ألف درهم، السعادة أربعمائة ألف درهم ، أبروطيا ستون ألف درهم ، نصف يبرود والصالحة والحوانيت أربعمائة ألف درهم ، الناصرية مائة ألف درهم . رأس الماء بيم الروس سبعة وخمسون ألف درهم ، حصة من خربة روق : اثنان وعشرون ألف درهم ، رأس الماء والدلي بمزارعها خمسمائة ألف درهم ، حمام صرخد خمسون ألف درهم ، طاحون الفوار ثلاثون ألف درهم ، السالمية سبعة آلاف وخمسمائة درهم ، طاحون المغار عشرة آلاف درهم ، قيسارية أذرعات اثنا عشر ألف درهم ، قيسارية عجلون مائة ألف وعشرون ألف درهم .

الأملاك بقارا : الحمام خمسة وعشرين ألف درهم ، الهري ستمائة ألف درهم ، الصالحية والطاحون والأراضي مائة ألف وخمسة وعشرون ألف درهم ، راسليثا ومزارعها مائة وخمسة وعشرين ألف درهم ، القصيبة أربعون ألف درهم، القريتين المعروفة إحداهما بالمزرعة والأخرى بالبينسية تسعون ألف درهم .

هذا جميعه خارج عمّا له من الأملاك في وجوه البر بصفد وعجلون والقدس الشريف ونابلس والرملة وجلجولية والديار المصرية .

ولما كان في أوائل شهر رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة حضر تابوته من الإسكندرية إلى دمشق ، ودفن في تربته جوار جامعه المعروف بإنشائه ، رحمه الله تعالى ، فقال الشيخ صلاح الدين الصفدي :

في نَقلِ تنكز سرّ أرادَهُ الله ربُّهْ
أتى بهِ نحو أرضٍ يحبّهـــا وتحبّـــهْ

رحمه الله تعالى وعفا عنه ، بمنه وكرمه .

٨٩

[توبة ابن الحمير]

توبة بن الحمير الخفاجي ، أحد المتيمين ، صاحب ليلى الأخيلية – ويأتي ذكرها في حرف اللام إن شاء الله تعالى – ؛ كان يهوى ليلى فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه ، وزوّجها في بني الأولغ فكان يكثر زيارتها ، فشكوه إلى قومه فلم يُقلع فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم ، فعلمت بذلك ليلى ، ثم إن قومها كمنوا له في الموضع الذي يلقاها فيه ، فلما جاء خرجت إليه سافرة حتّى جلست في طريقه ، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت فركض فرسه ونجا ، وقال قصيدته التي منها :

وكنت إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ   فقد رابني منها الغداةَ سُفورها

ثم إن توبة قتلته بنو[1] عوف بن عقيل في حدود الثمانين من الهجرة ، رحمه الله تعالى ، فقالت ليلى ترثيه :

نظرتُ ودوني من عماية[2] منكب   وبطن الركاء أيَّ[3] نظرة ناظرِ

منها :

وتوبة أحْيى من فتاة حيَيِة   وأجرأ من ليث بخفّانَ خادر

---

٨٩ – الأغاني ١٠ : ٦٣ ، ٤ : ١٩٢ والشعر والشعراء : ٣٥٦ وأمالي القالي ١ : ٨٦ والسمط : ١١٩ والخزانة ٣ : ٣١ والعيني ١ : ٥٦٩ ، ٢ : ٤٧ ، ٤ : ٥٣ والمؤتلف : ٦٨ ، ٩٣ وأسماء المغتالين : ٢٥٠ والمحاسن والأضداد : ١٢٥ .

١ ص : بني .

٢ ص : غمامة .

٣ ص : وبطن الردى من أي .

ونعم فتى الدنيا وإن كان فاجراً ونعم الفتى إن كان ليس بفاجر

وهي قصيدة طويلة أوردها صاحب « الأغاني » ، ولها فيه مراثٍ[1] أخر .

ثم إن ليلى أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة وهي في هودج ومعها زوجها ، فقالت : والله لا أبرح حتى أسلم على توبة ، فجعل الزوج يمنعها وهي تأبى إلاّ أن تُلم به ، فتركها فصعدت أكمةً عليها قبر توبة ، فقالت : السلام عليك يا توبة ، ثم حولت وجهها نحو القبر وقالت : ما عرفت له كذبة قط ، فقالوا : وكيف ذلك ؟ قالت : أليس هو القائل :

ولو أن ليلى الأخيليّة سلّمت عليّ ودوني جَندلٌ وصفائحُ
لسلمتُ تسليمَ البشاشة أو زقا إليها صدًى من جانب القبر صائح
وأُغبطُ من ليلى بما لا أنالُهُ ألا كلُّ ما قرّت به العينُ صالح

فما باله لم يسلم عليّ كما قال ؟ وكان إلى جانب القبر بومة كامنة ، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل ، فنفر ورمى بليلى على رأسها فماتت من وقتها ودفنت إلى جانبه .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : ما كذب بعد موته ؛ لأنه قال : « أو زقا إليها صدى من جانب القبر » والصدى هو ذكر البُوم ، وهذا من عجائب الاتفاق ، رحمها الله تعالى .

---

١ ص : مراثي .

٩٠

[تقي الدين التكريتي]

توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة ، الصاحب تقي الدين توبة التكريتي المعروف بالبيع ؛ ولد يوم عرفة بعرفة سنة عشرين [وستمائة] وتعانى التجارة والسفر ، وتعرّف بالسلطان حسام الدين لاجين لما كان أمير ، وعامله وخدمه ، فلما صار سلطان ولاه وزارة الشام مدة ثم عزله ، وصودر غير مرة ، ثم يسلمه الله تعالى .

وكان مع ظلمه وعسفه فيه مروة وحسن إسلام وتقرب إلى أهل الخير وعدم خبث وهمة عالية وسماح ، وحسن خلق ومزاح ، واقتنى الخيل المسوّمة والدور الحسنة ، واقتنى المماليك الملاح ، وعمر لنفسه تربة حسنة تصلح للملك ، وبها دفن لما مات سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة .

يقال عنه إنه كان عنده مملوك مليح اسمه أقطوان ، فخرج ليلة وأقطوان خلفه إلى وادي الربوة ، فمروا على مسطول وهو نائم ، فلما أحس بوقع حوافر الخيل فتح عينيه وقال : يا الله توبة ؟ فقال له : والك يا قواد ، إيش تعمل بتوبة ؟ شيخ نحس مقلع الأسنان قول : يا الله أقطوان .

ويقال إنه أتى إليه رجل من تكريت وقال له : يا مولانا الصاحب أشتهي منك شفاعة إلى شيخ الخانقاه الشميصاتية حتى ينزلني فيها ، فدعا بنقيبه وقال له : روح مع هذا إلى شيخ الخانقاه ، وسلم عليه من جهتي ، وقولي له يقبل شفاعتي في هذا وينزله في الخانقاه ، فلما جاء إلى شيخ الشيوخ وأدى

---

٩٠ — انظر صفحات متفرقة من السلوك (ج : ١) والنجوم الزاهرة ٨ : ١٨٥ والوافي والعبر ٥ : ٣٨٧ والدارس ٢ : ٢٣٧ والشذرات ٥ : ٤٤١ .

الرسالة قال له : قول للصاحب : هذا ما هو صوفي ولا ينزل عمره في خانقاه، وهذه الخانقاه شرطها أنه لا ينزل فيها إلاّ صوفي مربى يعرف آداب القوم ، فجاء إليه الرجل باكي وقال : يا سيدي لم يسمع من رسالتك، فغضب وسيَّر خلف الشيخ فلما دخل عليه قال : يا مولانا ، لأي معنى ما تنزّل هذا ؟ قال : مولانا هـذا ما هو صوفي ، فقال الصاحب للرجل : ما تعرف تاكل أرز مفلفل ؟ قال : بلى والله ، قال : ما تعرف ترقص في السماع ؟ قال : بلى ، قال : ما تعرف تلوط على المليح ، قال : بلى والله ، قال : صوفي أنت من عمرك .

ولشمس الدين ابن منصور موقّع غزة فيه ، وقد أعيد إلى الوزارة :

عتبتُ على الزمان وقلت مهلاً أقمتَ على الخنا ولبست ثوبَه
نفاق في التجاهل والتعامي وعاد إلى التقى وأتى بتوبه

ولعلاء الدين الوداعي الكندي فيه ، وقد سقط عن حصان :

فديناكَ لا تخشَ من وقعةٍ فإنَّ وقوعك للأرض فخرُ
سقوطُ الغمام بفصل الربيع ففي البرِّ برٌّ وفي البحر دُرُّ

وله أيضاً فيه رحمه الله تعالى :

إني حلفتُ يميناً لم آتِ فيها بحَوبه
مذ أقعدتني الليالي لا قمتُ إلاّ بتوبه

٩١

[توران شاه]

توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل الكبير ، الملك المعظم غياث الدين ؛ لما توفي الملك الصالح والده جمع فخر الدين ابن الشيخ الأمراء وحلفوا له ، وكان بحصن كَيْفا ، وسيَّروا إليه الفارس أقطاي[1] فساق على البريّة لا يعترض عليه أحد من الملوك ، فكاد يهلك عطشاً ، حتى قدم دمشق ودخل بأبَّهة السلطنة في أواخر رمضان ، ونزل القلعة وأنفق الأموال ، وأحبه الناس ، ثم سار إلى مصر بعد عيد الأضحى ، فاتفق كسرة الإفرنج - خذلهم الله تعالى - عند قدومه ، ففرح الناس وتيمَّنوا بوجهه ، لكن بدت منه أمور نفرت الناس عنه :

منها أنه كان فيه خفة وطيش ، وكان والده الصالح يقول : ولدي ما يصلح للملك ، وألحَّ عليه يوماً الأمير حسام الدين ابن أبو علي ، وطلب إحضاره من حصن كَيْفا ، فقال : أجيبه لكم حتى تقتلوه ؟ فكان الأمر كما قال أبوه . وقال سعد الدين بن حيمويه : لما قدم المعظم طال لسان كل من كان خاملاً في أيام أبيه ، ووجدوه مختلّ العقل سيء التدبير ، دفع خبز فخر الدين شيخ الشيوخ بحواصله إلى جوهر الخادم ، وانتظر الامراء أن يعطيهم كما أعطى أمرا دمشق فلم يكن لذلك أثر ، وكان لا يزال يحرك كتفه الأيمن مع نصف وجهه ، وكثيراً ما يولع بلحيته ، ومتى سكر ضرب الشمع بالسيف وقال : هكذا أفعل بمماليك أبي ، ويتهدد الأمرا بالقتل ، فشوَّش قلوب الجميع ومقتوه ، وصادف بخله .

---

٩١ - الوافي ومرآة الزمان : ٧٨١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٦٤ والعبر ٥ : ١٩٩ وذيل الروضتين : ١٨٥ والشذرات ٥ : ٢٤١ .

[1] ص : أقطايا (في هذا الموضع وحده) .

قال سبط [ابن] الجوزي : بلغني أنه كان يكون على السماط بدمشق ، فإذا سمع فقيهاً يقول مسألة يقول : لا نسلم ، ويصيح بها .

ومنها أنه احتجب عن أمر الناس وانهمك على اللذات والفساد مع الغلمان ، على ما قيل ، ويقال إنه تعرض لحظايا أبيه .

ومنها أنه قدَّم الأراذل وأخر خواصّ أبيه ، وكان قد وعد الفارس أقطاي لما جاء إليه إلى حصن كيفا أن يؤمِّره ، فما وفى له فغضب .

وكانت شجر الدر زوجة أبيه قد ذهبت من المنصورة إلى القاهرة ، فجاء هو إلى المنصورة وأرسل إليها يتهددها ويطالبها بالأموال ، فعاملت عليه ، فلما كان اليوم السابع من المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ضربه بعض البحرية وهو على السماط ، فتلقى الضربة بيده فذهبت بعض أصابعه ، فقام ودخل البرج الخشب الذي هناك وصاح : مَن جَرَحَني ؟ فقالوا : بعض الحشيشية ، قال : لا والله إلاّ البحرية ، والله لأفنينهم ، وخاط المزين جرحه وهو يتهددهم ، فقالوا : تمموه وإلاّ أبادنا ، فدخلوا عليه فهرب إلى أعلى البرج ، فرموا النار في البرج ، ورمَوه بالنشاب ، فرمى بنفسه وهرب إلى النيل وهو يقول : ما أريد ملكاً ، دعوني أرجع إلى حصن كيفا ، يا مسلمين ما فيكم مَن يصطنعني ؟ فما أجابه أحد ، فتعلق بذيل الفارس أقطاي فما أجاره ، ونزل في البحر إلى حلقه ، فقتلوه وبقي ملقىً على جانب النيل ثلاثة أيام حتى شفع فيه رسول الخليفة فواروه . وكان الذي باشر قتله أربعة ، فلما قتل خطب على منابر الشام ومصر لأم خليل شجر الدر . ثم تسلطن الملك المعز أيبك التركماني .

وكان المعظم توران شاه قويّ المشاركة في العلوم حسن البحث ذكياً . قال ابن واصل : لما دخل المعظم دمشق قام الشعراء ، فابتدأ العدل تاج الدين ابن الدجاجية فقال :

كيف كان القدوم من حصن كيفا حين أرغمت للأعـــادي أنوفا

فأجابه المعظم في الوقت :

الطريق الطريق يا ألف نحس تارة آمنا وطوراً[1] مخوفا

وقال الصاحب جمال الدين ابن مطروح يرثيه :

يا بعيدَ الليلِ من سَحَرِه دائماً يبكي على قمرِهْ
خلِّ ذا واندُب معي ملكاً ولتِ الدنيا على أثرِهْ
كانت الدنيا تطيبُ لنا بين باديهِ ومحتضرِهْ
سلبَتْه الملكَ أسرتُهُ واستوَوْا غدراً على سرُرِهْ
حسدوهُ حين فاتهمُ في الشباب الغَضِّ من عمره

وفيه يقول نور الدين ابن سعيد :

ليت المعظّم لم يَسِرْ من حصنه يوماً ولا وافى إلى أملاكِهِ
إن العناصرَ إذ رأته مكملاً حسدته فاجتمعت على إهلاكه

واتفق يوم خروجه من دمشق مطر عظيم ، فقال نور الدين ابن سعيد :

إنّ المعظّمَ خير أملاك الورى سُرَّتْ به الدّنيا وتُعذَرُ فيهِ
أوَما رأيت دمشقَ يومَ قدومه ضحكتْ ويومَ وداعه تبكيهِ

٩٢

[توفيق الطرابلسي]

توفيق بن محمد بن الحسين النحوي الطرابلسي ؛ كان جده الحسين بن محمد ابن زريق يتولى الثغور من قبل الطائع ، وولد توفيق بطرابلس ، وسكن

---

[1] ص : وتاوراً .

٩٢ – لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ، وانظر معجم الأدباء ٧ : ١٣٨ وبغية الوعاة : ٢٠٩ والزركشي : ٨١ .

دمشق . وكان أديباً فاضلاً شاعراً .

قال ياقوت : وكان يتهم بقلة الدين والميل إلى مذهب الأوائل ، توفي في صفر سنة ست عشرة[1] وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس ، وكان نحوياً ، أقرأ العربية ، وله معرفة بالحساب والهندسة .

ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

وجلنار كأعرافِ الديوكِ على ... خضرٍ تميس كأذنابِ الطواويسِ
مثل العروس تحلّت يومَ زينتها ... حمرَ الحليّ على خضر الملابيس
في مجلس بعثتْ أيدي السرورِ به ... لدى عريشٍ يحاكي عرش بلقيس
سقى الحيا أربعاً تحيا النفوسُ بها ... ما بين مُقرى إلى باب الفراديس

---

[1] ص : ستة عشر .

حَرْفُ الثَّاء



٩٣

[ثابت قطنة]

ثابت بن كعب أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك ، ويعرف بثابت قطنة لأنه أصابه سهم في عينه في بعض حروب الترك فذهبت ، فجعل موضعها قطنة ؛ وهو شاعر شجاع ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وولي عملاً في خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر ، فقال : سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً ، وبعد عيّ بياناً ، وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال ، ثم أنشأ :

وإلاّ أكن فيكم خطيباً فإنني ... بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

فقال بعض الشعراء يهجوه بذلك [١] :

أبا العلاء لقد لقّيت معضلةً ... يومَ العروبة من كربٍ وتخنيقِ

أما القران فلم تخلق لمحكمه ... ولم [٢] تسدّد من الدنيا بتوفيق

لما رمتك عيونُ الناسِ هبتهمُ ... وكدتَ تشرقُ لما قمتَ بالريق

تلوي اللسان وقد رمتَ الكلام به ... كما هوى زَلِقٌ من شاهقِ النيق

ولما ولي سعيد بن عبد العزيز خراسان جلس يعرض الناس ، فرأى ثابتاً ، وكان تام السلاح جميل الهيئة ، فسأل عنه فقيل : هذا ثابت قطنة ، وهو فارس

---

٩٣ – الأغاني ١٤ : ٢٤٧ والشعر والشعراء : ٥٢٦ والخزانة ٤ : ١٨٤ والطبري ٢ : ١٤٨٠ ؛ وقد سقطت هذه الترجمة من المطبوعة .

١ هو حاجب الفيل ، كما في الأغاني .

٢ ص : فيه ولم .

شجاع ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قال رجل : هذا الذي يقول :

إنّا لضرابون في حَمَس الوغى[1] رأسَ الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد : عليّ به ، فلما أتاه قال له : أنت القائل : إنا لضرّابون...؟ فقال : نعم أنا القائل :

إنّا لضرابون في حمس الوغى[2] رأسَ المتوَّج إن أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه أو رام إفساداً ولجّ عنودا

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك ، وأخباره مستوفاة في كتاب « الأغاني » ، رحمه الله تعالى .

٩٤

[أبو البقاء التفليسي]

ثابت بن تاوان ــ بالتاء المثناة من فوق وبعد الألف واو وألف ونون ــ الإمام نجم الدين أبو البقاء التفليسي الصوفي ؛ كان له معرفة بالفقه والأصول والعربية والأخبار والأشعار والسلوك ، وله رياضات ومجاهدات ، وهو من كبار أصحاب الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وأذن له أن يصلح ما رآه في تصانيفه من الخلل وقدم مصر رسولاً من الديوان ، وهو مليح الكتابة ــ كتب الأجزاء ، وتوفي سنة إحدى[3] وثلاثين وستمائة ، ووقف كتبه على الخانقاه الشميصاتية .

---

١ ص : الورى .
٢ ص : الورى .
٩٤ ــ موجزة كثيراً في المطبوعة ؛ وانظر الزركشي : ٨١ .
٣ ص : أحد .

قال شهاب الدين القوصي ، أنشدني لنفسه :

شرُّ مالٍ حزتَهُ ذاك الذي حزتَ حدّ العلم في استحقاقهِ
اكتسبتُ الإثمَ في تحصيله وحرمت الأجرَ في إنفـاقه

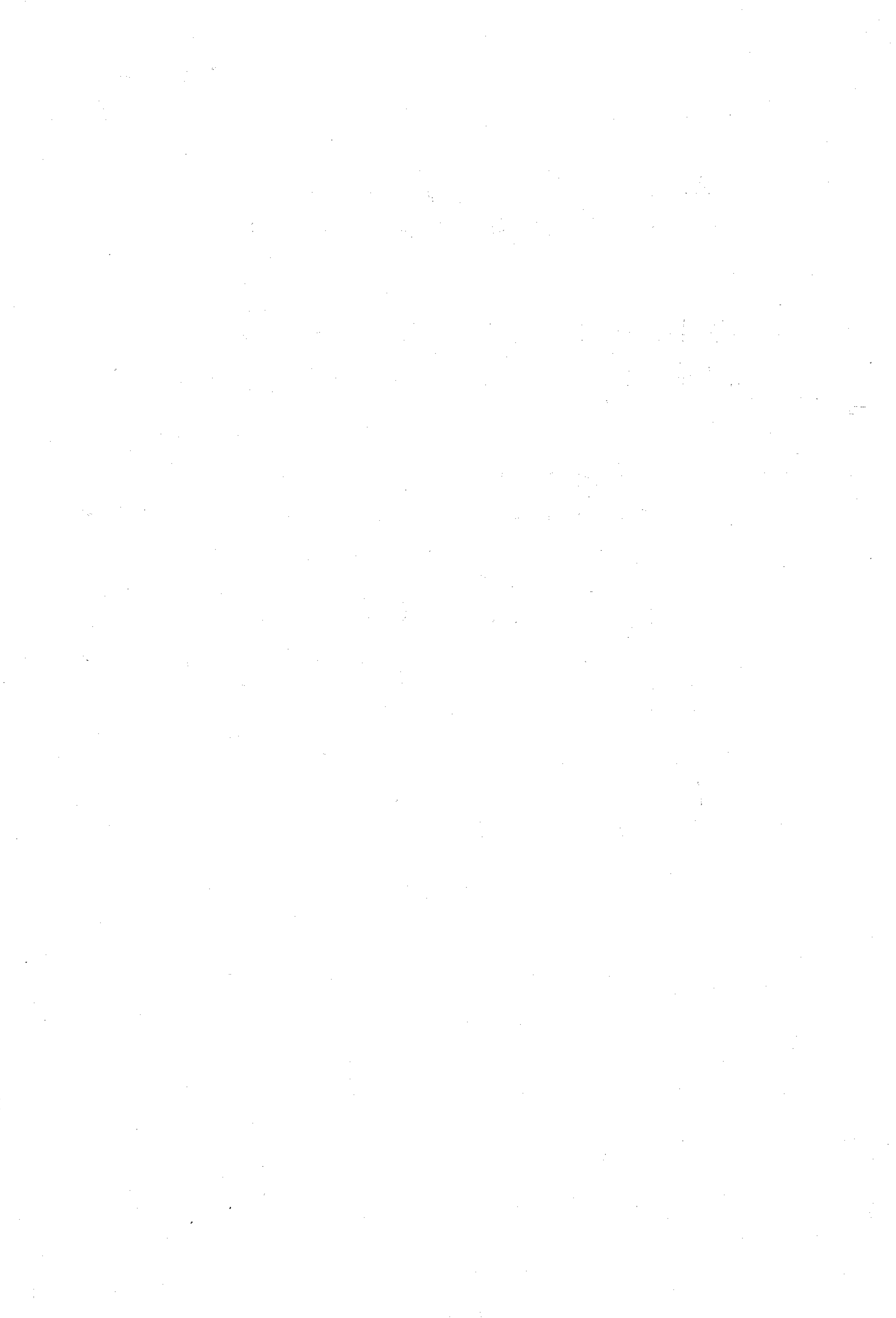
وأنشدني أيضاً لنفسه :

إن شام طرفي عنك بارقَ سلوةٍ طفقَ الغرامُ إلى هواك يحثُّهُ
أو كاد يبدي ضرَّه قال الهوى لا كان من يشكو الهوى ويبثه

وقال أيضاً :

اغتنم يومك هـذا إنّما يومـك ضيفُ
وانتهب فرصةَ عمرٍ حاضرٍ فالوقت سيفُ
لا تضيّعْ هذه الأنـ فاسَ فالتضييع حَيفُ
عَدّ عن سوف أو الـ ساعة أو أين وكيفُ

رحمه الله تعالى وعفا عنه .



حَرْفُ الجِيم



٩٥

[جابر بن حيان]

جابر بن حيان، أبو موسى الطرسوسي ؛ ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق في الكيمياء ، وهي خمسمائة رسالة .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : وأنا أنزه جعفر الصادق رضي الله عنه عن الكيمياء ، وإنما هذا الشيطان أراد الإغواء بكونه عزا ذلك إلى جعفر الصادق لتتلقاه النفوس بالقبول ، ورأيته إذا ذكر الحجر يقول بعد ما يرمزه : وقد أوضحته في الكتاب الفلاني ، فيتعب الطالب حتّى يظفر بذلك المصنف المشوم ، فيجده قد قال : وقد بينته في الكتاب الفلاني ، فلا يزال يحيل على شيء بعد شيء .

ووجدت بعض الفضلاء قد كتب على بعض تصانيفه :

هذا الذي بمقـــاله غرّ الأوائل والأواخرْ
ما أنتَ إلاّ كاسرٌ كذبَ الذي سمّاك جابرْ

وتصانيفه في هذا الفن كثيرة وليس تحتها طائل ، وكانت وفاته في حدود التسعين والمائة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

---

٩٥ — لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وانظر الفهرست : ٣٥٤ وسيزكن ٤ : ١٣٢ — ٢٧٠ ، ٣٣٠ — ٣٣١ ، وفيه عرض لمؤلفاته بالاعتماد على دراسات كراوس وروزكا ؛ وللدكتور زكي نجيب محمود مؤلف لطيف عنه (سلسلة أعلام العرب) .

٩٦

الحطيئة الشاعر

جرول بن أوس بن مالك ، الحطيئة الشاعر ؛ لقب بالحطيئة لقربه من الأرض، فإنه كان قصيراً . وهو من فحول الشعراء وفصحائهم ، وكان ذا شر ، ونسبه متدافع بين القبائل كان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الأخرى ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم ثم ارتدّ وقال :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا   فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكرٌ إذا مات بعــده   وتلك لعمر الله قاصمةُ الظهر

وقال يهجو أمه :

تَنَحَّيْ فاجلسي عني بعيدا   أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سراً   وكانونا عــلى المتحدّثينا
حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سوءٍ   وموتك قد يسُرُّ الصالحينا

والتمس يوماً إنساناً يهجوه فلم يجد ، فضاق عليه ذلك فقال :

أبتْ شفتايَ اليوم إلاّ تكلما   بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائله

وجعل يدور هذا البيت في حلقه ولا يرى إنساناً ، فاطلع في حوض ماء فرأى وجهه فيه فقال :

أرى ليَ وجهاً قَبَّح الله خلقه   فقبِّح من وجهٍ وقبح حامله

---

٩٦ — الأغاني ١ : ٤١ ، ١٦ : ٣٨ والوافي والخزانة ١ : ٤٠٨ والعيني ١ : ٤٧٣ والإصابة ٢ : ٦٣ وطبقات ابن سلام : ٩٣ والشعر والشعراء : ٢٣٨ ، وقد نشر ديوانه بتحقيق الأستاذ نعمان أمين طه (القاهرة : ١٩٥٨) ، وقد استوفت المطبوعة معظم هذه الترجمة .

وقدم المدينة في سنة مجدبة، فجمع أشرافها له من بينهم شيئاً[1] إلى أن تكمل له أربعمائة دينار وأعطوه إياها ، فلما كان يوم الجمعة استقبل الإمام ونادى : من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم .

قال الأصمعي : كان الحطيئة سؤولاً ملحفاً دنيء النفس كثير الشرّ قليل الخير ، بخيلاً قبيح المنظر رثّ الهيئة ، مغموز النسب فاسد الدين .

وهجا الزِّبرقان بن بدر بالأبيات التي منها :

دع المكارم لا ترحلْ لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليه الزِّبرقان إلى[2] عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فرفعه عمر إليه واستنشده ، وقال لحسان : أتراه هجاه ؟ قال : نعم ، وسَلَح عليه ، فحبسه في بئر وأبقى عليه شيئاً[1] ، فقال :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ   زغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبهم في قعرِ مظلمةٍ   فاغفر عليكَ سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه   ألقت إليك مقاليد النهى البشرُ
لم يؤثِروك بها إذ قدَّموك لها   لكن لأنفسهم كانت بك الاثرُ

فأخرجه وقال : إياك وهجاء الناس ، قال : إذن تموت عيالي جوعاً ، هذا مكسبي ومنه معاشي ، قال : إياك والمقذع ، قال : وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقول : فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ، قال : فأنت والله أهجى مني ، فقال عمر رضي الله عنه : لولا أن تكون سنّة لقطعت لسانه ، ولكن اذهب فأنت له يا زبرقان ، فألقى الزبرقان في رقبته عمامته واقتاده بها ، فعارضته غطفان وقالت له : يا أبا شذرة[3] إخوتك وبنو عمك فهبه لهم ، فوهبه لهم .

---

١ ص : شي .   ٢ كذا في ص والاصوب حذف « إلى » .
٣ ص : سدرة .

وقيل إن عمر لما أطلقه اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ليؤكد الحجة عليه .

ولما حضرت الحطيئة الوفاةُ واجتمع إليه قومه ، فقالوا : يا أبا مليكة ، أوص ، فقال : ويل للشعراء من رواة السوء ، فقالوا له : أوص يرحمك الله ، فقال : من هو الذي يقول [1] :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجَعتها الجنائز

فقالوا : أوص ويحك بما ينفعك ، فقال : أبلغوا امرأ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول [2] :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مُغار الفتل شدت بيذبل

فقالوا : اتّقِ الله ودع عنك هذا ، فقال : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول [3] :

يُغشَوْنَ حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

فقالوا : إن هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه ، فقال :

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سلّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زَلّتْ به إلى الحضيضِ قدمه يريد أن يعربه [4] فيعجمه

فقالوا : هذا مثل ما كنت فيه ، فقال :

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتمدْ وكنتُ ذا غربٍ على الخصم الألدْ
فوردَتْ نفسي وما كادتْ تردْ

---

١ البيت للشماخ بن ضرار ، ديوانه : ١٩١ .

٢ البيت من معلقة امرىء القيس ، ديوانه : ١٩ .

٣ لحسان بن ثابت ، ديوانه : ٧٤ .

٤ ص : يعرفه .

فقالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكنني أجزع على المديح الجيد يُمدح به من ليس له أهلاً ، فقالوا : من أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فيه ، وقال : هذا إذا طمع في خير ، واستعبر باكياً ، فقالوا له : قل لا إله إلاّ الله ، فقال :

قالت وفيها حَيدَةٌ وذُعرُ عَوذٌ بربي منكم وحجرُ[1]

قالوا : ما تقول في عبيدك وإمائك ؟ قال : هم عبيد قن ، ما عاقب الليل النهار ، قالوا : فأوص للفقراء بشيء ، قال : أوصيهم بالإلحاح في المسألة ، واست المسئول أضيق ، قالوا : فما تقول في مالك ؟ قال : للأنثى مثل حظ الذكر ، قالوا : ليس هكذا قضى الله عز وجلّ ، قال : لكني هكذا قضيت ، قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كلوا أموالهم وافعلوا بأمهاتهم ، قالوا[2] : فهل تعهد غير هذا ؟ قال : نعم ، احملوني[3] على أتان وتتركوني راكباً حتى أموت ، فإن الكريم لا يموت على فراشه ، والأتان مركَب لم يمت عليه كريم قط ، فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون حتى مات ، وهو يقول :

لا أحدٌ ألأمُ من حُطيئَهْ هجا بنيه وهجا المريّهْ
من لؤمه مات على فُرَيَّهْ

الفُريّةْ : الأتان .

وتوفي في حدود الثلاثين للهجرة .

---

[1] العرب تقول عند الأمر تنكره « حجر له » أي دفعاً له ، وهو استعاذة من الأمر (انظر التاج : حجر) .

[2] ص : قال .

[3] ص : حملوني .

٩٧

[شَعر الزنج]

أبو الجعد المعروف بشعر الزنج ؛ وكان وقاداً ببغداد ، قصته طويلة وأمره عجيب ، اقتضت[١] به الحال في تصرفاته إلى أن صار وقاداً في أتون حمام :

عشق غلاماً من أبناء بغداد، وقال الشعر فجوده ، واشتد كلفه بالغلام، وكان الغلام ظريفاً مغرماً بالتفاح لا يكاد يفارقه في أوانه ، فجاء يوماً شعر الزنج فقعد بإزاء الغلام ، وبيد الغلام تفاحة وهو يقلبها تارة ويشمها تارة، ويُدنيها من خده تارة ومن فيهِ تارة ، فقال شعر الزنج :

تفاحة أكرمها ربها ... يا ليتني لو كنت تفاحَهْ
تقبل الحب ولا تستحي ... من مسكه بالكف نفاحه
تجري على خديه جوّالةً ... نفسي إلى شملك مرتاحه

فلما سمع الغلام ذلك رمى بها في الطريق ، فأخذها شعر الزنج . واشتد كلفه بالغلام واشتد إعراض الغلام عنه ، فعمد شعر الزنج إلى تفاحة حمراء عجيبة فكتب عليها بالذهب :

أني لأَعذركمْ في طول ِ صدكُمُ ... من راقب الله أبدى بعضَ ما كتما
لكن صدودكمُ يؤذي لمن علقتْ[٢] ... به الصبابةُ حتّى ترجع الكلما

ورمى بالتفاحة إلى الغلام ، فقرأ ما فيها ثم قام ودخل بيته فأبطأ وعاد

٩٧ – الوافي والزركشي : ٨٢ .

١ كذا في ص ، والأصوب : أفضت .

٢ ص : عقلت .

فرمى بها إلى شعر الزنج ، فأخذها وهو يظن أنه قد رقّ له ، وإذا هو قد كتب بالأسود تحت كل سطر :

نصدُّ عنكم صدودَ المبغضين[1] لكم فلا تردُّوا إلينا بعدها كلما
وما بنـــا الناس لو أنّا نريدكُمُ فاصبر فؤادك أو مت هكذا ألما

فاشتعلت نيران شعر الزنج وتضاعف وجده . ثم ظنَّ أن الغلام يستوضع حرفته بالوقادة فتركها وصار ناطوراً يحفظ البساتين ، وقصد بساتين التفاح التي لا يوجد في بغداد أكثر منها تفاحاً ، فأتى إلى صاحب له ومعه تفاح كثير وقال : أحب أن تهدي هذا التفاح إلى الغلام ، وتعمد المكتوب[2] منه ، فنظر وإذا هو قد كتب على بعضه ببياض لمّا كان في شجره ، من جملتها تفاحة حمراء مكتوب عليها ببياض :

جُودوا لمن هَيَّمهُ حبكمُ فهـــامـــا
وصار ضوءُ يومـــه من حزنهِ ظلاما

وكتب على أخرى :

مهجة نفس أتتكَ مرتاحه تشكو هواها بلفظ تفاحه

فأهدى ذلك التفاح إليه ، فلما قرأ ما عليه قام وقد خجل ، وصار شعر الزنج يختار أكبر التفاح ويكتب عليه الشعر ، ويحتال بصنوف الحيل في إيصاله إلى الغلام .

قال الحاكي : فإني يوماً لجالس أنا والغلام إذ اجتاز بنا بائع فاكهة جل ما معه تفاح ، فأجلسه الغلام وابتاع منه التفاح بما أراد دون مماكسة ، وسر الغلام برخص التفاح ، وجعل يقلبه ويعجب من حسنه ، وإذا هو بتفاحة صفراء مكتوب عليها بالأحمر :

تفاحة تخبر عن مهجة أذابها الهجرُ وأضناها

---

١ ص : المغضبين . ٢ ص : المكتوم .

يا بؤسها ماذا بها ويلها   أبعدها الحب وأقصاها

ففطن حينئذ وغالطني وقال : ما ترى ما يكتبون الناس على التفاح طلباً للمعاش؟! فتغافلت عنه ، وكان شعر الزنج قد دفع التفاح إلى البائع وقال له : تلطف في إيصاله إلى الغلام وبِعْهُ إياه بما أراد .

ثم إن شعر الزنج أهدى إليّ يوماً تفاحاً كثيراً : أحمر كالشقائق ، وأبيض كالفضة ، وأصفر كالذهب ، منه ما كتب عليه ببياض في حمرة ، وبحمرة في بياض ، وعلى أحدها :

نبتُّ في الأغصان مخلوقةً   من قلب ذي شوق وأحزانِ
صفرني سُقْمُ الذي لونُهُ   يخبر عن حالي وأشجاني

وعلى أخرى بأحمر :

تفاحةٌ صيغتْ كذا بدعةً   صفراءَ في لون المحبينا
زيَّنَها ذو كمدٍ مدنف   بدمعــه إذ ظل محزونا
فامننْ فقد جئت له شافعاً   وُقيتَ من بلواهُ آمينا

وعلى أخرى :

كتبتُ لما سُفِكت مهجتي   بالدم كي ترحم بلوائي
رفعتُ هذي قصّتي أشتكي الـ   ـهجر فوقِّعْ لي بإغفائي

قال : فرحمته وأدركتني رقة له ، فحفظت التفاح جميعاً ، وعملت دعوة ودعوت الغلام وإخوته ، واجتمعنا على مجلس أنس ، وأحضرت التفاح ، فيما أحضرته فرأوا منه شيئاً لم يروا مثله ، ثم تعمدت وضع التفاح المكتوب بين يدي الغلام ، فعجب منه وقرأ ما عليه وقال لي خفية : ترى من كتب هذا الذي عليه ؟ قال : فقلت : الذي كتب على ذلك التفاح الذي[1] ابتعته ذلك اليوم ، قال :

---

١ ص : إلي .

ومن كتبه ؟ قلت : شعر الزنج ، قال : فخجل، ثم استهدانيه فقلت[1] : لا تستهده فإنه لك عمل ومن أجلك حضر ، ثم أخذت في رياضته على الحضور مع شعر الزنج للفكاهة ، فوجدته شديد النفور منه والبغض فيه ، فتركته وعدلت إلى أبيه وقلت له : هل أنا عندك متهم في ولدك ؟ فقال : حاش لله ولا في أهلي ، فحكيت له خبر شعر الزنج مع ولده من أوله إلى آخره ، وقلت له : إن هذا الأمر إن تمادى ظهر حاله واشتهر ولدك وصار أحدوثة للخاص والعام ، وأنا أرى أن اجتماعه به في منزلي بمحضر من أهله سواك مما يكف لسانه ويستّر أمره ، فقال : افعل ما تراه مصلحة فأنت ممن لا يتهم ، قال : فعرفت شعر الزنج بما جرى وقلت له : إذا كانت ليلة كذا وكذا فاحضر وادخل بلا استئذان كأنا لم نشعر بك، واجلس إلى أن نومئ إليك بالقيام ، ثم دعوت الغلام وإخوته في الليلة المحدودة ، واجتمعنا في مجلس أنس وشربنا ، فلم نشعر إلاّ وشعر الزنج داخل علينا ، فلما رآه الغلام خجل واستوحش وهم بالخروج فمنعناه ، وكان بحضرتنا تفاح كثير أحمر والفتى يكثر شمه والعبث به والتنقل منه في أثناء شربه ، فجعل شعر الزنج يتأمّل الغلام ثم قال :

يا قمراً في سَعْد أبراجه وبيت أحزاني وأتراحي
ويا قضيباً مـائلاً مائلاً أكثر في حبي له اللاحي
أبصرته في مجلسٍ ساعةً والليلُ في حلة أمساح
في فتيةٍ كلهمُ سيّدٌ صالت عليهم سطوة الراح
يَعَضُّ تفاحاً[2] بتفاحةٍ ويشرب الراح على الراح

فخجل الغلام واحمرّ ، فقال شعر الزنج عدة مقاطيع والغلام يزداد خجلاً وتوريداً ، فقلنا لشعر الزنج : يكفيك قد أخجلت الفتى ، فأومأنا إليه بالقيام على

---

[1] ص : فقال .
[2] ص : تفاح .

الوفق الذي كان بيننا ، فوثب وهو يبكي ، وانصرف وقد انهار الليل ، فلم نزل في ذكره بقية ليلتنا إلى الصباح ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

٩٨

المقتدر بالله

جعفر بن محمد ، أبو الفضل المقتدر بالله أمير المؤمنين ابن المعتضد ابن العباس ابن أبي أحمد طلحة بن المتوكل ؛ بويع بعد أخيه المكتفي بالله سنة خمس وتسعين ومائتين ، وعمره ثلاث [١] عشرة سنة ، ولم يل [٢] أمر الأمة قبله أصغر منه ، ولهذا انخرم النظام في أيامه ، وجرت تلك العظائم ، وخلع في أول خلافته ، وبويع عبد الله بن المعتز ، فلم يتمّ الأمر ، وقتل ابن المعتز وأعيد المقتدر إلى الخلافة ، ثم خلع في سنة سبع عشرة [٣] ، وكتب خطه لهم بالخلع نفسه ، وبايعوا أخاه القاهر بالله محمداً ، ثم أعيد بعد ثلاثة أيام وجددت له البيعة . وكان ربعة جميل الوجه أبيض مشرباً بحمرة ، قد عاجله الشيب بعارضيه ، وكان له يوم قتل ثمان وثلاثون سنة .

قال المحسن التنوخي : كان جيد العقل صحيح الذهن ، ولكنه كان مؤثراً للشهوات ؛ لقد سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يقول : ما هو إلاّ أن يُترك هذا

---

٩٨ – انظر تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير ومروج الذهب للمسعودي وتاريخ اليعقوبي والوافي ، والمنتظم ٦ : ٢٤٣ والروحي : ٦٠ والفخري : ٢٣٣ وتاريخ الخلفاء : ٤٠٨ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٣٣ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٤٥ وتاريخ بغداد ٧ : ٢١٣؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة.

١ ص : ثلاثة .

٢ ص : يلي .

٣ ص : سبعة عشر .

الرجل – يعني المقتدر – خمسة أيام ، وكان ربما يكون في أصالة الرأي كالمأمون والمعتضد .

رماه بربري بحربة فقتله في شوال سنة عشرين وثلثمائة ، وكانت قتلته في الموكب ، رماه البربري غلام بليق ، وولي الخلافة من أولاده ثلاثة : الراضي والمقتفي والمطيع ؛ وكذلك المتوكل[1] قتل وولي من أولاده ثلاثة : المستنصر والمعتز والمعتمد ؛ والرشيد ولي من أولاده ثلاثة : الأمين والمأمون والمعتصم ؛ وأما عبد الملك بن مروان فولي من أولاده أربعة : الوليد ويزيد وهشام وسليمان ؛ والملك العادل ولي من أولاده أربعة : الكامل والأشرف والمعظم والصالح إسماعيل.

قلت : والملك الناصر بن قلاون ولي من أولاده : المنصور أبو بكر والأشرف كجك والناصر أحمد والصالح إسماعيل والكامل شعبان والمظفر حاجي والناصر حسن .

٩٩

جعفر العلوي

جعفر بن أحمد العلوي ، الأديب المصري ؛ قال شهاب الدين القوصي في معجمه أنشدني الشريف جعفر المذكور لنفسه في مهندس مليح الصورة :

وذي هيئة يُزهى بحسن وصنعة ... أموتُ به في كل يوم وأبعث
محيط بأشكالِ الملاحةِ وجهه ... كأنّ بـهِ إقليدساً يتحدث
فعارضهُ خطٌ استواءَ وخالُهُ ... به نقطة والصدغُ شكل مثلث

---

[1] ص : للمتوكل .

٩٩ – الوافي والزركشي : ٨٢ ؛ وقد سقط من المطبوعة أجزاء كثيرة من هذه الترجمة .

وأعاد هذه الأبيات النفيس القطرسي [1] . قال القوصي : وأنشدني لنفسه في مليح مغني بيده طار :

غنّى بطارٍ طار قلبي له ... بأنمُلٍ كالأنجمِ الخمسِ
كأنّه والطار في كفّهِ ... بدر الدجى يلعبُ بالشمس

قال وأنشدني لنفسه :

وافَيْتُ نحوكُمُ لأرفَعْ مبْتَـدا ... شعري وأنصب خفضَ عيش أخضرا
حاشاكمُ أن تقطعوا صلَةَ الذي ... أو تصرفوا من غير شيءٍ جعفرا

قال : وأنشدني لنفسه في طفّاءة القناديل :

طفاءةٌ تنفث في ... وسط القناديل الهبا
لأنّهـا نعـامة ... تلقط منها لَهَبا

توفي بعد الستمائة ، رحمه الله تعالى .

١٠٠

أبو الفضل الدمشقي

جعفر بن عبيد الله أبو الفضل الأنصاري الدمشقي ؛ كتب عنه ببغداد أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي وأبو الوفا أحمد بن الحسين ، وتوفي سنة تسع

---

١ ص : القرطمي ، وانظر فيما يلي ترجمة جلدك التقوي رقم ١٠٨ حيث عرفت بالنفيس القطرسي ، وهذه الأبيات قد أوردها ابن خلكان نقلا عن السلفي لجلدك التقوي كما وردت في عقود الجمان لابن الشعار ١ : ١٥٢ منسوبة للنفيس القطرسي ، وأوردها ابن العديم في بغية الطلب ٩ : ٢٣٧ ونسبها لابن الملثم ولد الوزير عز الدين الملثم وزير الملك الأفضل علي .

١٠٠ — الوافي والزركشي : ٨٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

وتسعين وأربعمائة ، ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة .

من شعره :

شربتُ على زهر البَنَفْسَجِ قهوةً بجنح الدياجي وهي في الكاسِ مقباسُ
توهّمتها في الكاسِ وهماً [1] فخلتها لرقّتها نوراً [2] يلوحُ به الكاس
وقبّلتها أحسو لـلـذيـذ شرابهـا فقلتُ فمي المشكاةُ والراحُ نبراسُ

ومنه :

لله يومُ سرورٍ قـد نعمتُ بـه فيه على الراح والريحانِ معتكفُ
والكاسُ كالبدر في ليل الكسوف إذن قد انجلى بعضهُ والبعضُ منكشف

١٠١

قمر الدولة ابن دواس

جعفر بن علي بن دواس، أبو طاهر الكتامي المعروف بقمر الدولة ، من أهل مصر ؛ نشأ بطرابلس الشام ، وكان شاعراً رشيق الألفاظ عذب الإيراد لطيف المعاني ، وله في الغنا وضرب العود طريقة حسنة بديعة . قدم بغداد وأقام بها مدة في خدمة قسيم الدولة البرسقي ، وكان نديماً له ، وتوفي بعد الخمسمائة .

من شعره :

إن صار مولاي ذا يسار فإنّني ذلك المُقِـلُّ

---

١ ص والزركشي : وهمى .

٢ ص والزركشي : نور .

١٠١ – الخريدة (قسم مصر) ٢ : ٢١٨ وذكر المحقق أنه له ترجمة في الوافي للصفدي (وكذلك هو في التجريد) .

كالشمس إن زيدتِ ارتفاعاً يقصرُ فيءُ لهـا وظلُّ

وقال :

لما رأيتُ المشيبَ في الشَّعر الأسـ ـودِ قد لاح صِحْتُ واحزني
هذا وحَقِّ الإله أحْسبهُ أولَ خيطٍ سدّي من الكفنِ

وقال :

أنـــا مِمّنْ إذا أتى صاحبُ البيتِ للكِرا
تتجـــافى جُنوبُهُم كلَّ وقتٍ عن الكَرى

وقال :

لا يظنُّ العدوُّ أنَّ انحنائي كبراً عند ما عـدمتُ شبابي
ضاع منّي أعزّ ما كان منّي فأنا ناظرٌ[1] له في التّرابِ

أرشقُ من هذا قولُ القائل :

وعهدي بالصبا زمناً وقَدي حكى ألِفَ ابن مقلة في الكتابِ
فقد أصبحت منحنياً كأني أفتش في التّراب على شبابي

ومن شعر قمر الدولة :

تعجبتْ دُرُّ من شيبي فقلت لها لا تعجبي فطلوعُ البدرِ في السدفِ
وزادها عجباً أن رحتُ في سمل وما درت دُرُّ أن الدر في الصدف

وله :

قلت لمن نادمني لَيْلَـــةً عند التداني نَحِّ قمصانَكْ
فامتثل المرسوم من وقته فقلت عند الصبح قمْ صانكْ

---

[1] ص : ناظراً .

١٠٢

[جعفر بن قدامة]

جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ؛ ذكره الخطيب فقال : هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وكان وافر الأدب حسن المعرفة ، وله مصنفات في الكتابة وغيرها ؛ حدّث على أبي العيناء وحماد بن إسحاق الموصلي والمبرد وغيرهم ، وروى عنه أبو الفرج الأصفهاني .

قال ياقوت[١] : قرأت في كتاب « المحاضرات » لأبي حيان قال : قلت للعروضي : أراك منخرطاً في سلك ابن[٢] قدامة ومنصباً إليه ومتوفراً عليه ، وكيف يتفق بينكما وتأتلفان ولا تختلفان ؟ فقال : اعلم أن الزمان وقت الاعتدال ، والرجل كما تعرفه في غاية البرد والغثاثة ، وأنا كما تعرفني وتثبّتي [٣] ، فاعتدلنا إلى أن يغير الزمان ، ثم نفترق ونختلف ولا نتفق ، ثم أنشأ يقول :

وصاحب أصبح من بردهِ ... كالماء في كانونَ أو [في] شباطْ
نُدْمانُهُ من ضيقِ أخلاقه ... كأنهم في مثل سَمِّ الخياط
نادمتُهُ يوماً فألفيتُهُ ... متصلَ الصمتِ قليلَ النشاط
حتى لقد أوهمني أنّهُ ... بعضُ التماثيل التي في البساط

ومن شعره :

تسمعْ – متُّ قبلك – بعض قولي ... ولا تتسلَّلنْ [٤] مني لواذا

١٠٢ – الوافي والزركشي : ٨٥ وتاريخ بغداد ٥ : ٤٢٥ ومعجم الأدباء ٧ : ١٧٧ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ معجم الأدباء ٧ : ١٨١ .

٢ ص : أبو .

٣ ياقوت : وتثبتني .

٤ ص : تسألا .

نعم[1] أسقمتَ بالهجرانِ جسمي ومتُّ بغصتي ، فيكون ماذا ؟

وكانت وفاة ابن قدامة في سنة ثمان وثلثمائة[2] ، رحمه الله تعالى .

١٠٣

[المتوكل العباسي]

جعفر بن محمد ، المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ؛ بويع له بالخلافة بعد موت أخيه هارون الواثق ، وذلك في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وقتل سنة سبع وأربعين ومائتين .

وكان أسمر مليح العينين نحيف الجسم خفيف العارضين إلى القصر أقرب ، وأمه أم ولد اسمها شجاع ، ولما استخلف أظهر السنة وتكلم بها في مجلسه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم .

وقال إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة : الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصديق رضي الله عنه قاتلَ أهــل الردة حتى استجابوا ، وعمر بن عبد العزيز ردّ مظالم بني أمية ، والمتوكل محا البدَعَ وأظهر السنة .

وقال محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب : إني جعلت دعائي في المشاهد

---

١ ياقوت : إذا .

٢ عند ياقوت أن وفاته كانت سنة ٣١٩ .

١٠٣ - تراجع ترجمته في كتب التاريخ العامة ؛ وانظر تاريخ الخلفاء : ٣٧٣ والروحي : ٥٣ والفخري : ٢١٥ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٣٧ وتاريخ بغداد ٧ : ١٦٥ وابن خلكان ١ : ٣٥٠ ، وهي من مزيدات الطبعة البيروتية ، وقد وردت أيضاً في طبعة وستنفيلد ، وربما لم تكن من شرط المؤلف ، ابن خلكان .

كلها للمتوكل ، وذلك أن عمر بن العزيز جاء الله به لرد[1] المظالم ، وجاء بالمتوكل لرد الدين .

وقال يزيد المهلبي .، قال المتوكل يوماً : يا مهلبي ، إن الخلفاء كانت تغضب على الرعية لتطيعها ، وأنا ألينُ لهم ليحبوني ويطيعوني .

يقال إنه سلّم عليه بالخلافة ثمانية كل منهم ابن خليفة : منصور بن المهدي ، والعباس بن الهادي ، وأبو أحمد بن الرشيد ، وعبد الله بن الأمين ، وموسى ابن المأمون، وأحمد بن المعتصم ، ومحمد بن الواثق ، وابنه المستنصر بن المتوكل .

وكان جواداً ممدّحاً ، يقال ما أعطى خليفةٌ ما أعطى المتوكل . وبايع بولاية العهد لولده المستنصر ، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبته لأمه ، وكان يتهدده ويشتمه ويحط منزلته لأنه سأله النزول فأبى ، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأنه صادر وصيفاً وبُغا فاتفقوا مع المستنصر على قتل أبيه ، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه .

رآه بعضهم في النوم فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بقليل من السنة أحييتها ؛ ورؤي أيضاً كأنه بين يدي الله تعالى ، فقيل له : ما تصنع هاهنا ؟ قال : أنتظر محمداً ابني أخاصمه إلى الله الحكيم الكريم العليم .

وقيل كان له أربعة آلاف سرِّية وطىء الجميع .

ودخل دمشق ، وعزم على المقام بها لأنها أعجبته ، ونقل دواوين الملك إليها وأمر بالبناء بها ، فغلت عليه الأسعار وحال الثلج بين السابلة والميرة ، فأقام بها شهرين وأياماً[2] ثم رحل إلى سامرّا ، وكان قد بُني بأرض داريّا قصر عظيم ، ووقعت من قلبه بالموافقة .

وكان المتوكل قد أمر في سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضي الله عنه ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ويحرث ، ومنع الناس من

---

١ ص : بردّ .

٢ ص : وأيام .

زيارته ، وبقي صحراء ، وكان معروفاً بالنصب ، فتألم المسلمون [1] لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وهجاه الشعراء [2] دعبل وغيره ، وفي ذلك يقول يعقوب بن السكيت ، وقيل هي للبسّامي :

تالله إن كانت أُميةُ قد أتت ... قتلَ ابن بنت نبيهـــا مظلوما
فلقد أتاهُ بنو أبيـــهِ بمثله ... هـــذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتلـــهِ فتتبّعوهُ رميما

١٠٤

ابن حنزابة

جعفر ابن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن ابن الفرات ، الوزير المحدث أبو الفضل بن حنزابة – بكسر الحاء المهملة وسكون النون وبعدها زاي وبعد الألف باء ، وهي المرأة القصيرة الغليظة – البغدادي نزيل مصر .

وزَرَ أبوه للمقتدر في السنة التي قتل فيها المقتدر ، وتقلد [أبو] الفضل وزارة كافور الإخشيدي بمصر ، قال الخطيب : كان يذكر أنه سمع من أبي القاسم البغَوي ، وكان يملي الحديث بمصر ، وبسببه خرج الدارقطني إلى هناك ، وكان ابن حنزابة يريد يصنف مسنداً ، فأقام عنده مدة وحصل بسببه [له] مال كثير ، وروى عنه الدارقطني أحاديث . وولد ابن حنزابة سنة ثمان وثلثمائة ، وتوفي

---

١ ص : المسلمين .
٢ ص : الشرعاء .
١٠٤ – الوافي والزركشي : ٨٥ ومعجم الأدباء ٧ : ١٦٣ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٧٥ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٠٣ وحسن المحاضرة ١ : ٣٥٢ والمغرب (قسم مصر) : ٢٥١ وابن خلكان ١ : ٣٤٦ وعلى هذا فهو ليس من المستدرك على الوفيات .

سنة إحدى وتسعين وثلثمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

مَن أخملَ النفسَ أحياها وروّحها ولم يبت طاوياً منها على ضجرِ
إن الرياحَ إذا اشتدتْ عواصفها فليس تقصفُ إلاّ عاليَ الشجرِ

قال السِّلفي : كان ابن حنزابة من الثقات مع جلالة ورياسة .

ولما مات كافور وزر لأبي الفوارس أحمد بن الإخشيد ، فقبض على جماعة من أرباب الدولة ، وصادر يعقوب بن كِلِّس ، فهرب إلى الغرب ووزر لبني [1] عُبيد ، وكان قد أخذ منه أربعة آلاف دينار ، ثم إن ابن حنزابة لم يقدر على رضى الإخشيد ، فاختفى مرتين ونهبت داره ، ثم قدم أمير الرملة الحسن بن عبيد الله ابن طغُج وغلب على الأمور ، فصادر الوزير ابن حنزابة وعذبه ، فنزح إلى الشام ، سنة ثمان وخمسين ثم إنه بعد ذلك رجع إلى مصر . وممن روى عنه الحافظ عبد الغني ابن سعيد . وكان الوزير في أيامه ينفق على أهل الحرمين من الأشراف وغيرهم ، واشترى داراً إلى جانب المسجد من أقرب الدور إلى القبر [الشريف] [2] ليس بينها وبينه إلاّ حائط ، وأوصى أن يدفن [فيها] ، وقرر عند الأشراف ذلك ، فأجابوه ، فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين ، وخرج الأشراف من مكة وحملوه وسعَوْا به وطافوا ووقفوا به بعرفة ، ثم ردّوه [3] إلى المدينة ، ودفنوه في الدار التي اشتراها ، وحضر جنازته القاضي الحسين ابن علي بن النعمان وقائد القواد وسائر الأكابر .

وقال المسبحي : لما غسل جعل في فيه ثلاث شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم كان ابتاعها بمال عظيم ، وكانت عنده في درج مختوم الأطراف

---

١ ص : أبي .
٢ لم ترد في ص .
٣ ص : رده .

بالمسك ، وأوصى أن تجعل في فيه إذا مات ، ففعل ذلك .

وقال الشريف محمد بن أسعد بن الجواني المعروف بالنحوي[1] : كان الوزير يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعي والحيات والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى ، وكان في داره التي تقابل دار الشكالي[2] قاعة لطيفة موجهة[3] فيها تلك الحيات ، ولها قيّم وفراش وحاوي مستخدمون برسم نقل سلل الحيات وحطها، وكان كل حاوي في مصر يصيد ما يقدر عليه من الحيات ، ويتناهون في ذوات العجب من أجناسها ، وفي الكبار وفي الغريب منها ، وكان يثيبهم على ذلك أجلّ ثواب ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها ، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ، ويدخل المستخدمون والحُواة فيخرجون ما في تلك السلل ، ويطرحونه على ذلك الرخام ، ويحرّشون بين الهوام ، وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه . فلما كان ذات يوم أنفـذ خلف ابن المدبر الكاتب ، وكان من كتاب أيامه ودولته ، وهو عزيز عنده ويسكن جواره ، فأنفذ يقول له في رقعة : « إنه لما كان البارحة وعرض علينا الحواة الحشرات الجاري بها العادات ، انساب منها الحية البتّراء وذات القرنين الكبرى والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا بعد عناء طويل ومشقة وجملة بذلناها للحواة ، ونحن نأمر الشيخ وفقه الله تعالى بالتوقيع إلى حاشيته بصون ما وجد منها إلى أن ينفذ الحواة بردها إلى سللها » . فلما وقف ابن المدبر عليها قلب الرقعة وكتب : « أتاني أمر سيدنا الوزير – أدام الله تعالى نعمته وحرس مدته – بما أشار إليه من أمر الحشرات ، والذي أعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثاً[4] إن بات هو أو أحد من أولاده في الدار ، والسلام » .

---

١ ياقوت : بابن النحوي .

٢ ياقوت : الشنتكاني ، وفي المطبوعة السكاكي .

٣ ياقوت : مرخمة .

٤ ص : ثلاثة .

١٠٥

[ابن ورقاء الشيباني]

جعفر بن محمد بن ورقاء بن محمد بن ورقاء الشيباني ؛ كان من بيت إمرة وتقدم وأدب ، ولد بسامرا سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وتوفي في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ؛ وكان المقتدر يجريه مجرى بني حمدان ، وتقلد عدة ولايات ، وكان شاعراً كاتباً جيد البديهة والروية– كان يأخذ القلم ويكتب ما أراد من نثر ونظم كأنه عن حفظه ، وكان بينه وبين سيف الدولة مكاتبات بالشعر والنثر مشهورة ؛ ومن شعره :

ولمّـا عبثن بأوتارهن ... قبيل التبلّج أيقظنني
جسسنَ البُموم[١] وأتبعنها ... بنقر المثاني فهيجنني
عمدن لإصلاح أوتارهنَّ ... فأصلحنهنَّ وأفسدْنني

وله :

هَزَزْتُكَ لا أني علمتك ناسيـا ... لحقّي ولا أني أردتُ التقاضيا
ولكنْ رأيتُ السّيفَ من بعد سلّـه ... إلى الهَزِّ محتاجاً وإن كان ماضيا

ومنه :

قالوا تَعَزَّ لقد أسرفتَ في جزعٍ ... فالموتُ كأسٌ عميمٌ مرُّ مشربه
فقلت إن غرامي والفقيه معاً ... بانـا فما أنـا مشغول بمطلبه
قالوا فعينك أجممْها فقد رمدت ... من فيض دمع مُلِثٍّ القطر مسكبه

---

١٠٥ – الوافي والزركشي : ٨٥ .

١ البموم : جمع بم ، وهو أحد أوتار العود .

فقلت ما ليَ فيهـا بعده أرب هل يحفظ المرء شيئاً ليس من أربه[1]
ما كنت أذخرها إلاّ لرؤيتـه وللبكاء عليـه إن فجعت به

١٠٦

جعفر ابن عبد العزيز

جعفر بن محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس ابن يحيى ، وأوصل الشيخ أثير الدين نسبه إلى الحسين ابن عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنهما ، وأنشد للمذكور :

لا تلُمنا إن رقصنا طربـا لنسيمٍ هبَّ من ذاك الخبا
طبَّق الأرضَ بنشرٍ عاطرٍ فيـهِ للعشاق سرٌّ ونَبا
يا أهيلَ الحيِّ من كاظمة قد لقينا من هواكم نَصبا
قلتمُ جُزْ لترانا بالحمى وملأتمْ حيَّكمْ بالرُّقَبا
ليس أخشى الموت في حبكمُ ليس قتلي في هواكم عجبا
إنما أخشى على عرضكمُ أن يقول الناس قولاً كذبا :
استحلُّوا دمه في حبّهم فاجعلوا وصلي لقتلي سببا

توفي بعد الثمانين وستمائة تقريباً ، رحمه الله تعالى .

---

١ في القافية اختلاف عن قوافي سائر الأبيات .

١٠٦ – الزركشي : ٨٦ .

١٠٧

جعيفران الموسوس

جعيفران الموسوس ابن علي بن أصفر بن السَّري بن عبد الرحمن الأنباري من ساكني سامرا ، ومولده ببغداد ، وكان أبوه من أبناء جند خراسان ، وظهر لأبيه[1] أنه يختلف إلى بعض سراريه فطرده ، وحج تلك السنة ، وشكا ولده إلى موسى بن جعفر الكاظم ، فقال له موسى : إن كنت صادقاً[2] عليه[3] فليس يموت حتى يفقد عقله ، وإن كنت قد تحققت ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك ، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك ، وأخرجه عن ميراثك ، وسأل الفقهاء عن حيلة تخرجه عن ميراثه ، فدلوه على الطريق في ذلك ، فأشهد عليه أبا يوسف القاضي . فلما مات أبوه أحضر القاضي الوصي وسأل جعيفران عن نسبه وتركة أبيه وأقام بينة عدولاً فأحضر الوصي بينة عدولاً تشهد على أبيه بما كان احتال على منعه ميراثه ، فلم ير[4] أبو يوسف ذلك ، وعزم على أن يورثه ، فقال الوصي : أنا أدفع هذا عن الميراث بحجة واحدة ، فأبى أبو يوسف أن يسمع منه ، وجعيفران يقول : قد ثبت عندك أمري فلا تدفعني ، فاستمهل الوصي إلى غد ، وكتب في رقعة خبره وما قاله موسى ابن جعفر ، ودفعها لمن دفعها إلى القاضي ، فلما قرأها دعا الوصي فاستحلفه على ذلك ، فحلف باليمين الغموس ، فقال : تعال غداً

---

١٠٧ – الوافي وطبقات ابن المعتز : ٣٨٢ والأغاني ٢٠ : ١٤٦ وتاريخ بغداد ٧ : ١٦٣ .

١ ص : لأبوه .

٢ ص : صادق .

٣ ص : عطيه (دون إعجام للياء) .

٤ ص : يرى .

مع صاحبك فحضرا إليه . فحكم أبو يوسف للوصي ، فلما أمضى الحكم وسوس جعيفران واختلط ، وكان إذا ثاب إليه عقله قال الشعر الجيد .

وعن عبد الله بن سليمان الكاتب عن أبيه قال : كنت ليلة أشرف من سطح داري على دار جعيفران ، وهو فيها وحده ، وقد تحركت عليه السوداء ، وهو يدور في الدار طول ليله ويقول :

طاف به طيفٌ من الوسواس نفَّرَ عنـــهُ لذّةَ النعاسِ
فما يرى يـــأنس بالأناس ولا يلذّ عِشرةَ الجلاّسِ
فهو غريبٌ بين هذي الناسِ

ولم يزل يرددها حتى أصبح ، ثم سقط كأنه بقلة ذابلة .

وعنه قال : غاب عنا أياماً وجاءنا عريان ، والصبيان خلفه ، وهم يصيحون به : يا جعيفران يا خرا في الدار ، فلما بلغ إليّ وقف عندي ، وتفرقوا عنه ، فقال يا أبا عبد الله :

رأيتُ الناس يدعوني بمجنونٍ عـــلى حالِ
ولكنْ قولُهُمْ هذا لإفلاسي وإقــلالي[1]
ولو كنت أخا وفــرٍ رخيّ نـــاعمِ البـــال
رأوني حَسَنَ العقـــل أحلّ المنزل الغـــالي
وما ذاك على خُبْرٍ ولكن هيبـــة المـــال

قال : فأدخلته منزلي فأكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلت له : تقدر على أن تغير تلك القافية ؟ قال : نعم ، ثم قال بديهة :

رأيت النـــاس يرمونـ ـيَ أحياناً بوسواسِ
ومن يضبطُ يا صاح مقالَ الناس في الناس ؟

---

[1] ص : لإقلالي وإفلاسي .

فدَعْ ما قاله الناسُ ونازعْ صفوةَ الكاس
فتى حراً[1] صحيح الود ذا برٍّ وإيناسِ
وإنّ الخلقَ مغرورٌ بأمثالي وأجناسي
ولو كنتُ أخا مالٍ أتوني بين جُلاّسي
يحيّوني ويحبون على العينين والراس
ويدعوني عزيزاً غير أنّ الذلّ إفلاسي

ثم قام[2] ليبول ، فقال بعضُ من حضر : أي معنى في عشرتنا لهذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف وهو سكران ؟ وفطن جعيفران لقوله فخرج وهو يقول :

ونَدامى أكلوني إذْ تَغَيّبْتُ قليلا
زعموا أنّيَ مجنون أرى العُرْيَ جميلا
كيف لا أعرى وما أُبصرُ في الناس منيلا
إن يكن قد ساءكم قربي فخلوا لي السّبيلا
وأتموا يومكمْ سَرَّكُمُ الله طويلا

قال : فرفقنا به واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذ إلاّ بقربك ، وأتيناه بثوب لبَسِه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

---

١ ص : حر
٢ ص : قال : وهو سهو .

١٠٨

جلدك والي دمياط

جلدك بن عبد الله المظفري التقوي شجاع الدين والي دمياط ؛ قال شهاب الدين القوصي في معجمه : أنشدني شجاع الدين جلدك لنفسه :

خذوا حذركمْ من ساحرِ الطرفِ أغيدِ ... فكم قتلَ العشاقَ عمداً ولا يدي
ولا تردوا مـــاءً بمـدينِ حُبِّهِ ... فليس بها ما ينقع[١] الهائم الصَّدي
ولمّـــا نزلنـــا واديَ الودّ لم أزل ... أبـــلُّ ثراهُ لاثمـــاً بتوددِ
ونادى كليمُ الشوق مولاه ربــــه ... فلمّا تجلّى دُكَّ طُورُ تَجَلّدي
وخَرَّ فؤادي صاعقاً لم أفِق لمــــا ... بدا من سنا ذاك الجمال المحمدي
سألتكما يا أهـــلَ نجدٍ وحــــاجرٍ ... على جمرات الوجد مَن هو مُنجدي
وكمْ ليلَةٍ أفْنَيتُ بالرشفِ ثغره ... وجُرْتُ على ذاكَ الشتيت المنضد
وبات كما شاء اختياري على المنى ... وبت وإيّـاهُ كحرفٍ مُشَدّد

وسمع جلدك كثيراً من الحديث النبوي على الحافظ السِّلفي وروى عنه وعن مولاه تقي الدين عمر بن شاهنشاه .

ولي نيابة الإسكندرية ودمياط ، وشدَّ مصر ، وذكر أنه نسخ بيده أربعاً وعشرين ختمة ، وكان سمحاً جواداً ، محباً للعلماء مكرماً لهم يساعدهم بماله وجاهه ، وله غزوات مشهورة ومواقف مذكورة ، ومدح بالشعر ، وبنى بحماة

---

١٠٨ – الوافي والزركشي : ٨٦ والشذرات ٥ : ١٢٧ والجزء الأول من السلوك للمقريزي ، وانظر ابن خلكان ١ : ١٦٧ (في ترجمة النفيس القطرسي) .

١ ص : ينفع .

مدرسة . قال النفيس أحمد القطرسي [1] يمدحه بقصيدة منها :

أحرقتَ يا ثغر الحبيب حَشاي لما ذقتُ بَردكْ
أتظنُّ غصنَ البانِ يعجبني وقد عاينتُ قدكْ
أوخِلتَ آس عذارك المخضرّ يحمي منك وردكْ
يا قلبَ مَن لانتْ معاطفه علينا ما أشدَّكْ
أتَظنني جلد القوى أو أن لي عزمات جلدكْ

وتوفي في شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

١٠٩
[جنكزخان]

جنكزخان طاغية التتار وملكهم الأول الذي خرب البلاد ، وقتل العباد ، ولم يكن للتتار قبله ذكر ، إنما كانوا ببادية الصين ، فملّكوه عليهم ، وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيّهم ، وكان مبدأ ملكه سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، واستولى على بخارى وسمرقند سنة ست عشرة [2] ، واستولى على مدن خراسان سنة ثمان عشرة [3] ، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند

---

١ ص : القرطمي ؛ وهو أبو العباس أحمد بن عبد الغني القطرسي المعروف بالنفيس (انظر ابن خلكان ١ : ١٦٤ وعقود الجمان ١ : ١٤٩ وبغية الطلب ١ : ٢٣٤ والوافي ٧ : ٧٢) وقد ضبط ابن خلكان القطرسي ، وقال إنها نسبة إلى جده قطرس .

١٠٩ – الوافي والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٨ والخطط ٢ : ٢٢١ والبداية والنهاية ١٣ : ١١٧ ولعلاء الدين الجويني كتاب في سيرته .

٢ ص : ست عشر .

٣ ص : عشر .

وصل إلى مدينة تنكث من بلاد الخطا . فمرض بها ومات في رابع شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة ، فكانت أيام مملكته خمساً وعشرين سنة ، وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرجين ، ومات على دينهم وكفرهم ، وخلف من الأولاد ستة . وفوض الأمر إلى أركتاي أحدهم بعدما استشار الخمسة الباقين ، فلما هلك امتنع أركتاي من الملك وقال : في إخوتي وأعمامي مَن هو أكبر مني ، فلم يزالوا به بعد أربعين يوماً[1] حتى تملك عليهم، ولقبوه القان الأعظم ، ومعناه الخليفة فيما قيل ، وبعث جنوده وفتح الفتوحات وطالت أيامه ، وولي بعده موتكوكا وهو القان الذي هولاكو من بعض مقدّميه ، وولي بعده أخوه قبلاي ، وطالت أيام قبلاي ، وبقي في الأمر إلى سنة أربع وسبعمائة ، ومات بمدينة خان بالق .

يقال إنه لما كان السلطان خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار ويقتلهم ويسبي ذراريهم وأولادهم ويمنعهم من الخروج عن حدود بلادهم اجتمعوا التتار وشكوا ما يلاقوا من خوارزم شاه وما هم فيه من الضيق والبلاء ، فقال لهم جنكزخان : إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعة واتباع اليسق[2] الذي أضع لكم شرعه رددت خوارزم شاه عنكم ، فالتزموا له بذلك .

وكان مما وضعه لهم أنه قال : كل من أحبَّ امرأة ، بنتاً كانت أو غيرها ، لا يمنع من التزوج بها ولو كان زبالا والامرأة بنت ملك ، وكان غرضه أن يتناكحوا بشهوة شديدة . ويتضاعف نسلهم ويكثر عددهم ، فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه، وعقدوا مهادنته عشرين سنة ، فما جاءت العشرون سنة إلاّ وهم أمم لا يُحصَوْن ولا يحصرون .

وكان من جملة ما قرره أنه إذا حرّم القان على أحد شيئاً فلا يحل له أن يأتيه

---

١ ص : يوم .

٢ ص : النسق ؛ وقال ابن تغري بردي (النجوم ٦ : ٢٦٨) هو صاحب « التورا » و « اليسق » والتورا : باللغة التركية هو المذهب ، واليسق : الترتيب ، وأصل كلمة اليسق : « سي يسا » ومعناه التراتيب الثلاث .

إلى الممات ، وقرر لهم : من رُعف وهو يأكل قُتل كائناً من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم اليسق ولم يعمل به قتل أيضاً ، وأراد أن يذهبَ الكبارُ الذين فيهم لعلمه أنه يداخلهم الحسدُ له ويستصغرونه ، فتركهم يوماً وهم على سِماطه ورعف نفسه، فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرره وهابوه في ذلك ، فتركهم أياماً وجمعهم وقال : لأي شيء ما أمضيتم حكم اليسق فيَّ وقد رعفت وأنا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك ، فقال : لم تعملوا باليسق ولا أمضيتم أمره ، وقد وجب قتلكم ، فقتل أكابرهم واستراح منهم .

والترك يزعمون أنه ولد الشمس ، لأن في صحاريهم أماكن فيها غاب ، [وذلك] الغاب لا يقربه أحد من الذكران، وأن أمة أعتقت فرجها وراحت إلى ذلك الغاب وغابت فيه مدة وأتتهم وقالت : هذا من الشمس ؛ لأن الشمس دخلت في فرجي في بعض الأيام وأنا أغتسل ، فحملتُ بهذا ، ويقال إنه كان حداداً ، والله أعلم .

١١٠

[جوبان القواس]

جوبان بن مسعود بن سعد الله ، أمين الدين الدنيسري القواس التوزي ؛ كان من أذكياء العالم ، وكان له النظم الجيد ، وقال شمس الدين الجزري : اسمه رمضان وجوبان ، ولم يكن يعرف الخط ولا النحو ، وكانت كتابته من جهة التتويز[1] في غاية القوة بحيث إنه استعار من القاضي عماد الدين ابن الشيرازي درجاً

١١٠ – الوافي والزركشي : ٨٦ .

١ التتويز : تغطية القوس بلحاء شجر التوز ، وهو لحاء رقيق كورقة البردي يستعمل لتزيين القوس أو جعلها أشد ملاسة ،ويبدو من قول المؤلف هنا أن الكتابة على هذا النوع من اللحاء كانت ممكنة.

بخط ابن البوّاب ونقل ما فيه إلى درج بورق التوز ، وألزق التوز على خشب وأوقف عليه ابن الشيرازي فأعجبه ، وشهد له أن في بعض ذلك أشياء أقوى من خط ابن البواب ، واشتهر بذلك في دمشق ، وبقي الناس يقصدونه يتفرجون عليه، وكان له ذهن خارق . وتوفي في حدود الثمانين وستمائة، رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

إذا افترَّ جُنحُ الليل عن مبسم الفجر ... ولاح به ثغرٌ منَ الأنجمِ الزهرِ
وفاحت له من عابق الروضِ نكهةٌ ... رشفنا به بردَ الرضاب من الخمرِ
وعهدي بوجه الأرضِ مبتسماً فلم ... تغرغرَ فيها الدمع من مقل الغُدر
إذا أرجف المـاءَ النسيم لوقته ... كساه شعاعُ الشمس درعاً من التبر
وبحر الرياض الخضر بالزهرِ مزبدٌ ... كأنّا به في فُلكِ مجلسنا نسري
ومن شهُبِ الكاسات بالنجم نهتدي ... إذا تاه ساري العقل في لجة السكر
نصونُ الحميّا في القناني وإنمـا ... نصون القناني بالحميّا ولا نـدري
ولما حكى الراووقُ في العين شكله ... وقد علـق العنقود في سالف الدهر
تذكّر عهداً بالكُرومِ فكلّهُ ... عيون[1] على أيام عهد الصبا تجري
عجبتُ له والراحُ تبكي به فلم ... غدت بحباب الكاس باسمة الثغر
إذا ما أتاني كأسها غير مُترَعٍ ... تحققتُ عين الشمس في هالة البدر
يناولنيها مخطَفُ الحصرِ أغيـدٌ ... فللهِ ذاك الأغيد المخطف الحصر
ينادمنـا نظماً ونثراً ولفظـهُ ... ومبسمه يغني عن النظمِ والنثر
فلم يسقني كأسَ المدامةِ دونَ أن ... سقاني بعينيه كؤوساً[2] من السحر
وقال وفرط السكر يَثْني لسانه ... إلى غير ما يرضى التُّقى وهو لا يدري
رِدُوا من رضابي ما يعيض عن الطلا ... إذا كان وجهي فيه يُغني عن الزهر

---

١ ص : عيوناً .

٢ ص : كؤوس .

ومن كان لا تحوي ذراعاهُ مِئزَري ... فدون الذي تحوي أناملُهُ خصري

وقال أيضاً :

أصغي إلى قول الوشاةِ بجملتي ... مستفهماً عنــهُ بغير مَلالِ
لتلقطي زهَرات ورد حديثكم ... من بين شوكِ مَلامةِ العذال

وقال على طريقة الصوفية والتهكم بهم :

مُتُّ في عشقي ومعشوقي أنا ... ففؤادي من فراقي في عَنا
غبتُ عنّي فمتى أجمعُني ... أنا من وجديَ مني في فَنا
أيها السامع تدري ما الذي ... قلتُ والله ولا أدري أنا

وقال أيضاً :

ألذُّ العشقِ ما قَتَلا ... وأشقى الناس من عذلا
إذا جار الحبيبُ عــلى ... محبّيهِ فقــد عَدلا
أحاولُ أن يقالَ قضى ... وأحذرُ أن يقالَ سلا
ويمكن أن أموتَ جوًى ... وأما أن أحولَ فلا
وبي قَمَرٌ يقامرني ... على اللحظات إن غَفَلا
فما لاحظتــهُ إلاّ ... تضرَّجَ خَــدّه خَجلا
وإن طــالبتهُ بالعدْ ... ل في حكم الهوى عدلا

وقال في البان :

نفَّشَ غصن[1] البان أذْنابَهُ ... واهتزَّ عند الصبح عجباً وفاحْ
وقال مَن في الروض مثلي وقد ... تُعزى إلى غصني قدود الملاح
فحدَّق النرجسُ يهزا[2] به ... وقال حقّاً قلتَهُ أو مزاح

---

١ ص : غصون .
٢ ص : يهزوا .

بل أنت بالطول تحامقت يـا مقصوف عدواً بالدعاوى القباح
قال له البان : أما تستحي ما هذه إلاّ عيونٌ وقاح

وقال أيضاً :

إذا كبرتْ نفسُ الفتى قلّ عقلهُ وأمسى وأضحى ساخطاً متعتبا
وإن جاء يستقضي من الناس حاجةً يرى أنها حقٌّ[1] عليهم مرتبا
وإن طالبوهُ الناسُ يوماً بحقهم لَوى وجهه غيظاً عليهم وقَطّبا
يرى أن كلّ الناس قد خُلقوا له عبيداً وفي كلٍّ القلوب محبّبا
فلا يرتضي إن لم يكن تحت أمره من الكون يجري ما أراد وما أبى

وقال أيضاً :

لاح الهلال ابن يوميهِ فذكّرني شُربَ المدامة تجلى في يد الساقي
كأنه شفقٌ للكاسِ قد نقصتْ بالميل ، والخمر شفاف عن الباقي

وقال في شبابة :

وناطقةٍ بأفْواهٍ ثمـــانٍ تميلُ بعقل ذي اللب العفيفِ
لكلّ فمٍ لسانٌ مستعـــارٌ يخالفُ بين تقطيع الحروف
تخاطبنـــا بلفظٍ لا يعيـــهِ سوى من كان ذا طبع لطيف
فضيحة عاشق ونديم راع وهيبة موكب ومدام صوفي

وقال في طاسة :

ومعشوقةٍ تسقي المحبَّ رُضابها بلثمٍ هنيٍّ الرشفِ غير ممنّعِ
إذا استودعت ردت بغير خيانةٍ وإن ضربتْ أنّتْ بغير توجع
مُبذلة[2] لم تحمَ عن لثمِ لاثم وصـــاحبها في غبطة بالتمتع

---

[1] ص : حقاً .
[2] ص : مبدلة .

تجودُ بما تحوي فتُحيي ببذلها　　　وتنقلُ ما تملا وتحفظُ ما تَعي
تقبّلها الأفواهُ من كلّ جانبٍ　　　فما خص منها موضع دون موضع

وقال في منكورس :

ظبيٌ من الأتراك لا يتركني　　　أقطفُ بالمقلـــةِ وردَ خدِّهِ
نصف اسمه الأول منك لم يزد　　　وعكس باقيهِ شبيه قَدِّهِ

وقال أيضاً :

ارْبَحْ وخــذْ بنسيئةٍ　　　واشرب وكلْ وامطلْ ودافعْ
فأحقّ مــا أكَلَ المحاَ　　　لي مالُ أرباب المَطامع

وقال في حمام :

جئتُ أريد الحمامَ يوماً　　　فغرني النقشُ والحصيرُ
حتى إذا جزتُ نلت ريحاً　　　كأنّما تُنْبَشُ القبور
والناسُ عند الصدور فيها　　　قد يستَتْ منهمُ الصدور
يَغْرف هذا من جرن هذا　　　وقد علا منهم الهرير
أنقلُ خوفَ الوقوع رجلي　　　فيها كما يَنْقُلُ الضرير
جهنم لا يصاب فيهــــا　　　وهّج بل الكل زمهرير
قد عرفت فالحديث عنهــا　　　بنحس أوصافهــا يسير
وكلّمــــا جاءهــا زبونٌ　　　قلنا ألم يأتكمْ نَذير

وقال أيضاً :

حَمانا الترك وانتهكوا حِمانا　　　ولن[1] يفيَ التواصل بالصدود
حَمَوْنا بالصوارمِ والعوالي　　　وجاروا باللواحظ والقدود

وقال أيضاً :

---

[1] ص : ولا .

عـــذولٌ لا يملُّ ولا يميلُ ووجدٌ لا يقلُّ ولا يقيلُ
ومحبوبٌ يلذّ لــــهُ عـــذابي وإن لم أرضه فأنا الملول
فجسمي مثل موثقه ضعيف وليلي مثل موعدهِ طويـــل
يميلُ عليَّ كلَّ الميل ظلماً وبعض البعض ودي لا يميل
أراقَ دمي بنـــاظره وألوى ألا يرضى وقد رضي القتيل

وقال مواليا :

تغيب وتبطي أقول اسّا تجي وأقوم أحردْ عليها وآمسّيها مسا ميشوم
تجي ومعها الشِّوا والنقل والمشموم
أسكت، ومن هونْ قال الناسْ: ذا مطعوم

وقال :

أفارقُهْ وأقولْ اني قد انسلّيتْ ورِحت قلبي وزال الهمّ واتخليتْ
واذكرْ مساويهْ في حقي إذا وليتْ وإذا رجع جا نسيت الكلّ وانحلّيت

وقال ذوبيت :

جاءت سحراً تشق بحرَ الغلس كالطيف توارت في ظلال الحلسِ
ما أطيبَ ما سمعتُ من منطقها لا تسألْ ما لقيته من حرسي

وقال :

يمشي مرحاً بتيههِ والعُجْبِ كالريم إذا خاف لحاق السربِ
ما يسرعُ في المشيةِ إلاّ حذراً أن ترسمَ عيني شخصه في قلبي

وقال :

زارت سحراً تراقب السمارا رعيـــاً وتراعي بالبيوت النارا
بالمهجة أفدي خاطراً عَنَّ لها حتى ركِبَتْ من أجليَ الأخطارا

وقال :

لا أستمع الحديث من غيركمُ   من لذة فكري واشتغالي بكمُ
ألوي نظَري كأنّني أفهمه   من قائله وخـــاطري عندكمُ

وقال :

في وجنته من مهج العشاقِ   ما قامَ دليلهُ على الإهراقِ
والسالف قد دبَّ على حمرتها   فالورد يُرى من خلل الأوراقِ



حرف الحاء



١١١

عرقلة الدمشقي

حسان بن نمير ، أبو الندى الكلبي ، الدمشقي ، النديم الخليع المطبوع ، المعروف بعرقلة ؛ كان من أهل دمشق ، وكان السلطان صلاح الدين قد وعده لما [كان] بدمشق في أول أمره ، وهو أمير من أمراء نور الدين ، أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار ، فلما ملك مصر بعث إليه عرقلة يقول :

قلْ للصلاح مُعيني عند إعساري ... يا ألفَ مولايَ أين الألفُ دينارِ
أخشى من الأسرِ إن وافيت[1] أرضكمُ ... وما تفي جنّة الفردوس بالنار
فجُد بها عاضديّات مُوفَّرةً[2] ... من بعض ما خلف الطاغي أخو العار
حُمراً كأسيافكم غُرّاً كخيلكمُ ... عُتقاً ثقالاً كأعدائي وأطماري

فسير له ألفاً وأخذ من إخوته مثلها ، فجاءه الموت فجأة ولم ينتفع بفجأة الغنى ، وكانت وفاته في سنة سبع وستين وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين ؛ وكان أعور ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره[3] :

أمّا دمشقُ فجنّاتٌ مزخرفةٌ ... للطالبين بها الولدانُ والحُورُ

---

١١١ – الوافي والزركشي : ٨٨ والخريدة (قسم الشام) ١ : ١٧٨ والشذرات ٤ : ٢٢٠ والنجوم الزاهرة ٦ : ٦٤ .

١ الخريدة : حاولت .

٢ الخريدة : مسطرة .

٣ الخريدة : ١ : ٢٠٤ .

ما صاح فيها على أوتاره قَمَرٌ إلاّ وغناه قمريٌّ وشحرور
يا حبّذا ودروعُ الماء تنسجها أناملُ الريحِ إلاّ أنها زور

وقال [1] :

تُرى عند من أحببته لا عدمته من الشوق ما عندي وما أنا صانعُ
جميعي إذا حدثتُ عن ذاك أعينٌ وكلي إذا نوجيتُ عنه مسامعُ

وقال [2] :

كتم الهوى فوشتْ عليه دموعُهُ من حرّ جمرٍ تحتويهِ ضلوعُهُ
صبٌّ تشاغلَ بالربيع وزهره زمناً وفي وجهِ الحبيب ربيعه
يا لائمي في من تمنّعَ وصلُهُ عن صبّه أحلى الهوى ممنوعه
كيف التخلص إن تجنّى أو جنَى والحسنُ شيء لا يُرَدُّ شفيعه
شمسٌ ولكن في فؤادي حرّها قمرٌ ولكنْ في القَباءِ طلوعُهُ
قال العواذل ما الذي استحسنته منه وما يسبيك ؟ قلت: جميعه

وقال :

يا معشرَ الناسِ حالي بينكم عجبٌ وليس يعلم إلاّ الله كيف أنا
أحبُّ سُمرَ القنا من أجل مُشبهها لوناً وأحسدُ حتى مَنْ به طُعنا
تنامُ أجفانه المرضى وقد زعموا بأنّ كلّ مريضٍ يألف الوسَنا
يهوى خلافي كما أهوى رضاه فإن دنوتُ منه تناءى أو نأيتُ دنا

وقال من أبيات :

أنا السمَوْأل في حفظِ الوفاء لهمْ وهم إذا وعدوا بالوصل عرقوبُ
ما في الخيام وقد سارتْ حمولهمُ إلاّ محبّ له في الركب محبوب

---

[1] الخريدة ١ : ٢١٢ .
[2] الخريدة ١ : ١٨٣ .

كأنّما يوسف في كلّ راحلةٍ والحي في كل بيت منه يعقوب

وقال :

بروقُ الغوادي أم بروقُ المباسمِ أشاقكَ وهْناً أم هديلُ الحمائمِ ؟

كأنَّ بك الوجدَ الذي بي من الأسى وقد عِيلَ صبري بين واش ولائم

تؤرّقُ ورقُ الغوطتين لواحظي وينحل جسمي حبُّ غزلانِ جاسمِ

أأحبابَنا إنْ كنتمُ قد عزمتمُ على البعدِ من أطلالكمْ والمعالم

فلا تُرسلوا برقاً إلى غيرِ ساهرٍ ولا تبعثوا طَيْفاً إلى غير نائم

وقال :

حيّ بالحيِّ من قباب المصلّى منزلاً مونِقاً ومساء وظلا

فقُرى جلّق فباب الفراديـ ـس فباب البريد ، عيشاً تولى

قال لي طيفهم سلوت هوانا قلت لا والذي دنا فتدلى

قال بل قلّ ما عهدناك فيه قلت لا والذي لموسى تجلى

كل شيء يملُّ منهُ إذا زا د وحاشا هواكمُ أن يملاّ

لو رآني مجنونُ ليلى إذا ما جنَّ ليلي لصام شكراً وصلى

أتقلّى من القلى ولعمري أي صبّ من القلى ما تقلّى

وقال أيضاً [1] :

ميلوا إلى الدار من ذات اللمى ميلوا كَحْلا وما جال في أجفانها ميلُ

هذا بكائي عليها وهي حاضرةٌ لا فرسخٌ بيننا يوماً ولا ميل

كأنما قدّها رمح ومبسمهـا صبحٌ وحسبك عسّالٌ ومعسول

في كـلّ يومٍ بعينيها ومبسمها دمي ودمعي على الأطلال مطلول

إنّي لأعشقُ ما يحويـه برقُعها ولست أبغض ما يحوي السراويل

١ انظر الخريدة ١ : ٢٢٠ .

وقال في المروحة[1] :

ومحبوبة في القيظ لم تخلُ من يد وفي البرد[2] تَقلوها أكفُّ الحبائبِ
إذا ما الهوى المقصورُ هيَّجَ عاشقاً أتت بالهوا الممدودِ من كلِّ جانبِ

وقال رحمه الله تعالى[3] :

دمشقُ حُيِّيتِ من حيّ ومن نادِ وحبَّذا حبّذا واديك من وادي
يا رائحاً غادياً عرّج على بَرَدى وخلِّني من حديث الرائح الغادي
كم قد شربت به من ماء دالية[4] في ظلّ دالية تنبيك عن عاد
في جنبِ ساقيةٍ من كفِّ ساقية كادت[5] تَثَنّى بقدّ غير مياد
لهـــا بعيني إذا ماست معاطفها جمالُ ميّـــاسة في عين مقداد

وقال[6] :

قال قومٌ بَدا عذارُ وُهَيْبٍ فاسْلُ عنه فقلتُ لا كيف أسلو
أنا جلدٌ على لقـا أُسْدِ عينيهِ أأخشى عذارهُ وهو نَملُ

وقال :

كثُر الخؤون وقلّت الإخوان فاليومَ لا حسنٌ ولا إحسانُ
يا ليت شعري أين كنت من الدُّنا والنّاسُ ناسٌ والزمانُ زمان

وقال :

عارضاها إن تبدتْ عارضاها وسلاهـــا عن فؤادٍ ما سلاها

---

١ الخريدة : ١٨٦ .
٢ ص : وفي الصيف .
٣ الخريدة : ١٩٨ .
٤ الخريدة : في ظل دالية .
٥ الخريدة : قامت .
٦ الخريدة : ٢١٩ .

بأبي جـــارية جـــائرة ما شفت غلةَ قلبي شَفَتَاها
أتمنّى قُبْلَةً مِنْ يَـــدها وسوائي ملَّ من تقبيل فاها

وقال وكان أعور وله معشوق طويل[1] :

لي حبيب قَدُّه قَـ ـدٌّ من السمر الرقاقِ
من رآه ورآني قال ذا غير اتفاق
أعورُ الدجال يمشي خلف عُوج بن عناق

وقال في قوم مدحهم فأعطوه شعيراً[2] :

يقولون لمْ أرخصت شعرك في الورى فقلتُ لهم إذ مات أهلُ المكارمِ
أُجازُ على الشعرِ الشعيرَ وإنّـــه كثير إذا خلّصتهُ[3] من بهائمِ

وقال أيضاً :

عسى من ديارِ الظاعنين بشيرُ ومن جَوْرِ أيامِ الفراقِ مجيرُ
لقد عيل صبري بعدهم وتكاثرت همومي ولكنَّ المحبّ صبور
وكم بين أكنافِ الثغور متيّمٌ كئيبٌ غزته أعينٌ وثغور
سقى الله من سطرى ومُقرى منازلاً بها للنـــدامى نضرة[4] وسرور
ولا زال ظلّ النيربين فإنّه طويلٌ وعيشُ المرء فيه قصير
فيا برَدى لا زال ماؤك بارداً عسى شَبِم من حافتيك نمير
أبى العيش إلاّ بين أكنافِ جلّقِ وقد لاح فيها نضرة وسرور
وكم بحمى جيرون سربُ جآذر حبائلهن المـــال وهي نفوز
ولكن سأحويه إذا كنت قاصداً إلى بلدٍ فيهِ الصلاحُ أمير

---

١ الخريدة : ٢١٧ .
٢ ص : شعير ؛ وانظر الخريدة : ١ : ١٨٢ .
٣ الخريدة : استخلصته .
٤ ص : نظرة .

وقال وقد تولّى صلاح الدين يوسف شحنكية دمشق في الأيام النورية [1] :

رويدكُمُ يا لصوص الشآم فإنّي لكمْ ناصحٌ في المقالِ
أتـــاكمْ سميٌّ النبيّ الكريمِ يوسفَ ربّ الحجى والجمال
فذاك يُقَطِّع أيدي النســاء وهـــذا يقطّعُ أيدي الرجال

وقال أيضاً [2] :

عندي إليكم من الأشواقِ والبُرَحا ما صيّر الجسمَ من فرطِ الضّنى شبحا
أحبـــابنـــا لا تظنّوني سلوتكمُ الحال ما حال والتبريح ما برحا
لو كان يسبَحُ صَبٌّ في مدامعهِ لكنتُ أولَ من في دمعهِ سبحا
أو كنت أعلم أن البين يقتلني ما بنت عنكمْ ولكن فات ما ذبحا

١١٢

أبو علي القرمطي

الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي ، مولده بالأحساء ، توفي بالرملة سنة ست وستين وثلثمائة . غلب على الشام ، وكان كبير القرامطة ، واستناب على دمشق وشاح بن عبد الله ، وقدم إلى دمشق ، وكسر جيش المصريين وقتل جعفر بن فلاح ، ثم توجه إلى مصر وحاصرها شهوراً [3] ، وكان يظهر طاعة أمير المؤمنين الطائع .

---

١ الخريدة ١ : ٢٢٢ .

٢ الخريدة ١ : ١٨٢ .

١١٢ — الوافي وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٤٨ وتاريخ أخبار القرامطة : ٩٥ (نقلا عن المقفى للمقريزي) وهو المعروف بالأعصم .

٣ ص : شهورها .

قال القاشي في كتابه « الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار » : إن أبا علي القرمطي قال في بعض الليالي لكاتبه أبي نصر بن كشاجم : ما يحضرك في هذه الشموع ؟ فقال : إنما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه ، ونستفيد من أدبه ، فقال القرمطي بديهاً :

وَمجدولةٍ مثلِ صدرِ القناةِ ... تعرَّت وباطنها مكتسي
لها مقلةٌ هي روحٌ لهـــا ... وتاجٌ على هيئة البرنس
إذا غازلتهـــا الصَّبا حركتْ ... لساناً من الذّهب الأملس
وإن رَنّقَتْ لنعاسٍ عرَا ... وقُطّتْ من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ... ضياء يُجلّي دجى الحندس
فنحن من النور في أسعدٍ ... وتلك منَ النّار في أنحس

وكنيته أبو محمد ، وقيل أبو علي ، وسيأتي ذكر جده الحسن بن بهرام القرمطي أصل القرامطة ، إن شاء الله تعالى .

١١٣

[ابن جكينا البغدادي]

الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا الشاعر البغدادي ، كان من ظراف الشعراء الخلعاء ، وأكثر أشعاره مقطعات ، وذكره العماد الكاتب وقال : أجمع

---

١١٣ – الوافي والزركشي : ٩٠ والخريدة (قسم العراق) ٢ : ٢٣٠ ومختصر ابن الدبيثي : ٢٧٥ والشذرات ٤ : ٨٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٩٧ ، وجكينا وردت بالجيم وبالحاء المهملة ، وقد ضبطها صاحب التاج (٩ : ١٨٣) بالحاء المهملة وكذلك أثبتها الكتبي هنا ؛ غير أنها ثبتت بخط ابن خلكان نفسه بالجيم (انظر فهرست وفيات الأعيان) .

أهل بغداد على أنه لم يُرزَق أحد من الشعراء لطافة شعره ، توفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

من شعره :

لافتضاحي في عوارضه سببٌ والناسُ لُوَّامُ
كيف يخفى ما أكابده والذي أهواهُ نمامُ

وقال :

تزايدَ القولُ فيهِ أنَّ لهُ ورداً جنيّاً في صفحة الخدّ
فنكرشت عارضاه تُشعِر[1] أنَّ الشوكَ لا بدَّ منهُ للورد

وقال :

لمّا بدا خطُّ العذا ر يزينُ خَدّيهِ بمشقِ
وظننتُ أنَّ سواره فوق البياض كتابُ عتقي
فإذا بهِ من سوء حظ ي عهدةٌ كتبتْ برِقّي

وقال :

ولائمٍ لام في اكتحالي يوم استباحوا دمَ الحسينِ
فقلت دعني ، أحقُّ عضوٍ ألبسُ فيهِ السوادَ عيني

أحسن منه قول أبي[2] الحسين الجزار :

ويعود عاشوراء يذكرني رزءَ الحسينِ فليت لم يعدِ
يا ليت عيناً[3] فيه قد كحلت لشماتةٍ لم تخلُ منَ رمد
ويداً به لمسرّةٍ خضبتْ مقطوعة من زندها بيدي

---

١ ص : بشعر .

٢ ص : أبو .

٣ ص : عين .

أمّا وقد قتل الحسين بــهِ   فأبو الحسين أحقُّ بالكمد

ولابن جكينا في الشريف ابن الشجري صاحب « الأمالي »[1] :

يا سيدي والذي يعيذك من   نظم قريض يصْدا به الفكرُ
ما فيكَ من جدّكَ النبيِّ سوى   أنكَ لا ينبغي لكَ الشّعرُ

١١٤
[أبو نصر الفارقي]

الحسن بن أسد بن الحسن بن الفارقي ، أبو نصر ؛ شاعر رقيق حواشي النظم كثير التجنيس ، كان في أيام نظام الملك والسلطان ملك شاه ، شمله منهما الجاه بعد أن قبض عليه لأنه تولى آمد وأعمالها باستيفاء مالها ، فخلصه الكامل الطبيب ، وكان نحوياً رأساً وإماماً في اللغة ، وصنف في الآداب تصانيف ، وله « شرح اللمع الكبير » . كتاب « الإفصاح في العويص » وكتاب « الألغاز » .

اتفق أنه كان شاعر من العجم يعرف بالغساني وفد على أحمد بن مروان ، وكانت عادته إذا وفد عليه يكرمه وينزله ، ولا يستحضره إلاّ بعد ثلاثة أيام ، واتفق أن الغساني لم يكن أعدّ شعراً[2] يمدحه به ثقةً بنفسه ، فأقام ثلاثة أيام ولم يفتح عليه شيء ، فأخذ قصيدة من شعر ابن أسد ولم يغير منها غير الاسم ، فغضب الأمير وقال : هذا العجمي يسخر منّا ، وأمر أن يكتب بذلك[3] إلى ابن أسد،

---

١ ابن خلكان ٦ : ٤٦ .

١١٤ – الوافي والزركشي : ٩٠ ومعجم الأدباء ٨ : ٥٤ وانباه الرواة ١ : ٢٩٤ وبغية الوعاة : ٢١٨ والشذرات ٣ : ٢٨٠ وروضات الجنات : ٢٢٠ والبلغة : ٥٤ .

٢ ص : شعر .

٣ ص : ذلك .

فأعلم الغساني بعض الحاضرين بذلك ، فجهز الغساني غلاماً له جَلْداً إلى ابن أسد يدخل عليه ويُعرّفه العذر ، فوصل الغلام إلى ابن أسد قبل وصول قاصد ابن مروان، فلما علم ذلك كتب الجواب إلى ابن مروان أنه لم يقف على هذه القصيدة أبداً ، ولم يرها إلاّ في كتابه ، فلما وقف ابن مروان على الجواب أساء إلى الساعي وسبه وقال : إنما تريد إساءتي بين الملوك ، ثم أحسن إلى الغساني وأكرمه غاية الإكرام ، وعاد إلى بلاده ؛ فلم يمض على ذلك مدّة حتى اجتمع أهلُ ميّافارقين ودعوا ابن أسد على أن يؤمروه عليهم ، وإقامة الخطبة للسلطان ملك شاه وإسقاط اسم ابن مروان ، فأجابهم إلى ذلك ، وحشد ابن مروان ، ونزل على ميافارقين فأعجزه أمرها ، فسير إلى نظام الملك والسلطان يستمدّهما، فأنفذا [1] إليه جيشاً ومدداً مع الغساني الشاعر ، وكان قد تقدّم عند السلطان ، فصدقوا الحملة على ميافارقين ، فملكوها عنوة وقبض على ابن أسد ، وجيء به إلى ابن مروان فأمر بقتله ، فقام الغساني وجرد العناية في الشفاعة حتى خلصه وكفله بعد عناء شديد ، ثم اجتمع به وقال : أتعرفني ؟ قال : لا والله ، ولكن أعرف أنك ملك من السماء مَنَّ الله عليَّ بك لبقاء مُهجتي ، فقال : أنا الذي ادّعيتُ قصيدتك وسترتَ علـيّ ، وما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ، فقال ابن أسد : ما سمعت بقصيدة جُحِدَت فنفعت صاحبها إلاّ هذه ، فجزاك الله خيراً ؛ وانصرف الغساني من حيث جاء ، وأقام ابن أسد مدّة ، وتغيرت حاله وجفاه إخوانه وعاداه أعوانه ، ولم يقدر أحد على مرافدته ، حتى أضرَّ به العيش ، فنظم قصيدة مدح بها ابن مروان ، فلما وقف عليها غضب وقال : ما يكفيه أن يخلص منا رأساً برأس حتى يريد منّا الرِّفد ؟ لقد أذكرني بنفسه ، اصلبوه ، فصلب سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

ومن شعره :

أريقاً من رضابك أم رحيقا   رشفْتُ فلستُ من سكري مفيقا

---

[1] ص : فأنفد .

وللصَّهبـــاء أسمـــاء ولكنْ جهلتُ بأنَّ في الأسماء ريقا

ومنه :

ولرب دانٍ منك يُكرَهُ قربه وتراه وهو عَشاءُ عينك والقَذى
فاعرفْ وخلِّ مجرباً هذا الورى واترك لقاءك ذا كفافاً والق ذا

وقال :

يا مَن جلا ثغره الدرَّ النظيم ومن تخالُ أصداغَهُ السودَ العناقيدا
اعطف على مستهام ضيم من أسفٍ على هواك وفي حبل العنا قيدا

وقال :

لا يصرفُ الهمَّ إلاّ شدوُ محسنةٍ أو منظرٌ حسنٌ تهواه أو قدَحُ
والراح للهمّ أنفاها فخذْ طرفاً منها ودعْ أمةً في شربها قدحوا
بكرٌ تخال إذا ما المزج خالطها سقاتها أنهم زنداً بها قَدَحوا

وقال :

تراكَ يا متلفَ جسمي ويا مُكثرَ إعلالي وإمراضي
من بعد ما أضنيتني ساخط عليَّ في حبّك أم راضي

وقال :

قد كان قلبي صحيحاً كالحمى زمناً فمذ أبحتُ الهوى منه الحمى مرضا
فلم سخطت على من كان شيمته وقد أتحت له فيكَ الحمامَ رضى
يا من إذا فوقت سَهْماً لواحظهُ أضحى لها كلُّ قلبٍ قُلَّبٍ غرضا
أنا الذي إن يمت حبا[1] يمت أسفاً وما قضى فيك من أغراضه غرضا
ألبستُ ثوب سقام فيكَ صار له جسمي لدقته ِ من سقمه عرضا
وصرتُ وقفاً على هم تجاذبني أيدي الصبابة ِ فيه ِ كلما عرضا

---

[1] ص : حياً .

ما إن قضى الله شيئاً في خليقته   أشدَّ من زفرات الحبِّ حين قضى
فلا قضى كلفٌ نَحباً فأوجعني   إن قيل إن المحب المستهام قضى

١١٥
[ناصر الدين ابن النقيب]

الحسن ابن شاور بن طرخان بن الحسن . هو ناصر الدين بن النقيب الكناني المعروف بالفقيسي [١] .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : جالسته بالقاهرة مراراً وكتبت عنه ، وكان نظمه حسناً ؛ وتوفي سنة سبع وثمانين وستمائة .

روى عنه الدمياطي والشيخ فتح الدين وغيره ، وله كتاب سماه « منازل الأحباب ومنازه الألباب » ذكر فيه المجاراة التي دارت بين أدباء عصره وبينه ، وهو في مجلدين ، وله ديوان مقاطيع في مجلدين ، وشعره جيد عذب منسجم فيه التورية الرائقة اللائقة المتمكنة ، وهو أحد فرسان تلك الحلْبة الذين كانوا من شعراء مصر في ذلك العصر ، ومقاطيعه جيدة إلى الغاية ، رحمه الله .

فمن شعره :

يا مَنْ أدار بريقه مَشْمولَةً [٢]   وحَبابها الثغْرُ النقيُّ الأشنبُ
تُفاح خدِّكَ بالعِذارِ ممسَّك   لكنهُ بدمِ القلوبِ مخضَّبُ

وقال :

---

١١٥ – الوافي والزركشي : ٩٢ والشذرات ٥ : ٤٠٠ وذكره السيوطي في حسن المحاضرة ١ : ٥٦٩ باسم « محمد بن الحسن بن شاور » ؛ وانظر النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٦ .

١ النجوم : بابن الفقيسي .

٢ النجوم : سلافة من ريقه .

يا مالكي ولديكَ ذلي شافعي ما لي سألتُ فما أُجيبَ سؤالي
فوخدّكَ النعمان إن بليّتي وشكيّتي من طرفكَ الغزّالي

وقال :

وما بين كفّي والدراهمِ عامرٌ ولستُ بها دونَ الورى ببخيلِ
وما استوطنتها قطُّ يوماً وإنّما تمرُّ عليها عابراتِ سبيلِ

وقال :

ما كانَ عيباً لو تفقّدتني وقلتَ هل أتهمَ أو أنجدا
فعادةُ الساداتِ [من قبلُ أن] [1] يفتقدوا الأتباعَ والاعبدا
هذا سليمانُ على ملكهِ وهو بأخبارٍ لهُ يقتدى
تفقّدَ الطّير وأجناسَها فقال مالي لا أرى الهدهدا

وقال :

أراد الظبي أن يحكي التفاتَكْ وجيدكَ قلت لا يا ظبيُ فاتَكْ
وفدّى الغصنُ قدّكَ إذْ تثنّى وقال : اللهُ يُبقي لي حياتك
ويا آسَ العذارِ فدتكَ نفسي وإن لم أقتطف بفمي نباتك
ويا وردَ الخدودِ حمتكَ عني عقاربُ صدغه فأمَنْ جناتك
ويا قلبي ثبتَّ على التّجنّي ولم يثبت له أحد ثباتك

[وقال] :

أقولُ لنوبةِ الحمى اتركيني ولا يكُ منكِ لي ما عشتُ أوبهْ
فقالتْ كيفَ يمكنُ تركُ هذا وهل يبقى الأمير بغير نوبهْ

[وقال] :

حُدّثتَ عن ثغره المحلّى فملْ إلى خده المورّدْ

---

[1] ما بين معقفين سقط من ص .

خدٌّ وثغر فجلَّ ربّ بمبدعِ الخلق قد تفرّدْ
هذا عن الواقديِّ يَروي وذاكَ يَروي عن المبرّدْ

[وقال] :

أنا العذريُّ فاعذرني وسامحْ وجُرَّ عليَّ بالإحسانِ ذيلا
ولمّا صرتُ كالمجنونِ عشقاً كتمتُ زيارتي وأتيتُ ليلا

وقال :

وجردتمعْ فقري وشيخوختي التي تراها فنومي عن جفوني مشرّدُ
فلا يَدّعي غيري مَقامي فإنني أنا ذلك الشيخُ الفقيرُ المجرّد

وقال :

أعملت نفسيَ في السماء وقد بدا فيها هـلالٌ جسمهُ منهوكُ
فكأنما هي شُقّةٌ ممدودةٌ وكأنه من فوقها مـكّوكُ

وقال :

قالوا فلانٌ ناظرٌ فأجبتُ ما هو ناظرٌ إلاّ إلى أعطـافه
لم يدر مسح الأرض قلت أزيدكم أُخرى : ولا مسحٌ على أطرافه

وقال :

الصبُّ من بعدكمُ مفردٌ ودمعـه النيلُ وتغليقُـهُ
وخَدُّه ممّا بكاكم دماً مقياسُـهُ والدمعُ تخليقهُ

وقال :

وما بي سوى عين نظرتُ لحسنها وذاكَ لجهلي بالعيون وغِرّتي
وقالوا بهِ في الحبّ عين ونظرة لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

وقال :

قالوا قد احترقت بالنار راحتُـهُ وهي الغمامُ ومنها الوابلُ الغدَقُ

وقال قومٌ وما ضلّوا وما وهموا ... بأنها النيلُ قلتُ النيلُ يحترقُ

وقال :

أبلمٌ قلّدوهُ أمرَ الرعايا ... وهو في حليةِ الوزارة عطلُ
فهو بالبوقِ في الوزارة طبلٌ ... وهو في الدّستِ حين يجلس سطل

وقال :

يا غائباً لو قضيتُ من أسفٍ ... من بُعدهِ ما قضيتُ ما يجبُ
ما ترك السقمُ بعد بُعْدِكَ لي ... واللهِ جَنبـاً عليهِ أنْقَلبُ

[وقال] :

يقول جسمي لنحولي وقـد ... أفرط بي فرط ضنًى واكتئابْ
فعلتَ بي يا سقم ما لم يكنْ ... تلبس واللهِ عليــه الثياب

[وقال] :

لا تأسفنَّ على الشّباب وفَقده ... فعلى المشيب وفقده يُتأَسَّفُ
هذاك يخلُفهُ سواه إذا انقضى ... ومضى وهذا إن مضى لا يخلَفُ

[وقال] :

عجبتُ للشيب كنتُ أكرهه ... فأصبح القلبُ وهو عاشقه
وكنتُ لا أشتهي أراه فقـد ... أصبحتُ لا أشتهي أفارقه

وكتب إلى السراج الوراق تصحيف[1] :

ما زلتُ مذ غبتُ عنكَ في بلدي ... حتّى إذا ما أزحتُ علّتها
أقمتُ أجرانَها على عَجَلٍ ... وبعد هذا خزَنتُ غلّتَها

وكتب إليه ابن سعيد المغربي :

---

١ كذا في ص .

أيا ساكني مصرٍ غدا النيل جاركم فأكسبكم تلك الحلاوةَ في الشعرِ
وكان بتلك الأرض سحرٌ، وما بقي سوى أثرٍ يبدو على النظمِ والنثرِ

فأجابه ابن النقيب :

ولمّا حللتَ الثغرَ زاد حلاوةً وخليته أغلى من الشذر والدر
فرحت وبي شوق[1] وما كنت شيّقاً للثمِ ذاكَ الثغرِ لولاك في الثغر
فلا تطلبنْ سحرَ البيانِ بأرضنا فكم فيه موسى مبطلاً آية السحر
ولا رقّةَ الشعر الذي كان أولاً وكيف رقيقُ الشعرِ مع قسوة الدهر

وكتب ابن النقيب إلى السراج الوراق :

يا ساكنَ الروضة أنت المشتهى من هذه الدنيا وأنت المقتضى
ويا سرورَ النفس بين الشعرا أنت الرضيُّ فيهمُ والمرتضى
ويا سراجاً لم تزلْ أنوارُهُ تعيدُ مُسوَدَّ الليالي أبيضا
ما لي أراكَ قاطعاً لواصلٍ ومعرضاً عن مقبلٍ ما أعرضا

فأجابه السراج :

يا سهمَ عتبٍ جاء من كنانةٍ أصبتَ من سوادِ قلبي الغرضا
لكنْ أسوتَ ما جرحته بما أعقبته من العتابِ بالرضا
يا ابنَ النقيبِ ما أرى منقبةً إلاّ وأولتكَ الثناءَ الأبيضا
إنّ ولائي حسَنٌ في حسن إذ ما أرى لعمرٍ أن يرفضا

وقال :

قلّدتُ يومَ البين جيدَ مودّعي درراً نظمتُ عقودَها من أدمعي
وحدا بهم حادى المطيِّ فلم أرى قلبي ولا جلدي ولا صبري معي
ودّعتهُمْ ثمّ انثنيتُ بحسرةٍ تركتْ معالمَ معهدي كالبلقعِ

---

[1] ص : شوقاً .

ورجعتُ لا أدري الطريقَ ولا تسلْ رجعتْ عداك المبغضون[1] كمرجعي
وأشدّ ما [بي] في القضيّةِ شامتٌ قد جاءني في صورةِ المتوجِّعِ
يا صاحبي أنصِتْ لأخبارِ الهوى حاشا لمثلك أن أقولَ ولا يعي
إني أحدث في الهوى بعجائب وغرائب حتى كأني الأصمعي
يا نفسُ قد فارقتِ يوم فراقهم طيبَ الحياةِ ففي البقا لا تطمعي
هيهات يرجعُ شملنا بالأجرعِ وتعود أحبابي الذي كانوا معي
ما كان أحسننا وهمْ جـيرانا والشملُ ملتئمٌ بتلك الأربع
بحياتكم جودوا عليَّ تكرّمـاً فعسى خيالكمُ يُلمّ بمضجعي
فلقد عدمتُ الصبرَ يومَ فراقكم وتضرمتْ نارُ الأسى في أضلعي
يا نازحينَ فهل لكم من عودةٍ نزحَ التفرقُ ما بقي من مدمعي
إنْ لم تعودوا للديار وترجعوا لهلكتُ من شوقي وفرط توجُّعي
أترى يعودُ الدهرُ يجمعُ بيننـا ويلذُّ طيبُ حديثكم في مسمعي
ويقرّ قلبٌ قد[2] أطيلَ خفوقـهُ وتنام عينٌ[2] بعدكم لم تهجع

وقال :

نحن إلاّ قطاعة الأجنادِ وبراواتُ غُزٍّ هذا النادي[3]
نحن إلاّ حكايةٌ وخيالٌ وحديثٌ لحاضرٍ ولبـادي
نحن إلاّ غسالة لمرقدا ر[4] قدورٍ تفرغت وزبادي
نحنُ إلاّ زبالةٌ ضمها الزبـ ال من فوق الكوم للوقاد
جرّدونا فمـا قطعنا فردو نا وقد أحسنوا إلى الأغماد

---

١ ص : المبغضين .

٢ ص : قلباً . . . عيناً .

٣ القطاعة : الرغوة ؛ والبرادة : ما تبقى من قطعة الصابون بعد الاستعمال .

٤ المرقدار : هو الذي يتصدى لخدمة ما يحوز المطبخ وحفظه ، سمي بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الخوان ونحو ذلك (صبح الأعشى ٥ : ٤٧٠) .

وعرضنا على براذين جيش ما استعدَّتْ لحملةٍ وطراد
وأتينا من القماش إليهم بخليعٍ مرَقّعٍ وكُداد[1]
وسروجٍ تطايرَ الجلدُ عما كان من تحتها من الأعواد
قد تبرَّتْ منها ميَاثرها اللبـ ـد وخان البدادُ عهد الوكاد[2]
كشف الله ذلك الستر عنها فرأينـا عوراتهنَّ بوادي
ورماحٍ لم تُعتَقلْ لطعانٍ وسيوفٍ ما جردت لجلاد
صدئت في الجفون من كثرة اللبـ ـثِ وملت بها لطول الرقاد
فهي لا فرق في يد الفارس الـ ـكشحان[3] منّا أو في يد[4] الحداد
أترى من يكون في هذه الحا ل مطيقاً بيكار[5] تلك البلاد
ويخوض الفرات في شهر كانو ن وكانون مصعب في القياد[6]
ودعوني بمفرديٍّ وما ذا لك إلاّ لوحدتي وانفرادي
الرختي[7] على قطاراتِ بختٍ أم وشاقيّي[8] لجرّ الجياد
كيف أقوى على الجهاد وخبزي ما أراه يكفي لسفرةِ زادي

وقال رحمه الله :

إذا صرصر البازي فلا ديكَ صادحٌ ولا فاختٌ في أيكةٍ يترنمُ
وما الموتُ إلاّ طيبٌ طعمُه إذا تَدايكَ فَروجٌ وزبزبَ حصرمُ

---

١ كذا في ص ، ولعلها : وكراد : وهو القطعة من البساط .
٢ البداد : لبد يشد على الدابة الدبرة ، والوكاد : سير يشد به القربوس .
٣ الكشحان : القرنان أو الديوث .
٤ ص : يدي .
٥ البيكار : ميدان القتال .
٦ ص : وكانون صعب القياد .
٧ الرخت : لفظة فارسية تعني المتاع .
٨ الوشاقية : جمع وشاقي وهو الوصيف (ملحق دوزي) .

وقال :

قالوا رأينا العلقَ ينفقُ مسرفـاً		والعلقُ لا شيءٌ لديهِ ولا مَعَهْ
فأجَبْتُهم إنْفــاقُهُ من سُرمه		قالوا صدقتَ لذاك يُنفق من سَعَهْ

وقال :

يا ناظري ما خلتُ أنكَ هكذا		عوناً عليَّ وأنتَ من أعدائي
أرميتَني وفعلتَ بي واللهِ مــا		لا تفعلُ الأعداءُ بالأعداءِ
فإذا ابتلاكَ اللهُ يوماً بالبكا		والسهدِ فاعلمْ أنهُ بدعائي

وقال :

كم تجنَّيْتَ أمرداً وتأليـ		ـتَ وكم تهتَ بالملاحةِ زائدْ
ثم زال الجميعُ إذ صرتَ ألحى		وبقي وجهنا ووجهك واحدْ

وقال :

يا قُفْلَ باب الرزق يا ذا الذي		ما زال عند الفتح قفلاً عسرْ
أفرطتَ في العسر ولا بدَّ أن		تنفشَّ أو تندقَّ أو تنكسر

وقال :

ألا يا أميرَ الملاحِ اتئدْ		فقد ذلَّ مَن بالجمال انتصر
ولا بدَّ تُعْزَلُ عمّا قليلٍ		إذا قام عارضك المنتظرْ

[وقال] :

قالتْ بمــاذا قصَّرتَ شعراً		من أسود الرأسِ والعذارِ
فقلتُ : إن تسألي فهذي		قصارة الليْــلِ والنّهار

١١٦

ابن أبي حصينة

الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة ، الأمير أبو الفتح ؛ توفي في حدود الخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

من شعره يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس[١] :

سرى طيفُ هندٍ والمطيُّ بنا تسري ... فأخفى دجى ليلي[٢] وأبدى سنا فجري

منها :

خليـــليَّ فكـّاني من الهمّ واركبا ... فجاجَ الموامي الغُبر في النُّوبِ الغبر
إلى ملكٍ منْ عـــامر لو تمثّلتْ ... مناقبهُ أغنتْ عن الأنجمِ الزهر
إذا نحن أثْنَيْنـــا عليه تلفّتتْ ... إليهِ المطايا مُصغيات إلى جَبر[٣]
وفوقَ سرير الملكِ من آلِ صالحٍ ... فتًى ولدته أمّهُ ليلةَ القَدْر
فتى وجههُ أبهى منَ البدْر منظراً ... وأخلاقهُ أشهى من الماء والخمر

منها :

أبا صالحٍ أشكو إليكَ نوائبـــاً ... عرتْني كما يشكو النباتُ إلى القَطرِ
لتنظرَ نحوي نظرةً لو نظرتَهـا ... إلى الصخر فجَّرتَ العيون من الصخر
وفي الدار خلفي صبيةٌ قد تركتهم ... يطلّونَ إطلالَ الفراخ من الوكر
جنيتُ على روحي بروحي جنايةً ... فأثقلت ظهري بالذي خفَّ من ظهري

---

١١٦ – الوافي ومعجم الأدباء ١٠ : ٩٠ (الحسين) وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٨٧ ، ٣٠٥ وتاريخ ابن الوردي ١ : ٣٦٥ وله ديوان شرح بعضه أبو العلاء المعري (دمشق ١٩٥٦) .

١ الديوان ١ : ٣٥٠ نقلا عن الفوات .

٢ ص : ليلى .

٣ ص : قبر (دون إعجام الباء) وعند ياقوت : الشكر .

فهَبْ هِبةً يبقى عليكَ ثناؤها   بقاءَ النجومِ الطالعاتِ التي تسري

قال الأمير أسامة بن مرشد : فلما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسد الدولة القاضي والشهود ، وأشهد على نفسه بتمليك ابن أبي حصينة ضيعةً من ملكه لها ارتفاع كثير ، وأجازه وأحسن إليه ، فأثرى وتموّل .

ولما امتدح نصرَ ابن صالح بحلب قال له : تمَنَّ ، قال: أتمنى أن أكون أميراً ، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء ، ويخاطب بالأمير ، وقرَّبه وصار يحضر مجلسه في زمرة الأمراء، ثم وهبه أيضاً مكاناً بحلب قبليّ حمام الواساني، فعمرها داراً ، وزخرفها وقَرْنَصها وتمم بناءها وكمل حالها ، ونقش على دائرة الدرابزين[1] :

دارٌ بنَيناها وعِشنا بها   في دَعةٍ من آل مرداسِ
قوم محَوْا بؤسي ولم يتركوا   عليَّ في الأيام من ناسِ
قل لبني الدنيا ألا هكذا   فليفعل الناس مع الناسِ[2]

ولما تكامل عملُ الدار عملَ دعوةً ، وأحضر إليها نصر ابن صالح ، فلما أكل الطعام ورأى حسنَ بناء الدار ونقوشها وقرأ الأبيات قال : يا أمير ، كم خسرت على بناء الدار[3] ؟ قال : يا مولانا ما لي علم ، بل هذا الرجل تولّى عمارتها ، فسأل ذلك المعمار فقال : غرم عليها ألفي دينار مصرية ، فأحضر من ساعته ألفي دينار مصرية وثوب أطلس وعمامة مذهبة وحصاناً بطوق ذهب وسرفسار[4] ذهب ، وقال له :

قل لبني الدنيا ألا هكذا   فليصنع الناس مع الناس

وبعد أيام حضر رجل من أهل المعرة ينبز بالزقوم كان من أراذلها وفيه

---

١ الديوان ١ : ٣٦٠ نقلا عن الفوات .   ٢ ص : بالناس .
٣ يا أمير . . . الدار : مكرر في ص .
٤ من الفارسية : سَرْ افسار ، وهو مقبض اللجام .

رجلة، فطلب خبز جندي فأعطي ذلك، وجعل من أجناد المعرة ، فلما وصل نظم أحمد بن محمد الدويدة المعري [1] :

أهل المعرة تحت أقبح خطّةٍ وبهمْ أناخَ الخطبُ وهو جسيمُ
لم يكفِهمْ تأميرُ إبنِ حصينةٍ حتى تجنـد بعده الزقومُ
يا قوم قد سئمتْ لذاكَ نفوسُنا يا قوم أين التّركُ أين الرومُ

فاشتهرت الأبيات بالمعرة وحلب ، وسمعها الأمير أبو الفتح ، فعبر على باب ابن الدويدة وسلم عليه ، وقال : والك يا ابن الدويدة هجوتني ، والله ما بي هجوي ، مثل ما بي من كونك قرنتني إلى الزقوم ، فضحك ابن الدويدة وقال : الآن والله كان عندي الزقوم وقال : والله ما بي من الهجو ما بي من كونك قـرّنتني بابن أبي حصينة ، فقال له : قبحك الله ؛ وهذا هجو ثان .

١١٧
شيخ الأكراد

الحسن ابن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر ، الملقب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد ، وجدّه أبو البركات هو أخو الشيخ عدي [2] رحمه الله ؛ وكان شمس الدين من رجال العالم رأياً ودهاء ، وله فضل وأدب وشعر وتصانيف في التصوف ، وله أتباع ومريدون يبالغون فيه .

---

١ انظر ترجمة ابن الدويدة في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٥٣ ودمية القصر ١ : ١٥٢ وابن خلكان ٤ : ٤٤٠ (في ترجمة محمد بن سلطان ، ابن حيوس) .

١١٧ – الوافي وعبر الذهبي ٥ : ١٨٣ والشذرات ٥ : ٢٢٩ .

٢ عدي بن مسافر الهكاري الذي تنسب إليه الطائفة العدوية ، توفي سنة ٥٥٥ أو ٥٥٧ (انظر ابن خلكان ٣ : ٢٥٤ وفي الحاشية مصادر أخرى لترجمته) .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وبينه وبين الشيخ عدي من الفرق ، كما بين القَدَم والفرْق ، وقد بلغ من تعظيم العدويّة له أنه قدم عليه واعظ فوعظه حتى رق قلبه وبكى وغشي عليه ، فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه ، ثم أفاق الشيخ حسن فرآه يخبط[1] في دمه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : وإلاّ إيش هذا من الكلاب حتى يُبكي سيدنا الشيخ ؟ فسكت حفظاً لدسته وحرمته . وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليه وحبسه ، ثم خنقه بوتر بقلعة الموصل خوفاً من الأكراد لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده ، فخشي لا يامرهم بأدنى إشارة فيخربون بلاد الموصل .

وفي الأكراد طوائف إلى الآن يعتقدون أن الشيخ لا بدّ أن يرجع ، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجه ، وما يعتقدون أنه قُتل . وكانت قتلته سنة أربع وأربعين وستمائة ، وله من العمر ثلاث وخمسون سنة .

ومن تصانيفه : كتاب « محك الإيمان » و « الجلوة لأرباب الخلوة » و « هداية الأصحاب » وله ديوان شعر فيه شيء من الاتحاد ، من ذلك :

وقد عصيتُ اللواحي في محبتها	وقلت كفّوا فهتك السترِ أليقُ بي
في عشق غانيةٍ في طرفها حَوَرٌ	في ثغرها شنب ، وجدي من الشنب
فنيتُ عني بها يا صاحِ إذ برزتْ	وغبت إذ حضرتْ حقاً ولم تغب
وصرتُ فرداً بلا ثان أقومُ به	وأصبح الكلُّ والأكوان[2] تفخر بي
وكلّ معنايَ معناها وصورتها	كصورتي وهي تدعى إبنتي وأبي

وله دوبيت :

الحكمةُ أن تشربَ من الحاناتِ	خمراً قرِنَتْ بسائرِ اللذاتِ
من كفٍّ مهفهفٍ متى ما تليتْ	آياتُ صفاته بَدَتْ من ذاتي

---

١ المطبوعة : يتشحط ، وهي قراءة جيدة .

٢ ص : والأكحوان .

وله :

سطا وله في مذهب الحبِّ أن يسطو مليحٌ له في كلِّ جارحةٍ قسطُ
ومن فوق صحنِ الخدِّ للنقط غايةٌ تدلُّ على ما يفعل الشكلُ والنقط

١١٨

الهمام العبدي

الحسن ابن علي بن نصر بن عقيل ، أبو علي العبدي الواسطي البغدادي المنعوت بالهمام ؛ مدح طائفة بالشام والعراق وأقام بدمشق ، وكان شيعياً ، روى عنه القوصي ، واتصل بخدمة الأمجد صاحب بعلبك . توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة ذكره العماد الكاتب في الخريدة .

ومن شعره :

ذمّا معي قلبي وليلي في الهوى فكلاهما بالطَّيفِ نمّ وأخبرا
ذا أيقَظَ الرقباء فرطُ وجيبـه بين الضلوع وذاك أشرق إذ سرى

وله أيضاً :

أين من ينشد قلبـاً ضاع يوم البين مني ؟
تاهَ لمّا راح يقفو أثَرَ الظّبي الأغَنِّ
سكن البيدَ فعلمي فيهمـا لا رجم ظن
أن هذا في لظى حز نٍ وذا في روضِ حسن
نُحْ معي شوقاً إلى البا نةِ يا وُرْقُ وغَنّي
كلّنا قد علّمَ الحبّ بنا عاشقُ غصن

---

١١٨ – الوافي والزركشي : ٩٤ .

١١٩

المهذب ابن الزبير

الحسن ابن علي بن إبراهيم بن الزبير ،أبو محمد الملقب بالقاضي المهذب، وهو [أخو] القاضي الرشيد ؛ توفي القاضي المهذب المذكور في ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة بمصر وكان كاتباً مليح الخط ، جيد العبارة ، مليح الألفاظ ، وكان أشعر من أخيه الرشيد واختص بالصالح ابن رُزّيك ، ويقال إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو شعر المهذب، وحصل له من الصالح مالٌ جم ، وكان القاضي عبد العزيز بن الجبّاب هو الذي قدمه عند الصالح . ولما مات ابن الجباب شمت به المهذب ومشى في جنازته بثياب مذهبة ، فاستقبح الناس فعله ونقص بهذا السبب ، ولم يعش بعده إلاّ شهراً واحداً .

وصنف المهذب كتاب « الأنساب » وهو أكثر من عشرين مجلدة ، كل مجلد عشرون كراسة ؛ قال ياقوت : رأيت بعضه فوجدته مع تحققي بهذا العلم وبحثي عن كتبه لا مزيد عليه . وكان المهذب قد مضى رسولاً إلى اليمن عن بعض ملوك مصر واجتهد هناك في تحصيل كتب النسب وجمع منها ما لم يجتمع عند أحد ، رحمه الله تعالى ؛ ومن شعره :

لقد طال هذا الليل بعد فراقه ... وعهدي به قبل الفراق قصيرُ
وكيف أرجّي الصبحَ بعدهمُ وقد ... تولّتْ شموسٌ بعدهم وبدورُ

ومنه :

---

١١٩ – الوافي والزركشي : ٩٥ والخريدة (قسم مصر) ١ : ٢٠٤ ومعجم الأدباء ٩ : ٤٧ وابن خلكان ١ : ١٦١ والطالع السعيد : ١٠٠ والنكت العصرية : ٣٥ ؛ وقد أخلت المطبوعة بأجزاء كثيرة من هذه الترجمة .

أقصِرْ فديتك عن لومي وعن عذَلي | أو لا فخذ لي أماناً من ظبا المقلِ
من كلِّ طرف مريض الجفن ينشدني | « يا رب رام بنجد من بني ثعل »[1]
إنْ كان فيهِ لنا وهو السقيم شفاً | « فربما صحت الأجسامُ بالعلل »[2]

وله في رفاء :

بليتُ برفاءٍ لواحظُ طرفِــــهِ | بنا فعلتْ ما ليس يفعله النصلُ
يجورُ على العشاقِ والعدلُ دأبه | ويقطعني ظلماً وصنعته الوصلُ

ومنه :

ولئن ترقرق دمعهُ يومَ النوى | في الطّرف منه وما تناثر عقدُهُ
فالسيفُ أقطعُ ما يكونُ إذا غدا | متحيّراً في صفحتيــــهِ فرنده

وقال يرثي صديقاً له وقع المطر يوم موته :

بنفسيَ من أبكى السموات فقدُه | بغيثٍ ظننّاهُ نوالَ يمينهِ
فما استعبرت إلاّ أسًى وتأسفاً | وإلاّ فماذا القطر في غير حينه

ومنه :

لا ترجُ ذا نحسٍ وإنْ أصبحتْ | من دونه في الرتبةِ الشّمسُ
كيوان أعلى كوكبٍ موضعاً | وهو إذا أنصفتهُ نحسُ

وله أيضاً :

إذا أحرقتْ في القلبِ موضعَ سكناها | فمن ذا الذي من بعد يكرمُ مثواها
وإن نزفتْ ماء الدموعِ بهجرها | فمن أيّ عينٍ تأملُ العيسُ سقياها
وما الدمعُ يومَ البينِ إلاّ لآلىء | على الرسمِ في رسمِ الديار نثرناها
وما أطلع الزهرَ الربيعُ وإنمـــا | رأى الدمعُ أجيادَ الغصون فحلاها

---

١ الخريدة : ألحاظه رب رام من بني ثعل ؛ وهو يشير إلى بيت شعر لامرىء القيس .

٢ عجز بيت للمتنبي وصدره : لعل عتبك محمود عواقبه .

ولمّـــا أبان البينُ سرَّ صدورنا وأمكن فيها الأعينُ النجلُ مرماها
عددنـــا دموعَ العينِ لمّا تحدرت دروعاً من الصبرِ الجميل نزعناها
ولمّا وقفنا للوداعِ وترجَمَتْ لعينيَ عَمّا في الضمائرِ عيناها
بدت صورةٌ في هيكلٍ فلوَانّنا ندينُ بأديانِ النصارى عبدناهـا
وما طرباً صغنا القَريضَ وإنمـا جـلا اليومَ مرآة القرائح مرآها
وليلةَ بتْنا في ظلامِ شَبيبتي سراي وفي ليلِ الذوائبِ مسراها
تأرجُ أرواحُ الصَّبا كلّما سَرَى بأنفاسِ ريّا آخِرِ الليلِ رياها
ومهما أدرنا الكأسَ باتت جفونُها من الراح تسقينا الذي قد سقيناها

منها :

ولو لم يجدْ يومَ الندى في يمينهِ لسائلهِ غيرَ الشبيبةِ أعطاهـا
فيا ملكَ الدنيا وسائس[1] أهلها سياسةَ مَنْ ساس الأمورَ وقاساها
ومن كَلّفَ الأيامَ ضدَّ طباعها وعاينَ أهوالَ الخطوبِ وعاناها
عسى نظرة تجلو بقلبي وخاطري صداهُ فإني دائماً أتصدّاها

وله :

فيا صاحبي سجن الخزانةِ خليـا نسيم الصبا ترسلْ إلى كبدي نفحا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائدٌ إلى ناظري أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تأيسا من رحمة الله أن أرى سريعاً بفضل الكامل العفوَ والصفحا
فإن تحبساني في التخوم تجبّراً فلن تحبسا منّي له الشكر والمدحا

ومنه :

وما لي إلى ماء سوى النيلِ غُلّةٌ ولو أنه — أستغفر اللهَ — زمزمُ

كان القاضي المهذب ، رحمه الله تعالى ، لما جرى لأخيه الرشيد ما جرى من

---

[1] ص : وسائر .

اتصاله بصلاح الدين ابن أيوب قبض شاور على المهذب وحبسه ، فكتب إليه يستعطفه فلم ينفع فيه ، فالتجأ إلى ولده الكامل شجاع وكتب إليه أشعاراً كثيرة من جملتها هذه التي قدمناها ، فقام بأمره واصطنعه وضمه إليه بعد أن أمر أبوه شاور بصلبه .

ومن شعر المهذب :

أعلمتَ حينَ تجاورَ الحيّـانِ ... أن القلوبَ مواقدُ النّـيرانِ
وعلمت أن صدورنا قد أصبحت ... في القومِ وهي مرابضُ الغزلان
وعيوننا عوضَ العيونِ أمدَّهـا ... ما غادروا فيها من الغدران
ما الوخد[1] هزّ قناتهم بل هزها ... قلبي لما فيـه من الخفقان
وتراهُ يكره أن يرى أظعانهم[2] ... وكأنّما أصبحت في الأظعان[3]

ومنه القصيدة التي كتبها إلى الداعي لما قبض على أخيه باليمن يستعطفه على أخيه الرشيد فأطلقه ، وهي :

يا ربْعُ أين ترى الأحبةَ يمموا ... هل أنجدوا من بعدنا أو أتهَموا
نزلوا من العين السوادَ وإن نأوا ... ومن الفؤادِ مكانَ ما أنا أكتم
رحَلوا وفي القلب المعنّى بعدهم ... وجـدٌ على مرِّ الزمانِ مخيم
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما ... تسري إذا جنّ الظلامُ الأنجم
وتعوضتْ بالأنس روحي وحشةً ... لا أوحشَ اللهُ المنازلَ منهم
إني لأذكركم إذا ما أشرقت ... شمسُ الضحى من نحوكم فأسلم
لا تبعثوا لي في النّسيم تحيّةً ... إني أغارُ من النسيم عليكم
إني امرؤ قد بعْتُ حظي راضياً ... من هذه الدنيا بحظّي منكم

---

١ ص : الوجد ، والتصويب عن الخريدة .
٢ ص : أضعانهم .
٣ ص : الأضعان .

فسلوتُ إلاّ عنكمُ وقنعتُ إلاّ منكمُ وزهدتُ إلاّ فيكم

ما كان بعد أخي الذي فارقتهُ ليبوحَ إلاّ بالشكاية لي فم
هو ذاكَ لم يملك علاهُ مالكٌ كلاّ ولا وجدي عليهِ متمم
أقوَتْ مغانيهِ وعطّلَ ربعه ولرُبما هجرَ العرينَ الضيغم
ورمت به الأهوالُ همةَ ماجدٍ كالسيف يمضي غَرْبُهُ ويصمم
يا راحلاً بالمجدِ عنّا والعُلا أترى يكون لكم علينا مَقدَم
يفديكقومٌ[1] كنت واسطَ عقدهم ما إن لهم مذ غبتَ شملٌ يُنظم
جهلوا فظنّوا أن بُعدكَ مغنمٌ لمّا رحلْتَ وإنما هو مَغْرم
ولقد أقرَّ العينَ أنّ عِداكَ قد هلكوا ببغيهمُ وأنت مُسلَّم

منها :

أقيالُ بأسٍ خيرُ مَن حمل القَنا وملوكُ قحطانَ الذينَ همُ همُ
متواضعين ولو ترى ناديهمُ ما اسطعْت[2] من إجلالهم تتكلم
وكفاهمُ شرفاً ومجداً أنّهم أن أصبح الداعي المتوج منهم
هو بدرِ تِمٍ في سماء علائهمْ وبنو أبيهِ بنو زريعٍ أنجم
ملكٌ حِماهُ جنَّةٌ لعُفاتَه لكنّهُ للحـــاسدينَ جهنّم

منها :

مع أنّني سيرت فيكَ شوارداً كالدرّ بل أبهى لدى من يفهم
تغدو وهُوجُ الذاريات رواكدٌ وتبيتُ تسري والكواكب نُوَّم

---

١ ص : قوماً .

٢ ص : استطعت .

١٢٠

[أبو البدر الإسكافي]

الحسن بن علي بن سالم المعمر بن عبد الملك بن باهوج الاسكافي الأصل البغدادي المولد والدار ، أبو البدر ابن أبي منصور ، أحد الكتاب المتصرفين في خدمة الديوان الإمامي ، هو وأبوه ، وكان فيه فضل ، وله أدب بارع وعربية ، ويكتب خطاً حسناً على طريقة ابن مقلة قلّ نظيره فيه ، ولقي المشايخ ، وصنف عدة تصانيف في الأدب ، وتنقل في الولايات ، وصحب أبا محمد ابن الخشاب النحوي مدة ، وقرأ عليه ، وعلّق عنه تعاليق ، وحجّ وجاور بمكة ، ثم صار إلى الشام وأقام بحلب مدة ، ثم انتقل إلى مصر وسكنها إلى أن مات سنة ست وتسعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . وطوّل ياقوت ترجمته . ومن شعره :

خليليَّ هل تشفي من الوجد وقفة ... بخيفِ منًى والسّامرونَ هجوعُ
وهل للبيلاتِ المحصَّبِ عودَةٌ ... وعيشٍ مضى بالمأزمين رجوع
وهل سرحة بالسفح من أيمن الصفا ... رعتْ من عهودي ما أضاع مضيع
وهل قوّضت خيمٌ على أبرق الحمى ... وما ذاك من غدر الزمان بديع
وهل تردنَ ماءً بشعبَ ابن عامرٍ ... حوائمُ لو يقضَى لهنَّ شروع
وما ذاك إلاّ عارض من طماعةٍ ... لهُ بقلوبِ العاشقينَ ولوع
وإني متى أعصي التجلدَ والأسى ... فللشوقِ منّي والغرامِ مطيع
فيا جيرتي إذ للزمانِ نضارةٌ ... وعودي نضارٌ والخيـام جميع
بنَعْمانَ والأيّامُ فينـــا حميدةٌ ... ووادي الهوى للنازلين مريع

---

١٢٠ — الوافي والزركشي : ٩٦ ومعجم الأدباء ٩ : ٧٠ وفي نسبه « ناهوج » وبغية الوعاة : ٣٢٥ ، ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

كفى حزناً أنّي أبيتُ وبيننـــا	من البيدِ معروضُ الفجاج وسيع
أعالجُ نفساً قد تولّى بها الأسى	وطرفاً[1] يجفّ المزن وهو مَريع

١٢١

[الحسن الساسكوتي]

الحسن ابن علي بن حسن بن علي بن كثير بن علي العامري الساسكوتي الحموي الشاعر ، توفي بعد الستمائة ، رحمه الله تعالى .

من شعره :

أيرومُ هذا القلبُ بُرْءَ جراحهِ	وسيوفُ لحظك تُنتضى لكفاحه
يا مستبيحَ دمِ المتيّمِ عـامداً	أنسيتَ يوم البعث حمل جُناحهِ
نظري الذي في الحبّ قد أفسدته	إفسادُهُ في الحبِّ عينُ[2] صلاحه
حتّام تطرفُ طرفَ عيني بالبكا	وإلامَ طرفي مولَع بطماحه
يا ويحَ مُودِعِ سرِّهِ في جفنه	فلقد أراد السترَ من فَضّاحه
ليت الحبيب غداة أثمر خـدّه	لم يحمِ عن عيني جَنى تُفّاحه
يا لائمَ المشتاق يبغي نصحه	مُرْهُ بهم لتكون من نصاحه
أو فانظرِ الرشأ الذي خلخاله	لو شاء صيره مكانَ وشاحه
يفترّ عن شَبَمٍ تلألأ نورُهُ	كالروض لاح لديك نَوْرُ أقاحه
ويدير ناظره فيسكرنا فقـــلْ	برشاً ينوب بعينهِ عن راحهِ

---

١ ص : وطرف .

١٢١ – الوافي والزركشي : ٩٦ .

٢ ص : غير .

منها في المديح :

ملكٌ إذا رتجَ العـدا أبوابهم　　كانت مفاتحَها رؤوسُ رماحه

يُرجى ويخشى فالمنيةُ والمنى　　مقرونتانِ بصفحه وصفاحه

سمحٌ لوانَّ الغيثَ كلم قبله　　بشراً لعنفه لفرطِ سماحه

هو بحرُ جودٍ فابتعدْ عن لجّه　　لايغرقنَّك وادنُ من ضحضاحه

يعلو وينزلُ للرعية فضلهُ　　كالطَّود يدفعُ ماءه لبطاحه

وقال يمدح زين الدين أتابك :

أعن لؤلؤ رطب تبَسَّمتِ أم ثغر　　ومن ريقة أسكرتني أم من الخمرِ

وعطفك تيهاً ماسَ أم خوطُ بانةٍ　　وطرفك أم هاروتُ ينفث بالسحر

فعنكِ نهـاني لائمي ولو انه　　يحاولُ نصحي بدَّلَ النهيَ بالأمر

وها أنذري إن كنت ناذرةً دمي　　لديك ويا شوقي إلى ذلك النذر

وإنّي لأهوى أن تبوئي بقتلتي　　ليبعثني خصماً لكِ الله في الحشر

وقال أيضاً يهجو عروضياً نحوياً :

لا تنكروا ما ادّعى فلان من الـ　　شعرِ إذا قيلَ إنّهُ شاعرْ

فالنحو ثمّ العروض قد شهدا　　لهُ على الشّعْر أنّهُ قادر

يقصر مَمْدودَهُ ويرفَعـهُ　　في الجر نصبَالغرمولِ في الآخر

يريكَ وهو البسيط دائرةً　　تجمع بين الطويلِ والوافر

وقال في طراحة فيروز[1] أخضر :

أنا أرضٌ تغارُ منّي السّماءُ　　إذ يطـاني بأخمصيهِ البهاءُ

فاضَ من كفه المنى فاستدارتْ　　في حواشيهِ روضةٌ غنّاء

وقال وقد ناوله مليح خاتماً فصُّه عقيق ولوزاته فضة :

---

١ ص : بيروز .

وأهْيفٍ ناولني خاتماً فخلتهُ ناولني فاهُ
كأنما الفصّ ولوزاته لسانُهُ بين ثناياهُ
وفضلُ فيهِ أنه خاتم من فضةٍ صيّاغُهُ اللهُ

١٢٢

بدر الدين ابن هود

الحسن بن علي بن عضد الدولة أبي الحسن ، أخي المتوكل على الله ملك الأندلس ابن يوسف بن هود الجذامي .

قال الشيخ أثير الدين : رأيته بمكة وجالسته ، وكان يظهر منه الحضور مع من يكلمه ، ثم لا تظهر الغيبة منه ، وكان يلبس نوعاً من الثياب مما لم يعهد لبس مثله بهذي البلاد ، وكان يذكر أنه يعرف شيئاً[1] من علوم الأوائل ، وكان له شعر منه :

خضْتُ الدجُنَّة حتى لاح لي قَبَس وبانَ بانُ الحمى من ذلك القبسِ
فقلتُ للقومِ هذا الربعُ ربعهمُ وقلتُ للسمعِ لا تخلو من الحرس
وقلتُ للعينِ غُضّي عن محاسنهِ وقلتُ للنطقِ هذا موضع الخرس

وقال الشيخ شمس الدين : هو الشيخ الزاهد الكبير أبو علي بن هود ، المرسي ، أحد الكبار في التصوف على طريقة الوحدة ؛ مولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمرسية ، وكان أبوه نائب السلطنة بها ، حصل له زهد مفرط وفراغ عن الدنيا ، وسكرة عن ذاته وغفلة عن نفسه ، فسافر وترك الحشمة ، وصحب ابن سبعين واشتغل بالطب والحكمة وزهديات الصوفية[2] ، وخلط هذا بهذا ، وحج

١٢٢ – الوافي والزركشي : ٩٧ والشذرات ٥ : ٤٤٦ (وفيات سنة ٦٩٩) وكذلك عبر الذهبي ٥ : ٣٩٧ وهو : حسن بن علي بن يوسف بن هود .

١ ص : شيء . ٢ ص : الصوفة .

ودخل اليمن وقدم الشام . وكان ذا هيبة ووقار وشيبة [1] وسكون وفنون ، وتلامذة وزبون ، وكان على راسه قبع كشف [2] ، وعلى جسده دَلَق [3] ؛ كان غارقاً في الفكرة عديم اللذة متواصل الأحزان ، فيه انقباض عن الناس ، وحمل مرة إلى والي البلد وهو سكران ، أخذوه من حارة اليهود ، فأحسن الوالي به الظنّ وأطلقه وقال : سقاه اليهود خُبثاً منهم ليغضوا عنه [4] بذلك ، وكان قد نالهم منه أذى ، وأسلم على يده جماعة : منهم سعيد وبركات . وكان يحبُّ الكوارع المغمومة [5] ، فدعوه إلى بيت واحد منهم وقدموا له ذلك ، فأكل ثم غاب ذهولاً على عادته ، فأحضروا الخمر فلم ينكر حضورها ، فأداروها ثم ناولوه منها قَدَحاً ، فاستعمله تشبيهاً بهم ، فلما سكر أخرجوه على تلك الحال ، وبلغ الخبر الوالي فركب وحضر إليه وأردفه خلفه ، وبقي الناس خلفه يتعجبون من أمره ، وهو يقول لهم بعد كل فترة : أي وايش قد جرى ؟! ابن هود يشرب العقار ؟ يعقد القاف كافاً في كلامه . وكان يشتغل اليهود عليه في كتاب « الدلالة » وهو مصنف في أصول دينهم للريس موسى [6] .

قال الشيخ شمس الدين : قال شيخنا عماد الدين الواسطي : أتيت إليه وقلت له : أريد أن تسلكني ، فقال : من أيّ الطرق ؟ من الموسوية أو العيسوية أو المحمدية ؟

وكان إذ طلعت الشمس يستقبلها ويُصلِّبُ على وجهه .

وصحبه العفيف عمران الطبيب والشيخ سعيد المغربي وغيرهما ، ولا صلّى

---

١ ص : وشبه .

٢ القبع : غطاء الرأس (ملحق دوزي) ، ولم يتضح لي معنى قوله « كشف » وفي الشذرات : قبع لباد.

٣ الدلق : فروة أو ثوب يتميز بلبسه المتصوفة

٤ كذا في ص ، والصواب « منه » .

٥ في محيط المحيط أن « اللمة » هي الرأس ، وهي لفظة ما تزال تستعمل في لبنان للدلالة على أكلة الكوارع والرأس وما يلحق بها .

٦ يعني موسى بن ميمون وكتابه هو « دلالة الحائرين » ؛ وسيترجم الكتبي له .

عليه قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، ودفن بسفح قاسيون سنة تسع وتسعين وستمائة

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي[1] . كان بعض الأيام يقول لتلميذه سعيد : أرني فاعلة النهار ، فيأخذ بيده ويصعد إلى سطح فيقف باهتاً إلى الشمس نصف نهار[2] ، وكان يمشي في الجامع باهت الطرف ذاهل العقل وهو رافع إصبعه السبابة كالمتشهد ، وكان يوضع في يده الجمر فيقبض عليه ذهولاً عنه ، فإذا أحرقه رجع إلى حسه وألقاه من يده ، وكان تحفر له الحفر في طريقه فيقع فيها ذهولا وغيبة .

ومن شعره عفا الله عنه وتجاوز :

فؤاديَ من محبوب قلبيَ لا يخلو ... وسري على فكري محاسنهُ يجلو
ألا يا حبيب القلب يا من بذكره ... على ظاهريَ من باطني شاهد عدل
تجلَّيتَ لي مني عليَّ فأصبحت ... صفاتي تنادي : ما لمحبوبنا مثل
أوَرِّي بذكر الجزع عنه وبانة ... ولا البانُ مطلوبي ولا قصديَ الرمل
وأذكر سُعدى في حديثي مغالطاً ... بليلى ولا ليلى مرادي ولا جُمل
ولم أرَ في العشاقِ مثلي لأنني ... تلذ ليَ البلوى ويحلو ليَ العذل
سوى معشرٍ حلُّوا النظام ومزقوا الثيابَ فلا فرضٌ عليهم ولا نَفَلْ
مجانين إلاّ أن ذلَّ جنونهم ... عزيزٌ على أعتابهم يسجدُ العقل

وله قصيدة أولها :

عِلْمُ قومي بيَ جهلُ ... إنَّ شاني لأجَلُّ

منها :

أنا عَبدٌ أنا ربٌّ ... أنـا عزٌّ أنا ذل

---

[1] كرر هنا في ص لفظة « قال » .

[2] نصف نهار : مكررة في ص .

أنا دنيا أنا أخرى أنا بعضٌ أنـا كلّ
أنا معشوقٌ لذاتي لستُ عني الدهرَ أسلو
فوق عشر دون تسعٍ بين خمسٍ لي يحلُّ

وهي طويلة جداً . والله أعلم بحاله .

١٢٣

[بدر الدين ابن المحدث]

الحسن بن علي ، الشيخ بدر الدين ابن المحدث ، الكاتب المجود ؛ كان فاضلاً ينظم وينثر ، وله كتّاب برّا بابِ الجابية بدمشق ، وكان يكتبُ العصرَ بالأمينية ، كتب عليه جماعة ، وكتب هو على الشيخ نجم الدين ابن البصيص . توفي في سنة اثنتين وثلاثين أو ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وقد ناهز السبعين .

كان الملك الأوحد له معه صحبة ، فتحدث له مع الأفرم أن يدخل ديوان الإنشاء بدمشق ، فرسم له بذلك فأبى فلامه الملك الأوحد على ترك ذلك ، فقال : أنا إذا دخلت إلى الديوان ما يرتّب لي أكثر من خمس الدراهم[1] كل يوم ، وما يجلسوني فوق بني فضل الله ، ولا بني القلانسي ، ولا بني القَيسراني ، ولا فوق بني غانم ، وما يجلسوني إلاّ دونهم ، ولو تكلمت قالوا : ابصر المصفعة واحد كان فقيه كتّاب يريد يقعد فوق السادة الموقعين ، وإن جا سفر ما يخرجون غيري ، وإن تكلمت قالوا : ابصر المصفعة قال يحتشم على السفر في ركاب

---

١٢٣ – الزركشي : ١٠٠ والدرر الكامنة ٢ : ١٠٩ « الحسن بن علي بن محمد بن عدنان بن شجاع الحمداني » .

١ كذا في ص ، وقد أبقيت كل ما هو خارج عن حكم الأعراب على حاله في هذه الترجمة .

ملك الأمراء، وها أنا كل يوم أحصِّل من المكتب الثلاثون درهماً والأكثر والأقل، وأنا كبير هذه الصناعة، وأحكم في أولاد الرؤسا والمحتشمين.

ومن شعره في فرحة بنت المخايلة المغنية:

ما فرحتي إلاّ إذا واصلت فرحةُ بين الكسِّ والكاسِ
لا أن أراها وهْيَ في مجلسٍ ما بين طبّاخٍ وهرّاس

ومن شعره:

وقد عنفوني في هَواهُ بقولهم ستطلع منه الدقن[1] فاصبر على الحزن
فقلت لهم: كفوا فإنيَ واقع وحقكمْ بالوجدِ فيهِ إلى الدقن[1]

١٢٤

[أبو الجوائز الواسطي]

الحسن ابن علي بن محمد الكاتب، أبو الجوائز الواسطي؛ أقام ببغداد زمناً طويلاً، وذكره الخطيب في تاريخه[2] وقال: علقت عنه أخباراً وحكايات وأناشيد وأمالي عن ابن سكرة الهاشمي وغيره، ولم يكن ثقة، فإنه ذكر لي أنه سمع من ابن سُكّرة وكان يصغر عن ذلك، وكان أديباً شاعراً. ومن شعره:

دع الناس طُرّاً واصرفِ الودَّ عنهمُ إذا كنتَ في أخلاقهم لا تسامحُ
ولا تبغِ منْ دهرٍ تظاهر رَنْقهُ صفاءَ بَنيهِ فالطباعُ جوامح
وشيئان معدومانِ في الأرض: درهمٌ حلالٌ، وخلٌّ[3] في المودّة ناصح

---

١ أبقيتها كما هي في ص.

١٢٤ - وفيات الأعيان ٢: ١١١ وتبدو الترجمة هنا وكأنها ملخصة عن ابن خلكان.

٢ تاريخ بغداد ٧: ٣٩٣.

٣ ص: وخلا.

ومن شعره :

يا خجلتي من قولها خان عهودي ولها
وحقّ من صيّرني وقفاً عليها ولها
ما خطَرتْ بخاطري إلاّ كستني ولها

وقال أيضاً :

براني الهوى بريَ المدى وأذابني صدودك حتى صرت أنحلَ من أمسِ
فلست أرى حتّى أراك وإنّما يبين هباء الذرّ في ألق الشمسِ

وكانت وفاته في سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله

١٢٥

[أبو العالية الشامي]

الحسن بن مالك ، أبو العالية الشامي ، مولى للعميين – وبنو العم : قوم من فارس نزلوا البصرة في بني تميم أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وغزوا مع المسلمين فحمدوا بلاءهم وقالوا لهم : انتم وإن لم تكونوا من العرب إخواننا وأهلنا ، وأنتم الأنصار وبنو العمّ ، فلقبوا بذلك .

ونزل أبو العالية البصرة ثم قدم بغداد ، فأدب العباس ابن المأمون وكان أديباً شاعراً راوية من أصحاب الأصمعي ، وكان إذا ... الأصمعي أو غيره وتكلم معه انتصف منه وزاد عليه . ومن شعره :

ولو أنني أعطيتُ من دهريَ المنى وما كل من يعطى المنى بمسدَّدِ

١٢٥ – ذكره ابن خلكان مرتين مرة باسم الحسن (٣ : ١٧٦) ومرة باسم (أحمد ٧ : ٢٤٣) وله ترجمة في الوافي للصفدي .

لقلتُ لأيّامٍ مضين ألا ارجعي وقلتُ لأيّام أتينَ ألا ابعدي

حدث المبرد قال ، قال الجماز لأبي العالية: كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت على غير ما يحب الله وغير ما أحبّ أنا وغير ما يحبّ إبليس ؛ لأن الله عز وجلّ يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك ، وأنا أحب أن أكون على غاية الجِدَة والثروة ولست كذلك ، وإبليس يحبُّ أن أكون منهمكاً في المعاصي واللذات ولست كذلك .

ومن شعره أيضاً :

أذم بغداد والمُقامَ بهـا من بعدِ ما خبرة وتجريبِ
ما عنـد سُكّانها لمختبطٍ رِفْد ولا فرجةٌ لمكروبِ
قومٌ مَواعيدُهُمْ مُطرزة بزخرفِ القولِ والأكاذيبِ
خلوا سبيل العلى لغيرهمُ ونازعوا في الفسوق والحوبِ
يحتاجُ راجي النوالِ عندهمُ إلى ثلاثٍ من غير تكذيبِ
كنوزُ قارونَ أن تكونَ له وعُمرُ نوحٍ وصبر أيّوبِ

وكانت وفاته بعد الأربعين والمائتين ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

١٢٦

ابن الخل الشاعر

الحسن بن المبارك بن محمد بن الخل الفقيه أبو الحسين الشاعر أخو أبي[١] الحسن

---

١٢٦ – قد ترجم فيما مضى لمن اسمه « أحمد بن المبارك » أخي ابن الخل الفقيه (انظر رقم : ٤٣) وذكر أن وفاته كانت سنة ٥٥٢ أيضاً ، ومعنى ذلك أن اللبس في الاسم (بين حسن وأحمد) جعل الكتبي يترجم له مرتين وكذلك فعل الصفدي . وانظر الوافي والزركشي : ٩٧ .

١ ص : أبو .

محمد ابن الحل الفقيه؛ كان شاعراً ظريفاً رشيق القول مليح المعاني ، مدح وهجا وتنوع في قول الشعر ، وقال الذوبيت .

قال محب الدين ابن النجار : روى شعره أبو بكر ابن كامل الخفاف وأبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي في معجم شيوخهما ، وكلهم سماه الحسن ، وسماه ابن السمعاني أحمد ، ورأيت بخطه « وكتب الحسن » . وتوفي فجأة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله :

رَوِّحا روحي براحٍ عوضَ الماء القَراحِ
وادركاني بالأغاني قبل إدراك الصباح
فهو يومٌ قد بدت فيهِ أماراتُ الفَلاح
يومُ لهوٍ وفُنونٍ من مجونٍ ومزاح
سيَّما والغيمُ قد أقْبلَ من كلٍّ النّواحي
واستغاث الماءُ في دجلةَ من جور الرّياح
ودَعا عَذْلكما لي في فسادي أو صلاحي
ففساد العقل أن أبْصر في ذا اليوم صاحي

وقال أيضاً :

زار طيفُ الخيال نِضْوَ خيال زورةً ما تموهَتْ بالوصالِ
غيرَ أنَّ المحبَّ يرضى بطَيفٍ أو بوعدٍ منغّصٍ بمطال
وعلى أنّهُ يسرّ ولكنْ حين يسري عنّي يزيد خبالي[1]
آهِ من قِلةِ التجلّدِ والصبْرِ وويلي من كثرة العذال
وبنفسي ذاك الغزالُ وحاشا حسنه أن أقيسَهُ بالغزال
والبديعُ الذي إذا بلبل الأصداغِ أعدى القلوب بالبلبال

[1] ص : خيالي .

ومُحيّاهُ كالهلالِ إذا أقـ ـمر في تمـهِ ولا كالهلال

وقال أيضاً :

قلتُ لها لا تقتلي مدنفـاً هَواكِ قد هيّجَ بلبالَهُ
ما زال يرجو منكِ وصلاً إلى أن قطع الهجرانُ أوصالهُ
فابتسمت تيهـاً وقالت وكم قد قتلت عينايَ أمثالهُ

١٢٧
[الوزير المهلبي]

الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون، أبو محمد الوزير المهلّبي، من ولد المهلب ابن أبي صفرة؛ كان كاتب معز الدولة ابن بُويَه، ولما مات الصيمري قلده معز الدولة الوزارة مكانه سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، وقرّبه وأدناه واختص به وعظم جاهه عنده، وكان يدبر أمر الوزارة للمطيع من غير تسمية الوزارة، ثمّ جُدِّدت له الخِلَع من دار الخلافة بالسواد والسيف والمِنطقة، ولقبه المطيع بالوزارة، ودبر الدولتين.

وكان ظريفاً نظيفاً [١]، قد أخذ من الأدب بحظّ وافر، وله همة كبيرة وصَدرٌ واسع، وكان جمّاعاً لخلالِ الرياسة صبوراً على الشدائد.

وكان أبو الفرج الأصبهاني وسخاً في ثوبه ونفسه وفعله، فواكل الوزيرَ المهلبي على مائدة، وقدمت سكباجة وافقت من أبي الفرج سعلة، فندرت من

١٢٧ - ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢ : ١٢٤ وانظر المنتظم ٧ : ٩ واليتيمة ٢ : ٢٢٤ ومعجم الأدباء ٩ : ١١٨ والشذرات ٣ : ٩؛ وهذه الترجمة ليست من المستدرك على ابن خلكان.

١ ص : نضيفا .

فمه قطعة بلغم وقعت في وسط الصحن ، فقال المهلبي : ارفعوا هذا وهاتوا من هذا اللون في غير هذا الصحن ، ولم يَبِن في وجهه استكراه ، ولا داخل أبا الفرج حياء ولا انقباض .

وكان من ظرف[1] الوزير المهلبي إذا أراد أكل شيء من أرز بلبن وهرايس وحلوى دقيق وقف إلى جانبه الأيمن غلام معه نحو من ثلاثين مِلعقة زجاجاً مجروداً ، فيأخذ الملعقة من الغلام الذي على يمينه ويأكل بها لقمة واحدة ثم يدفعها إلى الغلام الذي على يساره لئلا يعيد المِلعقة إلى فيه مرة ثانية .

ولما كثر على الوزير استمرار ما يجري من أبي الفرج جعل له مائدتين إحداهما كبيرة عامة ، والأخرى لطيفة خاصة يواكله عليها مَن يدعوه إليها . وعلى صنعه بأبي الفرج ما كان يصنعه ما خلا من هجوه، فإن أبا[2] الفرج قال :

أبعينِ مفتقر إليكَ نظرتَني فأهنتني وقذفتني من حالقِ
لستَ الملومَ أنا الملومُ لأنني أنزلتُ آمالي بغيرِ الخالق

ويروى هذان البيتان[3] للمتنبي ، رواهما[4] له تاج الدين الكندي ، والله أعلم لمن هما .

وكان[5] قبل وزارته قد سافر مرة ولقي في سفرِه مشقة شديدة ، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه ، وكان معه رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفي ، فقال المهلبي ارتجالاً :

ألا موتٌ يباعُ فأشتريـــهِ فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ

---

١ ص : طرف .

٢ ص : أبو .

٣ ص : هذين البيتين .

٤ ص : رواها .

٥ انظر ابن خلكان ١ : ١٢١ .

إذا أبصرتُ قبراً من بعيدٍ   وددتُ لوانّني ممّا يليهِ
ألا موت لذيذ الطعم يأتي   يخلّصني من الموت الكريهِ
إلاّ رَحِمَ المهيمن نفسَ حرٍّ   تصدقَ بالوفاةِ على أخيهِ

فلما سمع الأبياتَ اشترى له بدرهم لحما[1] وطبخه وأطعمه، وتفارَقا، وتنقلت الأحوال بالمهلبي وولي الوزارة، وضاقت الأحوال برفيقه الصوفي، فقصده وكتب إليه :

ألا قل للوزير فَدَتْهُ نفسي   مقالَ مُذكّر ما قد نسيهِ
أتذكر إذ تقول لضيقِ عيشٍ   «ألا موت يباع فأشتريهِ»

فلما قرأ الأبيات تذكره، وأمر له في الحال بسبعمائة درهم، ووقع له في رقعته ﴿مَثَلُ الّذينَ يُنفِقُونَ أموالهمْ في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة﴾ (البقرة: ٢٦١) ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يليق به.

ولما ترقت به الحال قال :

رقّ الزمانُ لفاقتي   ورَثَى لطول تقلقي
فأنالَني مـــا أرتجيـ   ـهِ وحاد عمّا أتقي
فلأصفحَنْ عمّا جناه   من الذّنوبِ السُّبَّقِ
حتّى جنـــايته بمـــا   فعل المشيبُ بمفرقي

ومن شعره :

قال لي من أُحبُّ والبينُ قد جـ   ـدّ وفي مهجتي لهيبُ الحريقِ
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ؟   قلت أبكي عليك طول الطريق

---

[1] ص : لحم.

قال أبو إسحاق الصابي : كنت يوماً عند الوزير المهلبي ، فأخذ ورقة وكتب فيها ، فقلت بديهاً :

له يدٌ أبدعتْ[1] جوداً بنائلها ومنطقٌ دره في الطِّرس ينتثرُ
فحاتم كامنٌ في بطنِ راحتهِ وفي أناملها سَحْبانُ يستترُ

ومن شعره :

الجودُ طبعي ولكن ليس لي مالُ وكيف يصنعُ مَن بالقرض يحتالُ
فهاكَ خطي فخذه معكَ تذكرةً إلى اتّساعٍ فلي في الغيب آمالُ[2]

ومنه :

أتاني في قميص اللاذ يسعى عَدُوٌّ لي يلقَّب بالحبيب
فقلتُ له فديتكَ كيف هذا بلا واشٍ أتيتَ ولا رقيب
فقال الشمسُ أهدتْ لي قميصاً كلونِ الشمس في شفقِ الغروب
فثوبي والمدامُ ولونُ خدي قريبٌ من قريبٍ من قريب

ومنه :

تُطوى بأوتارها الهمومُ كما يُطوى دجى اللّيلِ بالمصابيحِ
ثمَّ تغنَّتْ فخلْتُهـا سمحتْ بروحها خلعةً على روحي

كان أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري الواعظ المُلَقَّب بالظاهر[3] كثير الملازمة للوزير المهلبي ، فاتفق أن غسل ثيابه ، فأنفذ الوزير يدعوه فاعتذر ، فلم يقبل ، وألح في استدعائه ، فكتب إليه :

عبدكَ تحتَ الحبلِ عريانُ كأنه — لا كان — شيطانُ
يغسل أثواباً كأن البِلى فيها خليط وهي أوطان

---

١ ص : ابرعت . ٢ بهامش ص تصويب : فهاك خطي إلى أيام ميسرتي : ديناً عليّ ...
٣ سيترجم له المؤلف ، انظر رقم : ١٦٣ .

أرقّ من ديني وإن كان لي   دِين كما للناس أديان
كأنها حاليَ من قبلِ أنْ   يصبحَ عندي لك إحسان
يقول مَنْ يبصرني معرضاً   فيهـــا وللأقوال برهان
هذا الذي قد نسجت فوقه   عناكب الحيطـــان إنسان

فأنفذ إليه جبّـة وقميصاً وعمامة وسراويل وخمسمائة درهم ، وقال : أنفذت إليك ما تلبسه ، وما تدفعه إلى خياط ، فإن كنت غسلت التكة واللالكة [1] عرفني لأنفذ لك عوضهما .

ومن شعر الوزير المهلبي :

تصارمَتِ الأجفانُ لما هجرتني   فما تلتقي إلاّ [على] [2] عبرة تجري

وطوّل ياقوت ترجمته .

وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بطريق واسط ، وحمل إلى بغداد ، رحمه الله تعالى .

١٢٨

ابن كسرى المالقي

الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ، أبو علي المالقي المعروف بابن كسرى ؛ قال ابن الأبار في « تحفة القادم » [3] ؛ توفي سنة أربع وستمائة ، رحمه الله . ومن

---

١ اللالكة : نوع من النعال ، وتكتب أحياناً « لالجة » .

٢ بهامش ص : صوابه : إلا وعبرتها تجري .

١٢٨ – التكملة : ٢٦٤ وانظر نفح الطيب ٣ : ٣٩٩ حيث ورد اسمه « ابن كسرين » . وبغية الوعاة : ٢٢٩ والزركشي ١ : ٩٨ .

٣ التحفة : ٩١ .

شعره في طفل قَبَّله فاحمرَّتْ وجنته :

وا بأبي رائق الشباب ويا[1] بهجةَ خَدَّيه ما أُمَيْلحها
كأنّي عنـــدما أقبلها أنفخ في وردةٍ لأفتحها

وقال :

وخالقْ بنقصانٍ جميعَ الورى تَسُد فيا سوءَ ما تَلْقاهُ إن كنتَ فاضلا
ألمْ ترَ أنَّ البَدْرَ يُرْقَبُ ناقصــا ويُترك منسيّــاً إذا كانَ كاملا

وقال في ابن خلدون :

يا شاعراً يتسامى وجَدّهُ خلدونُ
لم يكفِ أنك خَلٌّ حتى بأنك دونُ

١٢٩

[أبو الفضائل الصاغاني]

الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي ، العلاّمة رضي الدين أبو الفضائل القرشي العدوي العُمَري ، المحدث الفقيه الحنفي اللغوي النحوي الصاغاني ؛ وصاغان من بلاد ما وراء النهر .

قال ياقوت : قدم العراق وحجّ ، ثم دخل اليمن ونفق [له] بها سوق ، وله تصانيف في الأدب منها « تكملة العزيزي » وكتاب في التصريف ومناسك الحج

---

١ في ص : دنا ، وقد صوبت في الهامش بخط مختلف .

١٢٩ – معجم الأدباء ٩ : ١٨٩ وبغية الوعاة : ٢٢٩ والشذرات ٥ : ٢٥٠ (وفيات سنة ٦٥٠) وعبر الذهبي ٥ : ٢٠٥ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٦ والوافي للصفدي ؛ ومعظم هذه الترجمة لم يرد في المطبوعة .

ختمه بأبيات قالها وهي :

شوقي إلى الكعبة الغرّاء قد زادا	فاستحمل ِ القُلُص َ الوخّادة َ الزادا
أراقكَ الحنظلُ العاميّ منتجعاً	وغيرك انتجع السعدان وارتادا
أتعبتَ سرحك حتى آض عن كثبٍ	نياقها رزّحاً والصعبُ منقادا
فاقطع علائق ما ترجوه من نسبٍ	واستودع الله أموالاً وأولادا

وكان يقرأ عليه بعدن « معالم السنن » للخطابي ، وكان معجباً به وبكلام مصنفه. ويقول : إن الخطابي جمع لهذا الكتاب جراميزه [1] . وقال لأصحابه : احفظوا « غريب » أبي عبيد القاسم بن سلام ، فمن حفظه ملك ألف دينار ، فإني حفظته فملكتها ، وأشرت على بعض أصحابي بحفظه فحفظه وملكها .

قال ياقوت : وفي سنة ثلاث عشرة [2] وستمائة كان بمكة ، وقد رجع من اليمن ، وهو آخر العهد به .

وقال الشيخ شمس الدين في حقه : هو صاحب التصانيف ، ولد بمدينة لوهور سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ونشأ بغزنة ، ودخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة ، وذهب منها بالرسالة الشريفة إلى ملك الهند سنة سبع عشرة [3] وأقام بها مدة ، ثم رجع وقدم سنة أربع وعشرين ، ثم أعيد إليها بالرسالة ، ثم رجع إلى بغداد سنة سبع وثلاثين ، وسمع بمكة واليمن والهند وببغداد ، وكان إليه المنتهى في علم اللغة ومعرفة اللسان العربي ، صنف كتاب « مجمع البحرين في اللغة » اثنا عشر مجلد ، و « العباب الزاخر » عشرين مجلد ، ولم يكمل ، رأيته بدمشق بخطه ، وأبيع في سوق الكتب ، وله كتاب « الشوارد في اللغات » وكتاب « توشيح الدريدية » وكتاب « التراكيب » وكتاب « فعال » وكتاب « فعلان »

---

١ جمع جراميزه كناية عن الاستعداد والتشمير .

٢ ص : ثلثة عشر .

٣ ص : سبعة عشر .

وكتاب « الانفعال » وكتاب « يفعول »[1] وكتاب « الأضداد » وكتاب « العروض » وكتاب « أسماء العادة » وكتاب « أسماء الأسد » و « أسماء الذئب » وكتاب في علم الحديث و « مشارق الأنوار في الجمع بين الصحيحين » و « مصباح الدجى » و « الشمس المنيرة » و « شرح البخاري » في مجلد و « در السحابة في وفيات الصحابة » وكتاب « الضعفاء » و « الفرائض » و « شرح أبيات المفصل » وغير ذلك .

قال الدمياطي : كان شيخاً صالحاً صموتاً عن فُضول الكلام ، صدوقاً في الحديث ، إماماً في اللغة والفقه والحديث ، قرأت عليه وحضرت دفنه بداره بالحريم الظاهري ، ثم نقل بعد خروجي من بغداد إلى مكة ودفن بها ، وكان قد أوصى بذلك ، وأعدّ خمسين ديناراً لمن يحمله . وتوفي سنة خمسين وستمائة[2] .

قال العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي : حكى لي الشيخ شرف الدين الدمياطي أن الصاغاني كان معه ولد ، وقد حكم فيه بموته في وقت ، وكان يترقب ذلك الوقت ، فحضر ذلك اليوم وهو مُعافى قائم ليس به علة ، فعمل لأصحابه وتلامذته طعاماً شكران ذلك ، وفارقناه ، وعديت الشط فلقيني مَن أخبرني بموته ، فقلت له : الساعة فارقته ، فقال : والساعة وقع الحمام بخبر موته فجأة ، أو كما قال ، رحمه الله تعالى ، وعفا عنه وعنّا وعن جميع المسلمين بمنّه وكرمه .

---

١ نشره الدكتور إبراهيم السامرائي بمجلة كلية الآداب بجامعة البصرة (العدد الخامس) وصدره بمقدمة عن الصاغاني ومؤلفاته .

٢ ص : وثلثمائة ، وهو سهو حتماً ، وقد صوب في الحاشية بخط مختلف .

١٣٠

[أبو علي السهواجي]

الحسن ابن محمد السَّهْواجي أبو علي ؛ قال ياقوت : أديب شاعر لبيب مشهور مذكور ، وسهواج من قرى مصر ، صنف كتاب « القوافي » . وتوفي بمصر سنة أربعمائة ، رحمه الله ؛ ومن شعره :

وقد كنتُ أخشى الحبّ لو كان نافعي ... من الحبّ أن أخشاه قبل وقوعِهِ

كما حَذرَ الإنسان منْ نوم عينهِ ... ونامَ ولمْ يَشْعرْ أوانَ هجوعِهِ

ومنه :

قوم كرامٌ إذا سَلوا سيوفَهُمُ ... في الرَّوعِ لم يغمدوها في سوى المهجِ

إذا دجا الخطب أو ضاقت مذاهبه ... وجدت عندهم ما شئت من فرج

ومنه :

كرامُ المساعي في اكتساب محامدٍ ... وأهدى إلى طرق المعالي من القطا

وأبوابهمْ معمورةٌ بعُفـاتهمْ ... وأيـديهُمُ ما تستريحُ من العطا

ومنه :

ذكَرَتْ إلفها فحَنّتْ إليهِ ... فبكينـا من الفراقِ جميعا

---

١٣٠ — معجم الأدباء ١٠ : ١٦٠ وفيه « الحسين » ؛ والزركشي : ٩٨ والوافي للصفدي ، ونسبته بالشين في ص .

١٣١

العز الإربلي الضرير

الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الإربلي ، الفيلسوف عز الدين الضرير ؛ كان بارعاً في العربية والأدب ، رأساً في علوم الأوائل، وكان بمنزله بدمشق منقطعاً ، ويقرىء المسلمين وأهل الكتاب والفلاسفة ، وله حرمة وافرة ، وكان يهين الرؤساء وأولادهم بالقول ، وكان مخلاً بالصلوات يبدو منه ما يشعر بانحلاله ، وكان يصرح بتفضيل عليٍّ على أبي بكر ، وكان حسن المناظرة ، له شعر خبيث الهجو ، روى عنه من شعره وأدبه الدمياطي وابن أبي الهيجا ، وتوفي سنة ستين وستمائة .

ولما قدم القاضي شمس الدين بن خلكان ذهب إليه فلم يحتفل به ، فأهمله القاضي وتركه .

قال عز الدين بن أبي الهيجا : لازمت العز الضرير يوم موته ، فقال : هذه البِنْية قد تحللت ، وما بقي يرجى بقاؤها . واشتهى أرز بلبن فعمل له وأكل منه ، فلما أحس بشروع خروج الروح منه قال : قد خرجت الروح من رجلي ثم قال : قد وصلت إلى صدري ، فلما أراد المفارقة بالكلية تلا هذه الآية ﴿ألا يعلمُ مَنْ خلق وهو اللطيفُ الخبير﴾ (الملك : ١٤) ثم قال : صدق الله العظيم ، وكذب ابن سينا ، ثم مات في ربيع الآخر ، ودفن بسفح قاسيون ، ومولده بنصيبين سنة ست وثمانين وخمسمائة .

قال الشيخ شمس الدين : وكان قذراً زريّ الشكل قبيح المنظر ، لا يتوقى

---

١٣١ – الوافي والزركشي : ٩٨ ونكت الهميان : ١٤٢ والشذرات ٥ : ٣٠١ (حسين) وعبر الذهبي ٥ : ٢٥٩ وذيل الروضتين : ٢١٦ وذيل مرآة الزمان ٢ : ١٦٥ .

النجاسات ، ابتلي مع العمى بقروح وطلوعات ، وكان ذكياً جيد الذهن . ومن شعره ذوبيت :

لو كان ليَ الصبرُ من الأنصارِ ما كان عليك هُتّكَتْ أستاري
ما ضرّكَ يا أسمرُ لو بتَّ لنا في دهركَ ليلَةً من السُّمّارِ

ومنه :

لو ينصرني على هواه صبري ما كنتُ ألذ فيه هَتكَ السّترِ
حرّمتُ على السمع سوى ذكرهمُ ما لي سمَرٌ سوى حديث السُّمْرِ

ومن شعره في العماد ابن أبي زهران :

تعمّم بالطرفِ من طرفه وقــامَ خطيباً لندمــانه
وقال السلامُ على من زنى ولاط وقــادَ لإخوانه
فردوا جميعاً عليه السلام وكلٌّ يترجمُ عن شانه
وقال يجوز التداوي بها وكلّ عليل بأشجانه

وله فيه ، وقد تلقب بالعماد وكان يلقب أولاً بالشجاع :

شجاع الدين عُمّدْتا فهلاّ كنت شُمّسْتا
خطيباً قمتَ سكرانا وبالزُّكْرةِ عُمّمتا

وقال :

توهم واشينا بليلٍ مَزارَهُ فهمَّ ليسعى بيننا بالتباعدِ
فعانقته حتى اتحدنا تَعانُقاً فلما أتانا ما رأى غير واحد

قال قاضي القضاة كمال الدين ابن العديم لما سمع هذين البيتين : مسكه مسكةَ أعمى .

وهذا المعنى تداوله الشعراء ولهجوا به ، قال سيف الدين المشد :

ولمّا زار مَنْ أهواهُ ليلاً وخِفنا أنْ يلمَّ بنا مراقبْ
تَعانَقْنا لأخفيَهُ فصِرْنا كأنّا واحد في عقد كاتب

وقال خالد الكاتب [1] :

كأنني عانقتُ ريحانة تنفست في ليلها الباردِ
فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسدٍ واحد

وقال نفطويه النحوي :

ولمّا التقينا بعد بعدٍ بمجلسٍ نغازلُ فيه أعينَ النرجس الغضِّ
جعلتُ اعتمادي ضمّه وعناقه فلمْ نفترقْ حتى توهمته بعضي

وقال غرس الدين أبو بكر الإربلي :

همَّ الرقيبُ ليسعى في تفرقنا ليلاً وقد بات من أهواه معتنقي
عانقته فاتّحدنا والرقيب أتى فمذ رأى واحداً ولّى على حنق

ومن شعر العز الإربلي ذوبيت :

إنْ أجفُ تَكلّفاً وفى لي طَبْعا أو خنت عهوده عهودي يرعى
يبغي لي في ذاك دوامَ الأسرِ هذا ضررٌ يحسبهُ لي نفعا

ومنه :

وكاعبٍ قالت لأترابها يا قومُ ما أعجبَ هذا الضريرْ
هل تعشق العينان [2] ما لا ترى فقلتُ والدمعُ بعيني غزير
إن كان طرفي لا يرى شخصها فإنها قد صُوِّرتْ في الضمير

وقال :

---

[1] لم يرد البيتان في المطبوعة .
[2] ص : العينين .

ذهبتْ بشاشةُ ما عهدتُ من الجوى وتغيّرتْ أحْوالهُ وتَنَكَّرا
وسلوتُ حتى لو سَرى من نحوكم طيفٌ لما حياه طيفي في الكرى

وقال[1] :

قم يا نديمُ إلى الإبريقِ والقدحِ هات الثلاثَ وسلْ ما شئتَ واقترحِ
وغنِّ إن غادرتني الكاس مطّرحاً وأنت يا صاحِ صاحٍ غيرُ مطّرحِ
عليك سقيُ ثلاث غير مازجها وما عليك إذن منّي ومن فرحي
إني لأفهم في الأوتار ترجمةً ما ليس تفهمه النسّاك في السبح

وقال :

قالوا عَشِقْتَ وأنت أعمى ظبياً كحيل الطرف ألْمى
وحُلاه ما عاينتها فتقول قد شغَفَتكَ وهما
وخَياله بك في المنا م فما أطاف ولا ألمّا
منْ أينَ أرسل للفؤا د ولم تراهُ العين سهما
فأجبت : إني مُوسَويُّ العشقِ إنصاتاً وفَهْما
أهوى بجارحَةِ السّما ع ولا أرى ذاتَ المسمّى

وشعر العز الإربلي كله جيد ، عفا الله عنه .

١٣٢
قوام الدين ابن الطراح

الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم ابن أبي سعيد الصاحب قوام الدين

---

١ لم ترد هذه الأبيات في المطبوعة .

١٣٢ – الوافي والزركشي : ٦٩ .

ابن الطراح ؛ قال أثير الدين : هو من بيت رياسة وحشمة وعلم وحديث ، وله معرفة بنحو ولغة ونجوم وحساب وأدب وغير ذلك ، وكان فيه تشيع يسير ، وكان حسن الصحبة والمحاورة ، وكان لأخيه فخر الدين المظفر بن محمد تقدم عند التتار ؛ قدم علينا قوام الدين إلى القاهرة ثم سافر إلى الشام ، ثم كر منها راجعاً إلى العراق مع غازان وكنت سألته أن يوجه لي شيئاً من أخباره وشيئاً من شعره ، فوجه إلي بذلك ، وكتب لي من شعره بخطه :

غديرُ دمعي في الخدِّ يطّرد   ونار وجدي في القلب تتّقدُ
ومهجةٌ في هواكَ أتلفها الـ   شوقُ وقلبٌ أودى به الكمدُ
وعدكَ لا يَنْقَضي له أمدٌ   ولا لليلِ المِطالِ منك غَدُ

ومنه :

لقد جُمعتْ في وجهِهِ لمحبِّهِ   بدائعُ لم يجمعن في الشمس والبدرِ
حبابٌ وخمر في عقيقٍ ونرجسٍ   وآسٌ وريحان وليل على فجرِ

وقال : كتب إلي أخي أبو محمد المظفر يعاتبني على انقطاعي عنه ، وهو الذي رباني وكفلني [1] بعد الوالد ، فقال :

لو كنت يا ابن أخي حفظتَ إخائي   ما طبتَ نفساً ساعةً بجفائي
وحفظتني حفظَ الخليلِ خليلَهُ   ورعيتَ لي عهدي وحسنَ وفائي
خلّفْتني قلقَ المضاجعِ ساهراً   أرعى الدجى وكواكبَ الجوزاء
ما كان ظني أن تحاول هجرتي   أو أن يكون البعد منك جزائي

فكتبت إليه الجواب :

إن غبتُ عنك فإن ودي حاضرٌ [2]   رَهْنٌ بمحضِ محبتي وولائي

---

١ ص : وكلفني .

٢ ص : حاظر .

ما غبتُ عنك لهجرةٍ تعتدها ... ذنباً عليَّ ولا لضعفِ وفائي
لكنني لمّا رأيتُ يدَ النوى ... ترمي الجميعَ بفرقة وتنائي
أشفقت من نظر الحسود لوصلنا ... فحجبته عن أعينِ الرقباء

١٣٣

الحسن بن وهب

الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الكاتب ؛ كان يذكر أنه من ولد الحارث بن كعب ، وهو معروف في الكتابة ، فآباؤه وأجداده كلهم كتبة في الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان الحسن يكتب بين يدي محمد بن عبد الملك ابن الزيات ، ثم إنه ولي ديوان الرسائل، وولي بعض الأعمال بدمشق، وبها مات وهو يتولى البريد آخر أيام المتوكل . ومولده سنة ست وثمانين ومائة .

قال المرزباني : بنو وهب كلهم كتاب ، وأصلهم نصارى من جند سابور ، تعلقوا بنسب في اليمن في بني الحارث بن كعب ، وكان عبيد الله وابنه القاسم يدفعان ذلك . وكتب الحسن إلى أخيه سليمان وقد نكبه الواثق :

اصبرْ أبا أيوبَ صبراً يرتضى [١] ... فإذا عجزتَ عن الخطوبِ فمن لها
الله يفرج بعد ضيقٍ كربها [٢] ... ولعلّهـا أن تنجلي ولَعَلّها

وكان الحسن قد جعل على نفسه أنه لا يذوق طيباً ولا يشرب شراباً حتى

١٣٣ – الأغاني ٢٢ : ٥٣٣ وسمط اللآلي : ٥٠٦ وابن خلكان ٢ : ١٥ – ١٨ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٢٥٢ والوافي ؛ وفي الترجمة أجزاء كثيرة أخلت بها المطبوعة .

١ الأغاني : خطب أبا أيوب جل محله .

٢ الأغاني : فاصبر لعل الصبر يفتق ما ترى .

يتخلص أخوه سليمان ، ووفى بذلك . ومن شعر الحسن :

جرّاكَ[1] عفوي على الذنوب فما تخاف عند الذنوب إعراضي
أشدّ يوم[2] أكونُهُ غَضَباً عليك فالقلبُ ضاحك راضي
أنتَ أميرٌ عليَّ مقتدر حكمك في قبض مهجتي ماضي
والخصمُ لا يرتجى الفلاحُ لهُ يوماً إذا كان خصمهُ القاضي

وقال :

أبكي فمن أيسر ما في البكا لأنّهُ للوجدِ تسهيلُ
وهو إذا أنتَ تأمّلتهُ حزنٌ على الخدين محلول

وزارته يوماً بنات جارية ابن حماد ، وكان يهواها ، وشرطت عليه أن تنصرف وقت أذان العشاء ، فلما أقبل الليل كتب إلى مؤذن محلته :

قل لداعي الصلاةِ أخِّرْ قليلا قد قضينا حقَّ الصلاةِ طويلا
ليس في ساعةٍ تؤخّرها إثـ ـمٌ تجازى به ، وتحيي قتيلا
وتراعي حقَّ المودّةِ فينا وتعافى من أن تكونَ ثقيلا

فحلف المؤذن أنه لا يؤذن العشاء شهراً .

قال الصولي في أخباره : كان أبو تمام يعشق غلاماً خَزَرياً للحسن بن وهب ، وكان الحسن يعشق غلاماً رومياً لأبي تمام ، فرآه يعبث بغلامه فقال : والله لئن سرت[3] إلى الرومي لأسيرنّ إلى الخَزَري ، فقال له الحسن : لو شئت حكمتنا واحتكمت ، فقال أبو تمام : أنا أشبهك بداود عليه السلام وأشبهني بخصمه ، فقال له الحسن : لو كان هذا منظوماً ، فقال أبو تمام من أبيات[4] :

---

١ ص : جزاك . ٢ ص : يوماً .
٣ ص : لا سرت .
٤ ديوان أبي تمام ٤ : ٤٦٣ – ٤٦٤ وأخبار أبي تمام : ١٩٤ مع اختلاف في بعض الرواية .

أذكرتني أمر داود وكنتُ فتًى ... مصرّف القلب في الأهواء والفكرِ
أعندك الشمس تُزهى في مطالعها ... وأنتَ مشتغلُ الأفكار بالقمر
إن أنت لم تترك ِ السيرَ الحثيث إلى ... جآذرِ الرومِ أعنقنا إلى الخزر
وربَّ أمنعَ منهُ جانباً وحِمًى ... أمسى وتكته مني على خطر
جردت فيه جيوش العزم فانكشفت ... عنه غياهبها عن نيكة هَدَرَ
أنت المقيم فما تغدو رواحلُهُ ... وأيره أبداً منهُ على سفرِ

وقيل لأبي تمام[1] : غلامك أطوعُ للحسن ابن وهب من غلامه لك، قال : أجَل ؛ لأنه يعطي غلامي مالاً ، وأنا أعطي غلامه قيلاً وقالا .

وكان[2] قد وقف ابن الزيات على ما يجري بينهما ، فاتفق أن عزم غلام أبي تمام على الاحتجام ، فكتب إلى الحسن بن وهب يعلمه بذلك ويستهديه مطبوخاً ، فوجه إليه بمائة دنٍّ مطبوخ ومائة دينار ، وكتب إليه :

ليت شعري يا أملحَ الناس عندي ... هل تداويتَ بالحجامةِ بعدي
دفع الله عنك لي كلَّ سوء ... باكرٍ رائحٍ وإن خنتَ عهدي
قد كتمتُ الهوى بأبلغ جهدي ... فبدا منهُ غيرُ ما كنتُ أبدي
وخلعتُ العذارَ إذ علم النّا ... سُ بأني إياكَ أصفي بودّي
فليقولوا بما أحبوا إذا كنـ ... ـتَ وصولاً ولم ترُعْني بصد

واتفق أنه وضع الرقعة تحت مصلاّه ، وبلغ محمد بن الزيات خبرها ، فوجه إلى الحسن مَنْ شغله بالحديث ، وأمر مَنْ جاءه بتلك الورقة ففكها وقرأها ، وكتب فيها على لسان أبي تمام الطائي :

ليت شعري عن ليت شعرك هذا ... أبهزلٍ تقولهُ أمْ بجِـــدٍّ

---

١ أخبار أبي تمام : ١٩٦ .
٢ المصدر نفسه .

فلئن كنتَ في المقال مجدّاً يا ابنَ وهب لقد تطرّفْتَ بعدي
لا أحبُّ الذي يلومُ وإنْ كا نَ حريصاً على صلاحي وزهدي
بل أحبُّ الأخَ المشاركَ في الحـ ـبِّ وإن لم يكنْ به مثل وجدي
كنديمي أبي علي وحاشا لنديمي من مثل شقوة جدّي
إنّ مولايَ عند غيري ولولا شؤم جدّي لكان مولاي عندي

وقال : ضعُوا الرقعة مكانها ، فلما رآها الحسن قال : إنا لله ، افتضحنا عند الوزير ، وأعلم أبا تمام بما جرى ووجّه إليه بالرقعة ، فلقيا محمد بن عبد الملك ، فقالا له : إنما جعلنا هذين الغلامين سبباً لمكاتبتنا بالأشعار ، فلا يظن بنا الوزير أعزه الله تعالى إلاّ خيراً ، فقال : ومن يظن غيرَ هذا بكما ؟ وكان هذا الكلام أشدّ عليهما .

ولما مات الحسن بن وهب رثاه البحتري بأبيات منها[1] :

أصابَ الدهرُ دولةَ آلِ وهبٍ ونالَ الليلُ منهمْ والنّهارُ
أعارَهمُ رداء العزّ حتّى تقاضاهم فردّوا ما استعاروا
وقد كانوا وجوههم بدور لمختبطٍ وأيديهمْ بحار

١٣٤
المستضيء بالله أمير المؤمنين

الحسن بن يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، أمير المؤمنين المستضيء

١ ديوان البحتري : ٩٦١ وفي الديوان أنه قال هذه القصيدة لما نكب الواثق آل وهب .

١٣٤ – ابن الأثير ١٣ : ٤٥٩ وابن خلدون ٣ : ٥٢٨ ومرآة الزمان : ٣٥٦ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٦٦ والروحي : ٦٧ والفخري : ٢٨٢ وتاريخ الخلفاء : ٤٧٦ والعبر ٤ : ٢٢٣ والشذرات ٤ : ٢٥٠ والوافي .

بالله ابن المستنجد ابن المقتفي ابن القائم ابن القادر ابن إسحاق ابن المقتدر ابن المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور . بويع بالخلافة بعد وفاة والده المستنجد يوم الأربعاء العاشر من ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة ، وعمره يومئذ عشرون سنة وتسعة أشهر ويومان ، ومولده سُحْرة يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وأمه أم ولد أرمنية اسمها غضة .

كان حليماً رحيماً شفوقاً ليناً ، سهل الأخلاق ، كريماً جواداً مِعْطاء ، كثير الصدقة والمعروف ، شديد البحث عن الفقراء وأحوالهم وتفقُّدهم بالبر والعطاء ، وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل . وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة وكان له من الولد أحمد وهو الإمام الناصر ، وهاشم أبو منصور .

ولما تولى المستضيء بالله نادى برفع المكوس وردّ المظالم الكثيرة ، وفرق مالاً عظيماً على الهاشميين والعلَويين والمدارس والرُّبُط ، وكان دائم البذل للمال ، وخلع على أرباب الدولة ألفا[1] وثلثمائة قَباء إبريسم لما استخلف ، وحرّر[2] سبعة عشر مملوكاً ، ثم احتجب عن الناس ولم يركب إلاّ مع الخدم ، ولم يدخل عليه غير قايماز .

وفي أيامه زالت دولة العُبيدية بمصر ، وضربت السِّكة باسمه ، وجاء البشير إلى بغداد ، وغلقت الأسواق ، وعملت القباب ، وصنف ابن الجوزي في ذلك كتاب « النصر على مصر » وخُطِبَ له بمصر وأسوان[3] والشام واليمن وبرقة ، ودانت الملوك لطاعته .

وكان يطلب ابن الجوزي ويأمره بعقد مجلس الوعظ ويجلس حيث يسمع .

ووزر له عضد الدين ابن رئيس الرؤساء ، وأبو الفضل زعيم الدين ابن جعفر ،

---

١ ص : ألف .

٢ ص : وأمر .

٣ ص : وأسواق .

ومحمد بن محمد بن عبد الكريم الأنباري ، ومات في الوزارة ظهير الدين ابن العطار. وكان على قضائه أبو الحسن علي بن الدامغاني ، وحاجبه مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب وأبو سعد محمد بن المعوج ، وقال فيه الحَيْصَ بيْصَ :

يا إمامَ الهدى عَلَوْتَ عن الجو ... دِ بمالٍ وفضّةٍ ونُضارِ
فوهبتَ الأعمارَ والمُدْنَ والبلدا ... نَ في ساعةٍ مضت من نهار
فبماذا أثني عليكَ وقد جا ... وَزْتَ فضلَ البحورِ والأمطار
إنّما أنتَ معجز مستقل ... خارقٌ للعقولِ والأبصار
جَمَعَتْ نفسُك الشريفةُ بالبأ ... سِ وبالجود بينَ ماء ونار

١٣٥

[ابن الجصاص]

الحسين بن عبد الله بن الحسين ، أبو عبد الله ابن الجصاص الجوهري ؛ كان من أعيان التجار ، ذو الثروة الواسعة ، ولما بويع لعبد الله ابن المعتز وانحلّ أمره وتفرق جمعه وطلبه المقتدر واختفى عند ابن الجصاص هذا ، فوشى به خادمٌ صغير لابن الجصاص فصادره المقتدر على ستة آلاف ألف دينار .

قال ابن الجوزي : أخذوا منه ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار عيناً وورِقاً وقماشاً وخيلاً ، وبقي له بعد المصادرة شيء كثير [١] إلى الغاية من دور

---

١٣٥ – المنتظم ٦ : ٢١١ (وفيات : ٣١٥) وأخبار الحمقى والمغفلين ٥٠ – ٥٨ وله قصص كثيرة في نشوار المحاضرة ، انظر مثلاً ١ : ٢٥ – ٣٧ ، ٢ : ٣٦ ، ٣٩ ، ٣١٢ – ٣١٧ ؛ وفي البصائر للتوحيدي وجمع الجواهر للحصري والهفوات النادرة للصابي وقد جمع أبو سعد الآبي في « نثر الدر » كثيراً من نوادره .

١ ص : شيئاً كثيراً .

وقماش وأموال وبضائع وضياع .

قال أبو القاسم علي بن المحسّن ابن علي التّنوخي عن أبيه قال[1] : حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد بن جعلان ، قال : حدّثني أبو علي أحمد بن الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري قال : قال لي أبي : كان بدءُ يَساري أني كنت في دهليز[حرم] أبي الجيش خُمارويه بن أحمد بن طولون، وكنت وكيله في ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاجون إليه ، وما كنت أفارق الدهليز لاختصاصٍ به ، فخرجت إليّ قهرمانة لهم في بعض الأيام ، ومعها عقد جوهر فيه مائتا حبة ، لم أرَ قبله أفخر ولا أحسن منه ، تساوي كلُّ حبة منه مائة ألف دينار عندي ، قالت: نحتاج أن تخرط هذه حتى تصغر فتجعل في آذان اللعب وفي قلائدهم، فكدت أطير ، وأخذتها وقلت : السّمع والطاعة ، وخرجتُ في الحال مسروراً ، وجمعت التجار ، ولم أزل أشتري ما قدرت عليه ، إلى أن جمعت مائة حبة أشكالاً في النوع الذي طَلَبته وأرادته ، وجئت عَشياً وقلت : إن خَرْط هذا يحتاجُ إلى زمانٍ وانتظار ، وقد خرطتُ اليوم ما قدرنا عليه ، وهو هذا ، ودفعت إليها المجتمع وقلت : الباقي يخرط في أيام ، فقنعت بذلك وأعجبها الحب ؛ وخرجت ، فما زلت أياماً[3] في طلب الباقي حتى اجتمع فحملته إليهم ، وقامت عليّ المائتا حبة بدون المائة ألف درهم ، وأخذت منهم جوهراً[2] بمائتي ألف ألف دينار ، ثم لزمت دهليزهم ، وأخذت لي غرفة كانت فيه فجعلتها مسكني ، وكان يلحقني من هذا أكثر مما يحصى ، حتى كثرت النعمة وانتهيت إلى ما استفاض خبره .

وحكى ابن الجصاص قال : كنت يوم قبض عليّ المقتدر جالساً في داري وأنا ضيق الصدر ، وكانت عادتي إذا حصل لي مثلُ ذلك أن أخرجَ جواهر[4]

---

١ نشوار المحاضرة ٢ : ٣١٢ .

٢ ص : جوهر .

٣ ص : أيام . ٤ ص : جواهراً .

كانت عندي في درج مُعَدَّة لمثل هذا من ياقوت أحمر وأصفر وأزرق وحباً كباراً[1] ودرّاً فاخراً ما قيمته خمسون ألف دينار ، وأضعه في صينية وألعب به فيزول قبضي ، فاستدعيت بذلك الدرج فأتي به بلا صينية ، ففرغته في حجري وجلست في صحن داري في بستان في يوم بارد طيّب الشمس ، وهو مزهر بصنوف الشقائق والمنثور ، وأنا ألعب بذلك إذ دخل الناسُ بالزعقات والمكروه ، فلما رأيتهم دُهِشتُ ونفضتُ جميع ما كان في حجري من الجوهر بين ذلك الزهر في البستان فلم يرَوْه ، وأخذت وحُمِلتُ وبقيت مدة في المصادرة والحبس ، وانقلبت الفصول على البستان وجفَّ ما فيه ، ولم يفكر أحد فيه ، فلما فرج الله عني وجئت إلى داري ورأيت المكان الذي كنت فيه ذكرتُ الجوهر ، فقلت : ترى بقي منه شيء ؟ ثم قلت : هيهات ! وأمسكت ، ثم قمت بنفسي ومعي غلام يثير البستان بين يدي ، وأنا أفتش ما يثيره ، وآخذ منه الواحده بعد الواحدة ، إلى أن وجدت الجميع ، ولم أفقد منه شيئاً .

وكان يُنسب إلى الحمق والبَلَه فمما يحكى عنه أنه قال في دعائه يوماً : اللهمّ اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم .

ودخل يوماً على ابن الفرات الوزير فقال : يا سيدي عندنا في الحوَيْرة كلاب لا يتركونا ننام من الصياح ، فقال الوزير : احسبهم جراء ، فقال : أيها الوزير لا تظن ذلك ، كل كلب مثلي ومثلك .

ونظر يوماً في المرآة فقال لرجل آخر : انظر ذقني هل كبرت أو صغرت ؟ فقال له : إن المرآة بيدك ، فقال : صدقت ، ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب.

ورؤي وهو يبكي وينتحب ، فقيل له : ما لك ؟ فقال : أكلت اليوم مع الجواري المخيض بالبصل فآذاني ، فلما قرأت في المصحف : ويسألونك عن المخيض قل هو أذًى فاعتزلوا النساء في المخيض فقلت : ما أعظم قدرة الله !

---

[1] ص : كبار .

قد بين كل شيء حتى أكل اللبن مع الجواري !

وأراد مرة أن يدنو من بعض جواريه فتمنعت عليه ، فقال : أعطي عهداً لله لا أقربُكِ إلى سنة لا أنا ولا أحد من جهتي .

وقال مرة : قد جرّبتُ يدي لو غسلتها ألف مرة ما تنظف [1] أو أغسلها مرتين.

وماتت أمّ أبي إسحاق الزجاج ، فاجتمع الناس عنده للعزاء ، فأقبل ابن الجصاص وهو يضحك ويقول : يا أبا إسحاق ، والله سرني هذا ، فدهش أبو إسحاق والناسُ وقال بعضهم : يا هذا كيف سرّك غمه وغمنا ؟ قال : بلغني أنه هو الذي مات ، فلما صح عندي أنها أمّه سرني ذلك ، فضحك الناس .

وكان يكسر يوماً لوزاً فطفرت لوزة وأبعدت ، فقال : لا إله إلاّ الله ، كل الحيوان يهرب من الموت حتى اللوز .

وقال يوماً في دعائه : اللهم إنك تجد مَنْ تعذبه سوايَ ، وأنا أجد من يرحمني سواك ، فاغفر لي .

وقال يوماً : اللهم امسخني واجعلني حورية وزوجني بعمر بن الخطاب ، فقالت له زوجته : سَلِ الله أن يزوجك من النبي صلى الله عليه وسلم إن كان لا بد لك أن تبقى حورية ، فقال : ما أحب أن أصير ضرة لعائشة رضي الله عنها .

وأتاه يوماً غلامه بفَرْخ وقال : انظر هذا الفرخ ما أشبهَهُ بأمّه ؛ فقال : أمّه ذكر أو أنثى ؟

وبنى ابنه داراً وأتقنها ثم أدخل أباه ليراها وقال له : انظر يا أبه ، هل فيها عيب [2] ؟ فطاف بها ودخل المستراح واستحسنه وقال : فيه عيب ، وهو أن بابه ضيق لا تدخل منه المائدة .

وكتب إلى وكيل له أن يحمل إليه مائة مَنّ [3] قطناً ، فلما حملها إليه حلّجها

---

١ ص : تنضف .

٢ ص : عيباً .

٣ ص : منا .

فاستقلّ المحاوج؛ وكتب إليه : هذا لم يجيء منه إلاّ الربع ، فلا يزرع بعدها قطن إلاّ بغير حب ، ويكون محلوجاً[1] .

وقال يوماً لصديقه : وحياتك الذي لا إله إلاّ هو .

وانبثق له كنيف فقال لغلامه : بادر أحضر من يصلحه لنتغدى به قبل أن يتعشى بنا .

وطلب يوماً من البستاني الذي له بصلاً بخلّ ، فأحضر إليه بصلاً[2] بلا خل ، فقال : لأي[3] شيء ما تزرعه بخل ؟

والصحيح أنه كان يتظاهر بذلك ليرى الوزراء منه هذا التغفيل فيأمنوه على أنفسهم إذا خلا بالخلفاء . وتوفي بعد العشرين والثلثمائة تقريباً، عفا الله عنه ورحمه.

١٣٦

ابن رواحة الحموي

الحسين بن عبد الله بن رواحة ، أبو علي الأنصاري الفقيه الشافعي الشاعر ، ابن خطيب حماة؛ ولد سنة خمس عشرة[4] وخمسمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة . سمع بدمشق من أبي المظفر الفلكي وأبي الحسن عليّ بن سليمان المرادي ، والصائن هبة الله وجماعة ، ووقع في أسر الفرنج وبقي عندهم مدة ، وولد له بجزائر البحر عز الدين عبد الله ، وقدم به إلى الاسكندرية ، وأسمعه الكثير من السلفي ، وكان قد سافر في البحر إلى الغرب فأسر وخلصه الله تعالى ،

---

١ ص : محلوج .   ٢ ص : بصل .

٣ ص : لا .

١٣٦ – الوافي والزركشي : ١٠٧ ومعجم الأدباء ١٠ : ٤٦ .

٤ ص : خمس عشر .

وحصلت له الشهادة على عكا .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

يا قلب دعْ عنكَ الهوى قسرا   ما أنتَ منهُ حامداً أمْرا
أضعْتَ دنيايَ بهجْرانـــــهِ   إن نلت وصلاً ضاعت الأخرى

ومنه :

لاموا عليكَ وما دَرَوْا   أن الهوى سبب السعاده
إن كان وصلاً فالمُنى   أو كان هجراً فالشهاده

[ومنه] :

إن كان يحلو لديك قتلي   فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني   وبينك اللهُ في الحساب

١٣٧

[سعد الدين الطيبي]

الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن بكر بن شبيب الطيبي أبو عبد الله الكاتب ، سعد الدين ؛ كان من الأعيان الفضلاء المشهورين بالأدب وكمال الظرف ، اختص بالإمام المستنجد بالله ومنادمته ؛ ولي الإشراف بالمخزن أيام المستضيء بالله ، ولما عزل ابن العطار عن نظر المخزن تولى سعد الدين مكانه أيام الإمام الناصر سنة خمس وسبعين ، ثم عزل في سنته[1] .

دخل يوماً على المستنجد فقال له : ابن شبيب ؟ فقال له : عندك يا أمير

١٣٧ – الوافي والزركشي : ١٠٧ ومعجم الأدباء ١٠ : ١٢٦ وفيه « النصيبي» بدل « الطيبي» .

١ ولي الأشراف . . . سنته : لم يرد في المطبوعة .

المؤمنين ، فأعجبه هذا التصحيف منه .

وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال : ابن شبيب ، حُلو التشبيب ، رقيق نسيم النسيب . ومن شعره في المستنجد بالله :

أنت الإمام الذي يحكي بسيرته من ناب بعد رسولٍ أو خلَفا
أصبحتَ « لُبَّ » بني العباس كلّهم إنْ عدِّدت بحروف الجمّل الخُلَفا

المستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء ، و « لب » جُمّلُ حروفها اثنان وثلاثون .

ولد ابن شبيب سنة خمسمائة وتوفي سنة ثمانين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة معروف الكَرخي ، رحمه الله تعالى وإيانا . ومن شعره :

وأغْيَدَ لم تسمَحْ لنا بوصالهِ يدُ الدهر حتى دبَّ في عاجه النملُ
تمنّيتُ لمّا اختطَّ فقدانَ ناظري ولم أرَ إنساناً تمنّى العمى قبلُ
ليبقى على مرّ الزمانِ خيالُهُ حيالي ، وفي عيني لمنظره شكلُ

وله :

سرى والدجى تصبي غدائره الجونُ نسيمٌ على سرّ الأحبّةِ مأمونُ
فراحت قدود البانِ من سكر راحه نشاوى فقد كادت تميدُ الميادين
وشقّ له وردُ الشقائقِ جيبه من الوجد وارتاحت إليه الرياحين
وغنّتْ له الورقاء بين مورّق تجاوبها من جانبيه الوراشين
فبلّغَ من سرّ التحايا لطائماً فهاج غرامٌ بالأضالع مكنون
تهادى به طيف البخيلةِ واهتدى ومن دوننا البين المشتّ أو البين
عليهِ من الظّلماءِ رَيْطٌ ممسّكٌ وفي جيده من لؤلؤ الطلّ موضون
وما استيقظ الواشونَ إلاّ بنشره فقالوا ، وما قالوه حدسٌ وتخمين
وعرّج عنّا يجعل الليلَ مركباً له ، وقمير الفجر في الشرق عرجون
صبّاً أذكرت عهدَ الصبا وصبابتي بأسماء إذْ دارُ الأحبّةِ دارين

سرى حيث لا تسري الشمول ودونه هوى وافرٌ بين الجوانحِ مدفون
وبحر الهوى حامي الغوارب مزبد مخوفٌ وفلكي بالصبابةِ مشحون
مشارعُ للعُشّاقِ فيهـا مناسكٌ لدين التصابي والنّفوس قرابين
صحا القلب إلاّ عن هواها فانني بها بعد هجران الغواية مفتون
إذا جَنَّ ليلي جُنَّ قلبي صبابـة بهم وليالي العاشقين بحارين
وقد ظنَّ خالٍ من جوى الحب أنما يخَصّ به الماضون قيس وميمون
لعمرك كم للعامريـات مَنْ به جنونٌ وكم للدارميات مسكين
وكم لأمير المؤمنين صنـائعٌ هي الرمل ما ضمت زرود ويبرين

وله أيضاً :

إذا حلَّ تشرينُ فاحلل أوانا[1] فإن لكلّ سرورٍ أوانـا
فهـذا الربيعُ صفـا ظلّه ورقَّ النّسيمُ سُحَيراً ولانا

منها :

وقد سكنت نزوات العقار وبان الوقـار عليها وآنـا
وصهباء لم تبتذلهـا اليهود ولا دوّستها النصارى امتهانا
تأنق في عصرها المسلمون بأيمـانهم يملأون الدنانـا
فمازج نشوتهـا عِزّة فصالت على العقل حتى استكانا
فقد حرّموهـا لأنَّ الوضيعَ من جهلهِ بالشريف استهانا
وندبٍ نـدبنا لتَحْصيلِهـا فما حسر الصبح حتى أتانـا
فجاء بهـا عَطِراً نشرهـا فأهدت على السفح رنداً وبانا
وقُمْنـا نقبّل تيجـانهـا ونشكر مَنْ باعها واشترانا
أهنّـا الكرائمَ في مهرها ولن يُكْرَمَ المرءُ حتى يهـانا
وطاف بهـا وبضرّاتهـا غزالٌ إذا صدقَ الوعدَ مانـا

---

1 أوان : من نواحي دجيل بغداد (ياقوت) .

فما درّة شدخت بـــالضيا   نهاراً وما جبت عنها الصوانا
تراءت فكفّر غواصهـــــا   لديهـــا وأسجدتِ المرزبانا
بأحسنَ ممّنْ أدار المدامَ   فورَّستِ الكاسُ منه البنانا

قوله : « فمازج نشوتها عزة » . . . البيتين ، يشبه قول الحيص بيص :

لا تضعْ من عظيمِ قدر وإن كنـ   ـت مشاراً إليـهِ بالتعظيمِ
فالشريف الرفيع يسقط قدراً   بالتجري على الشريف العظيمِ
ولع الخمرُ بالعقول رمى الخمـ   ـرَ بتنجيسهـــا وبالتحريمِ [1]

وكان ابن شبيب مقداماً على حل الألغاز ، ولا يكاد يتوقف عما يسأل عنه ، فتفاوض أبو غالب ابن الحصين هو وأبو منصور محمد بن سليمان بن قتلمش في أمر ابن شبيب هذا وما هو عليه من حل اللغز ، فقال أبو منصور : تعال حتى نعمل لغزاً محالاً ونسأل عنه ، فنظم أبو منصور :

وما شيء له في الرأس رِجْلٌ   وموضعُ وجهه منه قفاهُ
إذا غمضتَ عينك أبصرَتْهُ   وإن فتّحْتَ عينك لا تراه

ونظم أيضاً :

وجارٍ و [هو] تيار   ضعيف العقل خوار
بلا لحمٍ ولا ريشٍ   ولكنْ هو طيّار
بطبعٍ باردٍ جداً   ولكنْ كلّه نار

وأنفذا اللغزين إليه ، فكتب على الأول : هو طيف الخيال ، وكتب على الثاني : هو الزئبق ، فجاءا إليه وقالا : هب اللغز الأول هو طيف الخيال ، والبيت [الثاني] يساعدك عليه، فكيف تعمل في البيت الأول ؟ فقال: لأن المنامات تفسّر بالعكس ؛ لأن من بكى يفسر له بالضحك ، ومن مات فسّر له بطول العمر .

---

١ ابتداء من القصيدة النونية حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

وقوله في الثاني « هو طيار » : أرباب صنعة الكيمياء يرمزون الزئبق بالطيار والفَرَّار والآبق وما أشبه ذلك ، لأنه يناسب صفته ، وأما برده فظاهر ، ولإفراط برده ثَقُلَ جرمه، وكله نار لسرعة حركته وتشكله في افتراقه والتئامه ، وعلى كل حال ففي ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الأشياء الباطلة إذا نزلت على الحقائق .

وقد ذكر ابن شرف القيرواني في كتابه « أبكار الأفكار » عن رجل يُعرَف بأبي علي التونسي أنه وضع ألغازاً[1] من هذه المادة التي لا حقيقة لها ، وأنشده إياها ، فيجيب عنها على الفور وينزلها على حقائق، من ذلك أنه وضع لغزاً[2] ، وهو :

ما طائرٌ في الأرض منقارهُ وجسمُهُ في الأفق الأعلى
ما زال مشغولاً به غيرهُ ولا يرى أن له شغلا

فقال للوقت والساعة : هو الشمس ، وأخذ يتكلم على شرح ذلك، وذكر عدة ألغاز صنعها له ، وهو ينزلها على حقائق ، ويذكر لها مناسبات لائقة بذلك، وسرد جميع ذلك في « أبكار الأفكار » ، والله أعلم .

١٣٨

[أبو عبد الله ابن ممويه]

الحسين بن علي بن محمد بن ممويه ، أبو عبد الله ، المعروف بابن قُمٍّ ؛ ولد بزبيد ، وكتب رسالته المشهورة عنه إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد ابن المظفر بن علي الصليحي اليماني ، بعد انفصاله عنه ، رواها الحافظ أبو طاهر

---

١ ص : ألغاز .

٢ ص : لغز .

١٣٨ – الخريدة (قسم الشام) ٣ : ٧٤ ومعجم الأدباء ١٠ : ١٣٢ والوافي للصفدي .

السِّلفي عنه سنة اثنتين[1] وستين وخمسمائة ، والرسالة المذكورة : كتب عبد حضرة السلطان الأجل ، مولاي ربيع المجدبين ، وقريع المتأدبين ، جلاء[2] الملتبس ، وذكاء[3] المقتبس ، شهاب المجد الثاقب ، ونقيب ذوي المناقب، أطال الله بقاءه ، وأدام علوّه وارتقاءه ، ما أجابت العادية المستغير[4] ، ولزمت الياء التصغير ، وجعل رتبته في الأولية وافرة السهام ، كحرف الاستفهام ، وكالمبتدأ لأنه وإن تأخر في البنية ، فإنه مُقدَّم في النيّة ، ولا زالت حضرته للوفود مزدحماً، ومن الحوادث حِمىً ، حتى يكون في العلا ، بمنزلة حروف[5] الاستعلا ، فإنهن[6] لحروف اللين حُصون، وما جاورهن عن الإمالة مَصون ، ولا زال عدوه كالألف ، في أنّ حالها تختلف ، فتسقط في صلة الكلام ، لا سيما مع اللام ، ولا تكون أولاً بحال ، وإن تقدم همز فاستحال ، لأنه — أدام الله علوّه — أحسن إليّ ابتداء ، ونشر عليّ من فضله رداء ، أراد إخفاءه، فكشف خفَاءه، ومن شرف الإحسان، سقوط ذكره عن اللسان، كالمفعول رُفِـعَ رَفْعَ الفاعِل الكامل ، لما حذف من الكلام ذكر العامل، يهدي إليه سلاماً، ما الروض ، ضاحكه النوض[8]، غرس وحرس ، وسقي ووقي ، وغيث وصيب ، فأخذ من كل نَوٍّ بنصيب ، زَهاه الزهر، وسقاه النهر، جاور[9] الأضا ، فحسن وأضا ، رتعت فيه الفور[10] ،

---

١ ياقوت : ثمان .

٢ ياقوت : جلوة .

٣ ياقوت : وجذوة .

٤ ياقوت : ما قدمت العارية للمستعير .

٥ ص : حرف .

٦ ص : فإنهم .

٧ ياقوت : وهو في الرمز طيار .

٨ النوض : البرق ، أو سرب الماء .

٩ ص : جاوز .

١٠ الفور : الظباء .

ومرح العصفور ، فاطلع من التمراد[1] ، وقد ظفر بالمراد، فنظر إلى أقاحيه . تفتر في نواحيه ، وإلى البَهار ، يضاحك شمس النهار ، فجعل يلثم من ورده خدودا ، ويهصر من أغصانه قدودا ، ويقتبس النار ، من الجلنار، ويلتمس العقيق ، من الشقيق ، فغرد ثملا ، وغنّى خفيفا ورملا ، بأطيب من نفحته المسكية ، وأعطر من رائحته الذكية ، مع أني وإن أهديته في كل أوان ، عن أداء ما يجب عليّ غير وانٍ ، أعادّ نفسي السكيت اللاحق[2] ، لما يجب عليّ من الحق ، فعثرت[3] ، وجهدت فما أثرت ، فأنا بحمد الله في حال خمول وقنوع ، وجناب عن غير الغير ممنوع ، فارقت المتوّجَ بأزال[4] ، ولزمت الخمول والاعتزال ، سعيي سعيُ الجاهد ، وعيشي عيش الزاهد ، ببلدٍ: الأديب فيه غريب ، والأريب كالمريب ، إن تكلم استثقل ، وإن سكت استقلل ، منازله كبيوت العناكب ، ومعيشته كعُجالة الراكب ، فهو كما قال أبو تمام حيث قال[5] :

أرضُ الفلاحةِ لو أتاها جَرولٌ ... أعني الحطيئةَ لاغتدى حرّاثا
لم آتِها من أيّ بابٍ جئتُهـا ... إلاّ حسبتُ بيوتَها أجداثا
تَصْدا بها الأفهام بعد صقالها ... وتردّ ذُكرانَ العقولِ إناثا
أرضٌ خلعتُ اللهو خلعي خاتمي ... فيهـا وطلقت السرور ثلاثا

وأما حال عبده بعد فراقه في الجَلَد ، فما حال أم تسعة من الولد ؟ ذكور ، كأنهم عقبانُ وكور ، اخترم منهم ثمانية ، وهي على التاسع حانية ، نادى النذيرُ في البادية : يا للعادية يا للعادية ، فلما سمعت الداعي ، ورأت الخيل وهي سواعي ، جعلت تنادي ولدها الأناةَ الأناة ، وهو ينادي القناةَ القناة :

١ التمراد : بيت صغير يجعل في بيت الحمام لمبيضه .
٢ ياقوت : السكيت في السبق .
٣ ياقوت : أثرت فعثرت .
٤ ياقوت : فارقت المثول ولا أزال ؛ وأزال هي صنعاء .
٥ ديوان أبي تمام ١ : ٣٢٥ .

بطلٌ كأنّ ثيابه في سرحة[1] يحذى نعال السِّبتِ ليس بتوأم[2]

فحين رأته يختال في غضون الزرد المصون ، أنشأت تقول[3] :

أسدٌ أضبط يمشي بين طرفاءَ وغيلِ
لبسه من نَسجِ داو د كضحضاح[4] المسيلِ

فعرض له في العادية أسد هصور ، كأن ذراعه مَسَد مضفور[5] :

فتطاعنا وتواقفت خيْلاهما وكلاهما بطل اللقاء مقنّعُ[6]

فلما سمعت صياح الرعيل ، برزت من الصرم[7] بصبر قد عيل ، فسألت عن الواحد ، فقيل لها : لحَدَه اللاحد :

فكَرّتْ تبتغيهِ فصادفته على دمِهِ ومصرعه السّباعا[8]
عبثن به فلم يتركن إلاّ أديماً قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبدك تأسفاً ، ولا أعظم كمداً ولا تلهفاً ، وإنه ليعنف نفسه دائماً ، ويقول لها لائماً : لو فطنت لقطنت ، ولو عقلت لما انتقلت ، [. . .][9] لندمت ولو رجعت ، لما هجعت[10] :

١ ص : ثباته في سرجه .
٢ البيت لعنترة من معلقته ، ديوانه : ٢١٢ .
٣ ص : أنشأ يقول ؛ وانظر التاج (ضبط) ؛ والأضبط : الأسد يعمل بيساره كما يعمل بيمينه .
٤ ص : كضحاح .
٥ ص : محصور .
٦ البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٣٨ ورواية الديوان « مخدع » .
٧ ياقوت : الخدر .
٨ الشعر للقطامي ، ديوانه : ٤١ ، وفي الرواية اختلاف عما هنا .
٩ هنا سقطت لفظة وليس في ص بياض ؛ وفي ياقوت : ولو قنعت لرجعت وما هجعت ؛ ولعل الصواب « واو قنعت لما ندمت » .
١٠ ورد البيت الأول في الحماسة (المرزوقي : ١١٣٣) لإياس بن القائف .

يقيمُ الرجالُ الموسرون بأرضهم وتَرمي النّوى بالمقتّرين المراميا
وما تركوا أوطانهم عن ملالة ولكن حذاراً من شمات الأعاديا

أيها السيد ، أمِنَ العدل والإنصاف ، ومحاسن الشيم والأوصاف ، إكرام المهان ، وإذالة جواد الرهان ؟ يشبع في ساجوره كلب الزِّبل ، ويَسْغب في خيسه أبو الشبل :

إذا حلَّ ذو نقصٍ محلةَ فاضلٍ وأصبح ربُّ الجاهِ غير وجيهِ
فإنَّ حياةَ المرء غــير شهيةٍ إليهِ وطعمُ الموت غيرُ كريهِ

أقول لنفسي الدنية : هُبّي طال نومك، واستيقظي لا عزَّ قومك ، أرضيت بالعطاء المنزور ، وقنعت بمواعيد الزور؟ يقظة ، فإن الجدّ قد هجع ، ونجعة ، فمن أجدب انتجع ، أعجزت في الإباء، عن خلق الحرباء ، أدلى لساناً كالرشاء، وتسنّم أعلى الأشياء[1]، ناط همته بالشمس ، مع بعدها عن اللمس ، أنفَ من ضيق الوِجارِ ، ففرخ في الأشجار ، فهو كالخطيب ، على الغصن الرطيب :

وإن صريح الحزم والرأي لامرئٍ إذا بَلَغته الشمسُ أنْ يَتحوّلا [2]

وقد أصحَبَ عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد ، وإن بنيت قافيته على المدّ ، وما يعدّ نفسه إلاّ كمهدي جِلْدِ السبنّى [3] الأنمر ، إلى الديباج الأحمر ،أين درّ الحباب ،من ثغور الأحباب ؟ وأين الشراب من السراب ؟ والرّكي البكي ، من الواد ذي المواد ؟ أتطلب الصَّباحة من العتْم ، والفصاحة من الغتْم ؟ غلط من رأى الآل في القي [4] ، فشبهه بهلهال الدبيقي [5] ؛هيهات! ان

---

[1] ياقوت : السماء .
[2] البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ١٠٦ .
[3] السبنّى : النمر .
[4] القي : الأرض القفر .
[5] ص : بالدبيقي .

مناسج الرياط ، تسبق تنيس ودمياط ؛ لا أقول كما[1] قال القائل :

مَنْ يُساجلْني يساجلْ ماجداً   يملأ الدلو إلى عَقْدِ الكرَبْ

بل أضع نفسي في أقل المواضع ، وأقول لمولاي قولَ الخاضع :

فأسبلْ عليها سترَ معروفك الذي   سترتَ به قِدْماً على عَوَراتي

وها هي هذه[2] :

فيك بَرَّحتُ بالعذولِ إباء   وعصيتُ اللّوامَ والنصحاءَ

فانثنى العاذلونَ أخيبَ مني   يوم أزمعتم الرحيل ، رجاء

مَن مجيري من فاتر اللحظ ألْمى   جمع النَّـارَ خدّهُ والماء

فيهِ لليل والنّهار صفـاتٌ   فلهذا سَرّ القلوبَ وسـاء

لازمٌ شيمةَ الخلافِ فإن لنـ   ـت قَسا أو دنوتُ منه تناءى

يا غريبَ الصفات حقٌ[3] لمن كا   ن غريباً أن يرحمَ الغرباء

[. . .] من صدوده وتجنّيـ   ـهِ وإشماتهِ بيَ الأعـداء

وإذا ما كتمت ما بي من الوجـ   ـدِ أذاعتهُ مقلَتايَ بكـاء

كعطـايا سبا بن أحمد يخفيـ   ـها فتزدادُ شُهْرَةً ونمـاء

أريحيٌّ يهزه المدحُ للجـو   دِ وإن لم تمدحه جاد ابتداء

ألمعيّ يكادُ يُنْبيكَ عمّـا   كان في الغيب فطنةً وذكاء

وإذا أخلف السماءُ بأرض   أخلفت راحتاهُ ذاكَ السماء

بندى يخجل الغيوثَ انهمالاً   وجَدّى[4] ينهلُ الرماحَ الظماء

ما أبالي إذْ أحسنَ الدّهر فيهِ   أحسن الدّهرُ بالورى أمْ أساء

أيها الطالبُ الغنى زُرهُ تظفر   بعطايا تخجِّل الأنـواء

---

١ ص : إلا كما .

٢ حدث اضطراب في بعض أبيات القصيدة في ص ، فأعدت ترتيبها بما يناسب المعنى .

٣ ص : حقاً .   ٤ ص : وشذى .

تلقَ منهُ المهذبَ الماجدَ النَّدْ ... بَ الكريمَ السميدعَ[1] الأبّاء
راحةٌ في الندى تنيلُ نُضاراً ... وحسامٌ في الروعِ يَهْمي دماء
إن سَطا أرهَبَ الضراغم في الآ ... جامِ أو جاد بخَّلَ الكرماء
شيم من أبيهِ أحمدَ لا ينـ ... فكُّ عنها تتبّعـاً واقتفاء
قد تعاطى في المجدِ شأوكَ قومٌ ... عجزوا واحتملت فيـه العناء
شرفاً شامخاً ومجـداً منيفـاً ... عـدملياً وعِزَّةً قَعْساء
يا أبا حِمْيرٍ دعوتُك للدّهـ ... ـرِ فكنتَ امرءاً تجيبُ الدعاء
فأبى البخلُ أن يكونَ أمـاماً ... وأبى الجودُ أن يكونَ وراء
أنا أشكو إليكَ جور زمانٍ ... دأبهُ أنْ يعـاندَ الأدباء
أهملتني صُروفُهُ وكأنّي ... ألفُ الوصلِ ألغيت إلغـاء
مال عنّي بمـا أؤملُ فيـهِ ... كلما قلت سوف يأسو أساء
رهن بيت لو استقرّ بهِ الير ... بوع لم يرضَهُ [لهُ نافقاء][2]
نقَصتْني نقصَ المرخّمِ حتى ... خلتني في فَمِ الزمانِ نداء
منعتني من التصرف منعَ الـ ... عللِ التسع صَرْفَها الأسماء
يا أبا حميرٍ وحرمةِ إحسا ... نك عندي ما كان حبي رياء
ما ظننتُ الزمانَ يبعدني عنـ ... ـكَ إلى أن أفارقَ الأحياء
غير أني فدتكَ نفسي من السو ... ء وإن قلَّ أن تكون فداء
ضاع سعيي وخبت ، خابت أعاد ... يك ومن يبتغي لك الأسواء
واحتملتُ الزمان والنقص والإبـ ... ـعادِ والذلّ والعَنـا والجفاء
وتجملت واصطبرت فما أبـ ... قى على عوديَ الزمانُ لحاء
أعلى هـذه المصيبةِ صبر ؟ ... لا ، ولو كنتُ صخرةً صمّاء
ولو اني لم أعتمدْ دون غيري ... لتأسيْتُ أنْ أموتَ وفـاء

---

١ ص : الصميدع .

٢ سقط من ص .

غير أن التصريح ليس بخافٍ عند مَنْ كانَ يفهمُ الإيماء
غير أنّي مثنٍ عليكَ وما لمـ ـتُ على ما لقيت إلاّ القضاء
وسيأتيك في البعادِ وفي القـ ـربِ مديحٌ يحمِّلُ الشّعَراء
فبشكرٍ رحلْتُ عنكَ وألقا ك بهِ إن قضى الإلهُ لقاء
ليس يبقى في الدهر غير ثناء فاكتسب ما استطعتَ ذاك الثناء

وكانت وفاته [سنة إحدى وثمانين وخمسمائة] [1] .

١٣٩

الحسين ابن مطير

الحسين بن مطير الأسدي — تصغير مطر — من فحول الشعراء ، مدح الدولتين وله مدائح في المهدي ، وتوفي في حدود السبعين ومائة .

قال صاحب « الأغاني » : هو مولى بني سعد بن مالك من بني أسد ، وهو يذهب مذهب الأعراب ، وكان من ساكني زبالة ، ومن شعره [2] :

لقد كنتُ جَلْدا قبل أن يوقد الهوى على كبدي ناراً بطيئاً خمُودها
وقد كنتُ أرجو أن تموتَ صبابتي إذا قدمتْ أيامُها وعهودها
فقد جعلتْ في حبّةِ القلبِ والحشا عهادُ الهوى تولي بشوقٍ يُعيدها [3]

---

١ سقط من ص ، واعتمدنا فيه على ياقوت .

١٣٩ — طبقات ابن المعتز ١١٤ والأغاني ١٥ : ٣٣١ ومعجم الأدباء ١٠ : ١٦٦ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٦٢ والوافي للصفدي وقد جمع ديوانه مرتين: مرة بعناية الدكتور حسين عطوان (مجلة معهد المخطوطات : ١٩٦٩) ومرة بعناية الدكتور محسن غياض (بغداد : ١٩٧١) وسأعتمد في الإشارة إلى شعره على الأول .

٢ ديوانه : ١٥٦ . ٣ ص : بعيدها .

بسودٍ نواصيهـا وحمرٍ أكفهـا وصفرٍ تراقيها وبيضٍ خدودهـا
مُخَصَّرَة الأوساطِ زانَتْ عقودهـا بأحْسَن ممّا زينتهـا عقودها
يمنِّيننـا حتّى تَرِفَّ قُلُوبُنـا رفيفَ الخُزامى باتَ طَلٌّ يجودها

منها :

وكنت أذودُ العينَ أن تردَ البكـا فقد وردتْ ما كنتُ عنهُ أذودها
خليليَّ ما بالعيشِ عتبٌ لو انّنـا وجَدْنا لأيّامِ الحمى من يعيدها
ولي نظرةٌ بعد الصدودِ من الجوى كنظرةِ ثكلى قد أصيب وليدها
هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تسلفت أم الله إن لم يعفُ عنها يعيدهـا

وقال يرثي مَعْن ابن زائدة[1] :

ألمّا على مَعْنٍ فقولا لقبره : سقَتكَ الغوادي مربَعاً ثم مربعا
فيا قَبْرَ مَعْنٍ أنت أول حفرة من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا
ويا قبرَ مَعْنٍ كيف واريتَ جوده وقد كان منهُ البرُّ والبحرُ مُترعا
بلى قد وَسِعْتَ الجود والجودُ ميتٌ ولو كان حيّاً ضقت حتى تصدّعا
فتًى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
أبى ذكر معن أن تموتَ فعالهُ وإن كان قد لاقى حماماً ومصرعا
ولما مضى معنٌ مضى الجودُ وانقضى وأصبح عِرنينُ المكارمِ أجدعا

ومن شعره[2] :

فيا عجباً للناس يستسرفونني كأن لم يرَوْا بعدي محباً ولا قبلي
يقولون لي اصرمْ يرجع العقلُ كله وصرمُ حبيب النفس أذهب للعقل
ويا عجبا من حب مَن هو قاتلي كأنيَ أجزيه المودّة من قتلي
ومن بينات الحب أن كان أهلها أحبَّ إلى قلبي وعينيَ من أهلي

---

[1] ديوانه : ١٧٢ .
[2] ديوانه : ١٨٢ .

١٤٠

ابن عبدل الشاعر

الحكم بن عَبْدَل الأسدي ثم الغاضري الكوفي ؛ شاعر مشهور مجيد القول هجاء ، نفاه ابن الزبير من العراق لما نفى عمال بني أمية ، وقدم دمشق وكان له من عبد الملك بن مروان موضع .

وقال ابن ماكولا : هو الشاعر الأعرج، كوفي مشهور ، قال : كان يأتي بشر بن مروان فيقول له بشر : أخمسمائة أحب إليك العام أم ألف في قابل ؟ فيقول : ألف في قابل، وإذا أتى إليه في قابل قال له : ألف أحب إليك العام أم ألفان من قابل ؟ فيقول : ألفان من قابل ؛ قال : فلم يزل كذلك حتى مات بشر ولم يعطه شيئاً .

وقال صاحب الأغاني : كان أعرج أحدب لا تفارقه العصا ، فترك الوقوف بباب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ، ويبعث بها مع رسوله ، فلا يحبس له رسول ولا تؤخر له حاجة ، فقال في ذلك يحيى بن نوفل :

عصا حَكَمٍ في الدار أولُ داخلٍ ... ونحن على الأبواب نُقصى ونحجبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً ... فهذي لعمرُ الله أدهى وأعجبُ
تطاع ولا تُعصى ويحذر سخطها ... ويرغب في المرضاة منها ويرهبُ

وشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك منها الناس ، فكان الحكم يقول

---

١٤٠ - الأغاني ٢ : ٣٦٠ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٩٦ والمؤتلف والمختلف : ٢٤٢ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٢٨ والوافي للصفدي ، وله ترجمة في ابن خلكان هي من مزيدات طبعة بيروت وهو ليس من شرط ابن خلكان لأنه لا يعرف سنة وفاته على التحديد . وقد أخلت المطبوعة بأجزاء متفرقة من هذه الترجمة .

ليحيى : يا ابن الزانية ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة ، واجتَنَبَ أن يكتب عليها كما كان يفعل أولا .

وكان له صديق أعمى يدعى أبا[1] عليّة ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحكم يحمَلُ وأبو علية يقاد ، فلقيهما صاحب العَسَس بالكوفة وأخذهما فحبسهما ، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصاه موضوعة في الحبس بجنب عصا أبي[1] علية ، فضحك الحكم وقال :

حبْسي وحبس أبي عليـ ـيّةَ من أعاجيب الزمانِ
أعمى يُقادُ ومُقعَدٌ لا الرجل [منه] ولا اليدان
هذا بلا بصرٍ هنـا ك وبي يَخُبُّ الحاملان
يا مَن يرى ضبَّ الفلا ة قرينَ حوتٍ في مكان
طرفي وطرف أبي عليـ ـيّةَ دهرنـا متوافقان
منْ يفتخرْ بجَوادِهِ فجَوادنـا عكّازتان
طِرْفان لا علَفاهما[2] يُشْرى ولا يتصاهلان

وقال أيضاً من أبيات :

ففي حالتينا عبرة وتفكّر وأعجبُ منه حبسُ أعمى ومقعدِ
كلانا إذا العكاز فارق كفّه يخرّ صريعاً أو على الوجه يسجد
فعكازه يهدي إلى السبلِ أكمهاً وأخرى مقامَ الرجل قامت مع اليد

وكان بالكوفة امرأة موسرة ، وكان لها على الناس ديون بالسواد ، فاستغاثت بابن عبدل في دَينها وقالت : إني لست بزوج ، وجعلت تُعَرّض أنها تزوجه بنفسها ، فقام ابن عبدل في دَينها حتى اقتضاه ، فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه شعراً :

---

١ ص : أبو .

٢ ص : علقاهما .

سيُخْطيكَ الذي حاولْتَ مني فقطِّعْ حبلَ[1] وصلك من حبالي
كما أخطاكَ معروفُ ابن بشر وكنت تعدُّ ذلك رأسَ مالِ

وضرب الحجاجُ البعثَ على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان الصغار ، وكانت المرأة تجيء إلى ابنها فتضمه إليها وتقول : يا ابني ، جزعاً عليه ، فسمّي ذلك الجيش « جيش يبني » ، وأحضر ابن عبدل فجرد ، فوجد أحدب أعرج ، فأعفي من ذلك فقال :

لعمري لئن جربتني فوجدتني كثيرَ العيوبِ سيء المتجرِّدِ
فأعفيتني لما رأيت زمانتي ووفقت مني للقضاء المسدَّدِ
ولست بذي شيخين يلتزمانه ولكن يتيمٌ ساقط الرجل واليدِ

وخرج ليلة وهو سكران محمول في مِحَفّة فلقيه صاحب العسس فقال له : من أنت ؟ فقال : يا بغيض ، أنت أعرف بي من أن تسأل عني ، اذهب إلى شغلك فإن اللصوص لا يخرجون في الليل في محفة ، فضحك منه وانصرف .

وكانت له جارية سوداء فولدت له ابناً أسود ، وكان أعرَمَ الصبيان فقال فيه :

يا ربَّ خالٍ لك مسْوَدّ القفا لا يشتكي من رجله مسَّ الحفا
كأن عينيه إذا تَشَوَّفـــا عينا غرابٍ فوق نيقٍ أشرفا

وأخباره في « الأغاني » وشعره كثير ؛ وكانت وفاته في حـــدود المائة ، رحمه الله .

---

١ ص : حبال .

١٤١

[الحكم الربضي]

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ملك الأندلس ؛ ولي الأمر بعد والده ، وامتدت أيامه وأقام في الأمر بعده سبعاً وعشرين سنة وشهراً ، ولَقّب نفسه بالمرتضى ، وكان فارساً شجاعاً فاتكاً جباراً ذا حزم ودهاء ، كان يمسِك أولاد الناس الملاح فيخصيهم ويمسكهم لنفسه . وتوفي سنة ست ومائتين ، وهو ابن خمسين سنة ، وقام بعده ولده أبو المطرف عبد الرحمن . وله شعر فمنه :

قُضبٌ من البانِ ماستْ فوق كثبانِ ... ولّيْنَ عني وقد أزمعن هجراني

مَلَكْنَني ملكاً ذلّتْ عَزائمهُ ... للحبّ ذُلّ أسير مُوثَقٍ عاني

من لي بمغتصبات الروح من بدني ... يغصبنني في الهوى عزي وسلطاني

وكان له ألفا فرس مرتبطة على شاطىء النهر ، وكان يعرف بالربضي لأنه قتل أهل الربض القبلي ، وهو من جانب شقندة في العدوة الأخرى من قرطبة وراء الوادي ، وهدم ديارهم وخرّبها فأصبحت فدادين بعد حرب عظيم ، ويظهر في ذلك بشجاعة وبسالة ، وقال في ذلك :

رأبت[1] صدوع الأرض بالسيفِ راقعا ... وقدماً لأمتُ الشعبَ مذ كنتُ يافعا

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرةٌ ... أبادرها مستنضيَ السّيفِ دارعا

وشافه على الأرض الفضاء جماجماً ... كأقحاف منثور الهبيد لوامعا

---

١٤١ – البيان المغرب ٢ : ٦٨ – ٨٠ والحلة السيراء ١ : ٤٣ والمعجب : ٤٤ وأعمال الأعلام : ١٤ وصفحات متفرقة من نفح الطيب ، والوافي للصفدي .

١ ص : رأيت .

تُنَبِّئْكَ أنّي لم أكنْ في قراعهمْ بوانٍ ، وقدماً كنتُ بالسيف قارعا
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم[1] فوافوا منايا قُدِّرتْ ومصارعا
فهاكَ سلاحي انني قد تركتها مهاداً ولم أترك عليها منازعا[2]

وكان قد تظاهر في صدر ولايته بالخمور والفسق ، فقامت الفقهاء والكبار وخلعوه سنة تسع وثمانين ثم أعادوه لمّا تنصّلَ وتاب ، فقتل طائفة من الكبار وصلبهم بإزاء قصره ، قيل بلغوا سبعين نفساً ، وكان يوماً فظيعاً[3] فمقتته النفوس وأضمروا له السوء ، وأسمعوه الكلام المر ، فتحصن واستعد ، وجرت له أمور يطول شرحها .

قال أبو محمد بن حزم : وكان من المجاهرين بالمعاصي سَفّاكاً للدماء .

١٤٢

[حمدة الواداياشية]

حمدة بنت زياد بن بقي العوفي ؛ قال ابن الأبار في « تحفة القادم » : كانت من المتأدبات المصرفات المتغزلات المتعففات حدثت عن أبي الكرم جودي ابن عبد الرحمن الأديب . قال ابن الأبار أنشدني القاسم بن البراق ، قال : أنشدتني حمدة بنت زياد العوفية وقد خرجت متنزهة بالرملة من وادياش فرأت ذات

---

١ ص : قرصهم .
٢ وكان له . . . منازعا : لم يرد في المطبوعة .
٣ ص : فضيعا .
١٤٢ – الوافي والزركشي : ١٠٧ والتكملة (رقم : ٢١٢٠) والإحاطة ١ : ٤٩٨ والتحفة : ١٦٢ والمطرب : ١١ والسيوطي : ٤٨ والذيل والتكملة (الجزء الأخير – مخطوط) ونفح الطيب ٤ : ٢٨٧ ، وقد سقط من المطبوعة أجزاء من هذه الترجمة .

وجه وسيم أعجبها ، فقالت :

أباح الدمعُ أسراري بوادي ... لهُ للحسنِ آثار بـَوادي
فمن نهرٍ يطوف بكلّ روضٍ ... ومن روض يطوف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاةُ رملٍ ... سبت لبي وقد ملكت قيادي
لها لحظ ترقِّدُهُ لأمْرٍ ... وذاك اللحظُ يمنعني رقادي
إذا سدلت ذوائبَها عليها ... رأيت البدرَ في جنح الدآدي
كأن الصبح مات له شقيق ... فمن حزنٍ تسربلَ بالحداد

قال : وأنشدني الكاتبان : أبو جعفر بن عبيد الأركشي وأبو إسحاق ابن الفقيه الجياني قالا : أنشدنا القاضي أبو يحيى عتبة بن محمد بن عتبة الجراوي الحمدة هذه :

ولمّا أبى الواشونَ إلاّ فراقنا [1] ... وما لهمُ عندي وعندك من ثار
وشنّوا على أسماعنا كلّ غارةٍ ... وقلّتْ حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهمُ من مقلتيكَ وأدمعي ... ومن نَفَسي بالسيف والسيل والنار

وعاصرت حمدة هذه نزهون بنت القليعي الغرناطية ، الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى في حرف النون ؛ وكانت وفاة حمدة في [. . .] .

١٤٣

حمزة بن بيض

حمزة بن بِيض — بكسر الباء الموحدة وسكون الياء والضاد المعجمة — الحنفي

---

١ ص : قتالنا .

١٤٣ — معجم الأدباء ١٠ : ٢٨٠ وأخبار الحمقى والمغفلين : ٤٣ والوافي للصفدي والأغاني ١٦ : ١٤٢ .

أحد بني بكر بن وائل ؛ كوفي شاعر مجيد ساقط القول كثير المجون ، كان منقطعاً إلى المُهَلّب بن أبي صُفرة وولده ، ثم إلى بلال بن أبي بُرْدة ، حصلت له أموال كثيرة إلى الغاية من ذهب وخيل ورقيق ، قيل إنه حصل ألف ألف درهم ، وتوفي سنة عشرين ومائة .

أتى بلال بن أبي بردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفي ، فدخل الحاجب وخرج وقال : يقول لك : حمزة بن بيض، ابن من ؟ فقال : ادخل وقل[1] له : الذي جئت إليه إلى سبار الحمام وأنت أمرد تسأله أن يهبَكَ طائراً ، فأدخلك السبار وناكك وأعطاك طائراً[2]، فشتمه الحاجب فقال : ما أنت وذا ؟ بعثكَ برسالة فأبلغه الجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغضَبٌ ، فلما رآه بلال ضحك وقال : ما قال لك ، قبحه الله ؟ فقال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال ، فقال : يا هذا أنت رسول، فأدِّ الجواب ، فأبى فأقسم عليه ، فأخبره بقوله ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفنا العلامة فادخل ، فدخل فأكرمه وسمع مديحه ، وأحسن صلته .

وأراد بلال بقوله « ابن مَن » قولَ الشاعر فيه :

أنتَ ابنُ بِيض لعمري لست أنكرهُ ... فقد صدقتَ ولكنْ مَنْ أبو بيضِ

وقدم على مَخْلد بن المهلب ، وعنده الكميت ، فأنشده :

أتيناكَ في حاجةٍ فاقضِها ... وقلْ مرحباً يجب المرحبُ
ولا . لا تكلْنا إلى معشر ... متى وعدوا عِدةً يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرةٍ ... لهم خضَعَ الشرقُ والمغرب
بلغت لعشرٍ مضت من سنيك ... ما يبلغُ السيّدُ الأشيب
فهمُّكَ فيه جِسامُ الأمور ... وهَمُّ لِداتِكَ أن يلعبوا

---

١ ص : قول .

٢ ص : طائر .

وجُدْتَ فقلتَ : ألا سائلٌ فيعطى ولا راغب يرغب
فمنكَ العَطيّة للسّائلين وممّن ينوبكَ أن يطلبوا

فأمر له بمائة ألف درهم ، فأخذها ، وسأله عن حوائجه فأخبره ، فقضاها جميعاً .

وأودع حمزة عند ناسك ثلاثين ألف درهم ، ومثلها عند رجل نبّاذ ، فأما الناسك فبنى بها داره وزوّج بناته وأنفقها وجَحَدَه ، وأما النباذ فأدّى إليه الأمانة في ماله ، فقال حمزة :

ألا لا يغرّك ذو سجدة يظلُّ بها دائماً يخدعُ
كأنّ بجبهتـه جُلْبَـةً تسبح طوراً وتسترجع
وما للتقى لزمَتْ وجهه ولكنْ ليغترّ مستودع
فلا تنفرنّ من آهلِ النبيذِ وإن قيل يشربُ لا يقلع
فعنديَ علمٌ بما قد خبرتُ إن كان علمٌ بهم ينفع
ثلاثون ألفاً حواها السجود فليست إلى أهلها ترجع
بنى الدار من غير ما ماله فأصبحَ في بَيْتِهِ يرتع
مهائر من غير مالٍ حواهُ يُقاتون أرزاقهم جُوَّع
وأدى أخو الكاس ما عنده وما كنت في ردّها أطمع

وكان عبد الملك بن مروان يعبث به ، فوجّه إليه ليلة رسولاً وقال : جئني به على أيّ حالة وجدته ، فهجم عليه فوجده داخلاً إلى بيت الخلاء ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : ويحكَ ! أكلت كثيراً وشربت نبيذاً حلواً وقد أخذني بطني ، فقال : لا سبيل إلى مفارقتك ، ثم أخذه وأتى به إلى عبد الملك ، فوجده قاعداً في طارمة ، وعنده جارية جميلة يتحظاها وهي تسجر العود وتبخّر أمير المؤمنين ، فجلس يحادثه ويعالج ما هو فيه من داء بطنه ، فعرضت له ريح فسيّبها ظناً أن يسترها البخور . قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحُها ريحَ البخور والند ،

فقال : ما هذا يا حمزة ؟ قال : فقلت : عليّ عهدُ الله والمشيُ إلى بيت الله والهَديُ إن كنت فعلتها، وما فعلها إلاّ هذه الجارية، قال: فغضب وخجلت الجارية وما قَدَرَت على الكلام ، ثم جاءتني أخرى فسرَّحتها ، وسطَعَ والله ريحها ، فقال : ما هذا ويلك ؟ أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتي طالق إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه اليمين لازمة لي إن كنتُ فعلتُها ، ثم قال للجارية : ويلك ، ما قصتك ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين [1] شيئاً ، وطمعتُ فيها فسرَّحْتُ الثالثة فسَطع ريحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبدُ الملك حتى كاد أن يخرج من جلده ، ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد هذه الجارية الزانية فقد وهبتها لك ، وامْضِ فقد نغّصَتْ عليَّ ليلتي ، فأخذتُ بيدها وخرجت ، فلقيني خادم فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت : أمضي بها ، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنّك بغضاً لا تنتفع به بعده ، وهذه مائتا دينار ، فخذها ودعْ هذه الجارية ، فقلت : والله لا نقصْتُكَ من خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلاّ ما قلت لك ، فأخذتها منه وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاثٍ دعاني عبد الملك ، فلقيني الخادم فقال : هذه مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرّك ولعله ينفعك؟ فقلت : ما هو ؟ فقال : إذا دخلتَ إليه تدّعي عنده أنّ تلك الفسوات الثلاث أنت فعلتهنّ ، فقلت : هاتها ، فلما دخلتُ وقفتُ بين يديه وقلت : الأمان يا أمير المؤمنين ، فقال : قل ، فقلت : أرأيت تلك الليلة ما جرى من الفسوات ؟ قال : نعم ، قلت : عليّ وعليّ إن كان فَساهنّ غيري ، فضحك حتى سقط على قفاه وقال : فلم ويلك ما أخبرتني ؟ فقلت : أردت خصالاً ، منها أن قمتُ وقضيتُ حاجتي ، ومنها أخذت جاريتك ، ومنها أني كافأتك على أذاكَ بمثله ، حيث منعني رسولكَ من دفع أذايَ ، قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما خرجت من دارك ، وأخبرته الخبر . فسرّ بذلك ، وأمر لي بمائتي دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك ، وتركْك أخذَ الجارية .

وأخبار حمزة كثيرة وكلها طُرَف .

---

[1] ص : تجدي .

حرف الخاء



١٤٤
[خالد الكاتب]

خالد بن يزيد ، أبو الهيثم الكاتب البغدادي ، أصله من خُراسان ، وكان أحد كتاب الجيش ، ولاه ابن الزيات الإعطاء ببعض الثغور ، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد :

من كان ذا شَجَنٍ بالشامِ يطلبهُ ... ففي سوى الشامِ أمسى الأهلُ والوطنُ

فبكى حتى سقط مغشياً عليه ، ثم أفاق واختلط عقله ، واتصل به ذلك إلى الوسواس وبطل ، وكان مغرماً بالمُرد وينفق عليهم كل ما يفيده ، فهوي غلاماً يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام يهواه ، فقال فيه خالد :

قضيبُ بانٍ جَناهُ وردُ ... تحملهُ وجنة وخَدُّ[1]
لم أثنِ طرفي إليهِ إلاّ ... مات عزاء وعاش وجْدُ
مُلّكَ طوعَ النفوس حتى ... علّمه الحسنُ كيف يبدو
واجتمع الصَّدُّ فيه حتى ... ليس لخلقٍ سِواهُ صَدُّ

فبلغ ذلك أبا تمام فقال :

شعرك هذا كلّه مفرطٌ ... في برده يا خالدُ الباردُ

---

١٤٤ – الوافي والزركشي : ١٠٨ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٠٨ والأغاني ٢٠ : ٢٣٤ والمنتظم ٥ : ٣٥ وطبقات ابن المعتز : ٤٠٥ ومعجم الأدباء ١١ : ٤٧ ووردت له ترجمة في ابن خلكان ٢ : ٢٣٢ وهي من مزيدات طبعة بيروت ، وليست من شرط ابن خلكان ؛ وانظر بغية الطلب ٦ : ١٢١ .

١ ص : جنة وورد .

فعلقها الصبيان وما زالوا يصيحون به : يا خالد البارد ، حتّى وسوس، وهجا أبا تمام فقال :

يا معشر المرد إنّي ناصحٌ لكمُ والمرء في القول بين الصدق والكذبِ
لا ينكحنّ حبيباً منكمُ أحدٌ[1] فداء وجعائهِ أعدى من الجرب
لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثالثةٍ فتركبوا عمداً ليست من الخشب

ومن شعره :

عشْ فحبيك سريعاً قاتلي والهوى إن لم تصلني واصلي
ظفر الشّوقُ بقلبٍ دنفٍ فيك والسقمُ بجسم ناحل
فهما ما بين وجدٍ وضَنًى تركاني كالقضيب الذابل
وبكى العاذل لي من رحمة فبكائي لبكاء العاذل

ومنه :

عشية حيّاني بورد كأنّهُ خدودٌ أضيفت بعضهنّ إلى بعضِ
وراح وفعلُ الراحِ في حركاته كفعلِ النسيم الرطب في الغصن الغضّ

ومنه :

رقَدْتَ ولم تَرْثِ للسّاهر وليلُ المحبّ بلا آخرِ
ولم تدرِ بعد ذهابِ الرقادِ ما فعل الدمعُ بالنّاظرِ

وتوفي خالد في حدود السبعين والمائتين ، رحمه الله تعالى .

---

١ ص : حبيب . . . أحداً .

١٤٥

الزين خالد

خالد بن يوسف بن سعد بن الحسن بن مفرج بن بكار ، الحافظ المفيد زين الدين ، أبو البقاء النابلسي ثم الدمشقي ؛ ولد بنابلس سنة خمس وثمانين وخمسمائة. وتوفي سنة ثلاث وستين وستمائة .

قدم دمشق ونشأ بها ، وسمع من القاسم ابن عساكر ومحمد بن الخصيب وابن طَبَرْزد وحنبل وطائفة ، وسمع ببغداد من ابن الأخضر وابن منينا ، وكتب وحصل الأصول النفيسة ، ونظر في اللغة والعربية ، وكان إماماً ذكياً فطناً ظريفاً حلو النادرة حلو المزاح ، وكان يعرف قطعة كبيرة من الغريب والأسماء والمختلف والمؤتلف ، وله حكايات متداولة بين الفضلاء ، وكان الملك الناصر يحبه ويكرمه .

روى عنه محيي الدين النواوي والشيخ تاج الدين الفزاري وأخوه الخطيب شرف الدين وتقي الدين ابن دقيق العيد . وكان ضعيف الكتابة جداً ، ويعرج من رجله .

حدث الشرف الناسخ أنه كان يحضره الناصر بن العزيز ، فأنشد شاعر قصيدة يمدحه بها ، فخلع الزين خالد سراويله وخلعه على الشاعر ، فضحك الناصر وقال : ما حملك على هذا ؟ قال : لم يكن معي ما أستغني عنه غيره ، فعجب منه ووصّله .

وولي مشيخة النورية ، وكان قصيراً شديد السمرة ويلبس قصيراً ؛ ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

أبا حسن إني إليك وإن نأت ... ركابي إلى بغداد ما عشتُ تائق
ولو عَنَتِ الأقدار قَبْلي لعاشق ... لمّا عاقني عنك العشية عائق

---

١٤٥ – الوافي والزركشي : ١١٠ وعبر الذهبي ٥ : ٢٧٣ والشذرات ٥ : ٣١٣ وذيل الروضتين : ٢٣٣ وتذكرة الحفاظ : ١٤٤٧ والدارس ١ : ١٠٦ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٤٦ .

ومنه :

يا ربّ بالمبعوث من هاشم وصهره والبضعــة الطّهر
لا تجعلِ اليومَ الذي لا ترى عينيَ تاجَ الدين من عمري

١٤٦

[سبط ابن الحمامية]

خسرو شاه بن سعد بن عبد السيد ، أبو شجاع سبط ابن الحمامية ، ويسمى محمد أيضاً ؛ كان أديباً فاضلاً له شعر ، وتوفي سنة أربع وخمسمائة . ومن شعره :

وليلةٍ جعلت في أرضها فلكاً يديره عبث القينات بالوترِ
فشمسه الراح والمصباح كوكبه وبدره شادن من أحسن الصور
فسعدها بتمامِ الليلِ متصل ونحسها فرقــة تأتي مع السحر

١٤٧

[الشيخ خضر العدوي]

الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي ، الشيخ المشهور ، شيخ الملك الظاهر ؛ كان صاحب حال ونفس قوية ، وكان له حال كاهني ، أخبر الظاهرَ بسلطنته قبل وقوعها ، فلهذا كان يعظمه وينزل إلى زيارته ويُطلعه على غوامض أسراره ويستصحبه في أسفاره ؛ سأله وهو محاصر أرسوف : متى

١٤٦ — الوافي والزركشي : ١١١ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .
١٤٧ — الوافي وعبر الذهبي ٥ : ٣٠٩ (وفيات سنة ٦٧٦) والشذرات ٥ : ٣٥١ .

تؤخذ ؟ فعين له اليوم ، فوافق ذلك ، وكذلك صَفَد وقيسارية .

ولما عاد إلى الكرك سنة خمس وستين استشاره في قَصْدها ، فأشار عليه أن لا يقصدها ويتوجه إلى مصر ، فخالفه وتوجه فوقع عند بركة زيزا وانكسرت فخذه .

وقال في بعلبك والظاهر على حصن الأكراد : يأخذه السلطان بعد أربعين يوم ، فوافق ذلك .

ولما توجه السلطان إلى الروم كان الشيخ خضر في الحبس ، فأخبر أن السلطان يظفر ويعود إلى دمشق ، وأموت ويموت بعدي بعشرين يوماً ، فاتفق ذلك .

وكان السلطان قد نقم عليه وأحضر مَنْ حاقَقَه على أمور لا تصدُر من مسلم ، فأشاروا بقتله ، فقال هو للسلطان : أجَلي قريب من أجلك ، وبيني وبينك أيام يسيرة ، فوجم لها السلطان وتوقف في قتله وحَبَسه وضيق عليه ، لكنه يرسل إليه الأطعمة الفاخرة والملابس ، وكان حبسه في شوال سنة إحدى وسبعين .

ولما وصل الظاهر من الروم إلى دمشق كتب إلى مصر بإخراجه ، فوصل البريد بعد موته . وكان قد بنى له عدّة زوايا في عدة بلاد . وكان كل أحد يتقي جانبه ، حتى الصاحب بهاء الدين ابن حنا وبيليك الخزندار .

وإذا كتب ورقة يقول فيها : من خضر نياك الحمارة .

وأخرج من السجن ميتاً وحمل إلى الحسينية ودفن بزاويته .

قال الشيخ تقي الدين : الشيخ خضر مسلم صحيح العقيدة ، لكنه قليل الدين باطولي له حال شيطاني ، وكانت وفاته سنة ست وسبعين وستمائة ، وكان قد بنى له زاوية بالحسينية على الخليج محاذية لأرض الطبالة ، ووقف عليها أحكاراً يجيء منها في السنة ثلاثون ألف درهم ، وبنى له بالقدس زاوية ، وبالمزة بدمشق زاوية ، وبظاهر بعلبك زاوية ، وبحماة زاوية ، وبحمص زاوية ، وهدم بدمشق كنيسة اليهود وكنيسة المصلبة التي للنصارى بالقدس ، وقتل قسيسها بيده وعملها زاوية ،

وهدم بالإسكندرية كنيسة الروم وبناها مدرسة وسماها الخضراء . وكان واسع الصدر يعطي الفضة والذهب ، ويعمل الأطعمة في قُدور مفرطة الكبر يحمل القدر جماعةُ عتّالين ، وفي ملازمته الظاهر يقول الشريف[1] الناسخ :

ما الظاهر السلطان إلاّ مالك الـ   ـدنيا بذاكَ لنا الملاحمُ تخبرُ
ولنا دليلٌ واضحٌ كالشمس في   وسط السماء بكلّ عينٍ تبصر
لمّا رأينا الخضرَ يقدم جيشهُ   أبـداً علمنا أنه الإسكندر

١٤٨
الأشرف خليل

خليل بن قلاوون ، السلطان الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي ، جلس على تخت الملك في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ، بعد موت والده ، واستفتح الملك بالجهاد ، وسار فنازل عكا وافتتحها ، ونظف[2] الشام كله من الفرنج ، ثم سار في السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوماً وافتتحها ، ثم في السنة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بهسنا من غير قتال إلى دمشق ، ولو طالت مدته ملَكَ العراق وغيرها ، فإنه كان شجاعاً مقداماً مهيباً عاليَ الهمة يملأ العين ويُرجفُ القلب ، وكان ضخماً سميناً كبير الوجه بديع الجمال مستدير اللحية ، على صوته رونق الحسن وهيبة السلطنة ، وكان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى ، تخافه الملوك في أقطارها ؛

---

١ مرّ ص ٤٠٣ : الشرف .

١٤٨ – الوافي والزركشي ١ : ١١١ والنجوم الزاهرة ٨ : ٣ – ٢٧ والسلوك ١ : ٧٥٦ وما بعدها والبداية والنهاية ١٣ : ٣٣٤ والشذرات ٥ : ٤٢٢ وعبر الذهبي ٥ : ٣٧٧ .

٢ ص : ونضف .

أباد جماعةً من كبار الدولة ، وكان منهمكاً على اللذات ؛ لا يعبأ بالتحرز على نفسه لشجاعته .

توجَّه من القاهرة ثالث المحرم [سنة ثلاث وتسعين وستمائة][1] هو والوزير شمس الدين بن السلعوس وأمراء دولته ، وفارقه وزيره من الطرّانة[2] إلى الإسكندرية ، وعَسَف وظَلَم وصادر الناس ، ونزل الأشرف بأرض الحمامات للصيد ، وأقام إلى يوم السبت ثالث عشر المحرم ، فلما كان العصر وهوبتروجةَ حضر نائب السلطنة بيدرا وجماعة من الأمراء ، وكان الأشرف أمره بكرةً أن يتقدم بالدهليز ليتصيد هو ويعود عشية ، فاحتاطوا به وليس معه إلاّ شهاب الدين ابن الأشل أمير شِكارة ، فابتدره بيدرا فضربه بالسيف قطع يده ، فصاح حسام الدين لاجين عليه وقال : مَن يريد السلطنة تكون هذه ضربته ؟ وضربه على كتفه حلّه ، فسقط السلطان إلى الأرض ، ولم يكن معه سيف ، بل كان وسطه مشدود بالبَنْد ، ثم جاء سيف الدين بهادر رأس نوبة[3] ، فأدخل السيف من أسفله وشقّه إلى حلقه ، وتركوه طريحاً في البرية ، والتفوا على بيدرا وحلَفوا له . وساق تحت العصايب يطلب القاهرة . وتسمى بالملك الأوحد ، وبات تلك الليلة . وأصبح يسير . فلما ارتفع النهار إذا بطلب كبير قد أقبل يقدمهُ زين الدين كَتَبْغُا وحسام الدين أستاذدار[4] يطلبون بيدرا بدم أستاذهم . وذلك بالطرّانة . فحملوا عليه فتفرق عنه أكثر مَن معه ، وقتل في الحال وحُمل راسه على رمح وجاءوا

---

١ زيادة لا بد منها .

٢ قرية صغيرة على الشاطىء الغربي لفرع رشيد بمديرية البحيرة .

٣ وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، موضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم (صبح الأعشى ٤ : ١٨) .

٤ وظيفة الأستاذ دارية هي التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرابخاناه والحاشية والغلمان ، والاستاذ دار هو الذي يمشي بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره ، وله تصرف تام في كل ما يحتاجه بيت السلطان من النفقات والكساوي (صبح الأعشى ٤ : ٢٠ ، وانظر ٥ : ٤٥٧) .

به إلى القاهرة ، فلم يمكنهم الشجاعي من التغدية ، وكان نائب السلطنة في تلك السفرة ، فأمر بالشّواني كلها فربطت إلى الجانب الآخر ، ونزل الجيش على الجانب الغربي . ثم مشت بينهم الرسل على أن يقيموا الملك الناصر محمد أخا الأشرف ، فتقرر ذلك ، وأجلسوه على التخت يوم الاثنين رابع عشر المحرم ، وصار أتابكه كَتْبُغا ووزيره الشجاعي ، واختفى حسام الدين لاجين وقراسنقر المنصوري وغيرهما ممن شارك في قتله .

قال الشيخ شمس الدين الجزري رحمه الله تعالى : حدثني الأمير سيف الدين المحفّدار [1] قال : كان السلطان رحمه الله قد نفذني بكرة إلى بيدرا بأن يتقدم بالعساكر ، فلما قلت له ذلك نفر فيَّ وقال : السمع والطاعة ، كم تستعجلني ! ثم إني حملت الزردخاناه [2] والثقل الذي لي وركبت ، فبينما أنا ورفيقي الأمير صارم الدين الفخري وركن الدين أمير جَنْدار عند الغروب وإذا بنَجّاب قد أقبل فقلنا له : أين تركت السلطان ؟ فقال : يطوّل الله أعماركم فيه ؛ فبهتنا ، وإذا بالعصايب قد لاحت ، وأقبل الأمراء وبيدرا في الدست ، فجينا وسلمنا ، وساق معه ركن الدين أمير جندار ، وقال له : يا خوند هذا الذي تمّ كان بمشورة الأمرا ؟ قال : نعم أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم ، وهاهم حضور ، وكان من جملتهم حسام الدين لاجين وبهادر رأس نوبة وقرا سنقر وبدر الدين بيْسَري ؛ ثم إن بيدرا شرع يعدّد ذنوبه وإهماله لأمور المسلمين واستهتاره بالأمرا وتوزيره لابن السّلْعوس ، ثم قال : رأيتم الأمير زين الدين كَتْبُغا ؟ فقلنا : لا ، فقال له أمير جندار : عنده علم من هذه القضية ؟ قال : نعم ، هو أول من أشار بها ، فلما كان من الغد جاء كتبغا في طلب نحو من ألفين من

---

[1] المحفدار : هو الذي يتصدى لخدمة المحفة ومعناه ممسك المحفة (صبح الأعشى ٥ : ٤٧٠) .

[2] يقال لها أيضاً « السلاح خاناه » وتشتمل على أنواع السلاح ، وصانع السلاح يسمى الزردكاش (صبح الأعشى ٤ : ١١ – ١٢) .

الخاصكية[1] وغيرهم ، ثم قال كتبغا لبيدرا : أين السلطان ؟ ورماه بالنشاب ، ورموا كلهم بالنشاب وقتلوه ، وتفرق جمعه ، فلما رأينا ذلك التجأنا إلى جبل ، واختلطنا بالطلب الذي جاء ، فعرفنا بعض أصحابنا ، فقال لنا : شدوا بالعجلة مناديلكم[2] في أرقابكم إلى تحت الإبط ، يعني شعارهم .

قال ابن المحفّدار : وسألت شهاب الدين ابن الأشل : كيف كان قتل السلطان ؟ قال : جاء إليه بعد رفع الدهليز أن بتَروجَةَ طيراً كثيراً ، فقال لي : امش بنا حتى نسبقَ الخاصكية ، فركبنا وسرنا ، فرأينا طيراً كثيراً ، فرمى بالبندق وصرع كثيراً ، ثم قال : أنا جيعان ، فهل معك شي تطعمني ؛ فقلت : ما معي سوى فروجة ورغيف في سولقي[3] ، فقال : هاته ، وناولته فأكله ، ثم قال : امسك فرسي حتى أبول ، ثم نزل وجعل يريق[4] الماء ويمازحُني ثم ركب ، وإذا بغُبار عظيم ، فقال : سُقْ واكشف الخبر ، فسقت ، وإذا ببيدرا والأمراء فسألتهم عن سبب مجيّهم فلم يردوا علي ، وساقوا إلى السلطان وقتلوه كما ذكرنا .

ثم إن بعد يومين طلع والي تروجة وغسلوه وكفنوه ووضعوه في تابوت ، وسيروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبا الناصري فأحضر التابوت ودفن في تربة والدته ، وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وكان من أبناء الثلاثين أو أقل ، رحمه الله تعالى .

ذكر فتوحاته : عكا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبهسنا ، وجميع الساحل في أقرب مدة .

---

١ الخاصكية : هم الذين يدخلون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه ويركبون لركوبه ليلا ونهاراً ويتميزون بسيوفهم وملابسهم الطرز المزركش (زبدة كشف الممالك : ١١٥) .

٢ ص : مناديكم (دون إعجام للياء) .

٣ السولق – بالسين والصاد – مخلاة من جلد يضعها الشخص في حزامه من الجهة اليمنى .

٤ ص : يرق .

وكان مدة ملكه ثلاث سنين وشهر وخمسة أيام .

وكان كرمه زائداً وإطلاقه عظيم ، وكانت واقعته تسمى وقعة الأيدي والأكتاف ، لأن جميع من وافق عليه قطعت أيديهم أولاً ، وفيهم من سُمّر ، وفيهم من أحرق ، وفيهم من قتل ، ولم يجدد في زمانه مظلمة ، ولا استجد ضمان مكس . وكان يحب الشام وأهله ، وفيه يقول شمس الدين ابن غانم :

مليكان قد لقّبا بالصلاح فهذا خليلٌ وذا يوسفُ
فيوسُفُ لا شكَّ في فضله ولكن خليلٌ هو الأشرفُ

وكان مُغْرًى بالهدم ، لأنه هدم أماكن ، وفيه يقول علاء الدين الوَداعي لما أمر بهدم الأماكن المجاورة للميدان بدمشق ، ووزع عمارته على الأمراء :

إنْ أمرَ السلطان في جلقٍ بهدم ما جاور مَيْدانَهُ
فإنه قد غار لمّا رأى عبرَ بيوتِ اللهِ جيرانَهُ

وقال أيضاً :

أرى الأمراء قد جدوا وجادوا وشدُّوا في بنائهم وشادوا
وهم متسابقون ولا عجيبٌ ففي الميدانِ تستبقُ الجيادُ

وقال أيضاً :

حُزيتم أيها الأمراء خيراً على إتقانكم هذي البنيّهْ
فلا تخشوا على الميدان شيئاً سوى سيلِ العطايا الأشرفيهْ

ولما افتتح السلطان عكا امتدحه القاضي شهاب الدين محمود بقصيدته البائية المشهورة . وهي[1] :

الحمدُ لله ذلّتْ دولة الصُّلُبِ وعزَّ بالترك دينُ المصطفى العربي

---

[1] انظر هذه القصيدة في تاريخ ابن الفرات ٨ . ١١٥ .

هذا الذي كانت الآمالُ لو طلبت ... رؤياه في النوم لاستحيتْ من الطلب
ما بعد عكا وقد هُدَّتْ قواعدها ... في البحر للشرك عند البر من أرب
عقيلةٌ ذهبتْ أيدي الخطوبِ بها ... دهراً وشدَّتْ عليها كفَّ مغتصب
لم يبقَ من بعدها للكفر مذ خربتْ ... في البرّ والبحرِ ما ينجي سوى الهرب
كانت تخيلنا آمالنا فنرى ... أن التفكّرَ فيها غايةُ العجب
أما الحروبُ فكم قد أنشأت فِتناً ... شاب الوليدُ بها هولاً ولم تشب
سوران : برٌّ وبحرٌ حولَ ساحتها ... دار وأدناهما أنأى من القطب
مصفّح بصفاحٍ حولها أكَمٌ ... من الرماحِ وأبراجٌ من اليَلَب
مثل الغمائمِ تهدي من صواعقها ... بالنبل أضعافَ ما تهدي من السحب
كأنما كلّ برجٍ حوله فلكٌ ... من المجانيقِ يرمي الأرض بالشهب
ففاجأتْها جُنودُ اللهِ يقدُمُها ... غضبانُ لله لا للملك والنَّشَب
كم رامها ورماها قبله ملكٌ ... جمٌّ الجيوشِ فلم يظفرْ ولم يخَب[1]
لم ترضَ همّتُهُ إلاّ الذي قعدت ... للعجز عنه ملوكُ العُجمِ والعرب
ليث أبى أن يردَّ الوجه عن أممٍ ... يدعون ربَّ العلى سبحانه بأب
لم يلهه ملكه ، بل في أوائله ... نال الذي لم ينله الناسُ في الحِقَب
فأصبحتْ وهي في بحرين ماثلة ... ما بين مضطرمٍ ناراً ومضطرب
جيش من الترك ترْكُ الحرب عندهمُ ... عار[2]، وراحتهم ضرب[3] من الضرب
خاضوا إليها الردى والهجر فاشتبه الـ ... أمران واختلفا في الحال والسبب
تَسنَّموها فلَمْ يتركْ تَسنّمهم ... في ذلك الأفقِ برجاً غيرَ منقلب
أتوا حماها فلم تمنع وقد وثبوا ... عنها مجانيقهم شيئاً ولم يثب
يا يوم عكا لقد أنسيتَ ما سبقت ... به الفتوحُ وما قد خُطّ في الكتب

---

١ ابن الفرات : ولم يصب .
٢ ص : عاراً .
٣ ص : ضرباً .

لم يبلغ النطقُ حدَّ الشكر منك فما | عسى يقوم به ذو الشعر والخطب
كانت تمنّى بكَ الأيام مبعدةً | فالحمد لله نلنا ذاك عن كثب
أغضبتَ عُبّاد عيسى إذ أبدتهمُ | لله أي رضًى في ذلك الغضب
وأطلع الله جيشَ النصر فابتدرت | طلائع النصر بين السُّمْر والقُضُب
وأشرف المصطفى الهادي البشير على | ما أسلف الأشرف السلطانُ من قرب
فقرَّ عيناً بهذا الفتح وابتهجت | بفتحه الكعبةُ الغراء في الحجب
وسار في الأرض سيرَ الريح سُمعته | فالبرُّ في طربٍ والبحرُ في حَرَب
وخاضت البيض في بحر الدماء وما | أبدتْ من البيض إلاّ ساقَ مختضب
وغاص زُرْقُ القنا في زُرْق أعينهم | كأنها شَطَنٌ تهوي إلى قُلُب
توقدت وهي غرقى في دمائهمُ | فزادها الطفحُ منها شدَّة اللهب
وذاب من حرها عنهم حديدهمُ | فقيدتهم بها ذعراً يدُ الرَّهب
كم أبرَزَتْ بطلاً كالطَّود قد بطلت | حواسه فغدا كالمنزلِ الخَرِب
أجرت إلى البحر بحراً من دمائهمُ | فراح كالراح إذ غرقاه كالحبب
تحكمتْ وسَطَتْ فيهم قواضبُنا | قتلاً وعفّتْ لحاويها عن السلب
كأنّــهُ وسِنانُ الرمْحِ يظلبــه | برجٌ هوى ووراه كوكب الذَّنب
بشراكَ يا مَلكَ الدنيا لقد شرفتْ | بك الممالك واستعلت على الرتب
ما بعد عكا وقد لانت عريكتها | لديك شيءٌ تلاقيهِ على تَعَب
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها | مدت إليك فواصلها[1] بلا نَصَب
كم قد دعت وهي في أسر العدا زمناً | صِيدَ الملوك فلم تُسْمَعْ ولم تجب
أتيتها يا صلاحَ الدينِ معتقــداً | بأن داعي صلاح الدينِ لم يخب
أسَلْتَ فيها كما سالت دماؤهم | من قبل إحرازها بحراً من الذهب
أدركت ثأر صلاح الدين إذ غُصبت | منهُ لسرٍّ طواهُ اللهُ في اللقب

---

١ ابن الفرات : نواصيها .

وجئتها بجيوشٍ كالسيول على أمثالها بين آجامٍ من القضب
وحُطْتَها بالمجانيق التي وقفتْ إزاءَ جدرانها في جَحْفل لَجِب
مرفوعة نصبوا أضعافها فغــدا للكسر والحطم منهم كلُّ منتصب
ورُضْتَهــا بنقوبٍ ذللت شَمَماً منها وأبدتْ محياها بلا نُقَب
وغنّتِ البيضُ في الأعناق فارتقصت أبْراجُهــا لعباً منهنّ باللعب
وخلقت بالدم الأسوار[1] فانفغمت طيباً ولولا دماءُ الخبثِ لم تطب
وأبرزت كلّ خودٍ كاعبٍ نثرت رؤوسهم حين زفّوها بلا طرب
باتت وقد جاورتنا ناشزاً وغدت طوع الهوى في يدي جيرانها الجُنُب
بل أحرزتهم ولكنْ للسيوف لكي لا يلتجي أحد[2] منهم إلى الهرب
أضحت أبا لهب تلك البروج وقد كانت بتعليقها حمالةَ الحطب
وتمت النعمةُ العظمى وقد كملت بفتح صور بلا حصر ولا نَصَب
وجارت النارُ في أرجائها وعلت فأطفأت ما بصدر الدين من كرب
وأفلت البحر منهم من يخبّرُ من يلقاه من قومه بالويل والحرب
أختان في أن كلا منهما[3] جمعت صليبةَ الكفر لا أختان في النسب
لما رأت أختها بالأمس قد خربت كان الخرابُ لها أعدى من الجرب
الله أعطاك ملك البحر إذ جمعت لك السعادة مُلْكَ البرّ والعرب
من كان مبدأه عكا وصورَ معاً فالصينُ أدنى إلى كفيه من حلب
علا بك الملك حتى إنّ قبته على البرايا غدت ممدودة الطنب
فلا برحْتَ قريرَ العين مبتهجاً بكلّ فتح مبين المنح مرتقب

وقال أيضاً يمدحه عند فتح قلعة الروم سنة إحدى وتسعين وستمائة :

---

١ ص : الأصوار .
٢ ص : أحداً .
٣ ص : كل منهم .

لكَ الرايةُ الصفراء يقدمهـــا النصرُ فمَنْ كيقباذٌ إنْ رآها وكيخسرو

إذا خفقت في الأرض هدبُ بنودها هوى الشرك واستعلى الهدى وانجلى الثغر

وإن نشرت مثلَ الأصائل في وغًى جلا النقعَ من لألاء طلعتها البـــدر

وإن يممت زرق العدا سار تحتهـــا كتائبُ خضر تحتها البيض والسمر

كأنَّ مُثارَ النّقع ليلٌ . وخفقهـــا بروق ، وأنت البدر ، والفلك البحر[1]

لها كلَّ يومٍ أينَ سار لواؤهـــا هَدِيّـةُ تأييدٍ يقدّمهـــا الدهر

وفتح أتى في إثْرِ فتْح كـأنّما سماءٌ بدتْ تتْرى كواكبها الزهر

فكم وطئت طوعاً وكرهاً معاقـــلٌ مضى الدّهرُ عنها وهي عانسة بكر

فإنْ رمت حصناً سابقتكَ كتائبٌ من الرعبِ أو جيشٌ[2] يقدمه النصر

ففي كلِّ قطْرٍ للعدى وحصونهم من الخوف أسياف تجردُ أو حَصْر

فلا حصنَ إلاّ وهو سجْنٌ لأهْلهِ ولا جسدٌ إلاّ لأرواحهم قبر

وما قَلْعةُ الرومِ التي حُزْتَ فتحَها وإنْ عَظُمَتْ إلاّ إلى غيرها جسر

مُحَجّبَةٌ بين الجبالِ[3] كـأنهـا إذا ما تبدّتْ في ضمائرها سر

تفاوت وصفاها فللحوتِ فيهمـا مجالٌ وللنَّسْرينِ بينهما وكْر[4]

فبعضٌ رسا حتى جرى الماءُ فوقه وبعضٌ سما حتى همى دونه القطر

يحيطُ بهـا نهرانِ تبرزُ فيهمـا كما لاح يوماً في قلائده النحر

تخاضُ متونُ السّحب فيها كأنها إذا ما استدارت حول أبراجها نهر

على هُضُب صمٍّ يكلّم صخرها الـ حديد وفيهـا عن إجابته وَقر

لهـا طرق[5] كالوهم أعيا سلوكه على الفكر حتى ما يُخيِّلهُ الفكر

---

١ ص : الجتر .

٢ ص : جيشاً .

٣ ص : الخيال .

٤ ص : ذكر .

٥ ص : طرقاً .

إذا خطرت فيهـا الرياحُ تعثّرتْ ... أو الذرُّ يوماً زلّ [1] عن متنه الذر
يضلُّ القطا فيها ويخشى عقابها الـ ... عُقابُ ويهْفو في مراقبهـا النسر
فصبَّحْتَها بالجيشِ كالرَّوضِ بهجةً ... صوارمه أنهـارهُ والقنا الزهر
وأبدعْتَ بل كالبحر والبيضُ موجُه ... وجُرْدُ المَذاكي السفنُ والخوذُ الدر
وأغربتَ بل كالليلِ ، عوجُ سيوفِه ... أهلتـهُ . والنبْلُ أنجمهُ الزهر
وأخطأتُ لا بلْ كالنّهارِ فشمسهُ ... جيوشك ، والآصال راياتُكَ الصفر
ليوثٌ من الأتراكِ آجـامُها القنا ... لها كلَّ يومٍ في ذرى ظَفَرٍ ظُفْر
فلا الريحُ تسري بينهم لاشتباكهـا ... عليهم ولا ينهلُّ من فوقهم قَطْر
يرى الموت معقوداً بهدب نباهم ... إذا ما رماها القوسُ والنظر الشزر
ففي كلِّ سرجٍ غُصْنُ بانٍ مهفهف ... وفي كلِّ قوس مَدَّ ساعده بدر
إذا صدموا صمَّ الجبالِ تزلزلت ... وأصبح سهلاً تحت خيلهم الوعر
ولو وردتْ مـاءَ الفرات خيولهمُ ... لقيل هنا قد كان فيما مضى نهر
أداروا بها سوراً [2] فأضحتْ كخنْصَرٍ ... لدى خاتم أو تحت منطقةٍ خصر
وأجروا إليهـا من بحار أكفِّهم ... سحابَ ردًى لم يخل من قطره قطر
كأنَّ المجانيق التي قُمْنَ [3] حولها ... رواعدُ سُخْطٍ وَبْلُها [4] النار والصخر
فأحرزتَهـا بالسيف قهراً ، وهكذا ... فتوحك فيما قد مضى كلُّهُ قسر
غدت بشعار [5] الأشرفِ الملكِ الذي ... له الأرض دار وهي من حسنها قصر
وأضحت بحمد الله ثغراً ممنّعـاً ... تَبيدُ اللّيـالي والعِدا وهو مُفترُّ
وكانت قَذًى في ناظر الدينِ فانجلى ... وذخراً لأهل الشرك فانعكس الأمر

---

[1] ص : زال .
[2] ص : سور .
[3] ص : قمت
[4] ص نبلها
[5] ص بشفار



حرف الدّال



١٤٩

[الملك الناصر داود]

داود بن عيسى بن محمد بن أيوب ، الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر ابن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الكبير ابن أيوب ؛ ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة بدمشق ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة ؛ سمع ببغداد من القطيعي وغيره ، وبالكرك من ابن اللتي ، وأجاز له المؤيد الطوسي ؛ وكان حنفي المذهب عالماً فاضلاً مناظراً ذكياً ، له اليد البيضاء في الشعر والأدب ، لأنه حصل طرفاً جيداً من العلوم في دولة أبيه . وولي السلطنة سنة أربع وعشرين بعد والده ، وأحبه أهل دمشق ، وسار عمه الكامل من مصر ليأخذ دمشق منه ، فاستنجد بعمه الأشرف ، فجاء لنصرته ، ونزل بالدهشة ، ثم تغير عليه ومال لأخيه الكامل ، وأوهم للناصر أنه يصلح قضيته ، فاتفقا عليه وحاصراه أربعة أشهر وأخذا دمشق منه ، وسار إلى الكرك وكانت لوالده ، وأعطي معها الصلت ونابلس وعجلون وأعمال القدس ؛ وعقد نكاحه على بنت عمه الكامل ، ثم إن الكامل تغير عليه ، ففارق ابنته قبل الدخول ، ثم إن الناصر قصد الإمام المستنصر بالله ، وقدم له تحف ونفائس ، وسار إليه على البرية ومعه فخر القضاة ابن بصاقة وشمس الدين الخسروشاهي والخواص من مماليكه وألزامه ، وطلب الحضور بين يديه كما فعل بصاحب إربل ، فلم يأذن له ، فنظم قصيدته البائية وأولها :

---

١٤٨ - الوافي والزركشي : ١١٢ وعبر الذهبي ٥ : ٢٢٩ والشذرات ٥ : ٢٧٥ وابن خلكان ٣ : ٤٩٦ وذيل مرآة الزمان ١ : ١٢٦ والنجوم الزاهرة ٧ : ٦١ ونفح الطيب ٢ : ٤٠٧ والسلوك ومفرج الكروب ، والقسم الأعظم من هذه الترجمة لم يرد في المطبوعة .

دانٍ أَلَمّتْ بالكثيبِ ذوائبُـــهْ وجُنْح الدجى وحْفٌ تجولُ غياهبُهْ
تقهقه في تلكَ الربوعِ رعودُهُ وتبكي على تلك الطلولِ سحائبه
أَرِقْتُ له لمّا توالى بُروقــه وحُلّتْ عزاليهِ وأسبلَ ساكبه
إلى أنْ بَدا من أشْقَرِ الصبْحِ قادمٌ يراعُ له من أدهمِ الليلِ هاربه
وأصبحَ ثغْرُ الأقْحُوانةِ ضاحكاً تدغدغــهُ ريحُ الصبا وتُداعِبُه
تمرُّ على نبتِ الرياضِ بليلَــة تجمّشُهُ طَوْراً وطَوراً تُلاعِبُه
وأقبلَ وجه الأرض طلقــاً وطالما غدا مُكْفَهِرّاً موحشاتٍ جوانبه
وكساهُ الحيا وشياً من النبتِ فاخراً فعاد قَشيباً غَوْرُهُ وغَواربه
كما عــادَ بالمستنصر ابن محمّدٍ نظامُ المعالي حينَ قَلّتْ كتائبه
إمامٌ تَحَلّى الدين منه بمــاجد تحلّتْ بآثــار النبيّ منــاكبه
هو العارضُ الهتّان لا البرق مخلفٌ لديهِ ولا أنْواره وكواكبــه
إذا السنة الشّهباء شحّتْ[1] بطلهــا سخا وابلٌ منه وسحّتْ سواكبه
فأحيا ضياءَ البرقِ ضوءُ جبَينــه كما نحلتْ جودَ الغوادي مواهبه
له العزمات اللائي لولا نضالهـــا تزعزعَ ركنُ الدين وانهدّ جانبه
بصيرٌ بأحوالِ الزمانِ وأهْلِــهِ حذورٌ فما تخشى عليه نوائبه
بديهته تغنيه عن كلٍّ مشكــلٍ وإنْ حنّكتْهُ في الأمور تجاربه
حوى قَصَبات السبقِ مذ كان يافعاً وأَربتْ على زُهر النجوم مناقبه
تَزَيّنَتِ الدنيــا به وتَشَرّفَتْ بنوها فأضحى خافض العيش ناصبه
لئن نوهّت باسم الإمام خلافــةٌ ورفّعتِ الزاكي المنار منـاسبه
فأنت الإمامُ العدلُ والعِرقُ الذي به شرفت أنسابــه ومنــاصبه
وأغنيتَ حتى ليس في الأرض معدمٌ يجور عليهِ دهره ويحــاربه
ومَنْ جدُّه عمُّ النبيّ وخدنــه إذا صارمته أهله وأقــاربه

---

[1] ص : سحت .

جمعتَ شتيتَ المجدِ بعد انفراقــهِ وفرَّقت ُجمعَ المال فانهالَ كاثبه[1]
ألا يا أميرَ المؤمنين ومن غدت[2] على كاهل الجوزاء تعلو مراتبه
أيحسنُ في شرع المعالي ودينهـا وأنت الذي تُعْزَى إليه مذاهبه
بأني أخوضُ الدوَّ والدوُّ مُقْفِرٌ سَبَارِتُهُ مُغْـبَرَّةٌ وجوانبه
وأرتكبُ الهولَ المخوفَ مخـاطراً بنفسي ولا أعبا بمـا أنا راكبه
وقد رصد الأعداءُ لي كلَّ مرصد فكلّهمُ نحوي تدبُّ عقـاربه
وآتيك والعضبُ المهنّدُ مصلَتٌ طريرٌ شباه فاتناتٌ ذوائبـه
وأتركُ آمـالي ببـابك راجيـاً بواهرَ جاه يبهرُ النّجْمَ ثاقبـه
فتقبل منّي عبد رقٍّ فيغتـدي له الدهر عبداً[3] طائعاً لا يغـالبه
وتُنْعمُ في حقّي بما أنت أهله وتعلي محلي فـالسّها لا يقـاربه
وتُلبسني من نسج ظلّك حُلَّةً تشرِّف قدر النيّرينِ جـلابيه
وتركبني نعمى أيـاديك مركبـاً على الفلك الأعلى تسيرُ مواكبه
وتسمح لي بالمال والجـاهُ بغيتي وما الجاه إلاّ بعض ما أنت واهبه
ويأتيك غيري من بلادٍ قريبـة له الأمْنُ فيها صاحب لا يجانبه[4]
وما اغبرَّ من جوب الفلا حرٌّ وجهه ولا اتصلت بالسير فيها ركائبـه
فيلقى دنُوّاً منك لم ألقَ مثلَـهُ ويحظى ولا أحظى بما أنـا طالبه
وينظر من لألاء قُدْسك نظرةً فيرجع والنورُ الإماميُّ صاحبـه
ولو كان يعلوني بنفسٍ ورتبـة وصدقِ ولاءٍ لست فيـه أصاقبه
ولكنّهُ مثـلي ولوْ قُلْتُ إنّني أزيدُ عليـه لم يعب ذاك عائبه
ولا بالذي يرضيه دونَ نَصيره ولو أُنعلتْ بالنيّراتِ مراكبـه

---

١ ص : كاتبه .
٢ ص : عدت .
٣ ص : عبد .
٤ ص : تجانبه .

لكنتُ أُسلّي النّفسَ عمّا أرومـــه وكنتُ أذودُ العينَ عمّا تراقبه
وما أنا ممّن يملأ المـالُ عينَهُ ولا بسوى التقريب تُقْضى مآربه
ومن عجبٍ أني لدى البحر واقف وأشكو الظّما والبحرُ جمٌّ عجائبه
وغير ملومٍ من يؤمـل قـاصداً إذا عظمت أغراضـهُ ومـآربه
وقد رضت مقصودي فتمت صدورُه ومنكَ ترجّى أن تتمَّ عواقبـه

فلما وقف الخليفة عليها أعجبته كثيراً ، فاستدعاه سراً بعد مضيّ شطر من الليل ، فدخل من باب السرّ إلى إيوان فيه ستر مضروب ، فقبَّل الأرض ، فأمر بالجلوس ، فجعل الخليفة يحدثه ويؤنسه ، ثم أمر الخدام فرفعوا الستر ، فقبل الأرض وقبَّل يده ، فأمر بالجلوس فجلس ، وجاراه في أنواع من العلوم وأساليب الشعر ، وأخرجه ليلاً وخلع عليه خلعة سنية : عمامة مذهبة سوداء وجبة سوداء مذهبة ، وخلع على أصحابه ومماليكه خلعاً جليلة ، وأعطاه مالاً جزيلاً ، وبعث في خدمته رسولاً مشَرْبشاً[1] من أكبر خواصه إلى الكامل يشفع فيه في إخلاص النية له وإبقاء ملكه عليه والإحسان إليه . وبلغ الكامل فخرج إلى تلقيهما إلى القصر، وأقبل على الناصر إقبالاً كثيراً، ونزل الناصر بالقابون وجعل رنكه[2] أسود[3] انتماءً إلى الخليفة ، وكان الخليفة زاد في ألقابه بـ « الولي المهاجر » مضافاً إلى لقبه ، وتوجه من دمشق والرسول معه ليرتبه في الكرك ، وذلك سنة ثلاث وثلاثين وستمائة .

---

١ مشربشاً : يلبس شربوشاً وهو قلنسوة طويلة تلبس بدل العمامة ، وكانت شارة للأمراء (ملحق دوزي) .

٢ الرنك لفظ فارسي معناه اللون ، وهو يستعمل بمعنى الشعار الذي يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له علامة على وظيفة الإمارة التي يعين عليها (حاشية السلوك ١ : ٦٧٢ رقم : ٤ ، وانظر صبح الأعشى ٤ : ٦١ — ٦٢) .

٣ ص : أسوداً .

ولما كان الناصر ببغداد حضر في المستنصرية وبحث واستدلّ ، والخليفة في روشن يسمع ، وقام يومئذ الوجيه القيرواني ومدح الخليفة بقصيدة منها :

لو كنتَ في يوم السقيفةِ حاضراً   كنت المقدَّم والهمامَ الأروعا

فقال له الناصر : كذبت ، قد كان العباس جد أمير المؤمنين حاضراً[1] ، ولم يكن المقدَّم إلاّ أبو بكر رضي الله عنه ، فخرج الأمر بنفي[2] الوجيه ، فذهب إلى مصر وولي تدريس مدرسة ابن شكر .

رجع الكلام :

ثم وقع بين الكامل والأشرف ، وأراد كل منهما أن يكون الناصر معه ، فمال إلى الكامل ، وجاء في الرسليّة القاضي الأشرف ابن الفاضل ، وسار الناصر إلى الكامل فبالغ في تعظيمه وأعطاه الأموال والتحف ، ثم اتفق موت الأشرف والكامل ، والناصر بدمشق في دار أسامة ، فتشوف إلى السلطنة ، ولم يكن يومئذ أميَز منه ، ولو بذل المال لحلفوا له ، فتسلطن الجواد ، فخرج الناصر من دمشق إلى القابون وسار إلى عجلون ، ثم حشد وجاء ، فخرج الجواد بالعساكر ، ووقع المصاف بين نابلس وجينين ، فانكسر الناصر وأخذ الجواد خزائنه ، وكانت على سبعمائة جمل ، فافتقر الناصر .

ولما ملك الصالح نجم الدين أيوب دمشق وسار لقصد مصر ، جاء عمه الصالح إسماعيل وملك دمشق ، فتسحب جيش نجم الدين عنه ، وبقي في نابلس في جماعة قليلة ، فجهز الناصر عسكراً[3] من الكرك فأمسكوه وأحضروه إلى الكرك ، فاعتقله عنده مكرماً .

ونزل الناصر عند موت الكامل من الكرك على القلعة التي عمرها الفرنج

1 ص : حاضر .
2 ص : بنفا .
3 ص : عسكر .

بالقدس وحاصرها وملكها وطرد مَنْ بالقدس من الفرنج وفي ذلك يقول ابن مطروح :

المسجد الأقصى له عادة سارت فصارت مثلاً سائرا
إذا غدا للكفر مستوطناً أن يبعث الله لهُ ناصرا
فناصرٌ طَهَّرَه أولاً وناصرٌ طهّرهُ آخرا

ثم إنه اتفق مع الصالح نجم الدين أيوب في أنه إن ملك مصر ما يفعل ، فقال الصالح : أنا غلامك ، وشرط عليه أشياء وأطلقه ، فلما ملك مصر وقع التسويف منه والمغالطة ، فغضب الناصر ورجع فبعث الصالح عسكراً[1] واستولوا على بلاد الناصر ، ثم إن ابن الشيخ نازله في الكرك وحاصره أياماً ورحل ، فقلّ ما عند الناصر من الذخائر والأموال واشتدّ عليه الأمر ، فجهز الشيخ شمس الدين الخسروشاهي ومعه ولده إلى الصالح وقال : تسلم مني الكرك وعوّضني الشوبك وخبزا بمصر فأجابه ، فرحل إلى مصر مريضاً . ثم إن الأمر ضاق عليه فترك ولده المعظم نائباً في الكرك ، وأخذ ما يعزّ عليه من الجواهر ومضى إلى حلب مستجيراً بصاحبها ، فأكرمه ، ثم توجه قاصداً بغداد ، وأودع ما معه من الجواهر عند الخليفة ، وكانت قيمتها أكثر من مائة ألف دينار ، ولم يصل بعد ذلك إليها .

وكان له ولدان : الظاهر والأمجد ، وهما من بنت الملك الأمجد ابن العادل ، فأمهما بنت عمه ، و [أم المعظم]بنت عمه الصالح ، فاتفقا مع أمهما على القبض على المعظم فقبضاه ، واستولوا على الكرك . ثم سار الأمجد إلى المنصورة فأكرمه الصالح ، فكلمه في الكرك وتوثق منه لنفسه وإخوته وأن يعطيه خبزاً بمصر ، فأجابه ، وسير الطواشي بدر الدين الصوابي إلى الكرك نائباً ، وأقطع أولاد الناصر إقطاعات جليلة ، وفرح بالكرك ؛ وبلغ الناصر الخبر وهو بحلب فعظم ذلك عليه . فلما مات الصالح وتملك ابنه المعظم توران شاه وقتل عمه الطواشي الصوابي وأخرج

---

[1] ص : عسكر .

المغيث عمر ابن العادل ابن الكامل من حبس الكرك وملكه الكرك والشوبك ، وجاء صاحب حلب فملك دمشق ، ومعه الصالح إسماعيل والناصر داود ، فقيل له ان الناصر يسعى في السلطنة ، فقبض عليه وحبسه بحمص ، ثم أفرج عنه بشفاعة الخليفة ، فتوجه إلى الخليفة فلم يؤذن له في الدخول إلى بغداد ، فطلب وديعته فلم تحصل له ، فردّ إلى دمشق ، ثم سافر إلى بغداد لأجل الوديعة ، فنزل بمشهد الحسين بكربلا ، وسير قصيدة إلى الخليفة يمدحه ويسأله في ردّ الوديعة ويتلطف ، فلم يرد عليه جواب ، فحج وأتى المدينة وقام بين يدي الحجرة النبوية ، وأنشد قصيدته التي أولها :

إليكَ امتطينا اليعملات رواسماً   يجبن الفلا ما بين رضوى ويذبلِ

ثم أحضر شيخ الحرم والخدام ، ووقف بين يدي الضريح مستمسكاً بسجف الحجرة وقال : اشهدوا أن هذا مقامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد دخلت عليه مستشفعاً به إلى إبن عمه أمير المؤمنين في ردّ وديعتي ، فأعظم الناس هذا وبكوا ، وكتبوا بصورة ما جرى إلى الخليفة ؛ ولما كان الركب في الطريق خرج عليهم أحمد بن حجي بن يزيد من آل مرى فوقع القتال ، وكادوا يظفرون بأمير الحاج ، فشقّ الناصر الصفوفَ ، وكلّم أحمد بن حجي ، وكان أبوه صاحبه ، فترك الركب ونزل الناصر بالحلة ، فقرر له راتب يسير ، ولم ينل مقصوداً[1] ، فجاء إلى قرقيسيا ، ومنها إلى تيه بني إسرائيل ، وانضم إليه عربان ، فخاف المغيث منه وراسله وخدعه إلى أن قبض عليه وعلى من معه ، وحبسه بطور هارون ، فبقي ثلاثة أيام . واتفق أن المستعصم دهمه أمر التتار فكتب إلى صاحب الشام يستمده ويطلب منه جيشاً يكون مقدمه الناصر داود ، فطلبه من المغيث فأخرجه ، وقدم إلى دمشق ونزل بقرية البويضا قرب البلد ، وأخذ يتجهز للمسير ، فجاءت الأخبار بما جرى على بغداد من التتار ، وعرض طاعون بالشام عقيب واقعة التتار ،

---

١ ص : مقصود .

فطعن الناصر في جنبه وتوفي ليلة الثامن والعشرين[1] من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة ، وركب السلطان إلى البويضا ، وأظهر التأسف عليه وقال : هذا كبيرنا وشيخنا ، ثم حمل إلى تربة والده بسفح قاسيون .

وكان رحمه الله تعالى معتنياً بتحصيل الكتب النفيسة ، ووفد عليه راجح الحلي ومدحه فوصل إليه منه ما يزيد على أربعين ألف درهم ، وأعطاه على قصيدة أخرى ألف دينار .

وكتب الملك الناصر داود إلى وزيره فخر القضاة ابن بصاقة :

يا ليلة قَطَّعْتُ عمرَ ظلامها ... بمدامةٍ صفراءَ ذات تأجّجِ
بالساحل النامي روائح نشره ... عن روضه المتضوّع المتأرج
واليمُّ زاهٍ قد جرى تيّارُهُ ... من بعد طولِ تقلّقٍ وتموج
طوراً يدغدغه النّسيمُ وتارةً ... يَكرى فتوقظه بنات الخرزج
والبَدرُ قد ألقى سنا أنواره ... في لجّهِ المتجعّدِ المتدبّج
فكأنّهُ إذ قَدَّ صفحة متنهِ ... بشعاعــهِ المتوقد المتوهج
نهرٌ تكوَّنَ من نُضارٍ يانعٍ ... يجري على أرضٍ من الفيروزج

ومن شعره :

صبحاني بوجْههِ القَمريّ ... واصْبحاني بالسلسبيلِ الرويّ
بدرُ ليلٍ يسعى بشمس نهارٍ ... فشهيٌّ يَنْتابُنــا بشهيّ
واعجبا لاجتماع شمس وبدر ... في سَنائي سَنا كمالٍ بهيّ
إن تبدَّتْ بوجهها ذهبيّـاً ... قلتُ هذا من وجههِ الفضيّ
يا ولوعاً بالنبل أصميت قلبي ... بسهام من لحظك البابليّ
رشَقَته من حاجبيك سهامٌ ... منتضاةٌ أحسنْ بها من قسيّ

ومنه :

---

[1] ص : والعشرون .

لو عاينتْ عيناكَ حسنَ معذبي ما لمتني ولكنتَ أولَ مَن عَذَرْ
عين الرشا قَدُّ القَنا ردف النَقـا شعرُ الدجى شمس الضحى وجه القمر

وممّا ينسب إليه وهو غاية :

بأبي أهيفٌ إذا رمتُ منه لثم ثغرٍ يَصدّني عن مرامي
قد حمى خدَّه بسورِ عِذارٍ مقلتاه أضحت عليه مرامي

وله أيضاً :

تراخيتَ عني حين جدَّ بيَ الهوى وجربت صبري عندما نفدَ الصبرُ
فلو عاينَتْ عيناك في الليل حالتي وقد هزني شوقي وأقلقني الفكر
رأيتَ سَليماً في ثيـابِ مسلم ومستشعراً قد ضمَّ شرسوفه الشعر

وله :

إذا عاينتْ عينايَ أعلامَ جِلَّقٍ وبانت من القصر المشيد قبابهُ
تيقنت أن البينَ قد بان والنّوى نأى شَحْطها والعيش عاد شبابهُ

وله أيضاً :

طرفي وقلبي قاتلٌ وشهيدُ ودمي على خديكَ منهُ شهودُ
يا أيها الرشأ الذي لحظـاته كم دونهنّ صوارمٌ وأسودُ
مَن لي بطيفك بعدما منع الكرى عن ناظريَّ البُعدُ والتّسهيدُ
وأما وحبّك لستُ أضمر توبةً عن صبوتي ودع الفؤاد يبيدُ
وألذُّ ما لاقيتُ فيك مَنيّتي وأقَلُّ ما بالنَفسِ فيك أجودُ
ومن العجائب أن قلبك لم يَلِنْ لي والحَديدُ ألانَهُ داودُ

وعلى الجملة إنّه لم يكن مسعود الحركات ، لأنه قضى عمره في أسوإ حال ، مشرداً[1] عن الأوطان معكوس المقاصد، وقيل : إنه كان إذا دخل في الشراب

---

[1] ص : مشرد .

وأخذ السكر منه يقول : أشتهي أن أرى فلاناً طائراً في الهوا ، فيرمى ذلك المسكين في المنجنيق ويراه وهو في الهواء، فيضحك ويسرُّ به ويقول : أشتهي أشمّ روايح فلان وهو يشوى، فيحضر ذلك المعثّر ويقطع لحمه ويشوى، وهو يضحك من فعلهم بذلك المسكين ، وله من هذه الأفعال الردية أنواع كثيرة . وفيه يقول جمال الدين ابن مطروح :

ثلاثــة ليس لهم رابع عليهمُ معتمدُ الجودِ
الغيثُ والبحرُ وعَزِّزْهمـا بالملكِ النّـاصر داود

رحمه الله تعالى وعفا عنه وعنا وعن جميع المسلمين .

١٥٠

[الملك المؤيد هزبر الدين]

داود بن يوسف بن عمر بن رسول التركماني ، الملك المؤيد هزبر الدين ، مَلَكَ اليمن نيفاً وعشرين سنة ، ومات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة .

وكان قد تفنّن وحفظ « كفاية المتحفظ » ومقدمة ابن باب شاذ ، وبحث « التنبيه » وطالع وسمع من المحب الطبري وغيره ، واشتملت خزانته على مائة ألف مجلد ، وكان محباً للخير يزور الصالحين ، وقدم عليه عز الدين الكولمي ومعه من المسك والحرير والصيني ما أدى عليه ثلثمائة ألف درهم ، وأنشأ المؤيد قصراً بديع الحسن عديم المثال .

---

١٥٠ – الوافي والشذرات ٦ : ٥٥ وعبر الذهبي ٦ : ١٢٠ والدرر الكامنة ٢ : ١٩٠ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٥٣ .

ولما مات تولى ابنه المجاهد ، واضطرب ملك اليمن مدة ، وتمكن الملك الظاهر ابن المنصور وقبضوا على المجاهد ، ثم مات المنصور وكان ديّناً رحيماً ، فثار أمراء مع المجاهد ، واستولى على قلعة تعز ، ثم قوي أمره وأباد أضداده .

وقال الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني يمدح المؤيد وقد ركب فيلاً :

الله أولاك يا داود مَكرمة ... ورتبةً ما أتاها قبلُ سلطانُ

ركبت فيلاً وظلّ الفيلُ ذا رهج ... مستبشراً وهو بالسلطان فرحان

لك الإلهُ أذلّ الوحشَ أجمعه ... هل أنت داودُ فيه أم سليمان

وقال يمدحه وقد بنى قصراً[1] بظاهر زبيد :

يا ناظمَ الشعر في نُعمٍ ونعمان ... وذاكرَ العهد من لبنى ولبنان

ومعملَ الفكر في ليلى وليلتهـا ... بالسفح من عَقدات الضال والبان

قصر فيا لعلوّ من زبيد[2] علا ... عالي المنار عظيم القدر والشّان

به التغزُّل أحلى ما يُرى بهجـاً ... فدع حديثَ لويلاتٍ بعسفان

قصرٌ بناهُ هزبر الدين مفتخراً ... وشاد ذلك بانٍ أيمـا بان

هذا الخورنقُ بل هذا السّديرُ أتى ... في عصر داود لا في عصر نعمان

أنسى بإيوانه كسرى فلا خبرٌ ... من بعد ذلك عن كسرى لإيوان

سامي النجومَ علاء فهي راجعة ... عن [...] ذاك لإيوان ابن حسان

تودُّ فيه الثريا لو بدت سُرُجاً ... مثلَ الثريا به في بعض أركان

يحفه دوح زهرٍ كلّهُ عجبٌ ... كم فيهِ من فنن زاه بأفنان

---

١ ص : قصر .

٢ ص : من وادي زبيد .

ولم يوجد شيئاً [كذا] على حرف الذال المعجمة

* * *

تم الجزء الأول من المجموع المسمى بـ « فوات الوفيات والذيل عليها » من خط جامعه محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين. ويتلوه في الجزء الثاني ترجمة راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الحلي الأسدي.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

محتويات الكتاب

١	**مقدمة المحقق**	٥
٢	**مقدمة المؤلف**	٩

أ

١	ابراهيم بن أدهم	١٣
٢	ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الحربي ، أبو إسحاق	١٤
٣	ابراهيم بن جعفر ، المتقي لله بن المقتدر	١٧
٤	ابراهيم بن سليمان بن حمزة ، جمال الدين ابن النجار	١٨
٥	ابراهيم بن سهل الاسرائيلي	٢٠
٦	ابراهيم بن عبد الله بن يوسف الأرموي	٣١
٧	ابراهيم بن عبد الرحمن بن ضيا ، برهان الدين الفزاري	٣٢
٨	ابراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي ، عماد الدين الحنبلي	٣٣
٩	ابراهيم بن علي بن سلمة ، ابن هرمة الشاعر	٣٤
١٠	ابراهيم بن علي بن خليل الحراني ، عين بصل	٣٥
١١	ابراهيم بن عمر بن ابراهيم ، برهان الدين الجعبري	٣٩
١٢	ابراهيم بن القاسم ، الرقيق	٤١
١٣	ابراهيم بن كيغلغ ، أبو اسحاق	٤٢
١٤	ابراهيم بن لقمان ، فخر الدين الشيباني	٤٣
١٥	ابراهيم بن محمد بن عبيد الله ، ابن المدبر الكاتب	٤٤

١٦ ابراهيم بن محمد بن محمد ، ابن لنكك الشاعر ٤٧

١٧ ابراهيم بن محمد بن طرخان ، عز الدين السويدي ٤٨

١٨ ابراهيم بن معضاد بن شداد ، برهان الدين الجعبري ٤٩

١٩ ابراهيم الحائك المعمار ، غلام النوري ٥٠

٢٠ ابراهيم بن [محمد] ، ظهير الدين البارزي ٥٣

٢١ أحمد بن ابراهيم بن عمر ، عز الدين الفاروثي ٥٥

٢٢ أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ، عماد الدين الواسطي ٥٦

٢٣ أحمد بن أحمد بن أحمد ، شرف الدين المقدسي ٥٧

٢٤ أحمد بن اسحاق ، القادر بالله أمير المؤمنين ٥٨

٢٥ أحمد بن أبي بكر ، شهاب الدين أبو جلنك الشاعر ٦٠

٢٦ أحمد بن جعفر بن أحمد الدبيثي ، أبو العباس البيع ٦٢

٢٧ أحمد بن جعفر ، المعتمد على الله ابن المتوكل ٦٤

٢٨ أحمد بن الحسن ، الناصر لدين الله أمير المؤمنين ٦٦

٢٩ أحمد بن الحسن ، الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ٦٨

٣٠ أحمد بن الحسين بن محمد المسيلي ٦٩

٣١ أحمد بن صالح أبي فنن بن أبي معشر ٧٠

٣٢ أحمد بن صالح ، شهاب الدين السنبلي ٧٠

٣٣ أحمد بن طلحة ، المعتضد بالله أمير المؤمنين ٧٢

٣٤ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، تقي الدين بن تيمية ٧٤

٣٥ أحمد بن عبد الدايم بن أحمد ، زين الدين المقدسي الحنبلي ٨١

٣٦ أحمد بن عبد الدايم بن يوسف الشارمساحي ٨٢

٣٧ أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن نفادة السلمي ٨٤

٣٨ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم ، شهاب الدين الحنبلي العابر ٨٦

٣٩ أحمد بن عبد الله ، المستظهر أمير المؤمنين ٨٨

٤٠ أحمد بن عبد الله بن هريرة ، أبو العباس التطيلي الأعمى ٩٠
٤١ أحمد بن عبد الملك العزازي الشاعر ٩٥
٤٢ أحمد بن عبد الوهاب بن خلف ، علاء الدين ابن بنت الأعز ١٠٦
٤٣ أحمد بن عبيد الله بن فضال ، الماهر الحلبي ١٠٧
٤٤ أحمد بن المبارك بن أحمد ، ابن الخل ١٠٩
٤٥ أحمد بن محمد بن ابراهيم ، شمس الدين ابن خلكان ١١٠
٤٦ أحمد بن محمد بن أحمد ، زين الدين كتاكت ١١٩
٤٧ أحمد بن محمد بن أحمد ، كمال الدين ابن الشريشي ١٢٠
٤٨ أحمد بن محمد بن الحسن ، الصنوبري الشاعر ١٢٢
٤٩ أحمد بن محمد بن سالم ، أبو المواهب بن صصرى ١٢٥
٥٠ أحمد بن محمد بن سلمان ، شهاب الدين ابن غانم ١٢٧
٥١ أحمد بن محمد بن عبيد الله ، ابن المدبر ١٣٢
٥٢ أحمد بن محمد بن علي ، سيف الدين السامري ١٣٤
٥٣ أحمد بن محمد بن هارون ، المستعين أمير المؤمنين ١٤٠
٥٤ أحمد بن محمد بن أبى الوفا ، شرف الدين الحلاوي ١٤٣
٥٥ أحمد بن محمد بن منصور ، ناصر الدين ابن المنير ١٤٩
٥٦ أحمد بن محمد الافريقي ، أبو الحسن المتيم ١٥٠
٥٧ أحمد بن محمد ، فتح الدين ابن البققي ١٥٢
٥٨ أحمد بن هبة الله بن محمد ، موفق الدين ابن أبي الحديد ١٥٤
٥٩ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ١٥٥
٦٠ أحمد بن يحيى بن فضل الله ، شهاب الدين العمري ١٥٧
٦١ ادريس بن عبد الله بن اليمان العبدري ١٦١
٦٢ اسبهدوست بن محمد بن الحسن الديلمي الشاعر ١٦٢
٦٣ اسحاق بن خلف ، ابن الطبيب الشاعر ١٦٣

٦٤ أسعد بن ابراهيم بن حسن ، مجد الدين النشابي ١٦٥
٦٥ أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ١٦٨
٦٦ اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر شاكر ، أبو محمد المعرّي ١٧٠
٦٧ اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه ، أبو علي الحمدوني ١٧٣
٦٨ اسماعيل بن سلطان بن علي ، شرف الدولة بن منقذ ١٧٨
٦٩ اسماعيل بن علي بن محمد ، فخر الدين ابن عز القضاة ١٧٩
٧٠ اسماعيل بن علي العين زربي الشاعر ١٨٢
٧١ اسماعيل بن علي ، الملك المؤيد صاحب حماة ١٨٣
٧٢ اسماعيل بن محمد بن يزيد ، السيد الحميري ١٨٨
٧٣ اسماعيل بن محمد ، ابن مكنسة الاسكندراني ١٩٤
٧٤ أشجع بن عمرو السلمي ١٩٦
٧٥ أشعب الطمع ١٩٧
٧٦ أفلح بن يسار ، أبو عطاء السندي ٢٠١
٧٧ ألطنبغا ، علاء الدين الجاولي ٢٠٥
٧٨ أيدمر المحيوي ، فخر الترك ٢٠٨
٧٩ أيدمر بن عبد الله ، عز الدين السنائي ٢١٤

ب

٨٠ بكر بن النطاح ٢١٩
٨١ بكر بن علي الصابوني ٢٢١
٨٢ أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي ٢٢٤
٨٣ بهرام شاه بن فرخشاه ، الملك الأمجد مجد الدين صاحب بعلبك ٢٢٦
٨٤ بهلول بن عمرو المجنون ٢٢٨

٨٥	بولش الفرنجي ، الفرنسيس (لويس التاسع)	٢٣١
٨٦	بولس الراهب ، الحبيس	٢٣٣
٨٧	بيبرس الملك الظاهر ، ركن الدين الصالحي	٢٣٥

ت

٨٨	تنكز الأمير الكبير نائب الشام	٢٥١
٨٩	توبة بن الحمير	٢٥٩
٩٠	توبة بن علي بن مهاجر ، تقي الدين التكريتي	٢٦١
٩١	توران شاه بن الملك الصالح ، الملك المعظم غياث الدين	٢٦٣
٩٢	توفيق بن محمد بن الحسين الطرابلسي النحوي	٢٦٥

ث

٩٣	ثابت قطنة	٢٦٩
٩٤	ثابت بن تاوان ، أبو البقاء التفليسي	٢٧٠

ج

٩٥	جابر بن حيان	٢٧٥
٩٦	جرول بن أوس ، الحطيئة الشاعر	٢٧٦
٩٧	أبو الجعد شعر الزنج الوقّاد	٢٨٠
٩٨	جعفر بن محمد ، المقتدر بالله أمير المؤمنين	٢٨٤
٩٩	جعفر بن أحمد العلوي	٢٨٥
١٠٠	جعفر بن عبيد الله ، أبو الفضل الدمشقي	٢٨٦
١٠١	جعفر بن علي بن دواس ، قمر الدولة الكتامي	٢٨٧
١٠٢	جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب	٢٨٩

١٠٣	جعفر بن محمد ، المتوكل على الله بن المعتصم	٢٩٠
١٠٤	جعفر بن الفضل بن جعفر ، ابن حنزابة	٢٩٢
١٠٥	جعفر بن محمد بن ورقاء الشيباني	٢٩٥
١٠٦	جعفر بن محمد بن عبد العزيز الحسيني	٢٩٦
١٠٧	جعيفران الموسوس	٢٩٧
١٠٨	جلدك بن عبد الله المظفري التقوي	٣٠٠
١٠٩	جنكزخان طاغية التتار	٣٠١
١١٠	جوبان بن مسعود ، أمين الدين القواس	٣٠٣

ح

١١١	حسان بن نمير ، العرقلة الدمشقي	٣١٣
١١٢	الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي	٣١٨
١١٣	الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا الشاعر	٣١٩
١١٤	الحسن بن أسد بن الحسن ، أبو نصر الفارقي	٣٢١
١١٥	الحسن بن شاور بن طرخان ، ناصر الدين بن النقيب	٣٢٤
١١٦	الحسن بن عبد الله بن أحمد ، أبو الفتح بن أبي حصينة	٣٣٢
١١٧	الحسن بن عدي بن أبي البركات ، شيخ الأكراد	٣٣٤
١١٨	الحسن بن علي بن نصر ، الهمام العبدي	٣٣٦
١١٩	الحسن بن علي بن ابراهيم ، القاضي المهذب ابن الزبير	٣٣٧
١٢٠	الحسن بن علي بن سالم ، أبو البدر الاسكافي	٣٤٢
١٢١	الحسن بن علي بن حسن الساسكوتي الحموي	٣٤٣
١٢٢	الحسن بن عضد الدولة ، ابن هود الجذامي	٣٤٥
١٢٣	الحسن بن علي ، بدر الدين ابن المحدث	٣٤٨
١٢٤	الحسن بن علي بن محمد ، أبو الجوائز الواسطي	٣٤٩

١٢٥ الحسن بن مالك ، أبو العالية الشامي ٣٥٠
١٢٦ الحسن بن المبارك بن محمد ، ابن الخل الفقيه ٣٥١
١٢٧ الحسن بن محمد بن عبد الله ، أبو محمد الوزير المهلبي ٣٥٣
١٢٨ الحسن بن محمد بن علي ، ابن كسرى المالقي ٣٥٧
١٢٩ الحسن بن محمد بن الحسن ، رضي الدين الصاغاني ٣٥٨
١٣٠ الحسن بن محمد السهواجي ٣٦١
١٣١ الحسن بن محمد بن أحمد ، عز الدين الضرير الاربلي ٣٦٢
١٣٢ الحسن بن محمد بن جعفر ، قوام الدين ابن الطراح ٣٦٥
١٣٣ الحسن بن وهب الكاتب ٣٦٧
١٣٤ الحسن بن يوسف بن محمد ، المستضيء بالله أمير المؤمنين ٣٧٠
١٣٥ الحسين بن عبد الله بن الحسين ، ابن ا لجصاص الجوهري ٣٧٢
١٣٦ الحسين بن عبد الله بن رواحة الحموي ٣٧٦
١٣٧ الحسين بن علي بن أحمد ، سعد الدين الطيبي ٣٧٧
١٣٨ الحسين بن علي بن محمد ، ابن ممويه وابن قم ٣٨١
١٣٩ الحسين بن مطير الأسدي ٣٨٨
١٤٠ الحكم بن عبدل الأسدي ٣٩٠
١٤١ الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الأموي الربضي ٣٩٣
١٤٢ حمدة بنت زياد الواداياشية ٣٩٤
١٤٣ حمزة بن بيض الحنفي ٣٩٥

خ

١٤٤ خالد بن يزيد الكاتب البغدادي ٤٠١
١٤٥ خالد بن يوسف بن سعد ، زين الدين النابلسي ٤٠٣
١٤٦ خسروشاه بن سعد ، سبط ابن الحمامية ٤٠٤

١٤٧ خضر بن أبي بكر موسى المهراني العدوي ، شيخ الملك الظاهر ٤٠٤
١٤٨ خليل بن قلاوون ، السلطان الملك الأشرف ٤٠٦

د

١٤٩ داود بن عيسى بن محمد بن أيوب ، الملك الناصر صلاح الدين ٤١٩
١٥٠ داود بن يوسف بن عمر بن رسول ، الملك المؤيد هزبر الدين ٤٢٨

تمّ ، بعونه تعالى ، طبع هذا الجزء من
فوات الوفيات
على مطابع دار صادر في بيروت
في اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣